رسائل جامعية 10

التراث العقدي

في

مسألة العلم النبوي عند العلماء

من منتصف القرن العاشر إلى منتصف القرن الثالث عشر للهجرة

مجموع يحتوي على كتب محققة

الكتاب الأول

سؤال وجواب في علم النبي ﷺ

للإمام العارف بالله عبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت1036هـ)

عن سؤال الإمام عبد القادر بن علي الفاسي (ت1091هـ)

هل يصح إطلاق لفظ الضروري على العلم النبوي؟

الكتاب الثاني

ملائل الطلب في جواب أستاذ حلب

للقاضي أبي مروان عبد الملك بن محمد التجموعتي (ت1118هـ)

الكتاب الثالث

تقييد في العلم النبوي

للإمام أبي علي الحسن اليوسي (ت1102هـ)

الكتاب الرابع

خلع الأطمار اليوسية عن الأسطار اليوسية

للقاضي أبي مروان عبد الملك بن محمد التجموعتي (ت1118هـ)

الكتاب الخامس

الروض المعطار في علم النبي المختار ﷺ

لأبي العباس أحمد بن عبد السلام البناني (ت1234هـ)

تأليف وتحقيق

الدكتورة محجوبة العوينة

المجلد الثاني

دار المالكية

رسائل جامعية (10)

التُّراثُ العَقَدِيُّ
في
مَسْأَلَةِ العِلْمِ النَّبَوِيِّ عِندَ العُلَمَاءِ

مِنْ مُنْتَصَفِ القَرْنِ العَاشِرِ إِلَى مُنْتَصَفِ القَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ

مجمُوعٌ يَحْتَوِي على كُتُبٍ مُحَقَّقةٍ

تأليف وتحقيق

الدّكتورة مجبوبة العوينة

نائِبُ رئيسِ اتحادِ الأكاديميّينَ والعلماءِ العربِ
رئيسة مكتبِ المملكةِ المغربيّةِ لاتحادِ الأكاديميّينَ والعلماءِ
التابعِ لمجلسِ الوحدةِ الاقتصاديّةِ العربيّةِ - جامعةِ الدولِ العربيّةِ

دكتوراه في العقيدةِ والفكرِ
أستاذة أكاديميّة طنجة - تطوان الحسيمة - المغرب

المجلّدُ الثّاني

دار المالكية

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة



مجموعٌ يحتوي على كُتُبٍ مُحققةٍ

الكتاب الأول

سؤالٌ وجوابٌ في علم النبي ﷺ

للإمام العارف بالله عبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت 1036هـ) عن سؤال الإمام عبد القادر بن علي الفاسي (ت 1091هـ)

هل يصحُّ إطلاق لفظ الضروري على العلم النبوي ؟

الكتاب الثاني

ملالُ الطلبِ في جوابِ أُستاذِ حلب

للقاضي أبي مروان عبد المالك بن محمد التجموعتي (ت 1118هـ) رحمه الله

الكتاب الثالث

تقييدٌ في العلمِ النبوي

للإمام أبي علي الحسن اليوسي (ت 1102هـ) رحمه الله

الكتاب الرابع

خلعُ الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية

للقاضي أبي مروان عبد المالك بن محمد التجموعتي (ت 1118هـ) رحمه الله

الكتاب الخامس

الروضُ المعطار في علم النبي المختار ﷺ

لأبي العبّاس أحمد بن عبد السلام البناني (ت 1234هـ) رحمه الله

الطبعة الأولى

1442 هـ - 2021 م

ISBN 978-9938-907-87-2



دار المالكية
للطباعة والنشر والتوزيع

تونس - قبلي: طريق قابس - قرب جامع خالد بن الوليد
هاتف: 24599530 / 27734029
بيروت - لبنان هاتف: 009613450189 / 009611472705
واتساب: 009613450189
E-mail: Daralmalikiya@gmail.com

النَّصُّ المحقَّق



الكتاب الرَّابع

خلْعُ الأطْمار البُوسيّة عن الأسطار اليُوسيّة

للقاضي أبي مروان عبد المالك بن مُحمَّد التَّجمُوعتي
(ت 1118هـ) رحمه الله

نصٌّ مُحقَّقٌ عنْ أربع نُسَخ مختلفة وبحاشيتين:

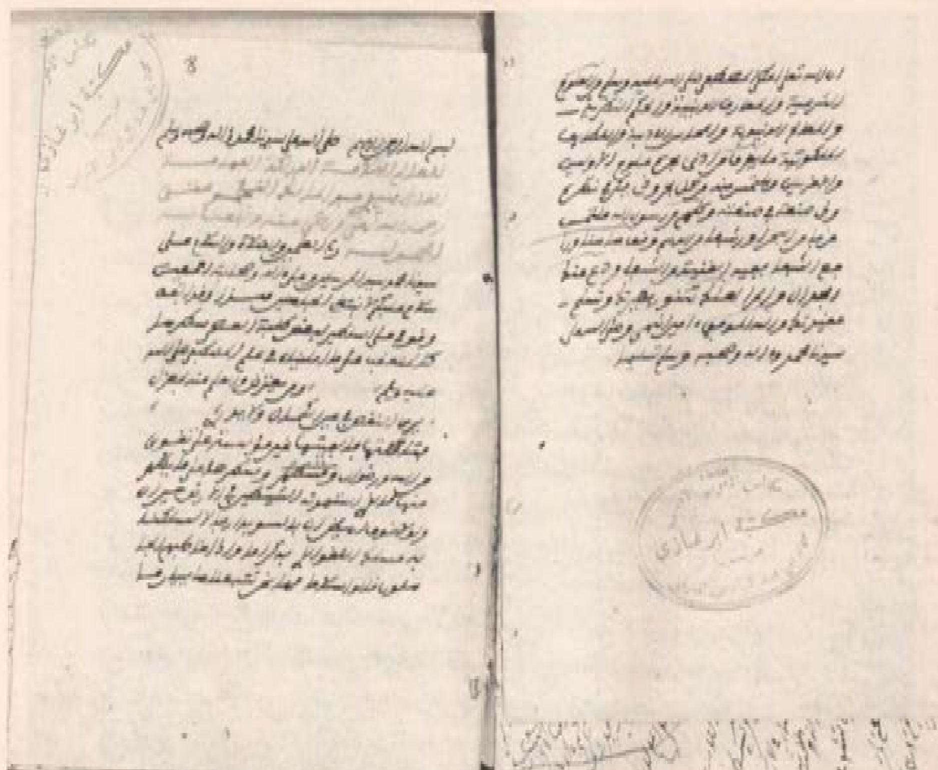
الأولى: للعلّامة محمّد بن الحسن الحجوي الثّعالبي (ت 1376هـ) "حاشية الحجوي"

الثّانية: بخط القاضي أبي فارس عبد العزيز بناني (ت 1347هـ) "حاشية البناني"

صور نماذج من النسخ الخطية من:

«خَلْعُ الأَطْمارِ البُوسيَّة عن الأسْطارِ اليُوسيَّة»

للقاضي عبد المالك بن محمد التجموعتي (ت:1118هـ)



«خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية»

نسخة القصر الملكي بالرباط (برقم 14152).

«خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية»
نسخة القصر الملكي بالرباط (برقم 12010).

«خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية»

نسخة المكتبة الوطنية بالرباط (برقم 115ح)

«خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية»

نسخة المكتبة الوطنية بالرباط (برقم k1091).



الكتاب الرابع

خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية

للقاضي أبي مروان عبد المالك بن محمد التجموعتي

(ت 1118هـ) رحمه الله

تأليف وتحقيق

الدكتورة محجوبة العوينة

نائب رئيس اتحاد الأكاديميين والعلماء العرب

رئيسة مكتب المملكة المغربية لاتحاد الأكاديميين والعلماء

التابع لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية - جامعة الدول العربية

دكتوراه في العقيدة والفكر

أستاذة أكاديمية طنجة - تطوان الحسيمة - المغرب

دار المالكية

[النَّص المحقَّق]

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[أ].

للعالم العلامة الدراكة الفهامة القاضي سيدي عبد المالك[ب] التجموعتي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به[ت].

في حاشية البناني: (مبدأ السؤال للحلبي، وجوابه في سفر «الدر النثير»[1]، ثم مراجعته لسيدي الحسن في غير هذا بخط السيد عبد القادر الدويرك، وهذا ثالث:

(أ) في (ج): زيادة (وسلم تسليما).

وفي (د): (وصحبه وسلم) ساقط.

(ب) في (ج): زيادة (بن محمد).

وفي (د) و(ك): (وللشيخ العالم العلامة البحر الفهامة الدراكة أبي مروان سيدي عبد المالك بن محمد التجموعتي السجلماسي سامحه الله بمنه، مجيبًا لأبي علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما تقدم).

(ت) في (ج): (رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به) ساقطة.

---

(1) جواب القاضي التاجموعتي على سؤال الفقيه أحمد الحلبي والمسمى «ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب»، غير وارد في «الدر النثير في من أشتهر وصح نسبه من شرفاء الوداغير بفجيج» للفقيه الودغيري (ت1300هـ)، ولعله كان يقصد «نشر المثاني» =

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحابته[أ] أجمعين، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين.

هـذا؛ وقد اتفق وقوفي على أساطير لبعض طلبة العصر، سطرها كالمتعقب[ب] على ما أمليناه في علم المصطفى ﷺ:

ومـن يعترض والعلم عنه بمعزل ... يرى النقص في عين الكمال ولا يدري[1]

فتأملتها فألفيتها غير مؤسسة...........................

هو العلامة الأكبر سيدي الحسن اليوسي. حكى السيد أحمد السباعي أن الولي الصالح سيدي أحمد الحبيب[2] سئل: هل الصواب مع سيدي الحسن اليوسي أو مع سيدي عبد المالك؟ فقال: الصواب مع سيدي الحسن).

(أ) في (د): (وصحبه).

(ب) في (ك): (كالمنتقد).

= ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج5 ص1909)، حيث ورد جزء منه.

(1) هذا البيت لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكري الشريشي. ولد سنة 580 بسلا دار البلاد، وسكن فَيوم، (ت641هـ). «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوي (رقم 909 ج3 ص242)؛ وفي «هدية العارفين أسماء المؤلفين» للبغدادي (ج1 ص94).

(2) هو أحمد الحبيب بن محمد الصديقي السجلماسي الغماري اللمطي المصري الأصل (ت1165هـ). كان علّامة عصره، زاهد، أخذ العلم والتصوف عن عدة علماء مغاربة. ومن تلامذته العالم أحمد بن عبد العزيز الهلالي (ت1175هـ). كما درس على يده العديد من الفقهاء. لـه تأليف في علوم القراءات، كان مشهورًا بالتجويد. ولد في رمضان 1068هـ). «نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج6 ص2175)؛ «طبقات الحضيكي» (برقم 111 ج1 ص104)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (ج2 ص392)؛ و«الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» للسملالي (برقم 264 ج2 ص383)؛ وهو غير أحمد الحبيب (ت1243هـ) المترجم له في «إتحاف المطالع» لابن سودة (ج1 ص142).

﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾[1]، ومسطرها على ما يظهر منها ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾[2]، ولولا خوف أن يظن أن بالسويداء رجالًا، لسلكنا به[أ] مسلك اللغو الذي نمر[ب] به كرامًا، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[3].

فها نحن تتبعناها[ت] ببيان ما اشتملت عليه من الجهل الذي مناره رؤية نفسه، وأنه للتعقب أهل. فأقول، وعلى الله قصد السبيل، ومنه التوفيق لإبطال ما يبديه أهل الزيغ من الأباطيل:

• قوله: (الحمد لله على ما ألهم): الإلهام[4]: هو[ث] (إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر، يخصّ به الله بعض أصفيائه)[5]، وأين هذا مما وقع في

....

(أ) في (ج) و(د) و(ك): (بها).

(ب) في (م): (نمر) ساقطة.

(ت) في (ج): (ها نحن نتتبعها).

في (د) و(ك): (فها نحن نتتبعها).

(ث) في (ج) : (والالهام). وفي (د): (هو) ساقط.

(1) سورة التوبة، الآية: 109.

(2) سورة الأنعام، الآية: 71.

(3) سورة الفرقان، الآية: 63.

(4) سبق التعريف بمصطلح «الإلهام» في (ص350).

(5) نقله المصنف عن «جمع الجوامع في أصول الفقه» لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ) (ص111).

الأساطير(*) من التعرض لنصاب(أ) المصطفى - عليه الصلاة والسلام - بنفي ما ثبَّته(ب) مخبرًا عن ربه لنفسه الزكية؟ فإنه ليس من الإلهام في شيء، بل هو من الإيهام، والخوض فيما لم يحط به، بمجرد الظنون، وسقيم الأفهام. ولو لُهِم(ت) رشده، لأمسك عن تعاطي ما لا يحسن، ولا أحاط به علمًا: ﴿وَتَقُولُونَ مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾(1). وقد ذمّ الله تعالى اتباع الظن، فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾(2)؛ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى

(*) في حاشية البناني: هذا كلام ساقط، إذ لا دليل على أن ما قرره الشيخ هو من الإلهام المصطلح عليه كما عبر السبكي(3)، بل أراد به معناه اللغوي، وعلى فرض أنه أراد به المعنى الاصطلاحي عند الصوفية، مع أنه ليس هو ممن يعده بذلك، ويتبجح بما هنالك، بل هو ممن ينكر على من يروم إليه ويدعيه له، فلا تحقيق فيما قرره هو: من أن العموم في الحديث [ ](4) تتطاول به وتصور عموم إضافي، وقد تلزمه له غير لازم. وأخذك إليه بمقتضى تلك الآيات التي تراها في حقه على سبيل التنقيص لجانبه، واستخفافه، فلله الشكوى وحده فيما نطقه وسطره وتلذذ من الآيات في غير محلها قبل التحشية الأولى، وفيها كلها ولكن لما تم عن ما يؤيده على الشيخ مما يفهمه الشيخ.

(أ) في (ج) و (د) و(ك): (لمنصب)

(ب) في (ج) و (د) و(ك): (ما أثبته).

(ت) في (ج) و (د) و(ك): (ولو ألهم)

(1) سورة النور، الآية: 15.

(2) سورة النجم، الآية: 28.

(3) «جمع الجوامع» للسبكي (ص111).

(4) يوجد في هذا الموضع من المتن كلام غير واضح، وهو بمقدار كلمتين إلى ثلاث كلمات.

ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[1]؛ ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

ومن غريب ما يُسمع(*)، الجزمُ بأن ما سطره من «الإلهام». وفي ضمنه أنه من الأصفاء(أ)[1]:

فيا دارها بالخيف إن مزارها   قريب ولكن دون ذلك أهوالُ[3]

فلو قلتَ: «على ما أفهم»، لناسبَ حالك فيما سطرته من اللغو والأوهام، وهيهات هيهات منك الإلهام، وهو على فرض صدوره عن أهله من أهل الخصوصيات(ب)، لا يحتج به؛ لعدم ثقة من ليس معصومًا بخواطره، لأنه لا يأمن

(*) في الحاشية البناني: فهم الناس الذي يومع يقع غلط، ولا التباس إلا المعارضة، والمقابلة على سبيل المطاولة بتلك الآيات الذي أنت على سبيل الاقتباس الذي حرر حكمه الأئمة وبالغ فيه بعضهم وأطلق وجزم فيه بالحرمة، وليس ذاك شأن المحققين أهل المسايرة الذين يتتبعون النقص والإبطال بما ثبت وصح عندهم من الأدلة النقلية والعقلية على سبيل استدلال الراصعة كلها إلى عين المسألة أو الغريب منها على سبيل الاستنباط والقياس، وأما الخروج عن الموضوع بالكلية كما فعلته أنت مع عالم الأمة فهو عندي من العيوب القبيحة وعلامة الضعف والعجز عن المسايرة الصحيحة.

(أ) في (ج) و(د): (الأصفياء).

(ب) في (د): (الخصوصية).

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 93.

(2) سورة البقرة، الآية: 80.

(3) هذا البيت لأبي العلاء المعري من قصيدة «ماء بلادي أنجع» مطلعها: (مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال). «ديوان سقط الزند» لأبي العلاء المعري (ت449هـ) (ص229).

من دسيسة الشيطان فيها. وقد كشف الغيب أن الأساطير من دسائسه ووساوسه؛ إذ المسألة قد تولاها السّابق، وحذا حذوه فيها اللاحق:

لم يدع من مضا للذي قد غبر فضل علم سوى أخذه بالأثر(1)

لكن جهلتها، وجهلتَ أنك بها جاهل، وأتيتَ فيها بكلماتٍ قد اشتملت من الغي، والتعسف، والألفاظ السالكة مسلك التكلف، بما يشهد أنك من منهلها غير ناهل.

• **وقوله: (وعلّم مما لولا فضله...) إلخ:** ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾(2)، فلعمري ما معك في المسألة علم(*)، ولو علمت ما تكلمت، فإن

(٣) **في حاشية البناني:** هذا خروج عن الموضوع وتقول على ذلك الشيخ المجمع على علمه ودينه، ولو تصدى أن يتكلم معك بالنفي والريبة والزيغ بمداها وعدم الحياء من مولاك لأنشدك من الكلام المنثور والمنظوم تحت منصته المشتمل

....

(1) هذا البيت ذكره ابن رشيق القيرواني (ت463هـ) في «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» (ج2 ص304)؛ والعلامة الحسن اليوسي في «زهر الأكم في الأمثال والحكم» (ج3 ص77)؛ وقال عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحاكم المتعلم» (ص449): (ولا كلمة أضرّ بالعلم والعلماء والمتعلمين منه، من قول القائل: ما ترَك الأولُ للآخر شيئا!)؛ وقال الحجوي الثعالبي في «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» (ج2 ص745باب هل انقطع الاجتهاد أم لا؟) معلقًا على هذا البيت بعدما ذكره: (هذا خيال شاعر، ليست حجّة عقلية ولا شرعية، أوجبها تأخر الأفكار الإسلامية وركونها للجمود).

(2) سورة الأنعام، الآية: 148.

التكلم بعد التعلم، فإن كان تعلُّمك كما سطّرتَ في المسألة، فذاك ورب البيت مجهلة، وأي جهل أدهى وأمر من جهل مَن يخوض فيما لا يدري، ولا يتشاجر[أ] على المنصب النبوي ويجتري. إن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا أعلم، لكن رؤية النفس(*) والاغترار بهواها حملتك على التلصُّص بالتخرص؛ ويرحم الله بعض أهل العلم[1] في جواب له لسائل سأله عن مسألة فقال: (لا أدري)، فقال له السائل: (أتقول لا أدري وأنت فلان؟!)، فأجابه بقوله: (ويحك! لو كان لأمك

على الوقاحة والغيبة والباهتة والتحريف بمكانته التي جهلتها أو تحاملتها بل ما [ ][2] بك وحدك حتى نسبته أهل عصره إليها وما شانهم منها.

(*) **في حاشية البناني**: هذه التحشية على نحو، فيقال عليه ما قلناه هناك فيه من الإنصاف والأدب مع العلماء من غير اعتساف، انظروا بعينه ما صدر من هذا السيد في جانب ذلك الشيخ المجموع على علمه ودينه.

في هذه التحشية كلها من نسبته إلى الجهل والتمادي على المنصب النبوي وحاشاه من ذلك، بل هو الذي معه العلم والاعتقاد الوسط من غير تفريط ولا إفراط ولا شطط حسبما بينه هو وبيناه نحن، بل هو اعتقاد، وكل من عرف الله تعالى بعلاه ورسوله ﷺ بوصفه الذي لا يتعداه.

(أ) في (ج) و (د): (ويتجاسر).

(1) المقصود بـ «بعض أهل العلم»: إمام الكوفيين في النحو واللغة: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (ت 291هـ): كان راوية للشعر، محدثًا، مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد ومات في بغداد. «تاريخ بغداد» للبغدادي (برقم 2951 ج6 ص453)؛ وفي «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (ج3 ص383 ـ 384).

(2) يوجد في هذا الموضع كلام غير واضح، وهو بمقدار كلمتين إلى ثلاث كلمات.

عدد ما لا أدري من البعر[1] لاستغنت).

وفي الإمام القدوة، الإمام مالك[1](ب) إسوة، إذ أجاب في سؤال مشتمل على أربعين مسألة عن أربعة(ت)، و قال في ستّ وثلاثين: (لا أدري)، وأنت لم تسأل عن المسألة لما كان فيها ما كان بين حملة العلم، إذ لست عندهم بذلك(ث)، ولا أنت في اعتقادهم هناك.

• **وقوله: (أن وقعت في حضرة فاس)(*)**: منصرف القصد منه بذكر فاس

(*) **في حاشية الحجوي**: أما القصد القلبي فلا ميل إلى الاطلاع عليه، وأما فحوى ذكر فاس، فليس بازدراء، بل تعظيم: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [سورة الشرح: 4]. فيا للعجب! هذا المؤلف هو الذي بدأ في رسالته «ملاك الطلب» بالازدراء بعلماء فاس، ونقل كلام ابن خلدون دليلًا له، فهو الضارب والباكي، والظالم والشاكي، ولا حول ولا قوة إلا بالله من فساد الأخلاق.

(أ) في (ج) و(د): (بعر لاستغنت). وفي (ك): (من الشعر).

(ب) في (د) و(ك): زيادة (أبي عبد الله).

(ت) في (د) و(ك): (أربع).

(ث) في (ج) و(د): (بذاك).

(1) هو الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سئل عن أربعين مسألةً، فقال في ست وثلاثين: (لا أدري). «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» لابن عبد البر (ص 75)؛ وفي «التمهيد لما في الموطأ» لابن عبد البر (ج1 ص73)؛ وفي «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض (الفصل الثاني: تحريه في العلم والفتيا، ج1 ص181)؛ وفي «بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب» للأصفهاني (ت749هـ) (ج1 ص27)؛ وفي «الموافقات» للشاطبي (كتاب الاجتهاد: الطرف الثالث: فيما يتعلق بإعمال قول المجتهد: المسألة السابعة، ج4 ص497).

الازدراء(*) بأهلها والسخرية بهم، وترفيع قدره عليهم بعلم ما رأى أنه خفي عليهم من هذه المسألة، وهو لا شعور له بها أولًا وآخرًا[أ]، وإلا فما كان أغناه عن ذكرها(**).

• وقوله: (وأعلمني بها سلطان الوقت): هذه ثرثرة بربرية[ب] لا طائل تحتها(***)، وفي «الصحيح» عنه ﷺ[ت]: **«وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون**.........

(*) **في حاشية البناني**: هذا تقوّل عليه أيضًا، وإنما وقع له ما وقع مع بعض أهلها لما دخلها ودرس في جامعها: (ثم ما أنصفت...) إلخ. والظن بالجميع أن ذلك لم يدم بل رفع الجميع، والله أعلم.

(**) **في حاشية البناني**: من المقابلة والإنكار المؤذي، وأنت بصدد خطة النظار إلى أتباعك السفلة والأشرار في إطلاق اللسان في البذر والأخيار أصحاب الشيوخ الأبرار فيسري ذلك كله إلى تغيير قلب سلطان الوقت وامتلاء فيه بالغضب وإرادة الانتقام والمقت لو دام ذلك التغيير وشغله عن الأهم من أمر الرعية النقير منها والنظير ولم يسبق له عناية [ ][ث] الخير الحاجزة له عن معاداة أولياء الله، عصمنا الله وكل من قال ربي الله هـ.

(***) **في حاشية البناني**: هذا من نمط ما قبله، وقد قال هو رضي الله عنه ونفعنا به في تلك الرسالة بالكراريس من كون الجملة حاشاه -أعني السلطان المولى إسماعيل- من ذلك، بل كل يعلم أنه من كبار العلماء وفحول الأصفياء، ونصحه بتلك

(أ) في (د) و(ك): (ولا آخرا).

(ب) في (ج): (هذه ثرثرة بربوية).

(ت) في (ج) و(د) و(ك): زيادة (عليه الصلاة والسلام).

(ث) يوجد في هذا الموضع من المتن كلام غير واضح.

المتشـدّقون»[1].

• وقوله: (أحدهما أنه لم يقصدني بالسؤال عنها...) إلخ: إنما لم يقصدك أدامه الله للإسلام بالسّؤال عنها لعلمه أنك لستَ من أهل[أ] الشأن، ولا ممن تجول له فيه يدان. على أن مكاتبة مولانا السلطان[ب] -أدامه الله- إياك حسبما استفاض(*)، وانتشر في معنى[ت] النهى عما تصدّيت له في بطون الأودية، ....

الرسالة الوقتية قلَّ أحدٌ نسج على منوالها الذي ما عليه من النصيحة على حسب مقالها، بل السيطرة هو الذي كان يجب الاتصال به على عادة غيره من العلماء، وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفعنا به ينفي ويتبرّأ منه ومن غيره من جميع أهل الولايات والرئاسات الدنيوية، ويقبل على الله تعالى والعبادة والخلوة وخلطة أهل الرتب والمقامات الأخوية كما أشار إلى ذلك في تلك الرسالة الكبرى التي أجاب بها كتاب السلطان، وحمّله على جوابهم نفرة ومباعدة، على قاعدة غير واحد من كبار الأولياء رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

(*) في حاشية البناني: الاستفاضة والانتشار في نحو ذلك المضمار شأنها أنها لا

(أ) في (د): (من أهل هذا الشأن).

(ب) في (د): (المنصور بالله).

(ت) في (د) و(ك): (بمعنى).

(1) رواه أحمد في «المسند» (رقم 17732 ج29 ص267)؛ و(برقم 17743 ج29 ص279)؛ وقال الترمذي في «الجامع الكبير» (رقم 2018 ج3 ص545): (هذا حديث حسن غريب؛ والثرثار: هو الكثير الكلام، والمتشدق: الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم)؛ ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 10424 ج10 ص190)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (برقم 20799 ج10 ص326)؛ وتحدث عنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم 791 ج2 ص419).

وقُرون(أ) الجبال من جمع الجموع، على غير المهيع المنزوع(ب)؛ فأبيتَ إلا الإصرار على ذلك، والإعجاب بكثرة سواد الرعاع، والالتفات إلى استتباع الأتباع، والتلذذ بالتلقب بالمتصوف السالك، ولـم تعلم يا فُلُ! لو أنصفتْك أمارتك أنك في الهلكى هالك؛ مع أن التعرض لذكر(ت) مكاتبة مولانا السلطان -أدامه الله للإسلام- من باب مادحُ نفسه يقرئك السلام، وطالما بالغ(*) - أيده الله - في الإعذار إليك، والحض على رجوعك إلى الطريقة المثلى، والانتظام مع جماعة المسلمين في حواضرهم، ومحاضرهم التي بها آيات الله كما ينبغي تُتلى. وفي الأثر: «عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية»(1): يعني الشاة البعيدة

أصل لها حسبما جرت به عادة الله تعالى فيمن يفرد [ ](ث) بنفسه وينعزل بدينه عن الناس فينسب لها، وقع لغير يدعيه، وتذكر قول السبكي في «طبقاته».

(*) في حاشية البناني: من ذكره من ذم الانفراد عن الجماعة ليس على إطلاقه كما لا يخفى على من له بكلام الأئمة الناصحين خبرة، الذين يفهمون الأحاديث النبوية المتقابلة على وجهها ويوفتون بينها وينزلونها منازلها كإحياء علوم الدين -راجعه ترشد- عند كلامه على قبحك الصحبة، وكذلك كلام السنوسي على مسلم.

(أ) في (ج) ود) و(ك): (وقنن) جمع قنة .

(ب) في (ج) و (د) و(ك): (المشروع).

(ت) في (د) و(ك) : (لذكر) ساقطة.

(ث): يوجد في هذا الموضع من المتن كلام غير واضح.

---

(1) عن أبي الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان. فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب =

عن جماعة الغنم حتى خرجت ببُعدها عن كنف رعاية الراعي لها، ولا شك أنها ـ وهي كذلك ـ فريسةُ الذئب، وكذلك الخارج عن الجماعة، إنما هو فريسة الشيطان، وأكيلة سراياه بين الأشطان.

• **وقوله الثاني: (أني رأيت الكلام فيها...) إلخ**: تأمل ما بين هذه الأساطير والتي بعدها من **قوله: (فأقول وبالله الحول...) إلخ** من التفاوت والتهافت(*)، فقد رأى هنا الكلام في المسألة لما جهلها من الفضول، ثـم آثر بعد ذلك فيها الدخول.

(*) **في حاشية البناني**: التفاوت والتهافت: إنما هما على فهمك الفاسد لكلام ذلك المحقق الراشد لدى الفضول الذي قاله. أوّلًا بيَّن بعد بتلك الأوجه الثلاثة مصرِّحًا بأن موضوعه ـ أي الفضول ـ: البحث عن علمه ﷺ من حيث إحصاؤه من حيث التحمل، أي: تخيل أنه على حد علم الله تعالى أم لا؟ وكلامه كله من أوله إلى آخره نهي عن ذلك، كما هو الورع والأدب، ولكن لما صرحت أنت بأنه على حد علم الله تعالى وقد لفت بذلك بجميع العلماء والأولياء الفضلاء، لـم يكن له شيء على سبيل النصيحة من التعرض لرد كلامك كذا مرة وتصحيح أنه لا على حد علم الله تعالى بحيث لو لم تتصور أنت لما صرحت به من ذلك

....

= القاصية). رواه أحمد في «مسنده» (برقم 21710 ج36 ص42) قال محققه: (إسناده حسن)؛ وأبو داود في «سننه» (برقم 547 ج1 ص410)؛ ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (ج2 ص328)؛ والنسائي في «السنن الكبرى» (برقم 922 ج1 ص445)؛ وابن خزيمة في «صحيحه» (برقم 1486 ج1 ص719)؛ وابن حبان في «صحيحه» (برقم 2101 ج5 ص457)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (برقم 765 ج1 ص330): (هذا حديث صدوق)؛ ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (برقم 4929 ج3 ص77)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (ج13 ص281)؛ والبغوي في «شرح السنة» (برقم 793 ج3 ص347).

وهل هـذا إلا من فساد الإدراك(*)(1)، والحواس(أ)؟ وهو الذي ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾(2)، فإن كان كلام السابق من أهل العلم فيها من فضول الأصول، فقد صرت أنت تتكلم في أصول الفضـول.

المعتقد الفاسد لاقتصد الفضول على ما قدره أوّلًا من الفضول الذي أوجهه مع ذلك الملخص الذي ذكره أو الذي هو المعتقد [..](3).

(*) **في حاشية البناني**: الفهم عن البحر الأحرج ما اعتبرت عليه من الغلط والوهم - والله أعلـم -.

(أ) في (ج) و (د) و(ك): (والحس).

---

(1) **الإدراك**: قال اليفرني الطنجي (ت734هـ) في «المباحث العقلية» (ج2 ص893): (اختلف أئمتنا في «الإدراك»، فمنهم من رأى حده، ومنهم من منع ذلك.

فأما من حـده: فقال الشيخ أبو الحسن ـ الأشعري -: (الإدراك ما أوجب لمحله كونه مدركا)؛ وقيل: (الإدراك معنى يقوم بجزء من العين)؛ وقيل: (هو الذي يحصل العلم الضروري عقبـه)؛ وهـذان التعريفان لا يصحان في حق الله تعـالى.

وأما من منع تحديـده، فقال القاضي أبو بكر الباقلاني: (لأنه من الألفـاظ المشتركة، إذ يطلق ويراد به العلم، ويراد به اللحوق، والألفاظ المشتركة لا تدخلها الحدود)؛ وقيل: (إنمـا امتنع تحديده، لأجل ما امتنع تحديد العلم لـه)).

والإدراك عند الفلاسفة: حصول صـورة الشيء في العقل، فهو بمعنى العلم. والإدراك بهذا المعنى العام للشيء، ماديًا أو معنويًا، جزئيًا أوكليًا، حاضرًا أو غائبًا، حاصلًا في ذات المدرك أو في آلته ينقسم إلى أقسام بحسب القوة المدركة. فيكون إحساسًا، ويكون تخيلًا، ويكون توهمًـا، ويكون تعقـلًا، ويسمى حينئذ إدراكًا بالإضافة. «الكليـات» للكفوي (ص66). و«موسـوعة المصطلـح في التراث العربي» للكتاني (ج1 ص116).

(2) سـورة البقرة، الآية: 275.

(3) يوجد في هذا الموضع من المتن كلام غير واضح، وهو بمقدار كلمتين إلى ثلاث كلمات.

• وقوله: (وفي الحديث: اقرءوا القرآن..)[1]: الحديث يا فُلُ! حجة عليك لا لك(*)، فإنه من باب الإخبار عما(أ) يكون قبل أن يكون؛ ضرورة أن الاختلاف المنبه عليه، إنما كان بعده ﷺ، ولم يكن منه شيء في عهده عليه الصلاة والسلام، إلا شبه ما كان بين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهشام بن[2] حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد صوّب ﷺ مقرأهما معًا، وقال: «إن هذا القرآن...» إلخ(**) الحديث[3].

(*) في حاشية البناني: قوله: (حجة عليك لا لك...) إلخ: هو سوء فهم أيضًا لك المحقق اليوسي لم يذكر الحديث المذكور على سبيل الحجية حتى تقول له هو عليك لا لك، وأنه من باب الإخبار بالمغيبات فقد علمها، ولكن المغيبات التي أخبر بها كلها ليس فيها ما يقتضي أن عموم علمه ﷺ [ ](ب) علم الله تعالى بلا فرق من حيث ذلك العموم الإحاطي بل إنما ذكره على سبيل التنظير كما هو صريح قوله: (فإنا كما أمرنا بالإمساك...) إلخ.

(**) في حاشية البناني: (أُنزِلَ على سبعة أحرف).

(أ) في (ج): (عن ما يكون). وفي (ك): (عما كان قبل).

(ب) يوجد في هذا الموضع من المتن كلام غير واضح، وهو بمقدار كلمتين إلى ثلاث كلمات.

---

(1) سبق تخريجه في (ص454).

(2) هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، وخديجة - زوج النبي ﷺ - عمة أبيه. ينظر رواية عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهشام بن حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الاستيعاب» لابن عبد البر (رقم 1687 ص735)؛ و«أحكام القرآن» لابن العربي (ج2 ص612 الآية 51 المسألة 6)؛ وفي «أسد الغابة» لابن الأثير (رقم 5376 ص1222)؛ و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (رقم 9045 ص1544).

(3) قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه» =

فما دام ﷺ معهم، لم يقع بينهم اختلاف، ولا شيء مما وقع بعده.

ثم لما مضى ﷺ[أ] تراكم الظلم؛ لذهاب الأنوار، كالسماء عند ذهاب النجوم، على أنه ورد: «**اختلاف أمتي رحمة**»[1]، وإن قيل: لم يثبت.

فإن قيل: لا نزاع في تعلق علم النبي ﷺ ببعض المغيبات، وإنما النزاع في عمومه.

قلنا: إذا تعلّق بالبعض فضلاً من الله تعالى وكرامة لنبيه؛ جاز تعلقه بكله[ب]؛ بجامع الإمكان[*]، ....

(*) **في حاشية الحجوي: قوله: (جاز تعلقه بالكل): يظهر من كلامه أنه سلك مسلك**

(أ) في (ج): زيادة (إلى ربه).

(ب) في (د): (بالكل).

= الحديث. رواه الإمام مالك: في «الموطأ» (كتاب القرآن باب ما جاء في القرآن، ص109)؛ والبخاري في «صحيحه» (كتاب الخصومات: باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، برقم 2419 ج2 ص91)؛ وفي (كتاب التوحيد: باب قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ برقم 7550 ج4 ص401)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين: باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، برقم 818 ج4 ص127).

(1) أورده القرطبي في «تفسيره الجامع لأحكام القرآن» (ج5 ص241 عند الآية 103 من سورة آل عمران)؛ واستنكره ابن حزم الأندلسي (ت456هـ) في «الإحكام في أصول الأحكام» (الباب25 في ذم الاختلاف ج5 ص59)؛ وقال: (وهذا من أفسد قول يكون؛ لأنه لو كان الاختلاف رحمة، لكان الاتفاق سخطًا، هذا ما لا يقوله مسلم)؛ وقال الملا علي في «الأسرار المرفوعة» (برقم 17 ص108): (ذكره الخطابي في «غريب الحديث» مستطردًا وأشعر بأن له أصلاً عنده..)؛ وعلق عليه الزرقاني في «مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي» (برقم 36 ص56) بقوله: (وارد)؛ وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث =

لأن ما صحّ على الشيء، ....

القياس الأصولي[1]، وقد نص الشافعي أنه لا يرتكب إلا لضرورة[2]، ثم إنه لا يكون مع النص، وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[3]. ثم إن هذا القياس مع كونه فاسد الوضع لوجود النص، فهو فاسد لوجود الفارق البين، فإنه قاس علم كل المغيبات على علم بعضها، والفرق ظاهر، يعلمه كل من يفرق بين الكل[4] والبعض، وكل من يقول أن الكل أعظم من البعض.

كما أن قوله: (بجامع الإمكان): لا يخفى ما فيه؛..........................

....

= الضعيفة» (رقم 57 ج1 ص 141): (لا أصل له)؛ وتحدث عنه في مجلة «دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف (العدد 153 = العدد الأول السنة 16 جمادى الأولى 1393هـ ـ يونيو1973م)؛ في مقال: (هل «اختلاف أمتي رحمة» حديث؟؟) الأستاذ الفاطمي الكتاني (ص83).

(1) **القياس الأصولي**: هو بيان حكم أمر غير منصوص على حكمه في النص الشرعي، وذلك بإلحاقه بأمر معلوم نص الشرع على حكمه في الكتاب أو السنة، ويعرفونه بأنه إلحاق أمر غير منصوص على حكمه، بأمر آخر منصوص على حكمه، للاشتراك بينهما في علة الحكم. وبالقياس ترد الأحكام التي يجتهد فيها المجتهد إلى الكتاب والسنة. «أصول الفقه» للشيخ محمد أبو زهرة (ص218).

(2) **يقول الإمام الشافعي في مؤدى القياس**: (كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم، وعليه إذا كان بعينه اتباعه - أي: إذا كان منصوصًا عليه بالذات -، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق بالاجتهاد؛ والاجتهاد هو القياس). المصدر السابق.

(3) سورة النمل، الآية: 65.

(4) **الكل: في علم المنطق**: اسم لمجموع أجزاء الشيء، وهو يفيد الاستغراق لأفراد ما =

صحّ على مثله(*)، وهكذا لا إلى نهـاية.

لأن الإمكـان[1] لـم تتوفر فيه شروط العلة لعدم تأثيره في الحكم، فلا يصلح أن يكون جامعًا. ولا علة للحكم، إذ الإمكان موجود في كل المكونات، وهي ما سوى الله – تعالى –. على أن فيه اتحاد المعلول بالعلة؛ لأن الجواز الذي جعله معلولا هو عين الإمكان. ثـم إن جهة ما دخل في قوله: «الكل»: كمالات البارئ وصفاته وذاته، لأنهمـا من المغيبات، ولا يجوز أن يقال بإمكانهمـا، بل هي واجبة. والقول بإمكانهـا: كفر وإلحـاد. وبهـذا؛ يظهر لكـم ما في هذا الجواب.

(*) **في حاشية الحجوي: قوله: (ما صح على شيء، صح على مثله)**: لا يخفى أن المماثلة[2] مفقودة في كثير من المعلومات؛ ألا ترى إلى كمالات البارئ، هي من المغيبات، وقد أجمعت الأمة أنه لا سبيل إلى الإحاطة بها، ولو للنبي ﷺ، كما اعترف ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ بذلك في قوله: «لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[3]:

....

= يضاف إليه أو أجزائه نحو قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [سورة الطور: الآية 21].

والكل عند المناطقة قسمان: الكل المجموعي: وهو الكل من حيث هو كل، أي شامل للأفراد دفعة. **والكل الإفرادي**: وهو المحيط على سبيل الانفراد بواحد واحد من أجزاء المعنى.

كما يستعمل لفظ «كل» **عند الأصوليين** للدلالة على العموم على سبيل الانفراد، فإن دخلت على منكّر أوجبت عموم أفراده، وإن دخلت على معرف أوجبت عموم أجزائه.

«موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص2103).

(1) سبق التعريـف بمصطلح «الإمكـان «في (ص 408).

(2) سبق التعريف بمصطلح «المماثلة «في (ص 373).

(3) رواه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الموطأ» (كتاب القرآن: باب ما جاء في الدعاء، برقم =

وقد أخبر ﷺ عن ربه بحصول ذلك(أ) ووقوعه على سبيل العمـوم(*)، فلم يبق إلا الإذعـان(1)، والإيمان به.

- فهل يصح قياسها على علمه - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -، بالفتن التي تكون آخر الزمان؟!

• أو على علمه بأوصاف الدجال؟!

• أو على علمه بنزول عيسى؟!

• أو غيره من المغيبات؟!

كـلا؛ بل الفرق ظاهر، والمماثلة مفقودة مع الاجتماع في أن كل مغيب. كذلك العلم بكنه الذات العلية والصفات السنية، هو من المغيبات، ولا يصح الحكم عليه بالمثلية، بل هو كفر: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾(2)، وليس لأحد الإحاطة بكنه ذلك: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾(3). فهذا الجواب الذي هو مبنى هذه الرسالة ساقط سقوطا بينا، والله أعلم. الحجوي.

(*) **في حاشية الحجوي**: ما في هذا الجواب - الذي هو مبنى - هذا الرد وحجر أساسه، وإذا قلنا بهذا الجواز، لـم تبق خصوصية له عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل يصير كل من اطلع على

(أ) في (ج) و(ك): (بحصول ذلك لـه).

= 31 ص115)؛ ومسلـم في «صحيحه» (كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم 486 ج3 ص297)؛ وأبو داود في «سننه» (رقم 879 ج2 ص158)؛ والترمـذي في «الجامع الكبير» (برقم 3493 ج5 ص474)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (برقم 1150 ج1 ص449): (هذا حديث صحيح الإسناد ولـم يخرجاه).

(1) 6 سبق التعريف بمصطلح «الإذعـان» في (ص 361).

(2) سورة الشورى الآية 11.

(3) سورة الأنعام الآية 103.

وقد ورد مثل ذلك في إدراكـاته ﷺ:

ـ فقـال فيما يرجع إلى بصره: «**ما من شيء لـم أكن أُريته**[*] ....

مسألة غيبية، له عموم العلم بجميع الغيب، وادعاء التخصيص لا بد له من دليل.

والكلام ليس هو في الجواز؛ فالجواز لا يمنعه اليوسي، ولا كلام فيه، وإنما الكلام في الوقوع، وحاصله: عفا الله عن هذا الرجل؛ فجميع رده هذا ـ ولا تأليفه الأصلي ـ ليس جاريًا على قوانين آداب البحث والمناظرة، ولا لصاحبه متباين بمكارم الأخلاق، فإنما مـلأه ممـا نهى الله عنه من السباب والشتائم، ولـم يحصل على شيء من العلم المطلوب؛ أضاع وقته، ورزقه، وورقه، ولا رده، ولا مرقه، ويا ليته سكت.

فحديث: «**خمس لا يعلمهن إلا الله**»[1]: تكلم عليه ابن حجر، والقسطلاني، والعارف الفاسي، وابن زكري، وما تكلموا بشيء مما قاله هذا الرجل، بل أبقوه على ظاهره. والحديث الصحيح، والقرآن الصريح لا يجوز التعرض لتأويلهما، إلا بمثلهما؛ والخوض في تأويل القرآن لغير موجب، تحريف كلام الله ولعب كما في «جمع الجوامع»، وبهـذا أضلت الأمم الكتابة قبلنا، اللهم إن ما في هذا الرد وأصله لضلال مبين نبرأ إليك منه، وعفا الله عن صاحبه.

(*) **في حاشية البناني**: اليوسي وغيره من الأئمة يقولون لك: لا يلزم من الجواز العقلي الوقوع كما تقرر في علم الكلام؛ لأن الجواز العقلي يكفي فيه العقل، والوقوع يحتاج إلى دليله من الشرع أو العادة. وقوله: (لأن ما صح على الشيء

....

---

(1) سبق تخريجـه في (ص379).

إلا أريته في مقامي(أ)»(1) الحديث. قال بعض العلماء: حتى الذات العلية رآها(*) في مقامه ذاك(ب)(2).

صح على مثله...) إلخ: لا يفيده؛ لأنه ليس فيه دليل الوقوع وإنما معنى قولهم: (لا ما صح)، أي: عقلًا على أنه صح على مثله، أي: عقلًا ضرورة. ضرورة أن «جميع» للافراد العقلية التي ليس واحد منها من قبيل النورحي ولا من قبيل المجال متساوية في الصحة والجواز العقلي من غير أرجحية أحدها على الآخر؛ فانظر أيها العاقل الذي له خبرة بعلم الكلام ما وقع لهذا السيد من الأوهام.

في حاشية البناني: العموم الذي في حديث: «أوتيت علم كل شيء»(3)، إنما هو حقيقي على حد علم الله تعالى على فهمك الفاسد ورأيك الحاسد، وأما على فهم اليوسي، وهو فهم الناس قاطبة، فهو إضافي أدبًا مع الربوبية.

في حاشية البناني: أي مما أراد الله تعالى أن أراهُ، لا مما لم يرده مما نفى.

(*) في حاشية البناني: أي في الجملة فالكنه مختص به تعالى؛ إذ لا يعرف الله إلا الله.

(*) في حاشية الحجوي: قوله: (حتى الذات العلية...): هذا ينافيه الغاية في الحديث

(أ) في (د) و(ك): (إلا رأيته في مقامي هذا).

(ب) في (د) و(ك): (ذلك).

---

(1) سبق تخريجه (ص390).

(2) ينظر جملة العلماء الذين قالوا بأنه ﷺ رأى الذات العلية في مقامه ذاك، في الرسالة العلمية الموسومة بـ «الروض المعطار في علم النبي المختار» لأبي العباس أحمد البناني (ت1234هـ) (دراسة وتحليل)، المرقونة بكلية أصول الدين - تطوان - ناقشتها الطالبة محجوبة لعوينة برسم الموسم الجامعي 2013/ 2014؛ (ص139 - 142).

(3) سبق تخريجه في (ص378).

- وقال ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون؛ أطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئطَّ**»(1).

وفي حديث أسامة بن زيد قال(أ): أشرف النبي ﷺ على أطم(2) من آطام المدينة فقال: «**هل ترون(*) ما أرى؟ قالوا: لا. قال: فإني لأرى الفتن تقع خلال**

حتى الجنة والنار إذ ليستا مثل الذات العلية، فضلًا عن أن يكونا أجلَّ منها ضرورة.

في حاشية البناني: أي في الجملة؛ فالكنه مختص به تعالى، إذ لا يعرف الله إلا الله.

(*) **في حاشية الحجوي**: من الضروري أن كونه يرى ما لا يرون غير ملزم لأن يكون علمه إحاطيًا.

(أ) في (م) : (قال) ساقطة.

---

(1) رواه الترمذي في «الجامع الكبير» (أبواب الزهد: باب ما جاء في قول النبي ﷺ: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، برقم 2312 ج4 ص134) وقال: (هذا حديث حسن غريب)؛ والبزار في «مسنده» (برقم 3925 ج9 ص357)؛ والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (رقم 1135 ج3 ص168)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (رقم 3883 ج2 ص554): (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)؛ وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (ج2 ص236)؛ والبغوي في «شرح السنة» (رقم 4172 ج14 ص370)؛ وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم 1722 ج4 ص299).

(2) قال ابن حجر في «فتح الباري» (ج13 ص92): («أُطُم»: -بضمّتين-: هو الحصنُ. والمراد بـ «المواقع»: مواضع السقوط. و«الخلال»: النواحي). وفي موضع آخر (ج4 ص121: كتاب فضائل المدينة): (آطام: بالمد جمع أطم بضمتين، وهي الحصون الّتي تبنى بالحجارة. وقيل: هو كل بيت مربع مسطح. والآطام: جمع قلة، وجمع الكثرة: أطوم، والواحدة أطمة، كأكمة).

بيوتكم كمواقع القطر»[1].

- وفي رواية أبي نُعيم: «**تسمعون ما أسمع؟ قالوا ما نسمع من شيء. قال: إني لأسمع أطيط السماء**»[2].

- وورد أنه ﷺ يبصر في الليل الدامس كما يبصر في النهار الشامس[3].

في حاشية البناني: من خصائصه تعالى [ ][4] كعلمه المختص به، هذا هو

....

---

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب فضائل المدينة: باب أطام المدينة، برقم 1878 ج1 ص412)، وفي (كتاب المناقب: باب علامات النبوة رقم 3597 ج2 ص380)، وفي (كتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب»، برقم 7060 ج4 ص296)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب نزول الفتن كمواقع القطر، برقم 2885 ج9 ص145).

(2) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (رقم 1134 ج3 ص167)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 3122 ج3 ص201)؛ وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (ج2 ص217).

(3) روى ابن عدي والبيهقي وابن عساكر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ وروى البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: (كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء)؛ رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (باب ما جاء في رؤية النبي ﷺ أصحابه وراء ظهره، ج6 ص76)؛ وقال القاضي عياض في «الشفا» (ج1 ص53 - 54): (وإنما حدثت هذه الآية له بعد ليلة الإسراء، كما أنَّ موسى كان يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ بعد ليلة الطور)؛ وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (برقم 266 ج1 ص173): (هذا حديث لا يصح)؛ وذكره القسطلاني في «المواهب اللدنية» (ج2 ص226)؛ ووضعه الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (برقم 341 ج1 ص515).

(4) يوجد في هذا الموضع من المتن كلام غير واضح، وهو بمقدار كلمتين إلى ثلاث كلمات.

ـ وما ورد في قضية زينب[1]، أجاب عنه الحافظ أبو عمر بأن ذلك قبل حصول هذه الفضيلة له(*) ثم علمه ﷺ ـ بما كان، وما يكون(**) ـ مما لا وقفة فيه. وأما علمه(أ) بما لا يكون أن لو كان كيف يكون؛ كحديث: «**لو عاش ابراهيم لكان نبيًا**»[2]، وأما(ب) حديث: «**لو قال: إن شاء الله؛ لجاهدوا في سبيل الله**

الاعتقاد المعروف عند المسلمين، وهكذا يقول في جميع الأحاديث التي ذكرها في هذا المحل، ولا نقول لك تبجحت بها ليُعلم أنك من أهل الحديث والفضل، ثم تقول للشيخ اليوسي غير ما مرة؛ لأن ذلك كله من الخروج عن الموضوع والتطلع عما في القلوب مما هو من خصائص علام الغيوب.

(*) **في حاشية الحجوي: قوله: (كان قبل حصول...) إلخ:** أين دليل القبلية؟ فهل من تاريخ؟ أليس الجزم بها من التقول؟! وغاية كلام أبي عمر إنما هو احتمال.

(**) **في حاشية البناني:** فما كان وما يكون، أي: فما أراد الله تعالى به خصوصيته لا مشاركته كما هو مقتضاك وسياقك، ومجد لك تعالى عن ذلك.

(أ) في (د) و(ك): زيادة (ﷺ).

(ب) في (ج) و(د) و(ك): (أما) ساقطة.

---

(1) أشار البناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ -كما سيأتي في مقصده الثاني- إلى أن المراد بقضية زينب المشار إليها في كلام أبي مروان التجموعتي، ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ الآية. وقد تَوَسَّعَ في بيانها القرطبي في «تفسيره» (ج17 ص153 سورة الأحزاب الآية 37)؛ وابن العربي المعافري في «أحكام القرآن» (ج3 ص575).

(2) رواه إسماعيل السدي عن أنس بلفظ: (كان ابراهيم ابن النبي ﷺ قد ملأ المهد، ولو بقي لكان نبيًا، لكنه لم يكن ليبق)، واستنكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (برقم 2 ص70)؛ وقال النووي في «تهذيبه» (برقم 23 ج1 ص103): (وأما ما روي عن بعض المتقدمين: «لو عاش ابراهيم لكان نبيًا»: فباطل، وجسارة على الكلام على المغيبات، =

فرسانًا أجمعون»[1]، فمما لا تردد فيه أيضًا؛ فإن الإرادة القديمة خصّصت إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعدم العيش، وخصصته مع ذلك على تقدير العيش بالنبوءة كما خصصت سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعدم الاستثناء، وخصّصتْه مع ذلك ـ على تقدير أن لو استثنى ـ بعيش العدد الذي تمناه وجهادهم في سبيل الله فرسانًا أجمعين.

في حاشية الحجوي: قوله: (مما لا وقفة فيه..): كيف لا تكون فيه الوقفة؟ والقضية جعلتها كلية واستدللت عليها بنزر من الجزئيات، فهذا هو الاستقراء الغير التام، وغايته الظن، أن لو توفرت شروطه من تتبع ما زاد على النصف من جزئياته، وأنى لك بهذا حاصله لو أبدل الكلية جزئية في الأولى والثانية لكان عين الصواب، وكل ذلك لا ينهض على الإمام اليوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل هو كلامه، وبكون القضية جزئية، صرح الحافظ ابن حجر في سورة لقمان، فانظره، وعلى المؤلف أن يجيبنا: هل علم ﷺ حقيقة نفسه؟ وهو القائل فيما روي: **«لا يعرفني حقيقة**..

....

= ومجازفة وهجومٌ على عظيم). وقال في «الإصابة» (برقم 23 ص22): (وهذا عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة، وكأنه لم يظهر له تأويله، فأنكره. وجوابه: أن القضية الشرطية لا تستلزم الوُقوعَ، ولا يُظن بالصحابي أنه يهجم على مثل هذا بظنه؛ والله أعلم)؛ كما تحدث عنه العجلوني في «كشف الخفاء» (برقم 2101 ج2 ص156).

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ ﴾ برقم 3424 ج2 ص345).، و (كتاب النكاح: باب قول الرجل: لأطوفن الليلة على نسائي، برقم 5242 ج3 ص356)، و (كتاب الأيمان والنذور: باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، برقم 6639 ج4 ص200)، (كتاب كفارات الإيمان: باب الاستثناء في الأيمان، برقم 6720 ج4 ص216)؛ وفي (كتاب التوحيد: باب في المشيئة والإرادة، برقم 7469 ج4 =

....

غير ربي»[1]، وقال بعض العلماء: إنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لم يعلم حقيقة نفسه، ثم نسأله عن حقيقة وكنه الذات العلية. فعلى المؤلف أن يجيبنا: هل علمه أم لا؟ فإن أجاب: (نعم): فعليه الدليل، ولا يجده، ولا ينفعه فيه شقشقة[2]. وإن أجاب: (لا): فهو اعتراف بكلام الإمام اليوسي. وكذلك سر القضاء والقدر.

قال أبو المظفر السمعاني: (القدر سر من أسرار الله تعالى، اختص العليم الخبير به، وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم، لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب. وقيل: إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف لهم قبل دخولها)[3]. من نقله في «فتح الباري»: أول كتاب القدر.

....

= ص383)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب الاستثناء في اليمين، برقم 1654 ج6 ص187).

(1) لم أقف عليه في كتب الأحاديث؛ وذكره أبو حامد محمد العربي (ت1052هـ) في «مرآة المحاسن» (ص251).

(2) الشِّقْشِقَةُ: لَهاةُ البعير، ولا تكون إلا للعربي من الإبل، وقيل: هو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هَاج، والجمع الشقاشِق، ومنه سُمّي الخُطباء شَقاشِق، شبّهوا المِكْثار بالبعير الكثير الهدر. وفي حديث علي، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن كثيرًا من الخُطب من شقاشق الشيطان، فجعل للشيطان شقاشق ونسب الخطب إليه لما يدخل فيها من الكذب؛ قال أبو منصور: شَبّه الذي يَتَفَيْهَقُ في كلامه ـ ويسرُده سَرْداً لا يبالي ما قال من صدق أو كذب ـ بالشيطان وإسخاطه ربه. «لسان العرب» لابن منظور (حرف القاف: فصل الشين: مادة شقق ج10 ص185).

(3) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (كتاب القدر، ج11 ص600)؛ ونقله العلامة =

ثم سَـوقُ الحديث(*) للاستظهار بظاهره على نفي ما أثبته ﷺ لنفسه الشريفة، مخبِرًا عن فضل ربه ومنته بذلك عليه، وقد فهمه حملة(أ) الحجة على ظاهره، ونص

ومن المعلوم أن من يحزن ويفرح، ويغضب ويرضى، ويضحك ويبكي، كله لـم يطلع على سر القدر؛ على أني أقول: إن خواص الخلق قد يطلعون على شيء منه؛ بدليل قضايا الخضر مع موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فالذي يظهر من فعل الخضر، أن الله أطلعه على سر القدر في الغلام، والجواري، ولا سيما قضية الغلام، فلولا اطلاعه على سر القدر ما قتله، لكن جزئية واحدة لا يثبت بها العموم، ويمكن أن يكون من ذالك بعض قضايا وقعت له عَلَيْهِ السَّلَامُ: كصلح الحديبية، حيث قال له عمر: أوَفتح هو؟ قال: «نعم»(1)؛ لكن قضايا كثيرة تدل على خلاف ذلك؛ كأكله وأكل أصحابه من الشاة المسمومة، وما قاله لمن كانوا يؤبرون النخل، وغير ذلك مما يطول جلبه. والعبارة تضيق في هذا المقام، لأن المتكلم بين أمرين عظيمين: بيان الحقيقة، وحفظ مقام الأدب؛ والله يحفظنا من عثرات القلم واللسان، ويمكن أن يكون من ذلك أخذ يوسف أخاه، مع أن أباه تضرر من ذلك، وإمكان أن يعلمهم بأنه هو يوسف من أول الأمر كما فعل أخيرًا، لكن ليجري القدر على يعقوب فيزداد الزلفى، والله أعلم بخفيات أحكامه. الحجوي.

(*) **في حاشية البناني: تقدَّم أن اليوسي إنما ذكر حديث: «اقرؤوا القرآن..» تنظيرًا لا حجية.**

(أ) في (ج): (حملة العلم والحجة).

= القسطلاني في شرحه «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (ج9 ص344)؛ والعلامة الزرقاني في «شرحه على الموطأ» (باب النهي عن القول بالقدر، ج4 ص320).

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجزية: باب، برقم 3182 ج2 ص285)؛ وفي (كتاب تفسير القرآن سورة الفتح: باب قوله: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ برقم 4844 ج3 =

أهل العلم فيه على ما أمليناه غباوة يعز علاجها، وشقاوة هوى النفس مزاجُها، على أن المراد بالاختلاف(أ) من الحديث، الاختلاف في التلاوة؛ بأن يكون أحدهما في أول الآية، والآخر في آخرها، لأن المقصود من التلاوة التدبر والتذكر، وذلك مناف لهما، ولذلك كره الإمام مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الاجتماع على القراءة[1]، لما فيه من التخليط والتشويش، فيفوت التدبر والتذكر المقصودان من القراءة. هذا أحسن ما قيل في معنى الحديث(ب).

وقد اختلف الناس في معناه اختلافًا كثيرًا، حتى قال العلامة الأبي: (ولم يتكلم الشارحون على هذا الحديث ....

....

(أ) في (د): (اختلاف).

(ب) في (د) و(ك): (في معنى هذا الحديث).

= ص249)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الجهاد والسير: باب صلح الحديبية في الحديبية، برقم 1785 ج6 ص398)

(1) قراءة الحزب في جماعة كرهها الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ. قال أبو العباس أحمد الونشريسي (ت914هـ) في «المعيار المعرب» (ج1 ص155): (أما قراءة الحزب في الجماعة على العادة فلم يكرهه أحد، إلا مالكا، على عادته في إيثار الاتباع، وجمهور العلماء على جوازه واستحبابه)، وكذا في (ج11 ص112)؛ وفي «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (ت795هـ) الحديث السادس والثلاثون (ص344): (قال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: (لم تكن القراءة في المسجد من أمر الناس القديم، وأول من أحدث في المسجد الحجاج بن يوسف). قال مالك: (وأنا أكره ذلك الذي يقرأ في المسجد في المصحف). وقد روى هذا كله أبو بكر النيسابوري في كتاب «مناقب مالك رَحِمَهُٱللَّهُ»؛ ونحوه في كتاب «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ» لابن أبي زيد القيرواني (ص164).

بما يشفي النفس)[1].

* وقوله: (وأُمرنا بالتفكُّر في آيات الله...) إلخ: «صمي يا صمام»[2](*)، ما أبعد عن العلم هذا الكلام!! فإن موضوع البحث أمر حادث جديد، لا يلتبس به القديم ولو على وليد، فأي اشتباه(أ) بين الحقيقتين ليستا بمتشاكلتين(ب) ولا متجانستين. فما حصل للمصطفى عليه الصلاة والسلام من تلك الفضيلة، منحة من الله تعالى وكرامة لصفوة صفوة خلقه، لم تحصل له في أول الأمر، ثم حصلت له في آخره فضلاً من الله تعالى، (فما يقال لفضل الله ذا بكم)[3]. ....

(*) في حاشية البناني: هو سوء فهم أيضًا؛ لأن قوله: (وأمرنا بالتفكر في آيات الله...) إلخ. تنظير أيضًا، والذي قبله خدم أعلى المقصود، وهو قوله: (وكذلك ينبغي أن نعتقد).

(أ) في (د) و(ك): (أي استشباه).

(ب) في (د) و(ك): (بمتشابهتين).

(1) «صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم للأبي وشرحه مكمل إكمال الإكمال» للسنوسي (كتاب العلم ج7 ص99).

(2) هذا المثل، يضرب مثلًا للداهية تقع فتستفظع. «الأمثال» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) (برقم 1159و1160 ص348)؛ و«جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (ت نحو395هـ) (برقم 1082و1083 ج1 ص578)؛ وفي «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري أبو القاسم (ت538هـ) (برقم 486 ج2 ص143)؛ وفي «مجمع الأمثال» لأبي الفضل أحمد الميداني (ت518هـ) (برقم 2099 ج1 ص396).

(3) من قصيدة «البردة» للإمام البوصيري (البيت 98)؛ والبيت بتمامه:

ولا تقل لي بماذا نلت جيدها ... فما يقال لفضل الله ذا بكم

مجلة «دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف (العدد 159= العدد السابع السنة 16 =

فما معنى هذا القياس[1] المنبئ بفساد الإدراك والحواس، وضاع العلم بين أرى وعندي. فبالله من هذه الفتاوى.

على أن القياس(*) في معرض النص فاسد الاعتبار مطّرح[أ] عند الحك على معيار الاختبار، فالمتفكر في ذاته تعالى لا يزداد إلا حيرة، والمتفكر في ذاته ﷺ وكمالاته وخصوصياته، لا يزداد إلا نعيمًا وحبرًا، ولذلك ألّف الناس في خلقه وخُلُقه ﷺ، ما تشتاق[ب] إلى معرفته أنفس الطالبين، وترتاح بالمذاكرة به قلوب المتأدبين، وكل ما كان من باب المعرفة بنبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ومتّصلًا بأخبار سيرته، وخَلْقه، وخُلقه، فهو مما يونقُ الأسماع، ويهز بأرواح المحبة الطباع، على أن مبنى البحث على خصوص هذه الخصوصية(**)، فالنبي ﷺ

(*) في حاشية البناني: لا قياس في كلام اليوسي بل الذي في كلامه التنظير وأن الكل من المقامات الثلاثة ـ وهي: البحث عن إحصاء ما علم ﷺ، وهذا هو المقصود، ونظيراه وهما: قراءة القرآن عند اختلاف القلوب، والتفكر في كنه الله ـ مشتركة في طلب الإمساك عنها وعدم التنصح للكلام فيها؛ لما يؤدي إليه من الخوض فيها، لا ينبغي تحقيقه مع عدم الأمن انزلق في تلك الجرائب الثلاثة كنه الله [تعالى] والقرآن، والأئمة أهل العرفان.

(**) في حاشية البناني: عموم العلم الشمولي الإحاطي الذي لم يشذ منه شيء، إنما

(أ) في (د): (مطروح).

(ب) في (ج) و(د) و(ك): (تشرئب).

= رجب 1394هـ/ غشت1974م)، مقال «قصيدة البردة الخالدة على مر الأيام» للأستاذ محمد أشماعو (البيت 98 ص188)، والبيت غير وارد في «ديوان البوصيري».

(1) سبق التعريف بمصطلح «القياس» في (ص498).

أثبتها لنفسه مخبرًا بذلك عن ربه، وتلقى ذلك حملة الحجة من أمته بالإيمان، والتصديق[1]. [وأبيت أنت يا فلُ! ذلك، وأخذت تموه بذكر التفكر[2]، والتصور، والكلام في التصديق][أ].

هو خصوصية لله سبحانه والذي منه لغيره تعالى إنما هو بعضه وإن بلغ ما بلغ في الترقي على غيره، وبلغ ما بلغ علمه من الشمول والعموم؛ فلا يبلغ مبلغ علم خالق الإدراك والفهوم.

(أ) في (ج): ما بين معقوفتين زائد في (ج)؛ وساقط من (م).

---

(1) التصديق: مصدر للفعل (صدق)، يقال: صدق القول، إذا نسبه إلى الصدق، أو قال له: صدقت. والتصديق: إدراك الماهية مع الحكم عليها بالنفي أو الإثبات. فقولنا: «العالم حادث»، هو إدراك نسبة الحدوث إلى العالم مع تصديق قيام هذه النسبة. ولذلك يتلازم التصديق مع التصور. فإذا لم يحصل تصور، لم يحصل تصديق. والتصديق: هو اليقين والتسليم الذي يتنافى مع الإنكار والتكذيب. «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج1 ص558).

(2) التفكر: استعمل العلماء والمسلمون مصطلح «التفكر» في دلالة على منهجية التفكير، ومنهم الإمام الغزالي (ت505هـ) الذي يقول: (التفكر: معناه: انتقال الفكر من معلوم إلى معلوم، فلا معنى لأفكار النفس وحديثها إلا انتقالاتها من علم إلى علم. فإن كان تهذه الانتقالات ـ المسماة «تفكرًا» ـ لأجل الوقوف على عاقبة أمر: سُمِّي تدبرًا، لأنه يلحظ دبر الأمر وعاقبته. وإن كان للتوصل به إلى علم أو غلبة ظن: سُمِّي نظرًا.

فالنظر: هو الفكر الذي يطلب به العلم أو الظن. فإن عبر من المنظور فيه إلى غيره بالتنبه لمعنى يناسب المنظور فيه سمي «اعتبارًا»؛ لأنه عبر منه إلى غيره، فإن كان يفتقر إلى جهد وتحمل جهد ومشقة في نظره، سمي نظره اجتهادًا؛ فإن أفضى نظره الذي هو لطلب العلم والظن إلى الوقوف على المطلوب، سُمِّي استنباطًا، لأنه أظهر ما لم يكن ظاهرًا، كما يظهر الماء من الأرض فسُمِّي صاحبه مستنبطًا. فهذه أسام تترادف على الفكر باختلاف اعتباراتها، وباختلاف إضافتها). =

فالإيمـان بالنبي ﷺ المكلف به شرعًا، شامل للتصديق بوجوده، وتعيينه بمشخصاته مواسم، ونسب، وزمان، ومكان، ونحو ذلك. والتصديق بأنه عبد الله، ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، والتصديق له في كل ما أخبر به وعنه، والتصديق الفعلي الذي هو الانقياد، والاستسلام له ﷺ، واتباعه، والتزام دينه القيم، وهو ثمرة ما قبله، وشرط الاعتداد به. فلا حرج(*) في الخوض في ذلك، ولا في التفكر في معنى كماله، وخصوصياته؛ فإن ذلك كله مخلوق لله تعالى بمشيئته، واختياره، فضلًا منه على أكمل صفوةٍ: صفْوةِ خلقه، والمؤمن لا يزيده النظر، والتفكر في معانيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلا نورًا على نور، والمرتاب يزداد ظلمات بعضها فوق بعض.

* **وقوله: (فكذا ينبغي...) إلخ:** الأنسب [بما قبله، فكذلك أمرنا ألا نتفكر في ذاته ﷺ وكمالاته، لا قولك](1): (فكذلك ينبغي...) إلخ.

ومن تعظيمه ﷺ ....

(*) في حاشية البناني: الحرج الذي أشار إليه اليوسي إنما هو في البحث عن إحصاء ما علم ﷺ، فقد صوب التي قررها.

(1) ما بين معقوفتين ساقط من (م).

= وذهب ابن خلدون (ت808هـ) إلى: (أن الله تعالى ميّز البشر عن سائر الحيوانات بالفكر، الذي جعله مبدأ كماله، ونهاية فضله، وذلك أن شعور المدرك في ذاته بما هو خارج عن ذاته هو خاص بالحيوان، بما ركب فيه من الحواس الظاهرة، ويزيد الإنسان على الحيوان أنه يدرك الخارج عن ذاته بالفكر، الذي هو وراء حسه، فهو ينصرف بهذا الفكر من حيث إجالة النظر في عالم الحس، وظواهره). «موسوعة المصطلح في التراث العربي» (ج1 ص615).

الإيمان بقوله(*) وتصديقه فيه، وإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه. على أن قولك: (ينبغي من إلحاق الشاهد بالغائب): والمعروف لأهل العلم عكسه، وهو إلحاق الغائب بالشاهد بأحد الجوامع الأربعة(1) وهي معروفة.

(*) في حاشية الحجوي: وجوب الإيمان بالقرآن والمتواتر من السنة، مما لا مرية فيه؛ ولا شيء معك منهما. أما الأحاديث الأحادية، فقد قرر العلماء أنها إن صحت أفادت الظن، وإلا فلا. وما كان ظنيًا لا يجب الإيمان به. على أنك ما أتيت بحديث صحيح ورده عليك أو لم يؤمن به. والحديث الذي أدلى به، وهو من العالم بصراحة على ثبوته، فإنما هو عموم، ودلالة العام إنما هي ظنية، والعمومات كلها مخصصة كما قال ابن عباس - في قوله تعالى-

....

---

(1) ذكرها العلامة السنوسي (ت895هـ) في «شرح العقيدة الكبرى عقيدة أهل التوحيد» (ص175)، وتناولها بالشرح العلامة اليوسي (ت1102هـ) في «حواشيه على كبرى السنوسي» (ج2 ص299). حيث قال العلامة السنوسي: (اعلم أن المعتزلة لما ساعدت على أن العالم القادر الحي المريد في الشاهد، عالم بعلم، وقادر بقدرة، ومريد بإرادة، وحي بحياة، ألزمهم أهل السنة اعتبار الغائب بالشاهد. قالوا: والجمع بين الغائب والشاهد يفتقر إلى جامع، وإلا جر إلى التعطيل والتشبيه. وعنوا بالشاهد: الحادث، وبالغائب: القديم...

قالوا: والجوامع أربعة:

- جمع بالحقيقة: كقولهم: العالم شاهدًا من له العلم أو ذوي العلم، والباري عالم فله علم، وهذه عمدة من ينفي الأحوال.

- والجمع بالدليل:كقولهم: الأحكام شاهدًا: دليل في العقل على أن لفاعله علمًا به، والباري تعالى محكم متقن لأفعاله فدل أن له علمًا.

- والجمع بالشرط: كقولهم الباري مريد، وكل مريد قاصد لفعله، والقصد مشروط بالعلم، والباري له علم وإلا لثبت المشروط بدون الشرط. =

* وقوله: (إنه أعطيَ من العلم...) إلخ: لو اعتقدت(*) أنه أعطيَ ذلك حسبما أخبر به عن ربه ـ جَلَّ وَعَلَا ـ بنصّ لا يقبل التأويل، لم تتعقب بأساطيرك الواهية، فهي لك لو راجعت أمّارتك عن تسويد القرطاس بها ناصيته(أ).

* وقوله: (مراتب الكمال اللائقة به...) إلخ: كل ما يحليه(**) به ربه جَلَّ وَعَلَا

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾(1). وكون دلالة العموم ظنية نص عليه القرافي، ونقله الأبي والسنوسي في «كتاب الرؤيا من شرح مسلم». فحجته أوهى من خيوط عنكبوتية، ولا يمكن أن تؤول بها النصوص القطعية، أو ترد لها الدلائل العقلية من نفي المماثلة، والله أعلم. الحجوي.

في حاشية البناني: أي على فهم الناس لا على فهمك.

(*) في حاشية البناني: المعتقد عند الشيخ اليوسي وهو اعتقاد غيره من الناس أنه صدر عليه أعطى من العلم ما لم يعط أصدق العالمين ما لم يزاحم به الربوبية. والمتفق عنده هو كونه على حد علم الله كما تقوله أنت وحدك، فالمعتقد المثبت أعم المنفي خاص وسيرت الأعم [ ](2).

(**) في حاشية البناني: حاشا ربه أن يحليه بما هو من خصائص الربوبية الذي هو كون

(أ) في (ج) و(د) و(ك): (ناهية).

= ـ والجمع بالعلة: وهو عمدة من يثبت الأحوال، كقولهم: العلم والعالمية متلازمان، والعالمية مترتبة على العلم).

كما ينظر «الاستدلال بالشاهد على الغائب في المذهب الأشعري» مقال بمجلة «الإبانة» مركز أبي الحسن الأشعري (عدد4 رمضان1438هـ ـ يونيو2017م) (ص49 ـ 72).

(1) سورة الأحزاب، الآية: 40.

(2) كلام غير واضح في المتن في هذا الموضع.

لائق به ﷺ، وما يهجس[1] بخاطرك من توهم المماثلة نزغة شيطانية، فإن كمالاته وخصوصياته ﷺ مخلوقة لله تعالى: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، وأنى يلتبس الخالق بالمخلوق والرزاق بالمرزوق، ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

* وقوله: (**ولا نطالب بالبحث عن إحصاء ما علم**): يا لله من هذه الأغاليط، فإن موضوع البحث في إثبات خصوصية عموم العلم، لا في الإحصاء والعدّ[أ]، فالنبي ﷺ يثبتها ويخبر بها عن ربه خبر صدق، وأنه أعطي ذلك، وأنت يا فُلُ! تقول له: (إنما أعطيتَ بعض ذلك)، فلم تقلب الجزئية كلية(*)، وحكمت عليه

عموم علمه إحاطيًا حقيقيًا عوائله، كما تكون بالنبي تكون بغيره ككون العموم حقيقيا منزله نزغة شيطانية. كيف يسمى العقد الصحيح الوسط نزغة شيطانية مع أنه هو الذي عليه الأئمة قاطبة؛ ولكن ذاك ناشئ عن انطواء قلبك على عداوته وسوء معاملته في الله تعالى...

(*) **في حاشية البناني**: صوابه الكلية جزئية، ومع ذلك فما قلب اليوسي شيئًا، بل لإزالة كلية على فهمه وفهم الناس، وإنما الفرق بين فهمك وفهمهم أنك تقول أنه عموم حقيقي على حد عموم علم الله سبحانه، وهم يقولون: إنه عموم إضافي

(أ) في (د): (العـدد).

---

(1) جاء في «لسـان العرب» (حرف السين: فصل الهاء: مادة: هجس، ج6 ص246): (هجس الأمر في نفسي يهجس هجسًا: وقع في خلدي. والهاجس: الخاطر؛ وفي الحديث: «**وما يهجس في الضمائر**»؛ أي: وما يخطر بها ويدور فيها من الأحـاديث والأفكـار).

(2) سـورة النحل، الآية: 8.

(3) سـورة النحل، الآية: 17.

بالغلط، وتضاحكت مع ذلك حيث تقول: (وناهيك بذلك غلطًا...) إلخ. فأتيت بُنيان الإسلام من قواعده وقمت في هدمه أتم قيام؛ اعتمادا منك في ذلك كله(أ) على مجرد الظنون والأوهام. فتنبه يا مغرور! ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

* **وقوله: (غير مطلوب منا)**: مطلوب منك ومن غيرك من المكلفين الإيمان بالنبي ﷺ، والتصديق بكل ما جاء به، ومن جملة ما جاء به أنه: «**أوتي علم كل شيء**»[2](*). وكل من يقتدي به من أهل العلم والنور أبقوه على ظاهره، والحديث مروي من طرق(**)........................

حسبما بيناه. إن كان العموم الإضافي يعم أن يقول فهو رغمه في قيده الجزئية، فافهم والله أعلم.

(*) **في حاشية البناني**: إنما يثبتها لو قال: (أوتيت علم كل شيء من كل علم الله تعالى. وحاشاه من ذلك.

وأما الحديث المذكور فهو ورد كل تعم أنت بفهمك له على ذلك المقول وحدك، فالصور في فهمه الموافق لفهم الناس هو فهم اليوسي وأن معناه: أوتيت علم كل شيء من كل ما أراد الله.

(**) **في حاشية الحجوي**: كان على المؤلف أن يأتي بتلك الطرق. ثم إن المؤلف لم يأت بأدلة نقلية ينهض بها معناه. وأنا أذكر لك ما أتى به غيره ليتبين الحق من غيره:

(أ) في (د): (كله) ساقط.

---

(1) سورة الحج، الآية: 46.

(2) سبق تخريجه في (ص378 ـ 379).

وما حمله أحد محمولك[1] الذي يترتب عليه ضرب العنق.

• قال الإمام عياض في «الشفا»: (فصل: ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما كان وما يكون: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، وينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصلة إلينا أخبارها على التواتر، لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب)[1].

• وبسنده إلى أبي داود السجستاني عن حذيفة بن اليمان قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، فما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون مني الشيء قد نسيته، فأراه فأعرفه، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه، ثم قال: ما أدري، أنسي أصحابي، أم تناسوه؟ والله؛ ما ترك رسول الله من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدًا إلا سماه باسمه، واسم أبيه، وقبيلته)[2]. وصدر هذا الحديث أخرجه الشيخان إلى قوله: (عرفه من عرفه). وقوله: «ما أدري، أنسي أصحابي...» إلخ: هو حديث آخر منفصل بسند آخر من طريق قبيصة، نبه عليه الحافظ في «كتاب القدر»[3].

ثم هذا الحديث خاص بما يكون في المستقبل، ومحدود بقيام الساعة، ويمكن أن يكون مخصصًا بالفتن والفتانين كما يدل له الحديث الثاني، فلا دلالة فيه للعموم، ولا لمساواة علم النبي لعلمه تعالى.

(أ): في (ج) و (د) و(ك): (محملك).

---

(1) «الشفا» للقاضي عياض (ج1 ص203).

(2) المصدر السابق. وقد سبق تخريجه في (ص423).

(3) «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني (ج11 ص622).

• وبذلك على خصوص الحديث: ما أخرجه مسلم في الفتن من «صحيحه» عن حذيفة: (والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسر إلي في ذلك شيئًا لم يحدثه غيري) [1].

• وفي «مسلم» عنه أيضًا: (أخبرني رسول الله ﷺ مما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما من شيء إلا وقد سألته إلا أني لم أسأله ما سيخرج أهل المدينة من المدينة)[2]. فها أنت ترى أنه لم يسأله عما يخرج أهل المدينة، فصرح بالتخصيص، فلم يبق عموم. تأمله فإنه ظهر. وكلام عياض أيضًا ظاهر في الخصوص، وعليه حمله الخفاجي. فانظره.

• وفي «مسلم» عن عمر قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، فصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل وصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا) [3].

(1) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، برقم 2891 ج9 ص151)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 23291 ج38 ص327)؛ و (برقم 23460 ج38 ص446)؛ والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (برقم 8454 ج4 ص518).

(2) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، برقم 2891 ج9 ص152)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 23281 ج38 ص315)؛ والبزار في «مسنده» (برقم 2795 ج7 ص222)؛ والحاكم في «المستدرك» (برقم 8311 ج4 ص472).

(3) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن: باب في الفتنة التي تموج كموج البحر، برقم =

....

وقد أخرجه أيضًا أحمد مطولًا ومختصرًا، وبوب عليه الترمذي: (باب ما أخبر به النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة).

وهذا الحديث، وإن كان ظاهره العموم، فهو خاص بالفتن، بدليل قوله: (ما كان، وما هو كائن)، وإلا فقد صح عن عمر أنه قال: (إن النبي ﷺ لم يبين ميراث الجد، وتوقف فيه ثم اجتهد؛ وتوقف أيضًا في دخول الشام، لما كان فيه الطاعون حتى أخذه ابن عوف بحديثه منه)، وتوقف في مسائل كثيرة غير هذه.

وربما يفسر حديث مسلم، بحديث البخاري في بدء الخلق من «صحيحه» عن عمر: (قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه)[1]. فهذا صريح في تخصيص ذلك ببدء الخلق، وبما قبل دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلم يبق عموم، لأن «الخاص حاكم على العام» كما هي القاعدة الأصولية، وأخص منه حديث الترمذي وحسنه، وفي نسخة صححه: عن أبي سعيد قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر بنهار، ثم قام فخطبنا، فلم يدع شيئًا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه، ونسيه من

....

= 2892 ج9 ص152)؛ وأحمد في «مسنده» (رقم 22888 ج37 ص525)؛ وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (برقم 6845 ج12 ص239)؛ وابن حبان في «صحيحه» (رقم 6638 ج15 ص9)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 46 ج17 ص28)؛ والحاكم في «المستدرك» (رقم 8498 ج4 ص533).

(1) «صحيح البخاري» (كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾.

....

نسيه)[1]. قال الترمذي: (في الباب عن المغيرة بن شعبة وأبي زيد بن أخطب وحذيفة وأبي مريم ذكروا أن النبي ﷺ حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة)[2]. ففي هذا الحديث، حدد لهم بقيام الساعة، فلا عموم.

• وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص[3]: (خرج علينا رسول الله وفي يده كتابان، فقال للذي في يده اليمنى: «**هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم**»، ثم قال للذي في شماله مثله في أهل النار)؛ وقال في آخر الحديث: (فنبذهما). إسناده حسن. وظاهر قوله: (فنبذهما) بعد قوله: (وفي يده كتابان)، أنهما كانا مرئيين لهم. قاله الحافظ ابن حجر[4].

وهذا الحديث أيضًا إنما فيه علم خاص بأسماء أهل الجنة، وأهل النار لا دلالة فيه لموضوع المسألة.

• ومثله حديث مسلم في آخر صحيحه، عن ابن مسعود في أمر الدجال، قال[5]:

....

(1) سبق تخريجه في (ص423).

(2) «سنن الترمذي الجامع الكبير» (برقم 2191 ج4 ص59).

(3) رواه أحمد في «مسنده» (برقم 6563 ج11 ص121)؛ وقال الترمذي في «سننه» (برقم 2141 ج4 ص19): (هذا حديث حسن صحيح غريب)؛ والنسائي في «السنن الكبرى» (برقم 11409 ج10 ص248)؛ واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (برقم 1088 ج2 ص608)؛ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج5 ص168)؛ وأورده ابن حجر في «فتح الباري» (كتاب القدر، برقم 6595 ج11 ص612).

(4) «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني (كتاب بدء الخلق، ج6 ص372).

(5) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب إقبال الروم في كثرة القتل،=

....

(فيبعثون عشرة فوارس طليعة. قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسمائهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ).

• قال في «المواهب اللدنية» عقبه: (فوضح منه ومما سيأتي من الأخبار وسنح من خواطر الأبرار الأخيار أنه عليه الصلاة والسلام عرفهم بما يقع في حياته وبعد موته. وقال أبو ذر: (لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا)[1]، ولا شك أن الله أطلعه على أزيد من ذلك، وألقى عليه علم الأولين والآخرين، وأما علم عوارف المعارف الإلهية، فتلك لا يتناهى عددها، وإليه ﷺ ينتهي مددها) هـ[2].

وكلام «المواهب» هذا كله لا متمسك فيه لمدعي الإحاطة، ولا لمدعي مساواة العلم النبوي للعلم الإلهي، حاشا جانب القسطلاني أن يقول بشيء من هذا، وغاية ما يستفاد منه إحاطة علمه؛ بعلوم الأولين والآخرين، وأين هي من علم الله إلا كنقطة من بحر، بل علمه تعالى لا نهاية لمعلوماته بخلاف المخلوق الحادث، فلا يتصور فيه عدم التناهي، ولا يتصور عاقل أن علمًا حادثًا مسبوق بعدم، يحيط بعلم قديم باق لا نهاية لأوليته، ولا لآخريته، ولا عاقل، ولا ذا ذوق يقول هذا الذي يتضاحك منه الصبيان، ويرده القرآن والإيمان والعيان.

....

= برقم 2899 ج9 ص158).

(1) سبق تخريجه في (ص424).

(2) «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» للقتيبي القسطلاني (ج3 ص560)؛ وفي «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج10 ص126).

....

• وأما حديث الترمذي في كتاب التفسير من «جامعه»: (عن ابن عباس مرفوعًا: «أتاني ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، قال: أحسبه قال في المنام، فقال: (يا محمد! هل تدري فيما يختصم الملأ الأعلى؟)، قال: قلت: لا أعلم؛ قال: فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري، فعلمت ما في السموات، وما في الأرض». ومن وجه آخر عنده: «فعلمت ما بين المشرق والمغرب»، قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه)[1].

وأخرج أيضًا من طريق عبد الرحمن بن عائش الحضرمي أنه حدثه عن ملك بن يخامر السكسكي عن معاذ وفيه: «فتجلى لي كل شيء»، قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح، سألت عنه محمد بن إسماعيل فقال: هذا صحيح)[1]. إلا أن هذا ساقط من النسخ المطبوعة في الهند.

• قال السيوطي في «حواشيه»: (فقوله: «فعلمت ما في السموات»[1]: يدل على أن وصول ذلك الفيض صار سببًا لعلمه، وزاد في بعض طرقه، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[2]، استشهادًا إلى أنه تعالى كما أرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض، وكشف له ذلك، فتح علي أبواب الغيوب حتى علمت ما فيها ذاتًا وصفاتًا، وظواهر مغيبـات) هـ[3].

....

(1) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(2) سورة الأنعام؛ الآية: 75.

(3) «قوت المغتذي على جامع الترمذي» للسيوطي (برقم 3233 ج2 ص798)؛ و«سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» الصالحي الشامي (ت942هـ (ج10 ص210)؛ وفي «شرح المشكاة» للطيبي «الكاشف عن حقائق السنن» شرف الدين الحسين الطيبي (743هـ) (ج3 ص946).

....

• وأصرح حديث استدلوا به لإحاطة العلم النبوي، هو حديث معاذ هذا: «فتجلى كل شيء»[1]؛ وهو ليس بصريح في الباب - لأن تجلي ظاهر في رؤية العين بالمكاشفة، يحتمل أنه خاص في الأمور التي ترى بالبصر، ويحتمل الأمور الموجودة إذ ذاك، ويمكن تخصيصه - وهو مخصص بالحديث الآخر، وهو: «فعلمت ما بين المشرق والمغرب، أو ما في السموات والأرض»، وأين تلك المعلومات من العلم القديم، فما هي في جانبه إلا كلا شيء.

ومثل ذلك حديث أبي داود[2]، والترمذي[3]، عن توفاق مرفوعا[4]: «**إن الله زوى لي الأرض، فأريت مشارقها ومغاربها**»، قال الترمذي: (حديث حسن صحيح، وهو في مسلم)[5].

ـ وقد قال عياض: (فيه إشارة إلى أن ملك أمته لا يبلغ الشمال، ولا الجنوب)[6]؛

....

(1) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(2) رواه أبو داود في «سننه» (برقم 4252 ج6 ص306).

(3) رواه الترمذي في «الجامع» (برقم 2176 ج4 ص46).

(4) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم 2889 ج9 ص150)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 22395 ج37 ص78)؛ وابن ماجه في «سننه» (برقم 3952 ج5 ص97)؛ وابن حبان في «صحيحه» (برقم 7238 ج16 ص220)؛ والطبراني في «المعجم الأوسط» (برقم 8397 ج8 ص200)؛ والحاكم في «المستدرك» (برقم 8390 ج4 ص496).

(5) رواه الترمذي في «الجامع» (برقم 2176 ج4 ص46).

(6) «اكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (ج8 ص425)؛ وفي «صحيح مسلم بشرح النووي المنهاج» (ج9 ص150).

....

وكذلك وقع.

- وفي معناه حديث الطبراني عن ابن عمر مرفوعًا: «**إن الله قد رفع لي الدنيا، فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى كفي هذه، جليانًا جلّاه الله لي كما جلاه للنبيئين من قبلي**»(1).

• **وبالجملة**: فاطلاعه ﷺ على مغيبات كثيرة من أحوال العالم العلوي والسفلي، ووفور علمه الذي فاق فيه جميع النبيئين والمرسلين والخلق أجمعين، مما لا يمتري به أحد، وهو ما دلت عليه الأدلة السابقة.

أما إحاطة علمه بكل شيء، وتشبيهه بعلم الله، أو ادعاء أنه مساو لعلم الله، فهذا شيء لا يدل عليه شيء من الأحاديث السابقة ولو ظاهرًا، فضلًا عن الصراحة، بل هو مناقض لمعتقد المسلمين من عدم المماثلة، واعتقاد ذلك تشبيه لا شك ولا مرية فيه، ولا معنى للتمويه والتستر بالفرق بأنه حادث، فإنه إبطال لأصلهم الذي ادعوه من الإحاطة، وعدم التناهي؛ لأن الحادث كله متناه؛ فإن الحادث له بداية، وهو أول النهاية، وكفاهم أنهم سووا المخلوق بالخالق، فانسحب عليهم حكم آية: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾(2)، وأن المعتزلة ما نفعهم قولهم أن قدرة المخلوق حادثة، حيث شبهوها بقدرة الخالق في التأثير، فهذه هي تلك بعينها، وما قيل هناك، يقال هنا.

....

(1) سبق تخريجه (ص424 ـ 425).

(2) سورة الشعراء، الآية: 98.

على أنه ورد في بعض الآيات والأحاديث: إن الله لم يطلعه على بعض الأشياء كالخمس، فالذي صح في الأحاديث أنه لم يطلع عليها، وما تقدم من العمومات لا ينقضها، لأن الخاص هو المقدم على العام، لا العكس، وادعاء النسخ يحتاج لتاريخ، وقول «المناوي» و«السيوطي» وغيرهما بخلاف الحديث، كان عليهما أن يأتيا بدليل عليه من كلام الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أو كلام الرسول - ﷺ - الصحيح الصريح، وكان الأولى بهما سلوك مسلك من قبلهما من شُراح الحديث الذين أبقوه على ظاهره.

على أن كلام عبد الرؤوف المناوي لا دليل فيه، ونصه: «خمس لا يعلمهن إلا الله»[1] على وجه الإحاطة والشمول، كليًا وجزئيًا، فلا ينافيه إطلاع الله بعض خواصه على كثير من المغيبات، حتى من هذه الخمس، لأنها جزئيات معدودة، وإن كان للمعتزلة في ذلك مكابرة) هـ[2].

فها أنت تراه عبر بـ«مِنْ» التي للتبعيض، وكلامه واضح، لا شيء ولا إحاطة فيه، وقد قالت عائشة كما في «الصحيح»: **«ثلاث، من حدثك بها فقد كذب...»**[3] الحديث.

(1) سبق تخريجه في (ص379).

(2) «فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي» لعبد الرؤوف المناوي (برقم 3963 ج3 ص458).

(3) سبق تخريجه في (ص393).

فمن هو أعلم بحاله؟ هل التجموعتي أو عائشة زوجته التي نقلت لنا ثلث سنته؟

- وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[1].

- وقال: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾[2].

- وقال: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾[3].

- وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[4].

- وقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[5].

- وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[6].

- وفي «الصحيح» في قضية وفاة عثمان بن مطعون: «والله وأنا رسول الله ما أدري ما يفعل بي»[7].

(1) سورة الشورى، الآية: 17.

(2) سورة الأحقاف، الآية: 9.

(3) سورة الطلاق، الآية: 1.

(4) سورة البقرة، الآية: 255.

(5) سورة يس، الآية: 69.

(6) سورة طه، الآية: 110.

(7) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب التعبير: باب رؤيا النساء، برقم 7003 ج4 ص282)؛ =

....

ـ وقال في غزوة بدر: «**اللَّهم إن تهلك هذه العصابة، فلن تعبد بعد اليوم**»(1).

ـ وقال: «**الريح وبعد كما قال قوم عاد: هذا عارض ممطرنا**»(2).

....

= وفي (كتاب التعبير: باب العين الجارية في المنام، برقم 7018 ج4 ص285)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 27457 ج45 ص449).

(1) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الجهاد والسير: باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم 1763 ج6 ص354)؛ وابن أبي شيبة في «المصنف» (برقم 29583 ج6 ص75)؛ و (برقم 36684 ج7 ص357)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 208 ج1 ص334)؛ و (برقم 221 ج1 ص345)؛ والترمذي في «سننه» (برقم 3081 ج5 ص162)؛ والبزار في «مسنده» (برقم 196 ج1 ص306)؛ وابن حبان في «صحيحه» (برقم 4793 ج11 ص114)؛ والبيهقي في «دلائل النبوة» (ج3 ص51)؛ وبسطه ابن الجوزي في «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (ج1 ص134).

(2) لعل المصنف يقصد الحديث الذي روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ أنه إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها و شر ما فيها و شر ما أرسلت به»، قالت: وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا مطر تسري عنه، فعرفت ذلك في وجهه. قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فسألته، فقال ﷺ: «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [سورة الأحقاف: الآية 24]» الحديث. رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة الاستسقاء: باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، برقم 899 ج4 ص214)؛ والترمذي في «الجامع الكبير» (برقم 3449 ج5 ص445)؛ والنسائي في «السنن الكبرى» (برقم 10684 ج9 ص335)؛ وأبو عوانة في «مستخرجه» (برقم 2506 ج2 ص117)؛ والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (برقم 925 ج2 ص384)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (برقم 6462 ج3 ص502).

ـ وقال في قضية ناقته التي ضلت: «والله لا أعلم إلا مما علمني الله...»[1].

ـ وأحاديث كثيرة أورد ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر»[2] جملة، منها:

• كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله**» كما في «الصحيح»[3].

• وقوله: «**لا أدري أعزير نبي أم لا؟ وأذو القرنين نبي أم لا؟**» رواه أبو داود والحاكم[4].

• وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

(1) سبق تخريجه في (ص463).

(2) هو كتاب «موافقة الخبر في تخريج أحاديث المختصر» لابن حجر العسقلاني. مكتبة الرشد الرياض ط3 (1419هـ ـ 1998م).

(3) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الخصومات: باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، برقم 2411 ج2 ص89)؛ و (كتاب أحاديث الأنبياء: باب وفاة موسى وذكره بعد، برقم 3408 ج2 ص340)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفضائل: باب من فضائل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، برقم 2374 ج7 ص464).

(4) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (برقم 455 ج1 ص153)؛ وأبو داود في «سننه» (برقم 4674 ج7 ص64)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (رقم 2174 ج2 ص17): (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)؛ ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (برقم =

....

خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [1].

وأما قول أبي عبد الله محمد بن الحبيب السجلماسي في «شرح منظومة الهلالي في الأسماء الحسنى» [2] ما نصه: (وها هنا دقيقة، وهي: يجب علينا أن نعتقد أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يخرج من الدنيا حتى حصل له العلم بجميع المعلومات، للحديث الصحيح: «**أوتيت علم كل شيء**» [3]، و«**تجلى لي كل شيء**» [4]، وما ورد مما يخالفه منسوخ بهذا، وبهذا تضم مزيته وفضيلته العلمية على غيره من سائر الأنبياء بعد اشتراكهم في علم الغيب المستثنى لهم في آية: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [5]، وقال فيها بعض المفسرين:

....

= 17595 ج8 ص570)؛ وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه، برقم 818 و819 ص265).

(1) سورة الجن، الآية: 25 ـ 27.

(2) ينظر «المقتبس الأسنى في بيان طرف من معاني نظم الأسماء الحسنى» للهلالي السجلماسي (ت 1175هـ) تأليف أبي عبد الله محمد الحبيب الحسني الفيلالي (ت1240هـ)، عند البيت:

وَهَبْ لي يَا وَهَّابُ رَزَّاقُ مَطْلَبي ... وَفَتَّاحُ أَشْرِقْ يَا عَلِيمُ دُجَا فِكْرِي

(ص197 ـ 198).

(3) سبق تخريجه في (ص378 ـ 389).

(4) سبق تخريجه في (ص378 ـ 389).

(5) سورة الجن، الآية: 26.

(يريد: أو ولي، ففيه حذف، لأن الولي وارث لعلم النبوة) هـ[1]؛ ففيه بحث من وجوه:

ـ **الأول**: قوله: (يجب علينا أن نعتقد): لا يخفى أن الذي يكون فيه وجوب الاعتقاد هو ما قام عليه الدليل القطع: من كتاب صريح متواتر، أو سنة كذلك، أو دليل عقلي؛ لا ما دل عليه حديث خبر أحاد ظاهر في غير ما جهة عليه.

ـ **الثاني**: قوله: (جميع المعلومات): أدرج فيه العلم بكنه الذات العلية، ولا قائل بأن النبي ﷺ اطلع عليه.

ـ **الثالث**: يلزم على هذه المقالة التي أوجب اعتقادها التشبيه، ونفي المماثلة، ولم يتستر حتى بالفرق بالحدوث والقدم، كما فعل غيره، مع أنه غير كاف.

ـ **الرابع**: ادعى أن الحديث ناسخ، ولم يأت بالتاريخ، ولا تقبل دعوة النسخ إلا بتاريخ، وعدم إمكان الجمع كما تبين في الأصول.

ـ **الخامس**: عند قوله: يلزم نسخ القرآن بخبر الآحاد، والقائلون به قليلون، وحجتهم ضعيفة.

ـ **السادس**: قوله: (وبهذا تظهر مزيته...) إلخ: فيه تقديم المعمول، وقرينة السياق تقضي أنه للحصر مع أن مزيته على النبيئين ظاهرة حتى لو لم نقل

(1) ينظر الهامش 2 ص530؛ ونقله في «الأحاديث المنتقاة في فضائل سيدنا رسول الله ﷺ» العلامة المحدث عبد الله ابن الصديق الغماري (ص77 عند شرحه حديث رسول الله ﷺ: «أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس»).

....

بالإحاطة، بل بالمزية المعلومات على غيره، وذلك كـاف.

ـ **سابعًا**: قوله: (وقال بعض المفسرين: أو ولي، ففيه حذف): وهذا ضـلال مبين، وتحريف للقرآن، فهل نـزل (أو ولي) كما نزل (غير أولي الضرر)، ومن هو هذا البعض من المفسرين حتى يقصد في الزيادة على القرآن المحفوظ. فتبًا وسُحقًا لمن يزيد في كلام الله ما ليس منه.

ـ **ثامنًا**: يلزم على قوله: هذا الذي تدلى علينا، وبرأ من قدوم ضال إلا سائر أولياء هذه، ومد لهم علوم عامة، لأنهم وراثه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكل هذه المقالة ضـلال.

ومن أحسن العبارات في علمه: ما في «الشفـاء»، ونصه:

(فصل: ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من العلوم والمعارف، وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور شرائعه، وقوانين دينه، وسياسة عباده، ومصالح أمته، وما كان في الأمم قبله من الاختلاف، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة، والقرون الماضية، من لدن آدم إلى زمنه، وحفظ شرائعهم وكتبهم، ووعي سيرهم...) إلخ[1].

وأما قوله بعد ذلك: (مع أنه ﷺ كان لا يكتب، ولكنه أوتي علم كل شيء)[2]: فيحتمل أن يكون مراده: كل شيء، مما سبق بيانه صدر الفصل، أو كل شيء من مصالح الدنيا والآخرة، كما أفصحت به العبارة الأولى، بدليل[3]: [الفصل الذي

....

(1) «الشفا» للقاضي عياض (ج1 ص213).

(2) المصدر السابق (ج1 ص215).

(3) المصدر السابق (ج2 ص297).

عقده في الباب الأول من القسم الثالث في عقود الأنبياء في التوحيد والإيمان والوحي... إلخ، ونصه: (فأما ما يتعلق منها ـ أي من معرفتهم بأمر الدنيا – فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها، أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه، ولا صم عليهم فيه... إلى أن قال: ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئًا من أمر الدنيا؛ فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبلد، وهم منزهون عنه، إلى أن قال: وأما إن كان العقد مما يتعلق بالدين، فلا يصح من النبي، إلا العلم به، ولا يجوز عليه جهله... إلى أن قال: فأما النوازل الشرعية، فقد كان لا يعلم منها أوّلًا إلا ما علمه الله شيئًا منها حتى استقر علم جملتها عنده، إما بوحي، أو اجتهاد.

وبالجملة: فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه، وأما ما تعلق بعقد من ملكوت السموات والأرض، وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى، وآياته الكبرى، وأمور الآخرة، وأشراط الساعة، وأحوال السعداء والأشقياء، وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه إلا بوحي؛ فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه، لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب، بل هو فيه على غاية اليقين، لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك، وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر:

ـ لقوله: «**إني لا أعلم إلا ما علمني ربي**»[1].

ـ ولقوله: «**ولا خطر على قلب بشر**»[2].

---

(1) سبق تخريجه في (ص463).

(2) سبق تخريجه في (ص413).

....

- ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1].

- وقول موسى لخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[2].

- وقوله ﷺ: «**أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم**»[3].

- وقوله: «**أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[4].

- وقد قال تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[5].

....

(1) سورة السجدة، الآية: 17.

(2) سورة الكهف، الآية: 66.

(3) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رواه ابن ماجه في «سننه» (رقم 3859 ج5 ص27)؛ والطبراني في «الدعاء» (رقم 118 ص53 باب اسم الله الأعظم)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم 9 ج1 ص30)؛ وقال ابن حجر في «فتح الباري» (ج11 ص224) عن حديث ابن ماجة: (سنده ضعيف). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» (ج4 ص146): (هذا إسناد فيه مقال..).

(4) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (برقم 29318 ج6 ص40)؛ وأحمد في «مسنده» (رقم 3712 ج6 ص246)؛ والبزار في «مسنده» (برقم 1994 ج5 ص363)؛ وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (برقم 5297 ج9 ص198)؛ وابن حبان في «صحيحه» (رقم 972 ج3 ص253)؛ والطبراني في «الدعاء» (برقم 1035 ص1279).؛ وفي «المعجم الكبير» (رقم 10352 ج10 ص210)؛ وضعّف إسناده الدارقطني في «العلل» (برقم 819 ج5 ص201)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (رقم 1877 ج1 ص690): (صحيح على شرط مسلم).

(5) سورة يوسف، الآية: 76.

....

قال زيد بن أسلم[1] وغيره: (حتى ينتهي العلم إلى الله)، وهذا ما لا خفاء فيه، إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها، ولا منتهى لها. هذا حكم عقد النبي ﷺ في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية) هـ[2].

وقد سلم هذا الفصل شراحه، ولم يحكوا فيه خلافا، بل أيدوه كابن سلطان، والخفاجي، وابن اقيرس.

قال الشهاب الخفاجي في الفصل المذكور على قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[3]؛ وقوله في الحديث الصحيح: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[4]: (فيه دليل على أن من أحوال السعداء ما لم يطلع عليه ﷺ)[5].

....

(1) هو الإمام الحجة القدوة أبو عبد الله العدوي العمري المدني (ت136هـ) الفقيه حدث عن والده أسلم مولى عمر، وعن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وسلمة بن الأكوع، وأنس بن مالك، وعن عطاء بن يسار، وعلي بن الحسين، وابن المسيب؛ حدث عنه مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وهشام بن سعد، وسفيان بن عيينة. «التاريخ الكبير» للبخاري (برقم 1287 ج3 ص387)؛ و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (ج3 ص221)؛ وفي «سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 153 ج5 ص316).

(2) «الشفا» للقاضي عياض (ج2 ص297).

(3) سورة السجدة، الآية: 17.

(4) سبق تخريجه في (ص413).

(5) «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض» للخفاجي المصري (ج5 ص225 ـ 227).

....

وقال:

• (مما يدل على أن الأنبياء قد يخفى عليهم بعض العلوم: قول موسى للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ ..﴾[1] الآية.

• ومما يدل على أن النبي لا يجب أن يعلم تفاصيل كل شيء: قوله ﷺ فيما رواه الديلمي عن أنس في حديث صحيح: «**أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها، وما لم أعلم**»[2]، وهو يدل على أن لله أسماء، لم يعلمها، ولا ضير في مثله؛ ومثله حديث رواه أحمد في «مسنده»: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[3].

• ومما يدل على أنه لا يحيط بجميع العلوم غيره تعالى، قوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[4]، فهذا دليل أن علم البشر متناه محصور)[5].

فتلخص من هذا الفصل، أن القول الفصل الذي انفصل عنه الإمام عياض المعرف بحقوق المصطفى: وجوب اعتقاد وفور علمه ﷺ كما في «المختصر»، لكن:

• إذا كان في العلوم الشرعية اعتقادية وفرعية، فهو علم أحاطي، سواء كان في أول المبعث أو تمم له في آخر الأمر، بحيث لم يخرج من الدنيا حتى أطلعه الله

....

(1) سورة الكهف، الآية: 66.

(2) سبق تخريجه في (ص534).

(3) سبق تخريجه في (ص534).

(4) سورة يوسف، الآية: 76.

(5) «نسيم الرياض» للخفاجي المصري (ج5 ص225 ـ 227).

على جميعه، إذ محال أن يرسل بشرع ويدعو إليه، ولا يعلمه، وما سواه من أمور الدنيا، فلا بد من معرفته بكثير منها، وإن لم يجب أن يعلم الكل للأدلة الدالة على ذلك في «الصحيح».

• وأما أمور الآخرة، وعلامات الساعة، وأسماؤه تعالى، ونحو ذلك من علم ما كان ويكون؟ فلا يشترط فيه العلم بجميع تفاصيل ذلك، وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر؛ ولا نقص يلحقه فيما لم يطلع عليه ما استأثر الله به: كالأسماء الحسنى التي لم يطلع عليها، ومن ذلك علم الساعة، ولا نقص يلحقه في ذلك - وقد زاد هذا البيان تأكيدا وشرحا وتلخيصا في فصل عصمته عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الجهل بالله وصفاته، أو كونه على حالة تنافي العلم بذلك، وزاد مفهوم هذا الفصل بيانًا وصيره منطوقًا في فصل «هذه حاله في جسمه».

• فأما أحواله في أمور الدنيا، فنحن نسبرها[1] على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل.

وهذا كله يبين لك أن قول عياض -في فصل المعجزات-: أنه «أوتي علم كل شيء» يجب حمله على الشرع الذي بعث به، ولا يجوز إبقاؤه على عمومه فضلًا عن الاستدلال به كما فعل التجموعتي، ويدل لعدم اعتبار عمومه، قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[2]، فهذا نص صريح في القرآن يخصص

(1) سبَر الشَّيْءَ: قاس غَوْره ليتعرَّف عمقَه ومقدارَه؛ والسَّبْر: اسْتِخْرَاج كُنْهِ الأمر؛ ينظر «لسان العرب» لابن منظور (مادة سبر ج4 ص340)؛ «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (سبر ص404).

(2) سورة يس، الآية: 69.

....

الكليـة المذكورة التي يلزم عليها مماثلة العلم الحادث للعلم القديـم، وكيف يمكن القائلين بإحاطة العلم النبوي أن يقولوا بمعرفتـه للشعر؟ مع أنه علم من العلـوم، والله نفاه عنه في صريح القرآن، ونسبته إليه؟ ولا شك أن الشعـر: هو من جهة ما اندرج في علم الله، وفي الكليـة السابقة، وهو علمه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بكل شيء، وأني شيء أحوجنا إلى البحث في هذه الأغوار، لولا كثرة السـؤال المنهي عنهـا، فيا ليت المسؤول لما سُئل عن علمه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هل له الإحاطة؟ وقف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقـال: (لا أدري)؛ وما خاض في شيء لـم يعرفه، فالأولى في هذه المسألة الوقوف عند حد ما، والإمساك عما سواه، فلم يكلفنا الله به.

ثـم إن قول عياض: (ولكنه أوتي علم كل شيء)[1]؛ هذا حديث رواه الطبراني عن ابن عمر بلفظ: «أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾، الآيـة»[2]. هكذا في «الجامع الصغير»؛ وفي «فتح الباري»: (رواه الطيالسي في «مسنده» عن إبراهيم بن سعد عن الزهري: (أوتي نبيكم مفاتيح الغيب إلا الخمس، ثـم تـلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ.. ﴾ الآيـة[3])[4]، فها أنت ترى لفظ فيه مفاتيح الغيب، وفيه الاستثناء، فكيف يمكن أن يستدل به لمسألة من المعتقدات، وهذا كله يبين لك ضعف دليل القائل: علم النبي...

....

(1) «الشفـا» للقاضي عياض (ج1 ص215).

(2) سبق تخريجـه (ص378).

(3) سبق تخريجـه (ص389).

(4) «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني (كتاب التفسير سورة لقمان الآية 34 ج8 ص479).

إلخ؛ علم النبي بالكل حتى الخمس... من رد بحث اليوسي بحجة بالغة للجدل: من قوله: (أوتيت علم الكل)، فاندرجت أقسام حكم العقل، أما المجاز فخلاف الأصل، فيتعلق بسر القدر بلا نهاية لدى المعتبر... إلخ.

وقد استدلوا أيضًا على عموم علمه؛ بحديث «الصحيح»: عن أسماء: أن النبي ﷺ حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**ما من شيء لم أكن أريته قبل، إلا رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار**»[1].

لكن بأدنى تأمل يظهر أنه خاص بالموجودات إذ ذاك، إذ تعلق بالبصر الحادث، إنما هو بما هو موجود، لا بالمعدوم حتى يقوم عليه دليل.

وفي معناه حديث سمرة ابن جندب قال: (كسفت الشمس فصلّى النبي ﷺ ثم قال: «**إني والله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقون في دنياكم وآخرتكم**»[2]، أخرجه أحمد، وهو خاص بأمر الأمة الدنيوي والأخروي.

وكفى دليلًا على الخصوص حديث الصحيح أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع جارية تغني

---

(1) سبق تخريجه في (ص390).

(2) رواه أحمد في «مسنده» (برقم 20178 ج33 ص346) في حديث طويل، قال محققه: إسناده ضعيف؛ وأبو داود مختصرًا في «سننه» (برقم 1184 ج2 ص386)؛ والنسائي في «المجتبى» (برقم 1484 ص174)؛ والنسائي مختصرا في «السنن الكبرى» (برقم 1882 ج2 ص345)؛ وابن حبان في «صحيحه» (برقم 2856 ج7 ص101)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (برقم 6798 ج7 ص190)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (برقم 6361 ج3 ص471).

وتقول: (وفينا نبي يعلم ما في غد)، فقال: (لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين)[1]. فهذا يبين خصوص ما نسبوا له من قول: «**أوتيت علم كل شيء**»[2]، والله أعلم بغيبه.

وفي «صحيح مسلم» عن طلحة بن عبد الله قال: (مررنا مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل، فقال: «**ما يصنع هؤلاء؟**» فقالوا: يلقحونه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أظن يغني ذلك شيئا!**» فأخبروا بذلك، فتركوه. فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «**إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًّا فلا تأخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا، فخذوا به، فإني لن أكذب على الله**». رواه أيضًا عن رافع ابن خديج وزاد: (فتركوه، فنفضت أو فنقصت؛ فذكروا ذلك له فقال: «**إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر**». ورواه أيضًا عن عائشة وأنس بمعناه، وزاد: «**أنتم أعلم بدنياكم**»[3]. هذا ما رواه مسلم عن أربعة من أخيار الصحابة.

قال القرطبي: (قوله: «**إنما أنا بشر..**»: هذا اعتذار لمن ضعف عقله، وإلا فلم

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب المغازي: باب، برقم 4001 ج3 ص14)؛ وفي (كتاب النكاح: باب ضرب الدف في النكاح والوليمة، برقم 5147 ج3 ص334)؛ وابن ماجه في «السنن» (برقم 1897 ج3 ص91)؛ وأبو داود في «السنن» (برقم 4922 ج7 ص283)؛ والترمذي في «الجامع الكبير» (برقم 1090 ج2 ص385).

(2) سبق تخريجه (ص378 ـ 389).

(3) سبق تخريجه (ص394 ـ 395).

....

يقع منه ما يحتاج إليه، وغاية ما جرى أنها مصلحة دنيوية بقوم مخصوصين لم يعرفها من لم يباشرها، وأوضح ما في هذه الألفاظ المعتذر بها قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[1]، أي وأنا أعلم بأمر الدين)[2].

وقال «عياض»: (الإنسان في أمور الدنيا كغيرهم في اعتقادهم بعض الأمور على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم في ذلك، إذ همتهم في الآخرة والملأ الأعلى والشريعة وأمور الدنيا تضاد ذلك، بخلاف غيرهم الذين يعلمون ظاهرًا منها). نقله الأبي والسنوسي وسلماه، وآخره في النووي[3].

وقد سئل الملا إبراهيم بن حسن الكوراني الكردي المدني[4] عن مسألة الإحاطة العلمية بأنواع المعلومات من واجب، ومستحيل، وجائز، هل دليل اختصاصها بالأدلة عقلي سالم من الإشكال، أو المعتمد في ذلك النقل، أو يصح أن يقال يمكن الإحاطة بتحويط الله، والمختص بالألوهية، كون الإحاطة ذاتية؟

....

(1) سبق تخريجه (ص394 ـ 395).

(2) «المُفْهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (ج6 ص168)؛ ونقله الأبي والسنوسي في «صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم للأبي وشرحه مكمل إكمال الإكمال للسنوسي» (ج6 ص154).

(3) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (ج7 ص335). ونحوه في «صحيح مسلم بشرح النووي» (ج7 ص451).

(4) هو الإمام الملا برهان الدين إبراهيم بن حسن الشهراني الكوراني (ت1101هـ)، سبقت ترجمته في (ص166 ـ 167).

....

فأجاب برسالة سماها[1] «الجواب الكافي عن مسألة إحاطة علم المخلوق بغير المتناهي» قائلا: (الدليل العقلي على اختصاصها غير سالم من الإشكال كما أشار إليه في «حاشية الشرح القديم للتجريد»، ويصح أن يقال يمكن الإحاطة بتحويط الله والمختص بالألوهية، كون الإحاطة ذاتية، والمعتمد في ذلك النقل: كحديث الترمذي عن معاذ وصححه: «**فتجلى لي كل شيء وعرفته..**» الحديث)[2].

قال في «الفتوحات» في الباب101: (وهذه الأنوار إذا حصلت على الكمال، تعلق علم صاحبها بما لا يتناهى، وهو عزيز الوقوع عندنا، وأما عند غيرنا فهو ممنوع الوقوع عقلًا حتى إن ذلك في الإله مختلف فيه عندهم، وما رأينا أحدًا حصل له على الكمال، ولا سمعنا عنه، ولا حصل لنا، وإن ادعاها إنسان، فهي دعوى لا يقوم عليها دليل أصلًا، مع إمكان حصول ذلك) هـ[3].

فها أنت ترى كلام الكوراني مناقضًا لكلام «الفتوحات»: الأول يقول بالإمكان، والثاني بالامتناع عند أهل الظاهر، والجواز عند أهل الباطن، والمرجع القرآن:..................

....

(1) ذكره البغدادي في «هدية العارفين أسماء المصنفين» (ج1 ص35)؛ وهو مخطوط بخزانة الخديويه بالقاهرة – مصر (برقم 71/ 7).

(2) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(3) «الفتوحات المكية» لابن عربي الحاتمي (الباب السادس ومائتان في حال التجلي بالجيم ج4 ص174).

....

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[2]. فهذه تدل على جواز الإحاطة ببعض المعلومات الإلهية إذا شاء الله ذلك، يعني بتحويطه سبحانه.

ولعمري!! كيف يقولون أنه أحاط بجميع المعلومات الإلهية؟ وماذا يقولون في كمالات الباري ـ سبحانه ـ التي أجمع المحققون على عدم إمكان الإحاطة بها؟ وقد قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[3]. فهل يدعون إحاطته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بها وهو قد تبرَّأ من ذلك؟! وهذا خبر لا يدخله النسخ، أو يخصصون بغيرها؟ وبما خصصوا بطل العموم، وجاء قول ابن عباس: (كل العمومات دخلها التخصيص إلا قول الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[4])[5]، وهذا معنى كلام اليوسي.

وفي حديث الشفاعة: «**فيلهمني محامد لا أعلمها الآن**»[6]، فظاهر قوله: «الآن»: أنه مقابل يوم القيامة، وأنه إنما يعلمها يوم القيامة، فأين الإحاطة التي ادعوها

....

(1) سورة طه، الآية: 110.

(2) سورة البقرة، الآية: 255.

(3) سبق تخريجه في (ص499 ـ 500).

(4) سورة الأحزاب، الآية 40.

(5) ذكره تقي الدين السبكي الأنصاري الشافعي (ت756هـ) في «الدرة المضية في الرد على ابن تيمية» (ص25).

(6) من حديث أنس وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ ضمن حديث الشفاعة الطويل. =

....

الآن؟ وقد اعترف بهذا الكوراني في آخر كلامه، وإن أتى باحتمال أن يكون علمها بعد ضربة المنام بين كتفيه، لكن الاحتمال لا يناهض صحيح الأثر. والله أعلم بغيبه. وأنى للكوراني أن يطلع على مثل هذه الأغوار في عام 1095هـ الذي ألف فيه هذه الرسالة.

واعلم أن قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ للتي كانت تغني: (وفينا نبي يعلم ما في غد): «**لا تقولي هكذا**»[1]: دقيقة ظاهرة، وهي موجهة نحو الذين نسبوا له عَلَيْهِ السَّلَامُ الإحاطة، والشمول بالمعلومات الإلهية، وحصلوا في هذه الزلة اللسانية، وذلك أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعلم، بل يخبر بكثير من المغيبات، كقوله ما في: «**أرى الفتن خلال بيوتكم**»[2]، وإخباره بأحوال المنافقين، وبواطنهم، وغير ذلك مما تواترت الأخبار به تواترًا معنويًا، واتفقت على أنه أخبر بغيبيات مضت في زمنه، وأخرى ظهرت بعده، وأخرى لا زالت لم تظهر. ومن كان بهذه المثابة، فلا معنى لنهيه لها عن هذه المقالة مع أنها ما ادعت إحاطة بالمغيبات، ولا أتت بكلية، وإنما جاءت بقضية شخصية الموضوع، مهملة من حيث المتعلق،

....

= رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب تفسير القرآن: باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ برقم 4712 ج3 ص196)؛ وفي (كتاب التوحيد: باب كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، برقم 7510 ج4 ص390)؛ وفي مواضع أخرى؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة، برقم 193 ورقم 194 ج2 ص325 ـ 333).

(1) سبق تخريجه في (ص540).

(2) سبق تخريجه في (ص503 ـ 504).

* وقوله: (حكاية للحديث: «من حسن إسلام المرء...» إلخ[1]: تصديق النبي ﷺ في كل ما ثبت عنه، وجاءت به الرواية مما تجب معه العناية. والقول بأن ذلك من باب الاشتغال بما لا يعني(*) على غير أصول الدين مبني، ثم إني لأتقضى العجب من

وهي: (يعلم ما في غد)، ومع ذلك لم يقرها على ذلك، لما فيه من سوء الأدب مع حضرة الربوبية، فنحن نتيقن أنه كان يعلم كثيرًا من المغيبات لا يعلمها غيره من المخلوقات، وإن كان كلامها صادق بلا شك، وإنما أمرها بالأدب مع الحضرة الإلهية:

- فأين الذين زعموا الإحاطة والشمول من مقام الأدب؟

- وماذا يقول لهم الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

- وماذا يؤدبهم به؟

ولهذا قالت عائشة: (من حدثك أن محمدًا يعلم الغيب فقد كذب)[2]، وهو يقول: «**لا يعلم الغيب إلا الله**»، مع أنها نفسها روت عنه الإخبار بالمغيبات الكثيرة وغيرها، ولكن إطلاق العبارة مشعر بالعموم المنافي للحقيقة، وفيه إخلال بالأدب مع الله، وتشبيه لعلم المخلوق بعلم الخالق، فهذا هو السر في قوله لها: «**لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين**»[3].

(*) **في حاشية البناني**: قوله: (والقول بأن ذلك من الاشتغال بما لا يعني...) إلخ:

....

(1) سبق تخريجه في (ص276).

(2) سبق تخريجه في (ص393).

(3) سبق تخريجه في (ص540).

روايتك(*) هذا الحديث(**)، والإضراب عنه والإقبال بحركاتك(أ) وسكناتك على ما لا يعنيك(***) من معاناة الخلق، والوساطة عندهم(ب) بزعمك وبين الحق من غير إذن: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾[1].

ومن الثابت المعلوم أن وجوه الإذن ثلاثـة:

الذي هو منه عند اليوسي بل وعند غيره من الناس ليس هو نفس التصديق بما بينت رواية ما ثبت أهم من ذلك بل هو رأيك وجهلك وحملك الحديث المذكور على العموم الإحاطي الحقيقي على حد عموم علم الله سبحانه.

(*) **في حاشية البناني**: ولا رأيك منصف أن هذا كذلك وأنه بدعة مذمومة وعقيدة فاسدة.

(**) **في حاشية البناني**: أي حديث: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[2].

(***) **في حاشية البناني**: وقوله: (والإقبال على ما لا يعنيك من معاناة الخلق...) إلخ: ما بهذه التحشية كلها له. الشيخ اليوسي إنما تكلم معك من حيث علمك ورأيك وفهمك الحديث على غير ما يفهمه الناس المحافظون على مرتبة النبوة من مرتبة رب الناس، ولـم يخرج عن ذلك ـ أي: الاستطراد والاطلاع على أحوالك وتتبع حركاتك وسكناتك، خصوصًا ما يرجع إلى ما كلفت به من خطة القضاء ـ؛ فكذلك كل ما من حقك أن تفعل، وتعرض عما تصدى له من أمور القواد وهو أعرف بحاله ومن خواص الشيخ ابن ناصر الدين .

(أ) في (ج) و (د) و(ك): (في حركاتك).

(ب) في (ج) و(د) و(ك): (والوساطة بينهم).

---

(1) سـورة يونس، الآية: 59 ـ 60.

(2) سبق تخريجه في (ص276).

• أحدها: الإذنُ الشرعي: وهو تعلق الحكم بالعبادة على وجه إن لم يأت به كان آثما دون مقدوحةٍ.

• الثاني: الإذن الذّوقي: وهو انبعاث الحقيقة بما فيها دون روايةٍ ولا توقيف(أ) ولا لقصد، إما لفيضان وجد أو استغراق بحال.

• الثالث: الإذنُ العرفي: إما من شيخ تام المرتبة، أو ولي كامل الحال، أو نحو ذلك، لكن مع وجود إفادة أو استفادة.

وما تدعيه من إذن الشيخ العارف ابن الناصر[1] على فرض ثبوته، مشروط بشروط حسبما ثبت ذلك عنه، وقد عدُلت عنها وصادفت صدفت(ب)، واجتهدت لنفسك وما صدفت(*).

وقوله(ت): (إنا لا نبلغ إلى تحقيقه...) إلخ: ليس الكلام في هذا كله، وإنما

(*) في حاشية البناني: اتصفوا وجعله على نفعه وإفضاله. نعم لو شكى إليك من حيث أنك قاضي المسلمين بذلك الشيخ والذي تصدى لأمور الفقراء وبعض خصومه من رسل الازدراء بكل تصديك في الجملة له العذر إن لم يجب منك زيادة على الضرورة على سبيل المطاولة.

(أ) في (ج) و(د) و(ك): (دون روية ولا توقف ولا لقصد).

(ب) في (ج): (صدفت)؛ ومنه: ﴿سَنَجْزِي ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾..﴾ الآية[2].

وفي (د) و(ك): (صادفت) ساقطة.

(ت) في (ج) و(ك): (قوله الثاني).

---

(1) سبقت ترجمته في (ص137 ـ 138).

(2) سورة الأنعام، الآية: 157.

البحث في ثبوت الخصوصية(*) التي أخبر بها عن نفسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا في الاجتهاد في الإحصاء، ولا في غيره مما خسرت به الكاغد[1].

فالواجب إذ تصدرت(أ) نفسك للكلام أن تتصدى للبحث عن مخصص

(*) في حاشية البناني: الخصوصية في الحديث المذكور أنت تفهمها فيه على أن العموم فيه عموم شمولي حقيقي وغيره يفهمها فيه على أنه عموم إضافي، وهذا الحق. والعموم الإضافي لا يتوقف عليه تحقيق الإحصاء؛ لأنه راجع إلى الآجال، بخلاف العموم الحقيقي فإنه متوقف عليه؛ فالإحصاء ملزوم له وإن لم يكن الرفق إلى الإفراد؛ فلا بد لمن ادعى العموم الحقيقي منه ملاحظة الإحصاء وإن كان نوعيًا؛ لأن مغزى العموم الحقيقي أنه لم يبق لهم من التعلقات علم الله تعالى إلا وقد تعلق به علم النبي ﷺ فلا بد لهذه الدعوى من الإحاطة والاحصاء لتلك المتعلقات حتى تتم الدعوى، بحيث لو بقي شيء منها لم يتعلق به علم النبوة وقد تعلق به علم الربوبية لبطلت الدعوى المذكورة ضرورة، أي: الجزئية الكلية تنقضها الجزئية السالبة، ولكن صاحب تلك الدعوى لا يلزم أن يطالب بالإحصاء من حيث الأصدق والإفراد لعدم الإمكان مع عدم التوقف عليه بل من حيث أنواعها لأنه يمكن في الجملة ـ لكونه أسهل ـ من إحصاء الأضداد، مع أن حصر الأنواع يحيط بحصر الآحاد إجمالاً، فلا به لمن أراد أن يتصدى للبحث في هذه المسألة.

(أ) في (د) و(ك): (إذ صدرت).

(1) الكاغد: يعني الورق، وهي كلمة فصيحة عممت فاستعملها العامة على أنها كلمة دارجة. «لسان العرب» لابن منظور (حرف الدال: فصل الكاف، ج3 ص380)؛ و«المعجم الوسيط» (ج2 ص1026 وص791).

العموم[1](*) الذي بنيت عليه أساطيرك من تلقاء نفسك، ومجرد ظنك وحرصك[أ]. فلا بحث في الوقوف على النهاية بعد تحقيق البداية.

وقد صدرت عن بعض الأكابر مقالة دون مقالتك(**) في نفي هذه الخصوصية

(*) في حاشية البناني: قوله: (تتصدى للبحث عن مخصص العموم...) إلخ: تقدم لنا في الفصل -أو في ما حصلناه من كلام الشيخ اليوسي وكلامنا- من الأدلة العقلية والنقلية الدالة على التخصيص.

(**) في حاشية البناني: قوله: (وقد صدرت عن بعض الأكابر مقالة دون مقالتك) إلى قوله: (فنصبت خشبة أصلابه، ففر من مكة إلى المدينة، ثم إلى العراق، وصدرت مقالة أخرى عن بعض شيوخ الإسلام فتمالأ جماعة من علماء عصره على تكفيره لولا حفظ الله تعالى)، أقول وبالله القائل والمقول: الإذايات الحسية والتملكات البدنية وقعت للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولفحول الأولياء العظام بسبب الأمور الباطلة والتقولات الباطلة لِحِكَمٍ يعلمها رب البرية وقلبهم ودينهم وعقدهم سالم، ومنهم من شرب ببدنه وقلبه ودينه وعقده فحفظه الحفيظ الخبير العليم، ومنهم من جعل له الحفظ والرعاية والحراسة والعناية مع كونه بين أظهر الأعداء وذوي الصولة والإيذاء، كما بسط ذلك الأئمة كالعارف الشعراني قدس الله سره في مقدمة «طبقاته الكبرى» وفي مقدمة «يواقيته وجواهره»، فطالعها تهتد بأنواره.

وإذا عرفت هذا التمهيد فلا يهولنك ويبجحنك ويخوفنك التاجموعتي بذكر

(أ) في (ج) و(ك): (ومجرد ظنك وحدسك).

وفي (د): (مجرد ظنك وحسدك).

(1) سبق التعريف بمصطلح «العموم» في (ص392).

واستعظامها في حق من لولاه ما كان شيء من أمور الدنيا، ولا أحوال الآخرة، بل ولا دنيا ولا آخرة(*):

ما أرسل الرحمن أو يرسل   من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه   من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده   نبيه مختاره المرسل

القضيتين المذكورتين عنده، فإن مقالتي العالمين الذين ذكر أدلتيهما إن كانت على وفق كلام الشيخ اليوسي فالحق معها وهو الذي نعتقده ويعتقده كل من قدم التوحيد على وجهه وأيقن بنبينا لا شك معه، بل في جميع صفات [ ][1]، إنما هي من جميع خصائص الألوهية لا شيء منها للغير كأنها من كان، ولا صاحب النبوة الذي خصه مولاه تعالى بخصائصه النبوية وهو الذي نشيفه في مجالسنا التدريسية ونفوه به لمن سألنا على سبيل الاسترشاد من غير مراء ولا جدال ولا عناد، وإذ انتخرنا بالعداء حب الوقتية التي يروجها ويشعل نارها الظلمانية أرباب الباطل الذين يرومون التقدم على الأماثل الأفاضل نهرب ببدننا وفقهنا وديننا وعقيدتنا، أي لم نجد من يعيننا لمن نظن معه غلبتنا وحصل الحبط والرعاية منه، كفينا كل بلية.

(*) في حاشية البناني: المحافظة على قواعد المعقول، ولا يكفي مجرد النقول ونفي حال به التاجموعتي حتى التبس عليه الأنواع بالأصدق، والله ولي كل توفيق وسداد.

---

(1) يوجد بهذا الموضع كلام غير واضح.

واسطـة فيـهـا وأصـل لهـا يعلم هـذا كـل مـن يعقـل[1]

فنصبت خشبة أصلابه[أ]، ففر من مكة إلى المدينة على ساكنها أفضل[ب] الصلاة والسلام، ثم منها إلى العراق، وصدرت مقالة أخرى أيضًا عن بعض شيوخ الإسلام[2](*)، فتمالأ جماعة من علماء عصره على تكفيره، وهموا به لولا حفظ الله.

(*) في حاشية (ك): هو عز الدين ابن عبد السلام، حيث قال: (إنه ﷺ أفضل من كل واحد من الأنبياء؛ بل بجميعهم).

(أ) في (ج) و(د): (خشبة صلبه). وفي (ك): (خشية لصلبه).

(ب) في (ج) و(ك): (أفضل) ساقطة.

(1) من قصيدة للإمام محمد بن الشيخ أبي الحسن محمد البكري الصديقي الشافعي الأشعري المصري (ت 993هـ) عدد أبياتها (18) من بحر السريع، مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط بعدة أرقام منها: (1680 و8828 و8832) «فهرس مخطوطات التصوف» لأحمد بنبين (ج2 ص712). ذكرت هذه الأبيات في «النور السافر» لعبد القادر العَيْدَرُوس (ت1038هـ) (ص539)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج10 ص633)؛ وفي «خلاصة الأثر» للمحبي (ت1111هـ) (ج2 ص410)؛ و«شرح توحيد الرسالة» لابن قاسم جسوس (ج1 ص122)؛ وفي «سلك الدرر» للمرادي (ج1 ص139)؛ وفي «برهان الحق» للحجوي الثعالبي (ص49-50) ؛ كما ذكرت هذه الأبيات متفرقة في قصيدة مطلعها: (غوث الورى إذا هي معضل)، لإدريس بن محمد بن إدريس العمراوي (ت1296هـ) [ترجمته في «إتحاف أعلام الناس» لابن زيدان (رقم 100 ج2 ص42)؛ و«الإعلام بمن حل مراكش وأغمات» لعباس بن إبراهيم (ج3 ص22)؛ و«إتحاف المطالع» لابن سودة (ج1 ص267)]. ينظر «ديوان الوزير ابن إدريس العمراوي» رسالة علمية مرقونة بكلية الآداب بالرباط، إشراف د. عباس الجراري، تح: شهيد التهامي.

(2) هو عز الدين ابن عبد السلام (ت660هـ) حيث قال: (إنه ﷺ أفضل من كل واحد من الأنبياء؛ بل بجميعهم) كما في «حواشي الغنيمي على شرح كبرى السنوسي» (اللوحة 216)، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم د 325). وهو عبد العزيز بن عبد السلام =

• وقوله: (ما لا يحصل[أ]): عبث مبني على ما سطرته من الأوهام(*)، وأضغاث أحلام. وأن موضوع البحث في إحصاء المعارف والكمالات، وليس لك من البحث في شيء، وإنما خبطتَّ خبط عشواء(1)، وحملت حمل عشواء.

• وقوله: (وتكلف المحال ساقط): هذا كله من وضع الشيء في غير موضعه، ومن رجوع البحث[ب] إلى ما ليس من مرجعه. نعم لم يكلفك الله بالكلام على المسألة، وهي ليست من وُسعك ولا طوقك، ولا من طعمك ولا ذوقك، ولذلك بان إذ أخذت فيها عن غير دليل سقمُك وعوَرُك، ....

(*) في حاشية البناني: قوله: (مبني على ما سطرته من الأوهام): قد بينا قبيله ـ أي دعواه العموم الحقيقي ملزوم للاحصاء للانفكاك له عنه وإن كان نوعيًا ويعدم كملاحظة التاجموعتي.

(أ) في (ج) و(د) و(ك): (وتكلف ما لا يحصل).

(ب) في (د) و(ك): (بالبحث).

= ابن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي المغربي أصلًا، الدمشقي مولدًا، ثم المصري دارًا ووفاة والشافعي مذهبًا؛ ولد في (577هـ)؛ شغل التدريس والإفتاء والقضاء والخطابة، له العديد من المؤلفات والرسائل في التفسير والحديث والسير والأخبار والفقه والتصوف. وقد خصه علي محمد محمد الصلابي بتأليف سماه: «الشيخ عز الدين بن عبد السلام ـ سلطان العلماء وبائع الأمراء»؛ وكذا محمد الزحيلي بتأليف سماه: «العز ابن عبد السلام». «البداية والنهاية» لابن كثير (ج17 ص441)؛ «طبقات الشافعية» للسبكي (برقم 1183 ج8 ص209)؛ وحسن المحاضرة» للسيوطي (برقم 68 ج2 ص314)؛ وفي» شذرات الذهب» لابن العماد (ج7 ص522).

(1) مَثلٌ يضرب للذي يعرض عن الأمر كأنه لم يشعر به، ويضرب للمتهافت في الشيء. «مجمع الأمثال» لأبي الفضل محمد الميداني (برقم 4660 ج2 ص414).

وظهر لأهل الحضر(أ) في هذا الميدان فشلك وخورُك.

• وقوله: (ملزوم لإحدى عشرتين...): دعوى التلازم باطلة ضرورة، فإنه ﷺ قد أخبر عن نفسه عن ربه بذلك، وتناول حملة الحجة من أمته حديثه، وتداولوه، وأبقوه على عمومه، إذ لا مانع منه عقلًا، ولا نقلًا. وما عبر(ب) أحد منهم -لله المنة-، فأين التلازم؟

نعم؛ قد عثرت أنت(*) عثرة لا يقال لها لعى، وضيقت بسوء فهمك وركيك لفظك متّسعا. وصرت تتحكم على الشارع بما تتبرأ(ت) عنه من أولي النهى المسامع. فهو عليه الصلاة والسلام يقول: (أوتيت)، أي: أعطيتُ علم كل شيء، وأنت تقول له: (لَم تؤت ذلك)، بل وتقول لربه: (لِمَ تؤته ذلك؟)، فانتبه يا مغرور! وإلا فدمك غير معصوم ولا محظور؛ إذ أسخطت الله ورسوله، وأسأت الأدب على الجانبين، لأنك لم ترض بما وهبه الله ومنحه(ث) لنبيه وصفوة صفوة

(*) في حاشية البناني: قوله: (قد عثرت أنت...) إلخ، أقول: سبحان من شرح وأطلق لسان وقلم كل من المعترض والمعترض عليه حتى قال كل منهما ما شاء، سواء كل من منهل الباطل أو من قبيل الاهتداء؛ فلو جمع الله تعالى الخلائق كلهم في صعيد واحد كلفنا على رؤوسهم أن الذي عبر وأساء الأدب على الجانبين هو التاجموعتي من غير شك ولا حيد، وإن كان لم ينشجر بما وقع فيه وظن أنه العقد الصحيح لديه.

(أ) في (د) و(ك): (أهل العصر).

(ب) في (ج) و(د): (وما عثر أحد).

(ت) في (د) و(ك): (بما تنبوا).

(ث) في (ج) و(د) و(ك): (بما وهبه ومنحه لنبيه).

خلقـه، ولسان الحال منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينشـدك:

أسـأت علـى الله فـي حكمـه[(أ)] لأنـك لـم تـرض لـي مـا وهـب[(1)]

• **وقوله: (فإن الباحث فيه إما أن يقع... إلخ)**: لـم يقع لأحد(*) فيما علمنا في هذه المسألة استنزال، ولا استدلال سواك. ولا عدل عن قول المعصوم فيها إلى مثل هواك.

• **وقوله: (في تشبيه خلقه به)**: ....

(*) **في حاشية البناني**: من كل ذي عقد صحيح صرح أو لـم يصرح. قوله: (لـم يقع لأحد لخ): لم تفهم تلك القضية المنفصلة في كلام الشيخ اليوسي وقد بيناها قبل عند تركنا لكلامه وأن القصد الأعظم منها هو التسهيل لأنه هو الذي وضع فيه التاجموعتي [ ][(2)] لم يحضره في [ ][(2)] المنطقية كيف تتصدى للرد على اليوسي المنطقي الكبير بمجرد تلك العبارات الوهمية: (ومن يعترض والعلم عنه بمعـزل...)[(3)].

(أ) في (ج) و(ك): (أسأت على الله في فعله).

---

(1) ذُكر هذا البيت ضمن ترجمة المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود أبو الفرج النهرواني القاضي، المعروف بابن طرار الجريري، لأنه اشتغل على ابن جرير الطبري (ت310هـ)، وسلك وراءه في مذهبه، فنسب إليه، توفي سنة (390هـ). «تاريخ بغداد» للخطيب (ج15 ص308)؛ وفي «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (ج15 ص25)؛ و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (ج6 ص2704)؛ و«إنباه الرواة على أنباه النحاة» لجمال الدين القفطي (ج3 ص296)؛ وفي «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج5 ص222)؛ و«البداية والنهاية» لابن كثير (ج15 ص490).

(2) يوجد في هذا الموضع من المتن كلام غير واضح.

(3) من البيت الشعري لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكري الشريشي (ت641هـ)؛ وقد سبق ذكره في (ص484).

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾[1]، المصطفى ﷺ يقول(*): (أوتيتُ)، مسندًا الإيتاء إلى ربـه؛ فإنه(أ) الذي أعطاه ذلك واختصه به إيثارا وعناية به. فأين التشبيه؟ لولا قصد التمويه. وجلت الذات القديمـة أن تكون لها صفة حادثة(ب) كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمـة.

* وقوله: (إذ لا يحب ذلك): لا أحبّ عنه(ت) ﷺ ممـا آتاه ربه واستأثره به

(*) في حاشية البناني: المصطفى ﷺ لـم يقل: (أوتيت علم الله تعالى المتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات)، وحاشا أعرف الخلق بالله أن ينسب لنفسه صفة من صفات الله. هذا لـم يقع من مطلق عامة أهل التوحيد، فضلًا عن العلماء، فضلًا عن العارفين من الأولياء، فضلًا عن الأنبياء، فضلا عن سيد الكل، وممد كل ذي من ذوي فضل ﷺ، وشرف، وكرم، ومجد، وعظم. وإنما قول: (أوتيت علم كل شيء)[2]؛ فحملته أنت وحدك ظنًّا منك أنك اتبعت الشرط على العموم الحقيقي المؤدي إلى الشرط مع الله في صفة من صفاته القديمة. وغيرك من أهل التوحيد ـ واعتقاد أن صفات المعاني كلها بجميع تعلقاتها أنها هي من خصائص الربوبية ـ إنما هو عندهم محمول على العموم الإضافي صرحوا به أو لـم يصرحوا؛ ولو صرح أو أشكل بعضهم إلى عقدك الفاسد لكـان قوله مـردود.

(أ) في (ج) و (د) و(ك): (وأنه).

(ب) في (ج): (صفة حديثة).

(ت) في (د) و(ك): (عنده).

(1) سـورة الأحزاب، الآية: 4.

(2) سبق تخريجه والتعليق عليه في (ص378).

دون أحد من خلقه(*)، بل يغضب على من أنكر ذلك وأباه، وأخذ يخوض فيه برأيه المائل، ونظره السافل، ويغضب الله تعالى لغضب رسوله؛ ألا ترى إلى قول سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنته أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (قد خبتِ وخسرتِ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله فتهلكي؟)[1]؟؟

• وقوله: (باحثًا عن حتفه): من نعت النبي ﷺ بغير نعته(**)، ووصفه بغير وصفه، جدير أن يضرب وجهه تحسرا وندامة بأظافير كفه.

(*) في حاشية البناني: قوله: (عما آتاه ربه واستأثره به دون أحد من خلقه): أنت تفهم ـ بحملك الفاسد، ورأيك الكاسد ـ أن الذي آتاه ربه وخصه به هو نفس صفة العلم من حيث العموم الحقيقي، وأنه لا بأس بذلك، ولا شرك فيه هنالك. الشرك المذموم عندك هو الشرك في صفة العلم من حيث القدم. وأما من حيث العموم الحقيقي مع بقائها حادثة كسائر صفاته الكاملة، فليس من قبيل الشرك في شيء، وغيرك من سائر علماء الإسلام: أهل العقائد السالمة في علم الكلام، ومن جميع أولياء الله الكرام ـمَنْ تقدم، ومَنْ تأخر منهمـ، [...][2] القيام بما تقولون إلا بالعموم الإضافي الغير المزاحم للتوحيد، والمنافي. فحينئذ، فغضب الله الأعظم وغضب رسوله الأكرم ﷺ إنما هما على من أقر ذلك العموم الحقيقي برأيه الفاسد، ونظره السافل، ويد الله مع الجماعة.

(**) في حاشية البناني: سبحانك أي ما أعظم شانك وأعز سلطانك وسبحان من زيّن

....

---

(1) رواه البخاري في «صحيحه (كتاب المظالم: باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح، برقم 2468 ج2 ص104)؛ وفي (كتاب النكاح: باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، برقم 5191 ج3 ص346)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الطلاق: باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم 1479 ج5 ص424).

(2) كلمة غير واضحة، لعلها (رشده).

• وقوله: (فرأيت الإمساك...) إلخ: ليتك أمسكتَ(*) ولم تخض في المسألة برأيك وظنك، على ضعفك في هذا الشأن ووهنك، فالمسألة منصوصة، لكن بالقائمين بالفن مخصوصة، وأنت لجهلك بذلك أخذتَ تجول من غير وقوف على ما للناس فيها، فسقطتَ على أمّ دماغك، فيا سوء تقلبك(أ) ومراغك.

• وقوله: (لأخينا فلان): مَن يشتري مني إخاء مُهَلهِل(1)؟ أم من يُريد إخاءهُ مجّانًا. إن أردت بالأخوة الإسلامية فالله سبحانه يثبتنا ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾(2)، ويبعدنا عن مواقع زلل الطوائف الهالكة الخاسرة، وإن أردت الأخوة الناصرية فأنا بريء منها معك، لأنك قد انتهجت نهجًا لا

لكل ذي اعتقاد عقده وإن لم يكن إلى الدافع لهم فيه وشده، بل هو من قبيل الباطل بإجماع ذوي البصائر الأفاضل الذين عندهم، أي: من نعت النبي ﷺ بغير نعته ووصفه بغير وصفه، هو من ادعى أن صفة علم النبي ﷺ هي في التعلق كعلم الله العلي الكبير الأعظم كما صممت أنت بهذه الكتابات التي أحرجتنا الحاهرة المسايرات التي ضيعنا بها أنواعًا من الطاعات و[ ] منها عين رب البريات ومقبولة ونصره بجناب ذي المعجزات الباهرة.

(*) في حاشية البناني: خوض الشيخ اليوسي فيها على سبيل التحصيل الذي عليه التعديل ثم تعرض لرد غلطاتك وإبطال أوهامك.

(أ) في (ج) و(د): (فيا سوء منقلبك). وفي (ك): (فيما سوى منقلبك).

---

(1) مهلهل: اسم شاعر، سمي بذلك لرداءة شعره. يقال: ثوب هلهل: رديء النسج. «لسان العرب» لابن منظور (حرف اللام: فصل الهاء ج11 ص705).

(2) مقتبسة من الآية 27 من سورة إبراهيم.

كنهجه، وسلكت فجا غير فجه، صحبة الشيخ العارف ابن الناصر وأنت في باديتك وغنمك، وبين ضالك وسلمك، فرأيت من حسن هديه، ودله، وسمته، ما يفضي بأنه شيخ وقته، وكانت طريقته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أويسية[أ] (*)، وهمته قدسية، بيضاء بلجاء[1]؛ وأما[ب] أن تعلقت أنت وأمثالك من الواردين من نواحي[ت] أطراف الغرب، تدنست وتكدرت، وصارت بين عوجاء وعرجاء، قد اتخذتموها لجمع

(*) **في حاشية البناني:** طريقتهم المستقيمة على كيفيتها السليمة، وقد قدمنا في تلك المقدمة المقصودة ما فيه من ذلك الكفاية التامة، وإن حقه إضرابه عنه محمودة ثبت عندك أن هناك من أطراف المغرب من دنسها وكدرها، حتى صار عوجاء عرجاء، فهو إضرابه عنه من أكابر الناصحين الذين يعينوك على الإنكار على أولائك القوم الغير المفلحين، لا أنه منهم، حاشا وكلا، حاشا وكلا، حاشا وكلا، وقد قال في بعض رسائله العلم عندك هو منهم، لا بثبوث الشرعي أنهم أنت تتصدى وتقيم به الحجة على كل من يدعي بمجرد الأخبار الكاذبة، والآراء على حسب عادة الله تعالى في زمن ثبتت مكانته الإنكار على فحول الأولياء، كما يسن ذلك الأئمة الناصحون.

قال في «الإبريز»: وإذا علمت ما نصرناه به وبرز لك أيقنت أن قوله أخيرًا ما لا

(أ) في (م): (أومية) ساقطة مع وجود فراغ في موضعها. وفي (د): (أويسية). وفي (ك) : (أوسية).

(ب) في (ج) و (د) وفي (ك): (ولـما).

(ت) في (ج) و (د) وفي (ك): (الواردين من ضواحي).

(1) بلجـاء: مؤنث أبلـج: وهو الحسن الـواسع الوجـه. ومنه حديث أم معبد في صفته ﷺ: (أبلـج الوجه). «لسـان العرب» لابن منظور (ج2 ص215).

حطام الدنيا(*) وسيلة ومكيدة، ونصبتم على كل ثنية[أ] حبالة ومصيدة، وهذا الباب إن أخذتُ في شرحه، وذكر ما يتعلق به في جانبكم من عجزكم وبحركم، لا ينحصر في ديوان[ب]، ولا يأتي عليه كتاب، فالإعراض عنه أولى.

• وقوله: (فإذا هو كلام غير محرر): الكلام على هذه المسألة، مما لم يسبقني أحد فيه ـ لله المنة ـ إلى التحرير، لكن لا يظهر ذلك إلا لأهل البصيرة والتنوير، فقوله (غير محرر): قول غير منور.

• وقوله: (لا يقوم منها شيء على ساق): يا نبي الله ورسوله أن تقوم الأحاديث النبوية، والأدلة الشرعية على حامل النجاسة[ت] ومدبرها على الفساق، وإنما هي قائمة على قدم صدق، وكل من أشرق باطنه بمحبة هذا النبي الكريم، ومعرفته فيما أمليناه على وفق، فلا اعتداد بشقاقك، كما لا اعتداد[ث] على وفاقك. كما

إعراض عنه أولى متهافت؛ لأنك أخرجت غير ما مرة من الطريقة المستقيمة بل من الاعتقادات السليمة بالنسبة إلى مقتضيات الكفر. فلم يبق بعد ذلك القصد من هناك.

(*) في حاشية البناني: قوله: (قد اتخذتموها لجمع حطام الدنيا...) إلخ: هذا القول بالنسبة للشيخ اليوسي هو بريء منه عند نسبه وعند جميع الناس من أبناء جنسه من كبار العلماء وفحول الأولياء من أهل عصره المتقدمين وممن بعدهم من المتأخرين، بل وعند شيخه المذكور؛ فهو عنده من قدامى أصحابه الآخذين على حسبه.

(أ) في (م): (ثنية) ساقطة مع وجود فراغ في موضعها.

(ب) في (ج) و (د) وفي (ك): (لا ينحصر بديوان).

(ت) في (ج): (والأدلة الشرعية على حامل النجاسة ومديرها على الساق).

(ث) في (ج) وفي (ك): (كما لا اعتماد على).

وفي (د): (فلا اعتداد بشقاقك كما لا اعتماد على وفاقك).

قيل: ﴿من يفهم عنك، إلا من أشرق في باطنه، بمثل ما أشرق في باطنك﴾[1](*).

* وقوله: (**لا تسمن ولا تغني من جوع**): «أما المؤمن الذي يأكل من معي واحد فيكفيه ذلك، وأما الكافر الذي يأكل من سبعة أمعاء»[2]، فلا يكفيه شيء إلا النار، والسِّمن، وطلبه مما ذمّ الشرع:

(*) **في حاشية البناني**: ضع ذلك القيل في أسوأ القلوب كما تقرر عند أطبائها من الصدمة لا في مجرد الفهم والحمل والتأويل للآيات القرآنية والأحاديث النبوية فإن علماء الأفكار في الانقال والانظار مستوون في أن الكل أهل لذلك مع خلاف مراتبهم ثم إن النقول فلا اشكال بحال [ ][3] فيقيض الله في كل وقت جهابدة الصيارفة أهل القبول والرد بقوة فإنهم من العارضة والعام فيتحكمون بشهادة أذواقهم المستقيمة وبآيات أنقالهم السليمة على خصم المقبول بالقبول والرشد وخصم المردود بالرد. أنت تحكم في مجلس خطة قضائك على خصوم الدين والأموال وهم يحكمون في خلواتهم وصفاء أوقاتهم على خصماء إدراكات الرجال وللحقائق اقدام الفتنة الكتب [ ][3] بل أحكامهم هي الأصل لأحكامك

....

(1) من كلام محمد بن أبى حربة، صوفي (ت نحو 700هـ). «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» أو «الطبقات الكبرى» لعبد الرؤف المناوى (رقم 560 ج2 ص547)؛ وذكر هذا القول – دون ذكر صاحبه ـ ابن القيم (751هـ) في «مدارج السالكين» (ج3 ص155)، وكذا السنوسي (ت895هـ) في «شرح العقيدة الكبرى» (ص200).

(2) هذا القول مقتبس من حديثه ﷺ: (الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معي واحد). رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأطعمة: باب المؤمن يأكل في معي واحد، برقم 5394 ج3 ص393)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الأشربة: باب المؤمن يأكل في مَعِيٍ واحد، برقم 2060 ج7 ص159).

(3) كلام غير واضح في هذا الموضع من المتن.

• قال النبي ﷺ: «**إن أبعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمن**»(1).

• وقال ﷺ لبعض أحبار اليهود وقد كان سمينًا ثخينًا: «**أما تجد في التورية أن الله يبغض الحَبْر السَّمِن؟**»(2).

• وقال ﷺ: (**اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي، أو قرشيان وثقفي، كثيرة**

من حيث أنهم هم الذين ميَّزوا لأمثالك المتفق عليه والمشهور والراجح من الراجح وما به العمل هنالك فكل من حقكْ أن لا تخرج عما طرقت من تلك الخطة الشرحية إلى ما تصديت له من هذه الكتابات الزائفة المتَّسمة على تلك الأوهام التي سير المدك سياتها على سير التتبع التام كما أن الشيخ اليوسي لم يخرج عما يسيء له من القلم البارع المشتمل على التحقيق النافع وما العرب بالباب تكلموا لضربنا يا ذوي الألباب.

....

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، برقم 2651 ج2 ص148)؛ وفي (كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أصحاب النبي ﷺ، برقم 3650 ج2 ص391)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم 2535 ج8 ص145).

(2) أخرجه ابن جرير الطبري (ت310هـ) في تفسيره «جامع البيان في تأويل آي القرآن» (ج9 ص394)؛ وابن أبي حاتم (ت327هـ) في «التفسير» (برقم 7597 ج4 ص1342 عند الآية 91 من سورة الأنعام)؛ والواحدي النيسابوري الشافعي (ت468هـ) في «أسباب النزول» (ص220)؛ والقرطبي (ت671هـ) في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (عند الآية 91 من سورة الأنعام ج8 ص456)؛ وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (برقم 245 ص124): (رواه البيهقي في «شعب الإيمان» وقال: حديث حسن).

شحم بطونهم، قليـلة فقهُ قلـوبهـم)[1](*).

• **وقوله: (وإذا هو قد وقع في ورطة)**: الواقع في الورطة من تعرض بلا علم لما يوجب غضب رسول الله ﷺ وسخطه.

• **وقوله: (لا مخْلَصَ له منهـا)**: من استند إلى حديث المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد أخلـص وتخلـص، ومن اعتمد على رأيه، وعارضه به، فقد تبدّع وتخـرّص.

(*) **في حاشية البناني**: ولله در القائل: إذا كنت لـم تغفل عن الأكل والشرب تسأل فد لحما وتسمن كالكلب، والقائل: إذا كنت لـم تغفل عن الدرس والنظر تقال به علمًا وتعلو على البشر هـ. بالنقل الصحيح والوزن الرجيح فقد طالعت حواشيه على «شرح الكبرى»، وعلى شرح «المختصر المنطقي» له أيضًا[2]، و«شرحه على جمع الجوامع».

....

(1) ليس بحديث النبي ﷺ، وإنمـا هو قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي، كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: (أترون أن الله يسمع ما نقـول؟)، قال الآخر: (يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينـا). وقال الآخر: (إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينـا). فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [الآيـة 22من سورة فصلت]. رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب تفسير القرآن سورة الشورى: باب قوله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾، برقم 4817 ج3 ص241)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، برقم 2775 ج9 ص63).

(2) هـو كتاب «نفائس الدرر في حواشي المختصر» «حاشية على شـرح مختصر السنوسي في علم المنطق» للعلامة اليوسي (ت1102هـ)، كتاب مطبوع عن دار الكتب بنغازي 2009م؛ تح: جمعة مصطفى الفيتوري.

* وقوله: (وفي جهالة يُتضاحك(*) منها):

إن كان فقه المرء في ضحكه ... فالدب في الصحراء ما أفهمه[1]

على أن ضحكك(أ) ضحك الجوزة بين حجرين، والشعرة بين الجلمين[2].

* وقوله: (فرأيت حينئذ الكلام يتعين): إنما يتعين(**) الكلام على من له

(*) في حاشية البناني: مراد الشيخ اليوسي: أن ذلك الاعتقاد الفاسد بمساواة علم النبوءة لعلم الربوبية في عمومه قد يضحك منه بعض العوام السالم الاعتقاد فضلًا عن فحول كبار العلماء أهل القبول والرد والانتقاد.

(**) في حاشية البناني: مراد الشيخ اليوسي: أن غلطك العظيم الواقع في جانب النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وفي جانب المولى تبارك وتعالى لما أوقف ووقف عليه وعلم من نفسه وعلم منه أناس عصره وجنسه قوة عارضة على تبيينه وإبطاله خوفًا من تقليل ذلك عن ربه في تقليد الغلط والوهم لا سببها مثل ذلك

(أ) في (م): (ضحكك) ساقط.

(1) هذا البيت هو للدبوسي الحنفي عبد الله بن عمر بن عيسى أبو زيد الدبوسي (ت 430هـ)، كان ممن يضرب به المثل في النظر واستخراج الحجج، وهو أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود. صنف كتاب «الأسرار وتقويم الأدلة»، و«الأمر الأقصى». «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان (ت681هـ) (ج3 ص48)؛ و«الوافي بالوفيات» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ) (ج17 ص201)؛ وفي «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» لعبد القادر القرشي الحنفي (ت775هـ) (ج2 ص500).

(2) «مجمع الأمثال» لأبي الفضل الميداني (ت518هـ) (ج1 ص428). والجلم: اسم يقع على الجلمين كما يقال المقراض والمقراضان، وهو الذي يجز به الشعر والصوف. «لسان العرب» لابن منظور (ج12 ص102).

بالمسألة إلمام، وأما الجاهل بها فحسبه الصمت، وأن لا يسمع له فيما لا يعلم صوت[أ].

• قوله: (ليتخلص الحق): الحق ما قاله النبي ﷺ(*)، لا ما يقوله من زاغ برأيه، فهذا وبذا فيما لا يعلم.

• وقوله: (من غير تعرض لما في الكراسة): لا شك أن ما في الكراسة عديم الحق والتحقيق هاطل. وصاحب الأساطير ما حصل فيها على حاصل. ولا ظفر بناطل[ب].

• ثم قوله: (فرأيت الكلام إلى آخره): ليس كل من تكلم أصاب، ورُب متكلم في عقله مصاب.

• وقوله: (ويتبين..): لا خفاء أن الحق ما قاله النبي ﷺ مخبرًا عن نفسه عن ربه، ولله در بعض الولاة، وقد ظهر له في نازلة رأيٌ عزم على الأخذ به، فأخبره بعض أهل العلم بحديث يرويه عن النبي ﷺ يخالف رأيه، فكرَّ على نفسه بالعتاب

الغلط الراجح في الصورة إلى تعظيم النبي ﷺ بحيث كل مؤمن ممجد معظم ضال عن التوحيد لا يميل إلا إلى ذلك الاعتقاد المغلط ولا يرجع فهو يصمم عليه قلبه ولا يندفع، وبه تعلم أن قوله إنما يتعيب الكلام على من له بالمشدة إلمام يشير إلى نسبه، وأما الجاهل بها بحسبه الصمت يعرض لليوسي. كما لا يخفى على كل من لم يشبه حضرة النبوة في تعلق علمها بحضرة القدوس.

(*) في حاشية البناني: ما قاله النبي ﷺ الكل يدقق به شبه بعده ينفي وجه الصدا به في فهمه، وحينئذ فالحق هو فهم الجماهير الذي منهم اليوسي المحقق النحرير لا فهمك المنفرد الذي يرده كل من له عقل سالم.

(أ) في (ج) و (د) وفي (ك): (وألا يسمع..).

(ب) في (م): (ولا ظفر بناظل).

وهو يقول: النبي ﷺ يقول كذا وأنت ترى كذا، فمن أنتَ يا جُعَل![أ].

- وقوله: (وحيده من التحقيق عاطل): من تأمل الأساطير وما اشتملت عليه من تناول[ب] الجناب النّبوي[ت] بالقض واللمز والنبز[*] وجد في جيدها حبلًا من مسد، وفصيل أمهاتها لا يحسن اللّسَد[1]، وأن التحقيق والحق في التمسك بما أخبر به النبي ﷺ عن نفسه عن ربه خبر صدق.

(*) في حاشية البناني: حاشا وكلا وقوع الغمز للجناب العلي النبوي من الشيخ اليوسي المحقق السني، بل هو الذي فهم وبين مرتبة النبوة على وجهها ومرتبة الربوبية من غير تشبيه أصلًا لها؛ فما هذا الإلزام الذي تلزم به ذلك الشيخ الإمام، وما هذا الإيهام الذي توهم به عليه من بعده.

- الأدلة العقلية والنقلية الدائرة على أن عمومه إضافي بقي احتمالي تحدثه حقيقيًا كأنه لا وجود له.

- قلنا لك غير ما مرة إنك لم تفهم كلام الشيخ اليوسي على وجهه [ ][2] الذي ذكره ولا هو قبل الوقوع على كلامه وزحاه بعده، وتأمل ما فيه من أوهامه وكلامه فيها صار متعينًا عليه ومندق على كل ما هو لديه حسبما بيناه قبل.

(أ) في (م): (فمن أنت بأجهل).
وفي (د): (فمن أنت يا جمل).
وفي (ك): (فما أنت يا جعل).

(ب) في (م): (تناول) ساقطة مع وجود فراغ.

(ت) في (ج) و (د) و(ك): (الجانب النبوي).

---

(1) اللسد: الرّضع، لسد العسل: أي لعقه. «لسان العرب» لابن منظور (حرف الدال: فصل اللام ج3 ص392).

(2) يوجد بهذا الموضع كلام غير واضح.

• وقوله: (فأقول أين قولك؟): رأيت الكلام فيها والبحث عنها من الفضول. فهذا منك رفض، ورجوع على ما قدّمته بالنقض.

• وقوله: (أن القائل بتعميم علم النبي ﷺ): القائل بالتعميم هو المصطفى ﷺ؛ وإذا لم يكفك قوله، كفاك من سيف شريعته فعله.

• وقوله: (أن يقال له ما تريد بهذا التعميم)[1]: صريح نص حديثه، ينادي عليك بإرادته ومشيئته.

• وقوله: (مستفهمًا في الحقيقي): نعم؛ لم يرد غيره، إذ لا فضيلة(*) فيما

ـ اليوسي من أكابر الفضلاء، ومن قال له احتمال الحرري لكونه عمومه حديثه ﷺ المذكور سيتكلم عليه الشيخ اليوسي بعد الاحتمال الأول من أن العموم حقيقي عند القائل بتعميم علمه ﷺ، وبعد ما أورده على هذا الاحتمال الأول فورد عليه بعد ذلك كله الحديث المذكور؛ فأجاب بأن الحديث المذكور العموم فيه عند العلماء الرشد غضافي مستدلًا عليه بتلك الأدلة العقلية والنقلية عقده حسبما بيناها وإنما أمرتم الاحتمالين في قول القائل تنزيهًا لكون الحديث المذكور مشعر بأدنى شعور بذلك الاحتمال اليتيم المسطر ما أصبت.

هكذا فافهم كلام المحققين النبلاء قبل الشيخ.

(*) في حاشية الحجوي: بل فيه فضيلة وأيُّ فضيلة، بكثرة المعلومات، وإن لم تصل لحد الإحاطة؛ وأما قوله: (ولا خصوصية..): ليس كل ما وقفنا في المشاركة لم تكن فيه الخصوصية، لأن المشاركة في أهل العلم حاصلة، ولكن امتاز بما زاد

....

(1) «تقييد في العلم النبوي» للعلامة اليوسي (ت1102هـ) (ص457).

عداه، ولا خصوصية لمشاركة الغير فيه، وقرينة الحال من انصراف القصد إلى التحدث بنعم الله[أ] وبما استأثره به ﷺ مما لم يحصل لغيره، وإعلام أمته بذلك ليعتقدوه ويعرفوا قدره عند ربه مشاهدة[ب].

• وقوله: (على حد علم الله تعالى): هذا كفر لا يحتمل التأويل(*)، ولا تختلف فيه الآراء ولا الأقاويل، فإن: (التباين[1]........................

به عليهم من اتساعه، وذلك كاف مع أن فضله عليهم صلوات الله أجمعين، هو بمحض الفضل. فلا يعلل بعلم ولا بغيره كما هو معلوم.

(*) في حاشية البناني: يا للعجب! فإن سياق كلام الشيخ اليوسي ـ أي أن مراده بقوله: (على حد علم الله تعالى) ـ: في الشمول والعموم والإحاطة التي لم يبق معها من الإفراد، التي يصح أن يتعلق بها العلم إلا وقد تعلق بها من جميع الواجبات، والمستحيلات، والجائزات. وأما القدم، والحدوث لجناب فأمران فورغ منهما عند أصاغر الولدان، فضلاً عن أكابر الفحول، وذوي العرفان، فما هذا التخليط والإفراطات والطاغات التي ارتكبتها في جانب إمام من الأئمة الثقات؟ قد باد المولى الكريم بها وغفر لك بسببها هـ. كاتبه. [ ][ت] إذا عرض عليه الحديث

(أ) في (د) (ك): (بالنعم).

(ب) في (ج): (شاهده). وفي (ك): (شاهدوه).

(ت) يوجد في هذا الموضع من المتن كلام غير واضح.

(1) التبـاين: هي النسبة بين معنى ومعنى آخر مخالف له في المفهوم، ولا ينطبق أي واحد منها على أي فرد مما ينطبق عليه الآخر. وهو كالمباينة، وهي كون أحد المفهومين يختلف عن الآخر، بحيث لا يصدق أحدهما على كل ما يصدق عليه الآخر، فهما يشتركان باعتبار من الاعتبارات، ويختلفان في بعضها الآخر. «ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة» لعبد الرحمن حبنكه الميداني (ص57)؛ وموسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج1 ص445).

باللوازم[1](أ) دليل التباين في الملزومات)، إذ من لازم علم الله تعالى: القدم، ومن لازم علمه ﷺ(*)، وكل حادث: الحدوث(**)، فما معنى على حد علم الله

المذكور وأشير إليه، كيف يفهم عمومه مع عموم علم الله تعالى؟ بأدنى إشارة لا يفهم معه العموم الإضافي إنما العام لا يعرف كيفية التعبير والعالم يعرفها.

(*) **في حاشية الحجوي**: قوله: (من لازم علمه؛ الحدوث...) إلخ: لا يخفى أن الحادث سوى الله، فهو داخل العالم، وما دخل العالم تناهى ضرورة، فكيف يحيط بما لا يتناهى، ولا يدخل العالم، وكيف يحيط بالقديم ولو كان علم الله يحاط به لكان حادثًا لا أوليتها له لا إحاطة به.

(**) **في حاشية الحجوي**: هذا التستر بالقدم والحدوث، وهو غير كاف في نفي التشبيه، ولا نافع ولا دافع فتأمل وأنصف. فهو كقول المعتزلة إن قدرة العبد حادثة، ولكنها مؤثرة كما تؤثر قدرة الله، فلزمهم التشبيه وما نفعهم قولهم بالحدوث شيئًا.

على أني أتعجب كل العجب من قول هذا المؤلف أن علمه ﷺ إحاطي وحادث؛ فإن وصف الحدوث ينفي الإحاطة؛ إذ الحادث لا يحيط بالقديم، ولا يتصور فيه ذلك أصلا، وأيضا قبل حدوثه، أين المعلومات التي كانت قبله فيما لا يزال، وفي الأزل؟ أليست قد سبقته ولم يحط بها؟ بل وجدت قبل وجوده، فأين العموم؟ وأين الإحاطة؟

(أ) في (د) و(ك): (في اللوازم).

(1) سبق التعريف بمصطلح (اللزوم) في (ص395).

تعالى؟ وبالضرورة إن علم النبي ﷺ الشامل موجود بإيجاد الله تعالى، وتخصيصه نبيه به فضلًا وكرامة، فكيف تذهب إلى أنه على حد علم الله؟ و (الحقيقة مباينة للحقيقة)(1)، ولا جامع بينهما.

ومن فهم كفهمك أنه على حد علم الله تعالى بالكنه والحقيقة(*)، فلا اختلاف في كفره:

حاصله: جمعه في وصف علمه بين الحدوث والإحاطة، جمع بين الضب والنوى، وخبط ينبئ عن فساد تصوره، ومرض ذوقه، والله أعلم لا رب غيره، وقيده محمد الحجوي وفقه الله.

وأيضًا من جملة ما اشتملت الإحاطة كمالات الباري وقد أجمعوا أنه لا يحيط بها أحد إذ هي قديمة لا أولية لها، فكيف تمكن الإحاطة وقد اعترف بالعجز عنها في الحديث الصحيح: **«لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»**(2)، فلا إحاطة، ولا تعميم والله أعلم.

(*) **في حاشية الحجوي**: وإذا أردت الكلام الفصل في المسألة، فهو كلام علماء التوحيد الذين نصوا على المخالفة العظيمة بين علم الله وعلم مخلوق.

ومنهم السنوسي(3)، فإنه نص على أن العلم القديم يباين العلم الحادث في

....

---

(1) «أم البراهين السنوسية الصغرى» بشرح السنوسي (فصل في صفات المعاني: صفة الكلام ص31).

(2) سبق تخريجه في (ص499 ـ 500).

(3) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (832هـ ـ 895هـ)، عالم تلمسان وإمامها وبركتها، له في العلوم الظاهرة أوفى نصيب، جمع من فروعها وأصولها السهم =

ولما «حصر أهل الاعتزال الكلام في الحروف والأصوات، ردّ عليهم ونقض حصرهم أهل السنة بكلامنا النفسي، فإنه ليس بحرف ولا صوت، ولا يلزم من ذلك مساواته لكلام الله تعالى بالكنه»[1].

أمور كثيرة منها: تناهي معلومات العلم الحادث، وعدم تناهي العلم القديم، ومنها إحاطة العلم القديم بالمعلومات على الإجمال والتفصيل بخلاف العلم الحادث، وقواعد التوحيد لا استثناء فيها، وإلا صارت شركًا والله أعلم. وقرروا أيضًا هذا المعنى في نفي المماثلة، وفي الوحدانية، فتعالى سبحانه أن يشبهه أحد من مخلوقاته ذاتًا، ولا صفة، ولا فعلًا، وأن يشاركه أحد منهم كذلك.

....

= والتعصيب، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره سيما التوحيد والمعقول. وقد خصه أحمد بابا التنبوكتي بتأليف سماه «المفاتيح القدسية في المناقب السنوسية»: مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط باسم «اللآلي السندسية في الفضائل السنوسية» (برقم 2594 د)؛ و (برقم 984 د): (وهو اختصار كتاب «المواهب القدسيّة في المناقب السنوسيّة» لصاحبه الإمام العلامة محمد بن عمر بن إبراهيم الملالي (ت898هـ)). له تصانيف كثيرة، منها: «شرح صحيح البخاري» لم يكمله، و«شرح مقدمات الجبر والمقابلة لابن الياسمين» و«شرح جمل الخونجي»، و«عقيدة أهل التوحيد = العقيدة الكبرى» و«أم البراهين» ويسمى «العقيدة الصغرى»، وغير ذلك. المزيد عن ترجمته في «ثبت أبي جعفر أحمد البلوي الوادي آشي (ص436)؛ و«دوحة الناشر» لمحمد الشفشاوني (برقم 118 ص121)؛ و«لقط الفرائد» ضمن موسوعة أعلام المغرب (ج2 ص795)؛ و«درة الحجّال» لابن قاضي (رقم 605 ج2 ص141)؛ و«البستان في ذكر الأولياء بتلمسان» لابن مريم (ص237)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (برقم 696 ص563)؛ وفي «كفاية المحتاج» للتنبكتي (برقم 610 ج2 ص200)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 1010 ج1 ص384)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج7 ص154).

(1) نقله المصنف عن «الإرشاد» للجويني، أبو المعالي (478هـ) (ص109 وما بعدها)؛ =

قال بعض أهل التحقيق[1]: (على طريقة القصر الإفرادي)[2]، فلم يقع الاشتراك بينهما إلا في هذه الصفـة السلبية ردًّا على من زعم مشاركة كلام الله

....

....

= وعن «أم البراهين السنوسية الصغرى» بشرح السنوسي (فصل في صفات المعاني: صفة الكلام ص31).

(1) يقصـد المصنف بـ: (بعض أهل التحقيق): القاضي أبو بكر بن الطيب كما صرح به العلامة السنوسي التلمساني (ت895هـ) في شرحه على «العقيدة الكبرى عقيدة أهل التوحيد» (ص64). وهو القاضي الباقلاني البصري، ثم البغدادي (ت402هـ)، ذكره القاضي عياض في «طبقات المالكية» فقال: (هو الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب المثبتة وأهل الحديث، وطريقة أبي الحسن الأشعري، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة). له تصـانيف في أنواع العلوم ولا سيما الردود على الجهمية والخوارج والكرامية وغيرهم من أهل التحريف، منها: «تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل». و«كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الجحد والعناد». و«التقريب والإرشاد». و«الإنصاف»، وغيرها. ترجمتـه في «تـاريخ بغداد» للخطيب (رقم 927 ج3 ص364)؛ «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (ج7 ص44)؛ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج4 ص269)؛ «سير أعـلام النبلاء» للذهبي (رقم 110 ج17 ص190)؛ «الديبـاج المذهب» لابن فرحون (رقم 56 ج2 ص179)؛ «شـذرات الذهب» لابن العماد (ج5 ص20)؛ «شجرة النـور الزكية» لابن مخلوف (برقم 247 ج1 ص138).

(2) **القصر**: إثبات الحكم المذكور في الكلام ونفيه عما عداه. أو هو تخصيص أمر بأمر بإحدى الطرق. وطرق الحصر كثيرة أوصلها السيوطي في «الإتقان في علوم القرآن» إلى أربعة عشر طريقًا. والقصر الإفرادي: وهو قصر الموصوف على الصفة، أو قصر الصفة على الموصوف. «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص2002). =

لكلامنا النفسي في الحقيقة وفي الصفة السلبية، ولذلك قال: (أما الحقيقة فمباينة للحقيقة، فتحصَّل من هذا أن الاشتراك في الإطلاق اللفظي، لا يلزم منه الاشتراك بالكنه والحقيقة)[1].

قال حجة الإسلام(*) في الكلام على تسمية الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالرؤوف الرحيم(**) مع أنها(أ) من أسمائه تعالى الحُسنى: (أعطاهما

(*) في حاشية الحجوي: قوله: (قال حجة الإسلام...) إلخ: كلام الغزالي صحيح في نفسه في الجملة، ولا يصح شاهدا لما نحن بصدده من صفة العلم، فإن لفظ «عليم» ورد إطلاقه في حق سيدنا يوسف. فهل يصح أن يقال فيه ما قال الغزالي؟ كلا؛ وذلك لأن العلم صفة الذات، بخلاف الرؤوف الرحيم؛ تأمله.

(**) في حاشية الحجوي: (قوله: بالرؤوف الرحيم): لا يخفى أن العلم صفة الذات، وهذه الأسماء من صفات الأفعال[2]، وكل واحد يدرك الفرق بينهما ولا يسوغ قياس أحدهما على الآخر كما هو ظاهر، إذ شرط القياس المساواة، على أنه قال: (وإن لم يكن ذلك على الوجه الأكمل)؛ وبذلك لم يبق دليل له فيه. تأمله.

(أ) في (د) : (مع أنهما).

= وقال العلامة اليوسي في «حواشيه على كبرى السنوسي» (ج1 ص292): (إذا قلنا: لا يوجد مؤمن إلا وهو عارف فقصرنا المؤمن على العارف بحيث لا يتعداه إلى المقلد ونحوه، وهو معنى قصر الإفراد المذكور؛ لزم أن يصدق كل مؤمن عارف، إذ لو كذب كليًا لكان المؤمن أعم من العارف، ولو كان أعم لوجد بدونه، فلم يصح قصره عليه، هذا خلف، فتعين أن يصدق كليا وهو المطلوب).

(1) «أم البراهين السنوسية الصغرى» بشرح السنوسي (فصل في صفات المعاني: صفة الكلام ص31).

(2) صفات الأفعال: هي عبارة صدور الآثار عن قدرة الله تعالى. كخلق الله، ورزقه، وإحسانه، =

له عليه الصلاة والسلام بمعنى من المعاني التي أطلقت به عليه تعالى فجعله ﷺ متجليًا ببعض صفاته، كما جعله متخلقًا بأخلاقه بوجه ما وإن لم يكن ذلك على الوجه الأكمل).

• وفي الخبر: (تخلقوا بأخلاق الله)[1]: ومعلوم أن ذلك لا على المعنى اللائق بجناب العزة، فعلمه ﷺ حادث مخلوق لله تعالى إظهارًا لكرامته ﷺ وزلفاه من ربه، فلا التباسَ ولا اشتباه إلا على أكمه البصر والبصيرة. المصر على هواه، وسيصير إصراره تضميره(أ).

• وقوله: (أم تعميمًا إضافيًا): الإضافي لا فضيلة فيه(*)، ولا خصوصية

(*) في حاشية الحجوي: بل الفضيلة ظاهرة، والتمييز حاصل بتكثير المعلومات، وتقليلها، والأنبياء متفاوتون في مراتب العلم، وعلمه؛ أعلى وأشمل من علوم جميعهم، ومن علوم جميع البشر، وهذا الوفور كاف في ظهور الأفضلية. الحجوي.

(أ) في (ج) و(د) و(ك): (مصيره). وفي (د): (ليعرف قدره).

= وبعضهم يمثلها بالخالق، والرزاق، والمحيي، والمميت. قال ابن العربي: وهي سبعون اسما. «المباحث العقلية في شرح العقيدة البرهانية» لليفرني الطنجي (ج2 ص773).

(1) أورده الإمام الغزالي (ت505هـ) في «إحياء علوم الدين» (ج4 ص523)؛ ووصف ابن القيم (ت751هـ) هذا الأثر بأنه باطل في «مدارج السالكين» (ج3 ص227)؛ وكذا في «بدائع الفوائد» لابن القيم (ج1 ص164)؛ والإمام الشاطبي (ت790هـ) في «الموافقات» (في المسألة السابعة: العلوم المضافة إلى القرآن، ج4 ص203 ـ 204)؛ وقال بكر أبو زيد (ت1429هـ) في «معجم المناهي اللفظية» (ص185): (لا أصل له)؛ وذكره سليمان الأشقر في «أسماء الله وصفاته» (ص149) وقال: (هذا باطل رواية ودراية)؛ وسيأتي في «الروض المعطار» للبناني الحديث حول مسألة التخلق بأخلاق الله عَزَّوَجَلَّ في (ص1215ـ1216).

لحصوله لكثير من خواص عباده، والمقام مقام إظهار ما اختصه به ربه وانشرح له صدره وقلبه، وأئمة الدين والفتوى، أبقوا الحديث(*) على عمومه وانتهجوا به

وفي **حاشية البناني**: قوله: (لا فضيلة فيه...) إلخ: فيه أن مراد الشيخ اليوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفعنا به بالعموم الإضافي في علم النبي ﷺ المرتبة التي فرق كل مخلوق ودون الخالق كما صريح كلامه المحرر وهو معتقد كل ذي قلب متوسط منور فلا محال بقولك: (لا فضيلة فيه ولا خصوصية).

وقولك: (لحصوله لكثير...) إلخ: فيه أن الحاصل لهم المرتبة التي دون مرتبة النبي ﷺ لا نفسها، فالمرتبة العليا التي لا مرتبة فوقها ألبتة، ولا تدانيها مرتبة بالكلية، إنما هي بخلاف الكل، وممده سبحانه، والتي تليها بأسفل منها، لا بمساواتها لها، وهي المرتبة الثانية. إنما هي للواسطة الأعظم ﷺ. وما بعد هاتين المرتبتين، العظيمتين، العاليتين، المتميزتين، زيادة على القدم والحدوث بالعموم الشمولي الإحاطي، والعموم الإضافي هو الذي لباقي خواص عباده من سائر ذوي الفضل، والكمال من الملائكة والأنبياء والرسل وسائر أولياء الله الكمال. هذا التقسيم الثلاث على هذه الكيفية هو معتقد السلف الصالحين، والخلف المفلحين من أهل السنة من علماء الظاهر، وجميع علماء الباطن البحار الزواخر، وكل ما أوهم غيره يجب تأويله، والتصرف فيه بوجه من الوجوه المعتبرة والله الموفق سبحانه.

(*) في **حاشية الحجوي**: وقوله: (إن أئمة الدين والفتوى أبقوا الحديث...) إلخ: لم يبين من هم.

بل أئمة الدين سلكوا مسلك خصمك اليوسي في عدم التعرض لأغوار هذه المسألة، ولا تجرؤا على صفات الله بإثبات المثل مثلك، بل أحجموا وسكتوا

....

....

منهج التقوى، الذي لا تطيق ذوو الأهواء مخالفته ولا تقوى.

• **وقوله: (وقد وقعت في الورطة العظمى)**: الهاوي في الهوة الذي[أ] لا حول له بها ولا قوة، من يؤثر رأيه وهواه على سنة سيده ومولاه، فهذا رسول الله ﷺ يقول: «**أوتيت علم كل شيء**»[1]، و«**تجلى لي علم كل شيء**»[2][*]، وأنت تقول بملء فيك: بعض شيء.

عما لم يكلفهم الله الخوض فيه، ولم يحاسبهم بجهله، وحاشاهم أن يخوضوا فيما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله.

وفي **حاشية البناني**: قوله: (أبقوا الحديث على عمومه): يعني جميع الأحاديث المقتضية لعلمه ﷺ كل شيء أبقوها على عمومها وساقوها سياقه ولكن على حسب ما يليق عنه.

(*) **في حاشية الحجوي**: وقوله: (فهذا رسول الله يقول: أوتيت...) إلخ: هذا غير ما ورد، وكان عليه أن يأتي بسنده، وإلا دخل في قوله: «**من كذب عليَّ متعمدا...**»، وذلك أن قوله: «**أوتيت علم كل شيء...**» إلخ، لم نقف على من خرَّجه بهذا اللفظ. وقوله: «**وتجلى لي علم كل شيء**»: فيه إدراج لفظ «علم» أيضًا، وليس هو في اللفظ الذي عند «الترمذي» و«أحمد»، فحرره. وبه يظهر لك أن قوله إنما أورده على الشارع أن اليوسي إنما أورده على من زاد على لفظ الشارع، أو أراد أن يفهم لفظ الشارع على غير وجهه، ويؤوله بما يخالف القواطع، وأن القواطع توجب عليه رد العموم للخصوص أدبًا مع الله، وسلوكا مسلك الحقيقة.

(أ) في (ج) و (د) و(ك): (الهوة التي).

---

(1) سبق تخريجه في (ص378)؛ (ص389).

(2) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواءُ[1]
ما أن مدحت محمّدًا بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد[2]

• على أن قوله: (يقال له: ما تريد): إنما أورده في الحقيقة على الشارع(أ) صلوات الله وسلامه عليه فإنه القائل:..............................

ومعلوم أن القطعي مقدم على الظني، وحاكم عليه، ولا معنى لتتبع ألفاظ الأحاديث الموهمة والجمود عليها، وترك ما هو قطعي؛ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[3]، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[4]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[5]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ

(أ) في (ج): (إذ إنما أورد اعتراضه في الحقيقة على الشارع).

(1) من قصيدة (عفتْ ذاتُ الأصابع) لحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يمدح فيها النبي ﷺ، ويهجو أبا سفيان بن الحارث الذي كان قد هجا النبي ﷺ قبل إسلامه. «ديوان حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (ص20)؛ وفي «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» لأبي اسحاق الثعلبي النيسابوري (ت427هـ) (عند الآية 22من سورة العنكبوت ج7 ص275)؛ وفي تفسير القرطبي (ت671هـ) «الجامع لأحكام القرآن» (عند الآية 22 من سورة العنكبوت ج16 ص352)؛ وفي «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ) (ج9 ص232).

(2) هذا البيت غير وارد بديوان حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكره ابن الأثير (ت637هـ) في «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» (ج3 ص240). وابن زكري الفاسي (ت1144هـ) في «الإلمام والإعلام» (ص 191).

(3) سورة آل عمران، الآية: 7.

(4) سورة النمل، الآية: 65.

(5) سورة طه، الآية: 110.

«أوتيت علم كل شيء»[1][*]، و«تجلى لي علم كل شيء»[2]، ولا شبهة أن لفظ «كل» وضع لضم أجزاءِ الكم المتصل أو أفراد الكم المنفصل[3]،..............

كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[4]، وكفى قول حبر الأمة: (كل عامٍّ دخله التخصيص إلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[5]؛ وقد تقدمت الأدلة العقلية القطعية القاضية بعدم إحاطة الحادث بالقديم.

(*) **في حاشية الحجوي**: حديث: «**أوتيت علم كل شيء**»: ـ وعلى تسليمه ـ معارض بمثله، ففي حديث الصحيح في محاجة آدم وموسى، قال آدم: «**أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء، واصطفاك على الناس برسالته، وقربك نجيًّا**»[6]؛

....

(1) سبق تخريجه في (ص378)؛ (ص389).

(2) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(3) **الكم عند الفلاسفة**: هو العرض القابل للانقسام بالذات.

وهو على نوعين: كم متصل وكم منفصل. أما الكم المتصل فهو ما يكون بين أجزائه المفروضة حد مشترك. والحد المشترك هو ما يكون نسبته إلى الجزأين نسبة واحدة؛ كالنقطة بالقياس إلى جزأي الخط. وأما الكم المنفصل فهو ما لا يكون بين أجزائه المفروضة حد مشترك، وهو العدد لا غير. «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص2111).

(4) سورة الصمد، الآية: 4.

(5) سورة الأحزاب، الآية: 40.

(6) رواه الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في «الموطأ» (كتاب القدر، برقم 1 ص468)؛ والبخاري في «صحيحه» (كتاب القدر: باب تحاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عند الله عَزَّ وَجَلَّ برقم 6614 =

ويفيد معنى التمام؛ ولضمه وإحاطته كان من ألفاظ العموم[1]:

• وهو إذا أضيف إلى المنكر دالًّا على الواحد كما في الحديث، أو على أكثر أفاد استغراق[2] أفراده نحو ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[3]؛ ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[4].

وكذلك إذا أضيف إلى معرّف مجموع، فإنه يدل على استغراق إفراده نحو كل العبيد جاء، ومنه: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾[5]،

أفيقول مسلم: موسى يعلم كل شيء على الحقيقة قبل ما نسبها هذا المؤلف لسيدنا محمد ﷺ؟ وهل يقول أنه أفضل من محمد؟ كلا.

....

= ج4 ص195)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، برقم 2652 ج8 ص246).

(1) سبق التعريف بمصطلح «العموم» في (ص392).

(2) **الاستغراق**: مصدر معناه الإحاطة بالشيء واستيعابه. وهو شمول التعريف الذي هو تحدبد جنس الشيء أو ماهيته، لجميع أفراد هذا التعريف. وهناك من اعتبر الاسم المفرد إذا دخلت عليه (الألف واللام)، فإنه يفيد الاستغراق.

والاستغراق: هو انغماس قلب الذاكر في ذكر الله بكل مشاعره حتى لا يبقى عنده شعور بما سوى الله. «التعريفات» للجرجاني (رقم 157 ص28)؛ و«موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج1 ص165).

(3) سورة آل عمران، الآية: 185.

(4) سورة المؤمنون، الآية: 53.

(5) سورة مريم، آية: 93.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾(1).

وإذا أضيف إلى المفرد المعرف أفاد استغراق أجزاء المضاف إليه نحو: كل زيد حسن، أو كل الرجل حسنٌ. أي كل أجزائه.

إذا تحرر هذا، تعيّن بقاء «كل» في الحديث على معناه من الإحاطة والعموم؛ إذ لا وجه للعدول عن ذلك مع ظهوره، والتخصيص بلا مخصص من فتور النظر وقصوره. على أن القول بأن العموم إضافي غض من مرتبة الشارع (*)، ومن وفور علمه.

(*) في حاشية الحجوي قوله: (غض من مرتبة الشارع...) إلخ: من فرّق بين علم الخالق وعلم المخلوق، لا يغض من مرتبة المخلوق: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾(2)، ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾(3)؛ والله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(4)، فهذه سفسطة (5) ظاهرة.

وراجع شراح «المختصر»(6) تعلم معناه، ولو حكمنا بكلام المؤلف على الشيخ

---

(1) سورة مريم، آية: 95.

(2) سورة مريم، الآية: 93.

(3) سورة النساء، الآية: 172.

(4) سورة الشورى، الآية: 11.

(5) سبق التعريف بمصطلح «سفسطة» في (ص406).

(6) من بين شروحات «مختصر العلامة خليل بن إسحاق الجندي المصري المالكي (ت 776هـ): «التاج والإكليل شرح مختصر خليل» للمواق محمد بن يوسف، أبو عبد الله (ت897هـ)؛ و«شفاء الغليل في حل مقفل خليل» لمحمد بن أحمد بن غازي العثماني (919هـ)؛ «مواهب الجليل في شرح مختصر خليل» لمحمد بن عبد الرحمن الطرابلسي =

خليل لكفرنا قليلاً أيضا، حيث قال: (وفور علمه)[1]، ولم يقل: (إحاطة علمه) التي ادعاها هذا المؤلف عفا الله عنه، فلأي شيء عول صاحب «المختصر» عن الإحاطة إلى لفظ: (وفور علمه)، إلا لأنه لا يقول بها، فكلام «المختصر» نفسه دليل لكلام اليوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل هو عينه، نعوذ بالله من المراء والجدل، فهذا الذي أهلك الأمم قبلنا، وضيع أصول دينهم، فـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[2].

وكل من له إلمام بعلوم الشرع يعلم صحة ما قلناه، ويتيقن برهان ما سطرناه، وهو المسؤول أن يعصمنا من الزلل، ويوفقنا لصالح القول والعمل؛ وانظر إلى قول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا في الصحيح: (من حدثك أن محمدا يعلم الغيب فقد كذب)[3]:

= المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (ت954هـ)؛ «شرح» العلامة محمد بن عبد الله الخرشي (ت1101هـ) على «مختصر خليل»؛ و«نور البصر في شرح المختصر» لأحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي (ت1175هـ)؛ «حاشية» محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت1230هـ) على «الشرح الكبير» للإمام أحمد الدردير على «مختصر العلامة خليل»؛ و«حاشية» الإمام أحمد الرُّهوني (ت1230هـ) على «شرح الزرقاني لمختصر خليل»؛ و«الإكليل شرح مختصر خليل» لمحمد الأمير المالكي المغربي الأصل (ت1232هـ) تح: عبد الله الصديق الغماري؛ و«ميسر الجليل في شرح مختصر خليل» مختصر بابه بن اعبيد الديماني الموريتاني المالكي (ت1277هـ)؛ و«منح الجليل شرح مختصر خليل» لمحمد بن أحمد بن محمد عليش (ت1299هـ)....

(1) «مختصر العلامة خليل المالكي» (ص239).

(2) سورة البقرة، الآية: 156.

(3) سبق تخريجه في (ص393).

وفي متن «المختصر»: (أو وفور علمه عطفًا على ما يقتل به من صدر عنه شيء من ذلك حدًّا بلا استتابة)[1](*).

- فهل هذا غض من علمه عليه الصلاة والسلام؟

- وهل المؤلف يرى كفر عائشة فيكون زلله أفظع من زلل أصحاب الإفك[2]؟ نعوذ بالله. الحجوي.

في حاشية البناني قوله: (غض عن مرتبة الشارع...) إلخ: فيه نظر لا يخفى على من فهم العموم الإضافي على وجهه حسبما بيناه قبل، فأنت ترى التاجموعتي يلزم لليوسي ما هو بريء منه إما لسوء الفهم أو لغيره مما الله به أعلم.

في حاشية البناني قوله: (وفور علمه...) إلخ: هذا أيضًا لا يلزم اليوسي لأن الذي بالقول به إنما هو مساواة للربوبية بعموم العلم والإحاطة. الوجه المقتضي للعدول عن الإحاطة والعموم على حد الإحاطة والعموم لعلم الله سبحانه وما تقرر في أذهان العامة السالمة وعقول الخاصة المستبقية من الأدلة النقلية والعقلية المقتضية لكون النبي ﷺ بالنسبة لجميع أوصافه السَّمية في الدرجة الثانية بالنسبة لمرتبة الربوبية ولو تتبعنا تفاصيلها لطال المجال.

(*) في حاشية الحجوي: قال شيخ شيوخنا محمد بن المدني كنون[3] ....

....

---

(1) «مختصر العلامة خليل المالكي» (ص239).

(2) حديث الإفك، سبق تخريجه في (ص449).

(3) هو الفقيه المصلح محمد بن المدني كنون (ت 1303هـ)، ينحدر من أسرة أولاد كنون، أحد أبرز البيوتات العلمية العريقة بمحروسة فاس، من آثاره: «اختصار حاشية الرهوني =

....

فـي ختمة[1] «المختصر» ما نصه: (وليث بعده - يعني بعد كلام التجموعتي- هذا الفقيه بن مسعود جموع موافقًا له ما نصه: (أخرج الترمذي وأحمد بسنديهما

....

= على شرح الزرقاني لمختصر الشيخ خليل»؛ و«الدرر الدرية المستنيرة بحديث لا عدوى ولا طيرة»؛ و«كفاية المحتاج في حكم استعمال المحلّى والديباج»؛ و«اختصار رسالة أبي علي الفجيجي في طرق الأئمة الصوفية»؛ و«تعليق على مختصر الرازي اللغوي في السيرة النبوية»؛ و«نزهة الألباب في ذكر النافع بالإجماع»؛ و«رسالة في التحذير من إهانة العلماء»؛ وغير ذلك. «فهرسـة العلامة محمد بن قاسم قادري (ت1331هـ)» (ص83)؛ و«سلـوة الأنفاس» للكتاني (برقم 831 ج2 ص412)؛ و«شجرة النور الزكية» لمحمد مخلوف (برقم 1694 ج1 ص610)؛ الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام للسملالي (برقم 881 ج7 ص54)؛ «فهرس الفهارس» لمحمد عبد الحي الكتاني (برقم 286 ج1 ص497)؛ و«معجم المطبوعات المغربية» للقيطوني (برقم 163 ص63)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج7 ص94)؛ و«إتحاف المطالع» لعبد السلام ابن سودة (ج1 ص288)؛ و«معجم المؤلفين» لكحالة (برقم 15967 ج3 ص709)؛ و«معلمـة المغرب» (ج20 ص6833).

(1) إن الختمات أو الختم من العادات المحمودة، والسنن الكريمة المعهودة التي سجلها تاريخ الفكر الإسلامي، وعرفتها مراكز الثقافة بمناسبة انتهاء العالِم أو الشيخ من تدريس فن من الفنون، حيث يُعقد مجلس حافل يسمى «يوم الختمة» يكلل به مجالس الشيخ في الفن الذي يدرسه، من نحو أو فقه أو تفسير أو حديث، ويختم فيه الكتاب الذي درسه لطلبته وتلاميذه، بعد أن يستعد لختمته ويجتهد في اختيار موضوعه، مركزا على علومه ومعارفه، مفرغًا كامل جهده وطاقته، ليكون مبرَّزًا فيه بسبب حضور علماء البلد وشيوخها معه في ختمته، مما يدفعه لإظهار عبقريته ومقدرته العلمية، وخاصة في موضوع الختم أو الفن المختوم. وقد يحضرها في أحايين كثيرة الملوك والأمراء والكبار كما حدث في المغرب مرارًا، وقلما يتصدى للختم إلا المبرَّزون والنبغاء وكبار العلماء، مما يجعل الختمة بمثابة =

إلى معاذ بن جبل قال: (احتبس عنا رسول الله..)[1]، ونقل الحديث السابق، وقد سبق، وفيه: «**فتجلى لي كل شيء، وعرفت**» وفي لفظ آخر: «**فتجلى لي كل شيء، وعلمت ما في السموات، وما في الأرض، وما بين المشرق والمغرب**»، قال: وقد أخرج حديث: «**أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس**»[2] الإمام أحمد، قيل: وهو حديث صحيح؛ وأخرج نحوه أحمد وأبو يعلى عن ابن مسعود، وقال الشيخ إبراهيم اللقاني[3]: (الحق ما قاله جمع: إن الله لم يقبضه حتى أطلعه الله على كل ما أبهمه عنه، إلا أنه أمره بكتم بعض، والإعلام ببعض)[4].

وذكر العراقي في «شرح المهذب»[5] أنه ﷺ عُرضت عليه الخلائق من لدن آدم

= أطروحة أو عرض تمتاز بإملاآت واجتهادات وعروض شيقة في الفن المختوم. مجلة «دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف (العدد 240 ذو الحجة 1404هـ ـ شتنبر 1984م)، مقال: «ختمات صحيح البخاري» للدكتور يوسف الكتاني (ص61).

(1) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(2) سبق تخريجه في (ص378).

(3) سبقت ترجمته في (ص425).

(4) «حاشية» الصعيدي العدوي المالكي المصري (ت1189هـ) على «كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» لعلي بن خلف المنوفي المالكي المصري (ت939هـ) (ج1 ص199).

(5) لعله كتاب «التعليقة في شرح المهذب لأبي إسحاق الشيرازي» للشيخ أبي إسحق إبراهيم بن منصور بن المسلم المصري الشافعي المشهور بالعراقي (ت596هـ)، ذكر الصفدي أنه في عشرة أجزاء، وفي «شذرات الذهب» نحو خمسة عشر جزءًا. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 161 ج21 ص304)؛ و«الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 243 ج6 =

إلى قيام الساعة، فعرفهم كلهم، وذكر أيضًا حديث حذيفة الطويل[1] المذكور فيه الفتن وما يكون فيها، وقال فيه: (ما ترك شيئًا إلا سماه باسمه، واسم أبيه وقبيلته إلى يوم القيامة)، ومنه أخذ الجفر والجامعة الذي رواه جعفر الصادق عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإن توقف بعضهم في صحته كما ذكره ابن خلدون في أول «تاريخه». وفي «الصحيح»: «**ما من شيء لم أكن رأيته في مقامي هذا..**»[2].

وأخرج أحمد والطبراني عن عبد الرحمن بن عابس الحضرمي عن رجل من الصحابة حديث: «**وتجلى لي كل شيء**»[3]، وذكر في «العهود المحمدية»، و«الفتوحات المكية» أن قوله ﷺ في حديث التأبين: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[4]: (إنما كان منه ﷺ ذلك حيث كان في مقام غلبة الشهود، وهو مقام قوله: «**لي وقت لا يسعني فيه غير ربي**»[5]، وأما في غيره، فكان أعرف الناس بأمور الدنيا

= ص97)؛ و«طبقات الشافعية» للسبكي (برقم 728 ج7 ص37)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج6 ص529).

(1) سبق تخريجه في (ص423).

(2) سبق تخريجه في (ص390).

(3) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(4) سبق تخريجه في (ص394 ـ 395).

(5) حديث: «لي مع الله وقت لا يسع فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل»، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (رقم 926 ص356): (يذكره المتصوفة كثيرًا، وهو في «رسالة القشيري» لكن بلفظ: (لي وقت لا يسعني فيه غير ربي)، ويشبه أن يكون معنى ما للترمذي في «الشمائل»، ولابن راهويه في «مسنده» عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل: (كان ﷺ إذا أتى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله تعالى، وجزء لأهله، وجزء =

والآخرة)[1].

ثـم إن هذا التفصيل في ابتداء الحال، أمّا حيث بلغ الغاية في الكمال ـ ولا غاية لكماله ﷺ ـ؛ صار لا يحجبه الحق عن الخلق، ولا الخلق عن الحق، يعطي كل ذي حق حقه، ويعرف كل ذي قسط قسطه. وكيف لا؟ وهو الحقيقة الأعظم، والمظهر الأفخم ﷺ؛ ويدل على ذلك قوله في حديث اليد بين الكتفين: «**فعلمت علم الأولين والآخرين**»[2]، ومشاورته ﷺ لأصحابه إنما كانت تطييبا لخواطرهم وتأليفا لقلوبهم. وفي «همزية» ابن زكري في:

سدرة المنتهى انتهى عندها العلم وعلمه ليس فيه انتهاء[3]

قال في «شرحه»: (أي: وعلم رسول الله ليس فيه انتهاء، أي: ليس في متعلقه الذي هو المعلوم أو العلم بمعنى المعلوم، وهذا ما ذكره السيوطي في «الخصائص الكبرى» من: (أنه ﷺ أوتي علم كل شيء حتى الخمس التي هي

= لنفسه، ثم جزّأ جزأه بينه وبين الناس)؛ «الأسرار المرفوعة» للملا علي القاري (رقم 392 ص291)؛ وفي «كشف الخفاء» للعجلوني (برقم 2159 ج2 ص173).

(1) «الفتوحات المكية» لابن عربي الحاتمي (ج1 ص221).

(2) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(3) «همزية» العلامة ابن زكري (ت1144هـ)، مخطوط بالمكتبة الوطنية (برقم 1071د) (اللوحة 32)؛ وفي «شرحه» لها مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 2474) (الوجه 116)؛ وفي «النور اللامع وكنز رواة المجامع» للبناني، مخطوط بالمكتبة الوطنية (برقم 650ك) (اللوحة 162).

علم الساعة وما معه، وكذا علم الروح، ولكنه أمر بكتم ذلك)[1]، وما ظنك بعلم منه علم اللوح والقلم كما قال البوصيري: وأما نفس العلم الحادث فهو مخلوق متناه) هـ[2].

وقال أيضًا في شرح قوله:

لو تتبعت ما لهم من مزايا   لاعتراك تسلسل وعناء[3]

ما نصه: (ومن تلك المزايا -بل هي أعظمها-: أنواع المعارف، وهي غير متناهية؛ فإنه ﷺ لا يزال يترقى في مقامات العرفان[4]، ومتعلقات معرفية

(1) «الخصائص الكبرى» للسيوطي (ج2 ص335).

(2) «همزية» العلامة ابن زكري (ت1144هـ)، مخطوط بالمكتبة الوطنية (برقم 1071د) (اللوحة 32)؛ وفي «شرحه» لها، مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 2474) (الوجه116)؛ وفي «النور اللامع وكنز رواة المجامع» للبناني مخطوط بالمكتبة الوطنية (برقم 650 ك) (اللوحة 162).

(3) (اللوحة 88) من «همزية» العلامة ابن زكري؛ وفي (الوجه251) من «شرح الهمزية» العلامة ابن زكري».

(4) **العرفان**: عند الصوفية هو المعرفة بالله معرفة قائمة على الكشف والشهود، ومعرفة علوم الظاهر والباطن، وعلم التأويل لما تضمنه علم الظاهر من معان، ويسمى: الحكمة.

قالوا: وهذا العلم لا يجوز كشفه ولا إذاعته، ولا ادعاؤه؛ ومن كشفه وأذاعه وجب قتله واستحل دمه. قال ابن عربي:

يا رُبّ علم لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي   يرون أقبح ما يأتونه حسنا

«موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص1634).

لا تتناهى، ومعارفه ليست كمعرفة غيره.

وفي بعض أجوبة الهمام العارف[1] بالله تعالى سيدي يوسف الفاسي: (فقلبه ﷺ معدن الحقائق والأسرار، وباطنه معدن العلوم والأنوار، خص ﷺ بذلك لاتساعه بما وسعه، لا يسعه غيره؛ فأرواح العلماء، وقلوب العارفين، وسائر النبيئين والمرسلين، وجميع عباد الله الصالحين، تتلقى من روحه ﷺ العلم، والحكمة، والمعارف الربانية، والأسرار الملكوتية؛ فكل علم وحكمة نقطه من بحره ﷺ.

قال: فمعرفته ﷺ كما يليق بمقامه وعلو منزلته، وحقيقة ذلك لم يدركها أحد بفهمه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[2] من ظواهر الأمور دون بواطنها، وجليها دون خفيها، فالفهوم كلت، والعقول وقفت فما طلبت الاستشراق، وتضاءلت عن إدراك خفي سره، والوقوف على حقيقة أمره، وما يعلم ذلك إلا الله الذي خصه به سبحانه) هـ. المراد منه[3].

---

(1) العارف: من أشهده الله ذاته، وصفاته، وأفعاله. فالمعرفة حال تحدث من شهوده. «اصطلاحات الصوفية» لعبد الرزاق الكاشاني (ص124). وقال ابن الخطيب في «روضة التعريف بالحب الشريف» (ص433): (العارف: هو الصوفي الذي بلغ مقام المعرفة. والمعرفة عندهم هي: اختراق المراتب الحسية والعقول القدسية، والبروز إلى فضاء الأول، حيث يفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل مع عمران المراتب، ورؤية الجائز في الواجب). «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص1574).

(2) سورة البقرة، الآية: 255.

(3) «مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن» لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت1052هـ) (ص256).

على أنه ذهب جمع من فحول الأئمة، وأكابر علماء الأمة إلى أنه ﷺ لم يمت حتى علم كل شيء، حتى الخمس المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ.. ﴾ الآية[1]، وممن نص على ذلك السيوطي وغيره) هـ[2].

لكن لا يخفى أن عموم علمه؛ محمول على ما يليق به أن يعلمه، إذ حقيقة الحق تعالى غير مدركة للبشر مطلقًا، والإحاطة في العلم إنما هي من خواص القديم كما صرح به السدِّي في مواضع من «شرح المواقف للإمام الفخر»، وغاية ما ذكر في «الفتوحات» إمكان تعلق العلم الحادث بما لا يتناهى، ثم قال: (وما رأينا أحدًا حصل له العلم على الكمال، ولا سمعنا به»[3]، والله يتولى هدايتنا ويلهمنا رشدنا بمنه وكرمه آمين).

وقال الشيخ الشعراني في «اختصار الفتوحات»[4]: (اختلف أصحابنا في العلم الحادث هل يتعلق بما لا يتناهى من المعلومات أم لا؟ ولكن ما نقل إلينا أنه حصل لأحد في الدنيا ولا أدري في الآخرة ما يكون؟ فإنا علمنا أن محمدًا ﷺ قد عَلِم عِلْم الأولين والآخرين، ومع ذلك فقد قال عن نفسه أنه يحمد الله غدا يوم القيامة بمحامد يُعلِّمها الله له، وفي ذلك الوقت، لا يعلمها الآن، ولو علمها

(1) سورة لقمان، الآية: 34.

(2) (الوجه251) من «شرح الهمزية» للعلامة ابن زكري، مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 2474).

(3) ينظر «الفتوحات المكية» لابن عربي الحاتمي (ت638هـ) باب 206، في حالة التجلي ج2 ص174.

(4) هو كتاب «لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي» لعبد الوهاب الشعراني (ت973هـ)، تح: أحمد فريد المزيدي، تاريخ الإصدار: 2015-06-08، عن دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

غيره لـم يصدق قوله: «علمت علم الأولين والآخرين»[1]، وهو ﷺ الصادق في قوله؛ فحصل من هذا: أن أحدًا من الخلق لـم يتعلق علمه بما لا يتناهى، وهـذا ما تكلم الناس في إمكانه، وما كل ممكن واقع، ووقوع الممكنات من المسائل المعلقة، وكيف يكون؟ ثـمَّ ممكـن، ولا يقـع؟)[2] هـ.

فالمحققون إذن: أن تعلق العلم الحادث بما لا يتناهى غير ممكن قطعًا، لما يلزم عليه من الإحاطة بالذات العلية، والأسماء والصفات ونعوت الذات، والعقل في عقال عن الإحاطة بالقديـم المتعال.

والحاصل: أن العموم المذكور يجب تخصيصه بغير ما يرجع للحق تبارك وتعالى، فلا يجـوز عقلًا علمه ﷺ بكل ما تعلق به علمه تعـالى؛ ويجب حمل كلام من عمم على هذا التخصيص، كما يجب حمل كلام من أنكر على إنكار التعميم من غير تخصيص، فيتفق القـولان، ولا ينفى في المسألة خلاف أصـلًا؛ والله تعـالى أعلـم) هـ كلام كنون.

وهـذا توفيق حسـن؛ لكن من جهة كلام اليوسي فهو صريح ممـا حمله عليه من إنكار التعميم فقط، أما كلام التجموعتي، فـلا يتنزل عليه هذا التوفيق، لأنه مصرح بإنكـار كلام اليوسي مثبتًا للتعميم، والشمول، والإطـلاق الحقيقي، والمساواة لعلـم الله، حتى أنه التجأ للفرق بالقـدم والحـدوث، ولو كان يخصص ما احتـاج للفرق، فتأمله.

---

(1) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(2) ينظر «الفتوحات المكية» لابن عربي الحاتمي (ت638هـ) الباب 47، في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية ومقاماتها ج1 ص384.

....

ثم إن ما ذكره الشعراني من الخلاف، في إمكان تعلق العلم الحادث بما لا نهاية له، هو غير ما ذكرناه فيما سبق من كونه لا تمكن إحاطة الحادث بما لا يتناهى، والفرق ظاهر بين المسألتين، وهذا لا يمكن جريان الخلاف فيها، ولا يعقل إحاطة ما له بداية بما لا بداية له أصلا، كما لا يعقل إن يقال أن العلم الحادث لا نهاية له، والفرض أنه حادث له بداية، وتلك البداية هي عين النهاية، فهو كقول الفلاسفة بحوادث لا أول لها، بل أشنع، لأنهم إنما قالوا بحدوث الشخص لا النوع، فأمكنهم التفصي في الجهة عن التناقض البديهي، أما هؤلاء فيقولون إن علمه حادث بعينه، ولا نهاية له، وهذا نهاية الخَوَر[1]، والله أعلم.

نعم؛ من لم يصرح بمراده منهم، يمكن حمل كلامه على تأويله بأن «عدم التناهي» المراد به كثرة المعلومات، ووفور العلم، لا أن المراد الحقيقة مثل ما وصف بها العلم القديم، وقد قال العلماء: (إن العلم الحقيقي، والقدرة الحقيقية، والسمع الحقيقي هو لله وحده، وهكذا سائر نعوت الكمال، وأما غيره فإنما له ذلك مجازا)؛ وقالوا: (إن غاية ما نتعقل من معنى علمه تعالى هو عدم الجهل كليا، ومن قدرته هو عدم العجز، وهكذا؛ فهي صفات المعاني، ولكن غاية ما تصل إليه عقولنا هو السلب[2]، ولذا كان جميع قواعد التوحيد مأخوذة من

....

(1) الخَوَرُ: الضعف، ورجل خوّار: ضعيف. «لسان العرب» (حرف الراء: فصل الخاء: مادة خور، ج4 ص262).

(2) السلب: هو الحكم بنفي شيء عن شيء. لأن النفي والسلب واحد. وهو مقابل الإيجاب، والمراد به مطلقًا: رفع النسبة الوجودية بين شيئين. «المعجم الفلسفي» لجميل صليبا (ج1 ص665)؛ و«موسوعة المصطلح» للكتاني (ج2 ص1281).

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]، فمدار تلك القواعد على التنزيه، وعدم التعطيل، فهو سبحانه الموصوف بالصفات الكمالية، المنزه عن الآفات، الذي ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[2].

بقي أن نتكلم على حديث في «صحيح مسلم»، ربما يتمسك به التجموعتي، ولا دليل له فيه، وهو: ما رواه أنس بن مالك: (أن النبي ﷺ خرج حين زاغت الشمس، فصلى بهم صلاة الظهر، فلما سلم، قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن قبلها أمورًا عظامًا، ثم قال: **«من أحب أن يسألني عن شيء فليسألني عنه، فوالله! لا تسألونني عن شيء إلا أخبرتكم ما دمت في مقامي هذا»**، ـ قال أنس بن مالك ـ: فأكثر الناس البكاء حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ؛ وقد أكثر رسول الله ﷺ أن يقول: «سلوني»، فقام عبد الله بن حذافة، فقال: (من أبي؟) فقال: (أبوك حذافة)، فلما أكثر رسول الله ﷺ من أن يقول: «سلوني»، برك عمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – فقال: **«رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»**، قال: (فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك؛ ثم قال: **«والذي نفس محمد بيده، لقد عرضتا عليّ الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الحائط، فلم أر كاليوم في الخير والشر»**[3].

زاد في رواية أخرى له: **«أن الناس سألوا نبي الله حتى أحفوه بالمسألة، فخرج ذات**

(1) سورة الشورى، الآية: 11.

(2) سورة الصمد، الآية: 4.

(3) سبق تخريجه في (ص418).

يوم فصعد المنبر..» الحديث[1].

وفي رواية له عن أبي موسى قال: (سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها ثم أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: «سلوني عما شئتم..) الحديث[2].

وفي رواية للبخاري في «التفسير» عن ابن عباس: أنهم سألوه عن الساعة.

هذا الحديث، قد يتمسك بقوله: «سلوني عما شئتم»، وبقوله: «لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم»، وهذا تمسك أوهى من بيت العنكبوت[3]، إذ جوابه عن كل ما يسأل عنه في كل مقامه ذلك، كما هو مقيد به في الحديث لا يدل على العلم الإحاطي، ليس هو كل ما سئل، أو يسأل عنه كما هو ظاهر، قال الأبي: (قوله: «لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به»، قال عياض: (هذا لا يمكن أن يقوله إلا عن وحي، فإنه ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله) هـ بحروفه[4]، ونقله السنوسي أيضًا وسلمه، وزاد النووي عليه: (قال العلماء: وهذا منه ﷺ

---

(1) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الفضائل: باب توقيره وترك إكثار سؤاله، برقم 2359 ج7 ص450).

(2) سبق تخريجه في (ص418).

(3) أوهى من بيت العنكبوت: من الأمثال المضروبة في المبالغة والتناهي. «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (ج2 ص329).

(4) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (ج7 ص331 ـ 332)؛ وفي «صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم» للأبي و«شرحه مكمل إكمال الإكمال» للسنوسي (ج6 ص151).

وألفاظ الشارع تفهم على ظاهرها ما لم يمنع من ذلك مانع ، ولا مانع في المسألة عقلًا ولا نقلا(*) ، ألا ترى قوله : ....

محمول على أنه أوحي إليه)[1]، فنسبه للعلماء، فظاهره أنه إجماع؛ ثم نقل عن القاضي ما نصه: (وظاهر الحديث أن قوله ﷺ: «سلوني»[2]، إنما كان غضبًا كما صرح به في الرواية الأخرى، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: «سلوني»...) هـ[3].

فهذا الذي في السنة، وهذا الذي عند علمائها، وليس من الابتداع في شيء، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومن الأدلة القرآنية، قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[4]، يعني الآلهة التي يدعونها من دون الله جعل سبحانه من الأدلة على نفي الألوهية عنهم، أنهم لا يشعرون، ولا يعلمون وقت البعث؛ فلولا اختصاص الإله الحق بعلم الساعة، ما تم الدليل على نفي الألوهية عنهم. وراجع ما للمفسرين في الآية، ترشد.

(*) في حاشية البناني: قوله: (ولا مانع في المسألة عقلًا ولا نقلًا): قد قلنا قبلُ إن الموانع من ذلك ـ العقلية والنقلية ـ مقررة في أذهان العامة والخاصة، ولكن حيث صرحت هنا بأنه لا مانع في المسألة على سبيل الكلية السالبة، فلنفصح هنا

....

(1) «صحيح مسلم بشرح الإمام النووي الديباج» (كتاب الإيمان: باب الاستثناء، ج6 ص189 ـ 190).

(2) سبق تخريجه في (ص418)؛ وفي (ص591 ـ 592).

(3) «إكمال المعلم» للقاضي عياض (ج7 ص332).

(4) سورة النحل، الآية: 21.

«إني لأراكم من وراء ظهري»[1]، فقد أبقوه على ظاهره:

قال الإمام الشافعي : (هذه كرامة[2] من الله أبانه بها على خلقه)[3].

وقال ابن حجر: (هي رؤية إدراك بالبصر)[4]، والرؤية الواقعة على جهة الكرامة ، لا تتوقف على شعاع ولا على مقابلة عند أهل السنة ، وما قيل من أنه: (كان له عينان بين كتفيه ﷺ كسم الخياط لا تحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه)[5]، والأصل عدمه.

بما استحضرناه من الموانع العقلية والنقلية ـ وهي عدة ـ؛ لتنهدم كليتك السالبة.

فنقول ومن الله تعالى ثم نبيه ﷺ المستمد في كل منقول ومعقول:

قوله: (أبقوه على ظاهره): ليس فيه ما يقتضي الإحاطة والعموم كالإحاطة بعلم الله سبحانه.

....

(1) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (كتاب قصر الصلاة في السفر: باب العمل في جامع الصلاة برقم70 ص89) ؛ والبخاري في «صحيحه» (كتاب الصلاة: باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة، برقم 418 ج1 ص101) ، وفي (كتاب الأذان: باب الخشوع في الصلاة، برقم 741ج1 ص162) ؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة: باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها رقم 424 ج3ص247) .

(2) سبق التعريف بمصطلح «الكرامة» في (ص411).

(3) قول الإمام الشافعي أورده البيهقي في «دلائل النبوة» (ج6 ص73، باب ما جاء في رؤية النبي ﷺ أصحابه وراء ظهره) ؛ والذهبي في «تاريخ الاسلام» (ج1 ص695) .

(4) «فتح الباري» لابن حجر (كتاب الصلاة: أبواب استقبال القبلة: باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكر القبلة، ج1ص732).

(5) «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني (كتاب الصلاة: أبواب استقبال القبلة، ج1ص732)؛ وفي «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للمناوي (ت1031هـ) (رقم 154ج1 ص145) .

فكذا نقول هنا:

الإحاطة بجميع ما ذكرته يا فُلُ! مفصلًا على سبيل الإنكار(*) والاستغراب جاءك من قياس عقلك الناقص الإدراك على(أ) إدراك من تستمد من إدراكه جميع المدركات من إنس أو جن أو ملك(ب):

قاسَ هنا اليوسي قياسًا فاسدًا فجعل البابين بابًا واحدًا[1]

• فإن قيل: ما معنى «شيء» في الحديث؟

(*) في حاشية البناني: قوله: (على سبيل الإنكار): إنكار الشيخ اليوسي إنما هو منصب على مساواة علم النبي ﷺ لعلم الله سبحانه في العموم والإحاطة كما بيناه قبل، وأما القول بعموم علم النبي ﷺ حسبما رُويت تلك الأحاديث من غير مساواة لله سبحانه فلا ينده بل يقول به ويقره.

وقوله: (جاءك من قياس عقلك...) إلخ: هذا تقول على الشيخ اليوسي وإلزام له بما هو بريء منه، ويا ليت عقلك أيها التاجموعتي كان مثل عقل اليوسي في هذه المسألة من حيث المحافظة على مرتبة الربوبية ومرتبة النبوءة حسبما بيناه قبل، والله الموفق.

(أ) في (د) و(ك) : (عن إدراك).

(ب) في (د) و(ك) : (من إنس و جن و ملك).

---

(1) هذا البيت مقتبس من «تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام» لأبي بكر محمد بن عاصم الغرناطي (ت 829هـ) (البيت 558 ص51)؛ و«شرح الإمام ميارة الفاسي» (ت1072هـ): الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام» (ج1 ص451)؛ وكذا «البهجة في شرح التحفة» لأبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي الفاسي (ت1258هـ) (ج1 ص690):

وقال قد قاس قياسًا فاسدًا من جعل البابين بابًا واحدًا

وفي موضع آخر من «شرح ميارة الفاسي الإتقان والإحكام » (ج1 ص453)؛ وكذا =

• قلنا: «شيء له إطلاقات أربع في اللغة[1]»:

- فإن اعتبر أخذه من المشيئة[أ] مطلقًا من غير تقييد، كان بمنزلة مَشِيٍّ، ومُرادٍ، فيعم الممكن الموجود والمعدوم، ولا نزاع في صحته، وقد قال تعالى:

• ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن ﴾[2].

• ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].

• ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾[4].

- **الثاني من الإطلاقات اللغوية:** أن يكون بمعنى الممكن الوجود في الخارج، وهو الوجود العيني، وهو المراد من قول بعضهم: إنه يسمى به الكائن، لأن الله تعالى شاء أن يكون، فاعتبر فيه المشيئة بغير المتعلق[ب] بالإيجاد والتكوين،

....

(أ) في (د) و(ك): (شاء).

(ب) في (د) و(ك): (بغير التعلق).

= في «شرح تحفة الأحكام» للتاودي أبو عبد الله محمد (ت1209هـ): «حلى المعاصم في فكر ابن عاصم» (ص172)، جاء على النحو:

قاس الجزيري قياسًا فاسدًا فجعل البابين بابًا واحدًا

(1) نحوه في «الكليات» للكفوي (ص524)؛ وفي «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص1395).

(2) سورة النحل، الآية: 40.

(3) سورة يس، الآية: 82.

(4) سورة الكهف، الآية: 23.

وكأنه لاحظ الاشتقاق ومذاهب النظار، فإن اصطلاح المتكلمين من أهل السنة والجماعة أنه: (الوجود الخارجي لتصريحهم بنفي الوجود الذهني)، ومن حجتهم قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[1].

- والثالث من الإطلاقات: أن يكون بمعنى الموجود مطلقًا عنده ثبت[أ] الوجود الذهني.

- والرابع من الإطلاقات: إطلاقه على ما يصح ويعلم، ويخبر عنه من موجود ومعدوم واجبًا أو جائزًا أو مستحيلًا.

الحاصل من ذلك كله: أنه لا خلاف في إطلاقه على الموجود والمعدوم، وإنما الخلاف في كون إطلاقه على المعدوم مجازًا -وهو قول أهل السنة-، أو حقيقة -وهو قول المعتزلة- في المعدوم الممكن، والخلاف في هذه المسألة راجع للإطلاق فقط. والمقصود[*] من الحديث: الإطلاق الرابع فإنه المناسب بحاله ﷺ.

- ثم قوله: (وأشركت مع الله غيره): المشرك[ب] من يقول بمثلية وصف الحادث للصفة القديمة في القدم[ت] كما في أساطيرك، وأما والنبي ﷺ يقول:

(*) في حاشية البناني: قوله: (والمقصود من الحديث الإطلاق الرابع...) إلخ: لكن أن تقول به على أنه عموم حقيقي كعموم علم الله تعالى، والشيخ اليوسي يقول به لا على أنه كعلم الله تعالى، قلنا: إنه إضافي أو حقيقي.

(أ) في (د): (عند منبت). وفي (ك): الإطلاق الثالث ساقط.

(ب) في (م): (المشرك) ساقطة.

(ت) في (م): (في القدم) ساقطة.

---

(1) سورة مريم، الآية: 9.

«أوتيتُ» أي أُعطيتُ، ومعلوم ألا مؤتيَ ولا معطيَ إلا ربه جَلَّ وَعَلَا، فمن أين الإشراك؟(*) لولا هواك الذي أعماك ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[1]، فالمصطفى ﷺ أسند الإيتاء والإعطاء إلى ربه جَلَّ وَعَلَا، فتصح إضافة[2] العلم إليه تعالى باعتبار أنه [منحة منه وفضل، وإليه ﷺ باعتبار][أ] أنه قائم به.

• وقوله: (فقد ذهبت تبني داراً... إلخ): هذا الكلام للشيخ ابن عبّاد[3](**)

(*) في حاشية البناني: قوله: (فمن أين الإشراك؟): فحوى كلامك صريح في أن الإشراك إنما هو متيقن بالقدم والحدوث فقط مع مساواة العلمين القديم والحادث في العموم، وكلام الشيخ اليوسي صريح في أن الإشراك متيقن بالأمرين معًا بالقدم والحدوث وبعدم المساواة؛ والحق معه، كما هو المعروف عند المتكلمين والعارفين المحققين.

في حاشية البناني: قوله: (لولا هواك...) إلخ: هذا خروج عن الكلام في المسألة إلى الكلام في المتكلم فيها على سبيل الغيبة التي لم [ ] إليها ضرورة محرمة بالكتاب والسنة والله الموفق سبحانه.

(**) في حاشية البناني: قوله: (للشيخ ابن عباد): أي في «رسائله الكبرى» في كلامه

(أ) في (م): ما بين معقوفتين ساقط.

(1) سورة الجاثية، الآية: 23.

(2) سبق التعريف بمصطلح «الإضافة» في (ص 404).

(3) هو ابن عباد النفزي الرندي، أحد علماء السنة، ومن أعلام التصوف في القرن الثامن الهجري، من أهل رندة في الأندلس، (733هـ ـ 792هـ)، يعتبره كثير من الدارسين الناشر الفعلي والمنظِّر الأساسي للمدرسة الصوفية الشاذلية بالمغرب الأقصى. من =

في غير هـذه المسألة، ولفظه ـ والله أعلم ـ: (فكنتَ كمن ذهب يبني قصرًا، ويهدم مصرًا)[1]. ولا شبهة[*] في حسن هذا الكلام، وسمانته، وجزالته بما اشتمل عليه من المحسنات البديعية؛ وأنتَ يافُلُ! بدّلت فيه وغيرتَ فذهبت بديعيته ورونقه، وبقيت هُجنتُه ورنقه.

• **وقوله: (ووقعت فيما وقع فيه...) إلخ:** بمثل مقالتك هذه قال الكفار والمنافقون لما نزلت: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]، قالوا: [إن

على مسألة التفضيل بين الأنبياء، وهو في غاية التحرير[3].

(*) **في حاشية البناني:** قوله: (ولا شبهة...) إلخ: أعرض صفحًا عن معنى عبارة ابن عباد، ومعنى عبارة اليوسي، وتشبث بها بينهما من مغايرة اللفظية، وليس ذاك من شأن فحول العلماء المحققين ذوي الهمم العالية.

....

= آثاره: «الرسائل الكبرى» و«الرسائل الصغرى» في التوحيد والتصوف والسلوك؛ «غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية»؛ «شرح أسماء الله الحسنى»؛ وغير ذلك. «وفيات الونشريسي» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج2 ص705)؛ «جذوة الاقتباس» لابن القاضي المكناسي (رقم 320 ج1 ص315)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (رقم 580 ص472)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 565 ج2 ص133)؛ و«طبقات الشاذلية الكبرى» للكوهن الفاسي (رقم 21 ص89)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (رقم 884 ج1 ص343)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج5 ص299).

(1) سبق توثيق هذا المثل في (ص458).

(2) سورة آل عمران، الآية: 31.

(3) في «الرسائل الكبرى»: «نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل» لابن عباد النفزي (ت796هـ) (الرسالة الثالثة عشرة ص202): لم أقف على ذكر هذا المثل في كلامه على مسألة التفضيل بين الأنبياء.

محمدًا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى][1]، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[2].

ويظهر من كلام صاحب الأساطير أنه يقول بلزوم الاتحاد(*)[3] في كثير من آي القرآن:

(*) **في حاشية البناني**: قوله: (أنه يقول بلزوم الاتحاد...) إلخ: فيه أن الشيخ اليوسي إنما يقول بلزوم الاتحاد أو نحوه بمن يقول بمساواة صفة من صفات النبوءة أو الولاية لصفة من صفات الربوبية كما هو موضوع النزاع بينك وبينه، وكما هو موضوع. وذلك التنظير إلخ ذكره، وهو القول باتحاد اللاهوت والناسوت. ومعناه ما ذكره في «حواشيه على الكبرى» لخ. وأما الآي المذكورة، والحديث المذكور فيهم أصغر الولدان على وفهم؛ إذ لا تصريح فيها بمساواة الحدوث للقديم، كما وقعت أنت في ورطة حيث ادعيته أن تفهم علم النبي ﷺ على حد تعميم علم الله وإحاطته، فأنت ترمي ما اشتمل عليه كلام التاجموعتي من الإلزامات الباطلة التي ألزمها لليوسي مع براءة ساحته منها ونزاهته وطول باعه وشهرة مكانته والله الموفق.

---

(1) «الشفا» للقاضي عياض (القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي المصطفى ﷺ قولًا وفعلًا ج1 ص126)؛ وفي «شرح» الملا علي القاري (ت1014هـ) على «الشفا» (ج1 ص455)؛ وفي «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض» للخفاجي المصري (ت1069هـ) (ج3 ص189).

(2) سورة آل عمران، الآية: 32.

(3) **الاتحاد**: هو شهود الصوفي للوجود الإلهي الواحد المطلق متحدًا به، فيرى أنه مستقلًا =

• كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[1].

• وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[2].

• وقال ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»[3].

إلى غير هذا وهو كثير، ولا قائل بالاتحاد في شيء من ذلك.

وإذ جرى ذكر الاتحاد(*)، فلنومئ إلى بطلانه بديهة فنقول: لو اتحد الشيء

(*) في حاشية البناني: قوله: (وإذا جرى ذكر...) إلخ: هل أطال به كله تطويل في غير محله لأن قصر اليوسي إنما هاله التنظير فقط.

....

= في وجوده عن الله، لا أن له وجودا خاصا به، فاتحد به مع الوجود الإلهي، لأن هذا محال. لأن واجد الوجود لا وجود لسواه حتى يتحد به غيره، يقول شاعرهم:

فإذا بدا فاعلم بأنك لسته ... كلا ولا أيضا تكون سواه

شيئان ما اتحدا، ولكن ها هنا ... سر يضيق نطاقنا عما هو

«معجم اصطلاحات الصوفية» لعبد الرزاق الكاشاني (ت730هـ) (ص49)؛ وفي «روضة التعريف بالحب الشريف» لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ) (ص201)؛ وفي «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج1 ص54).

(1) سورة النساء، الآية: 80.

(2) سورة الفتح، الآية: 10.

(3) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجهاد والسير: باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، برقم 2957 ج2 ص230)؛ و (كتاب الأحكام: باب قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ برقم 7137 ج4 ص309)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم 1835 ج6 ص468).

بغيره أي صار معه شيئًا واحدًا لـم يخل إما أن تنعدم حقيقة كل واحد منهما، أو توجدا، أو تنعدم حقيقة أحدهما دون الآخر، والأقسام كلها بـاطلة.

فالاتحاد المقسّم إليها باطل ضرورة انحصاره في أقسام كل واحد منها باطل، فهذا من الأوليات[1]. وقصارى الأمر، أن الأمر كله لله ليس فيه اشتباه: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[2]، لكن لما كان العباد لا يطلعون على ذلك إلا بأمر الرسـول ﷺ، وكانت إطاعته وتصديقه واجبين جعل آمرًا، وناهيًا. ومثله يعدّ حقيقة بحسب اللغة كما قال:

نبينـا الآمـر النـاهي فـلا أحـدٌ أبـرُّ فـي قـول لا منـه ولا نعـم[3]

وتحقيقه أن المدلولين: إذا تغايرا بحسب المفهوم[4]، واتحدا بحسب

....

....

---

(1) **الأوليات**: جمع أول، صفة مشتقة بوزن أفعل التي للتفضيل، ومؤنثه الأولى. وقيل: إنه اسم أصله (أو أل)، وقيل (وول)، ومعناه: المتقدم على غيره.
وأما اصطلاحًا منطقيًا: فهي القضايا البديهية أو الواضحة التي لا تحتاج إلى دليل، كقولنا: الكل أعظم من الجزء. «موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي» للكتاني (ج1 ص352).

(2) سورة النور، الآية: 54.

(3) من قصيدة «نهج البردة في مدح نبينا محمد ﷺ» للإمام البوصيري (رقم 36 ص10). وفي «ديوان البوصيري» بشرح صلاح الدين الهواري (البيت 35 ص423).

(4) **المفهوم**: عند المنطقيين ما حصل في العقل، أي ما شأنه أن يحصل في العقل، سواء حصل بالفعل أو بالقوة، بالذات كالكلي أو بالواسطة كالجزئي. وهذا عند من يقول: =

الماصدق[1]، كالحيوان والمتحرك بالإرادة، يكون الاتحاد حقيقيًا بحسب الخارج، وإطاعة الله وإطاعته ﷺ كذلك من غير شبهة، فإن الله إذا أوجب الصلاة وأمر بها فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بها الخلق فامتثلوا أمره، فإطاعة الله وإطاعة الرسول ﷺ: إقامة الصلوة، وهي أمر واحد في الخارج وإن تغاير مفهومهما، فإنه أمر إضافي يختلف باختلاف المضاف إليه.

فاتضح أن لا[أ] معنى هنا لذكر الاتحاد، لولا خبث السريرة(*) وامتلاء الباطن

(*) في حاشية البناني: قوله: (فاتضح أن لا معنى هنا لذكر الاتحاد...) إلخ: بل له معنى وأي معنى، وهو تشييد المساواة التي جعلتها بعلم النبي ﷺ مع علم الله سبحانه بالمساواة التي ادعاها القائلون باتحاد اللاهوت بالناسوت.

في حاشية البناني: وقوله: (فلولا خبث السريرة...) إلخ: هو من نمط قوله سابقًا: (لولا هواك...) إلخ، وقد علمت ما كتبناه عليه مما يقتضي أنه ما كان ينبغي للتاجموعتي أن يقع في اليوسي هذه المواقع العظيمة، والأمر لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(أ) في (ج) و(ك): (ألا معنى).

= إن صور الجزئيات الجسمانية مرتسمة في النفس الناطقة، إلا أن ارتسامها فيها بواسطة الآلات أي الحواس. وأما من يقول مرتسمة في الآلات في النفس فيفسر المفهوم بما حصل عند العقل لا في العقل. «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (ت1158هـ) (ج2 ص1617)؛ وفي «ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة» لعبد الرحمن حبنكة (ص45)؛ وفي «موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي» للكتاني (ج3 ص2611).

(1) الماصدق: عند المنطقيين: مجموع الموضوعات التي يدل عليها المعنى، أو مجموعة =

بالميل إلى الهواء والإلحاد، والتمشدق[1][أ] باللاهوت والناسوت[2] إيهامًا على الأغمار[3] الذين يحتفون بك أن تحت ذلك ما يتنافس فيه من لطيف العلم والحكمة؛ ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾[4].

فالاتحاد قالت به النصارى ومن دان دينهم من مجوس البربر، قبل الفتح وبعده، بالارتداء والحنين على مألوف الاعتقاد؛ وحتى الآن لم يتحصل من مقالتهم ما يُعقل، ولا تحرر منها ما ينقل. وقد سُئلت أساقفتهم قديمًا وحديثًا عما يريدون به، فلم يجبروا في العاجل جوابًا، ....

....

(أ) في (ج) و(د) و(ك): (التشدق).

= الأفراد الداخلين تحت صنف أو كلي؟ من الأصناف والكليات، على عكس «المفهوم» الذي يدل على مجموع الصفات المشتركة بين الأفراد. والماصدق والمفهوم متناسبان تناسبًا عكسيًا. «المعجم الفلسفي» لجميل صليبا (ت1396هـ) (ج2 ص311)؛ وفي «ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة» لعبد الرحمن حبنكة (ص45)؛ وفي «موسوعة المصطلح في التراث» للكتاني (ج3 ص2203).

(1) تشدق: حرك شدقيه للمضغ ولوى شدقه بِكَلام يتفصح. «لسان العرب» لابن منظور (حرف القاف: فصل الدال ج10 ص173).

(2) سبق الإشارة له في (ص459).

(3) أغمار: جمع غمر، بالضم، وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور، قال ابن سيده: (ويقتاس من ذلك لكل من لا غناء عنده ولا رأي). ورجل غُمر وغَمر: لا تجربة له بحرب ولا أمر ولم تحنكه التجارب. ومنه قول اليهود للنبي ﷺ: (لا يغرك أن قتلت نفرا من قريش أغمارًا). «لسان العرب» لابن منظور (ج5 ص31-32).

(4) سورة العنكبوت، الآية: 41.

وفي الأجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾(1).

وبكل اعتبار، فمن تأمل هذه الأساطير(*) من أولها إلى آخرها، استبان له أنها من وحي الشياطين: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾(2)، وأنها ليست من البحث المتكلم عليه في شيء(**)، والقول ببطلان الاتحاد مفروغ منه قديمًا وحديثًا.

(*) في حاشية البناني: قوله: (فمن تأمل هذه الأساطير...) إلخ: هو من نمط ما قبله أيضًا، فهذه الإفراطات والتفريطات والمبالغات ليست من شأن العلماء المتأدبين وإن تصدوا إلى ما تصدوا له، وكانوا من الدين من الدائن ولكن ما شاء الله كان.

(**) في حاشية البناني: قوله: (وأنها ليست من البحث المتكلم عليه في شيء): وقول يمعونة من به القائل والمقول والحمد لله على بقاء العقول المميزة المنصفة إلى يوم القيامة بنص الأحاديث النبوية. فالعجب كيف تكون أساطير -على زعمه- الشيخ اليوسي من أولها إلى آخرها ليست من البحث المتكلم عليه في شيء؟ من أن كلامه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونفعنا به من أوله إلى آخره إنما هو عين المسألة، ونفس تحريرها من غير حشو، ولا إطالة، ولا خروج فيه عنها أصلًا ألبتة إلى ما خرجه إليه من تلك العبارات المتعددة من تنقيصك للشيخ اليوسي التام، وانتصافك الاهتضام العام. ولعل أساس ذلك وهومك والله أعلم.

....

(1) سورة النبأ، الآية: 40.

(2) سورة الأنعام، الآية: 121.

فلم يبق إلا التمشدق(أ) بألفاظ النصارى، والاقتداء بهم في مصطلحاتهم، ورطاناتهم المنهي عنها، و«من أحب شيئا أكثر من ذكـره»(1). والثمرة تدل على الشجرة، وخوار العجل يهدي إلى البقرة، والله سبحانه جَلَّ وَعَلَا لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، ولا يشبّه به، وما ورد مما أطلقه الشرع على الخالق، وعلى المخلوق، لا يفهم منه التشابه بينهما في المعنى الحقيقي، [إذ صفات القديـم بخلاف صفات الحادث؛ وبالجملة فالاتحاد الحقيقي](ب)، (وهو أن يصير الشيء بعينه شيئًا آخر من غير أن يزول عنه شيء أو ينضم إليه شيء: باطل ضرورة)(2). وعموم علمه ﷺ(*)

(*) في حاشية البناني: هذا هو محط دعواك التي ردها عليك اليوسي لما لزمها من إشناعات والطامات وقولك كقول مخلوف لا يفيدك ولا ينجيك، فانظره بالعشر العقلاء من [ ](3) مخلوف بما ليس له، فإنما هو من [ ](3)، كونه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفعنا به منسوب إلى الشيخ ابن ناصر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفعنا به على أنه أذن له في التلقين [ ](3) عليه جمع ذلك، وأنه بدّل وغيّر طريقه المثلى حسبما زعمت وقدمت في لفظ العبارات الأولى فأخرجته بسبب ذلك عما هو مجمع عليه عند العامة والخاصة من عَلِي مقامه ومكانته علمًا وعملًا، بل قل من هو على شكله الخاص وما له من

(أ) في (ج) و (د): (التشدق).

(ب) في (م): ما بين معقوفتين ساقط.

---

(1) رواه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (رقم 1050 ص619)؛ وقال عنه العجلوني في «كشف الخفاء» (رقم 2352 ج2 ص261): (رواه أبو نعيم والديلمي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا)؛ وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (رقم 5341 ص771).

(2) «معجم اصطلاحات الصوفية» لعبد الرزاق الكاشاني (ت730هـ) (ص49)؛ وفي «الكليات» لأبي البقاء الكفوي (ت1094هـ) (ص36).

(3) يوجد بهذا الموضع من المتن كلام غير واضح.

مجعول، ومخلوق بمشيئة الله تعالى واختياره: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1].

فقد انضم إلى عمومه، وشموله مشيئة الله تعالى ذلك وإرادته خلقه(*)، وجعله قائمًا به ﷺ وموصوفًا به كما أخبر عن ربه بذلك فقال: «**أوتيت علم كل شيء**»[2]،

المزايا والاختصاص من كبار المتأخرين وفحول العلماء العاملين المحررين، واستحضر قول أخيه في الله الشيخ العياشي:

من فاته الحسن البصري يصحبه   فليصحب الحسن اليوسي يكفيه[3]

ما مسير الله سبحانه قبل التنصح لمسايرات التاجموعتي عند تخريجها من هذه ونظر مقدمة مشتملة لنفيس الشق بلخيص ترجمته -أعني الشيخ اليوسي- حتى لا يفقد التاجموعتي في هفواته السوابق في تلخيص كلام العلماء المحققين الناصحين في التحذير من الالتفات إلى قول العلماء بعضهم في بعض مما نقلته في تآليفي في «الغنية» و«الطبقات السبكية»، وغيرها من كتب الأئمة المعتبرة المذكورين كلهم.

(*) **في حاشية الحجوي**: في الحديث المتفق عليه في الصحاح كلها من حديث أم سلمة، أن النبي ﷺ قال: «**ألا إنما أنا بشر، وإنما يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له، فمن قضيت له بحق**

....

(1) سورة البقرة، الآية: 255.

(2) سبق تخريجه في (ص378)؛ و (ص389).

(3) «المحاضرات في الأدب واللغة «للعلامة الحسن اليوسي (ج1 ص32).

ولم يدّع أحد قط في نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما ادعته النصارى وأشياعهم في عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

مسلم، **فإنما هي قطعة من نار، فليحملها، أو ليذرها»**[1]. وفي حديث المتلاعنين في «الصحيح» أيضا: **«لولا الإيمان لكان لي ولها شأن»**[2].

قال النووي على الحديث الأول على قوله: **«إنما أنا بشر...»**[3]: (معناه الشبيه على حالة البشرية، وأن البشر لا يعلمون من بواطن الأمور شيئًا إلا أن يطلعهم الله على شيء من ذلك، وأنه يجوز عليه في أمور الأحكام ما يجوز عليهم، وأنه إنما يحكم بين الناس بالظاهر...) إلخ[4].

قف على آخره، وانظر حديث البخاري: أنه ﷺ صلّى على عبد الله ابن أُبيّ ابن سلول، وعارضه عمر بن الخطاب في ذلك، فنزل قوله تعالى:

....

---

(1) رواه الإمام مالك: في «الموطأ» (كتاب الأقضية: باب الترغيب في القضاء بالحق، برقم 1 ص373)؛ والبخاري في «صحيحه» (كتاب الحِيَل: باب منه، برقم 6967 ج4 ص272)، وفي (كتاب الأحكام: باب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه، برقم 7181 ج4 ص319)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الأقضية: باب بيان أن حكم الحاكم لا يغير الباطن، برقم 1713 ج6 ص285)؛ والإمام الشافعي في «الأم» (برقم 2837ج2 ص2359).

(2) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب تفسير القرآن سورة النور: باب ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، برقم 4747 ج3 ص212)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 2131 ج4 ص33ـ36)؛ وابن ماجه في «سننه» (برقم 2067 ج3 ص217)؛ وأبو داود في «سننه» (برقم 2254 ج3 ص567)؛ والترمذي في «الجامع» (برقم 3179 ج5 ص239).

(3) سبق تخريجه في (ص608).

(4) «صحيح مسلم بشرح الإمام النووي» (كتاب الأقضية: باب بيان أن حكم الحاكم لا يغير الباطن، برقم 1713 ج6 ص286).

نعم؛ قد قالوا له عليه الصلاة والسلام: أفلا نسجد لك؟ فقال: «**لو كنت آمرا أحدًا أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»(1)، فنهاهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ عمّا عسى أن يبلغ بهم هذا المبلغ.

وفي حديث ابن عباس سمع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول على المنبر: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»(2)؛ أي: في ادعائهم إلاهيته(*)، «**فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**».

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾(3)، فلو علم أنه مات كافرًا، ما صلّى عليه.

(*) **في حاشية البناني**: قوله: (أي في ادعائهم الإلهية): يقول لك الشيخ اليوسي وكل

....

---

(1) رواه أحمد في «المسند» (رقم 12614 ج20 ص65)؛ والدارمي في «السنن» (رقم 1505 ج2 ص918)؛ وابن ماجه في «السنن» (رقم 1852 ج3 ص58)؛ وأبو داود في «السنن» (رقم 2140 ج3 ص475)؛ وقال الترمذي في «الجامع الكبير» (رقم 1159 ج2 ص453): (حديث حسن غريب)؛ والبزار في «مسنده» (رقم 3747 ج9 ص199)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 895 ج18 ص352)؛ وأبو نُعيم في «دلائل النبوة» (رقم 276 ج1 ص379)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (رقم 14704 ج7 ص475)؛ والبيهقي في «دلائل النبوة» (ج6 ص18)؛ وابن حجر في «فتح الباري» (كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر، برقم 29 ج1 ص120).

(2) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾، برقم 3445 ج2 ص350)؛ والحميدي في «مسنده» (برقم 27 ج1 ص162)؛ وأحمد في «مسنده» (رقم 164 ج1 ص302)؛ و(برقم 391 ج1 ص451).

(3) «صحيح البخاري» (كتاب تفسير القرآن: باب قوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾، ج3 ص180)؛ وذكره ابن جرير الطبري في «تفسيره: جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (عند الآية: 84 من سورة التوبة ج11 ص611).

ولم يرد في حقه - عليه الصلاة والسلام - ابتداء وانتهاء، ما يوهم ما توهمته النصارى ومن دان دينهم في عيسى؛ اعترارا بظواهر وردت في حقه: كـ﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾، ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[1]، وانظر قول المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قال له ترجمان عامل كسرى: (ليكلمني رجل منكم)، فقال: (سل عن ما شئت)، فقال: (ما أنتم؟)، فقال: (نحن أناس من العرب...) إلى أن قال: (فبينما نحن كذلك، إذ بعث رب السموات ورب الأرضين إلينا نبيًّا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا..)[2] إلى آخر كلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فمِن كون عيسى؛ كلمة الله، ولا أب له، ضلّت النصارى وأشياعهم، وخابت، وخسرت؛ فما أدق[أ] وألطف قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نعرف أباه وأمّه)! إشارة إلى محصل[ب] ضلالهم، وتلميحًا بغصّة كفرهم وأصلها، إذا كان منهم كثير في ذلك العسكر.

متكلم [ ][3] قدسي ونحو ادعائهم إلاهيته ادعاء خصوصية من خصائص الألوهية لفردين من أفراد النبوة أو الولاية كما حرره الأئمة في كتب الكلام المبسوطة؛ فلو كان عندك أيها الشيخ التاجموعتي هذا القدر والقسم الثاني محرّرًا كما سطرت في مكتوبك مسطرًا فالكلام في المسألة بمجرد الانتقال من غير محافظة على

(أ) في (ج) و (د): (فما أنور وألطف).

(ب) في (ج) و(ك): (إشارة إلى محل). و في (د): (إشارة إلى محمل).

---

(1) من سورة النساء، الآية: 171؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.

(2) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجزية والموادعة: باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة، برقم 3159 ج2 ص279)؛ وأبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (رقم 476 ج1 ص545).

(3) يوجد بهذا الموضع من المتن كلام غير واضح.

* وقوله: (فإن الله تعالى...) إلخ: ومن يتوهم مشابهة الحادث للقديم(1) إلا من احتضنته جبال الجهل كأهل «درن»(1) ومن جاورهم من عمي البربر.

* وقوله: (أن يكون لعلم الله تعالى علم كعلمه): هذا مما لا يحتاج إلى جواب، فإنه من ضروري العلم، فإن علمه ﷺ مخلوق لله تعالى: (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا)(2)، وعلم الله تعالى قديم، فما معنى قولك كعلمه؟ وهل بين القديم والحديث تجانس حتى تقول كعلمه؟ فلا مشبه في الحقيقة سواك.

* وقوله: (فإن أجاب...) إلى قوله: (وليس كل جائز واقعًا قد سلمت الجواز هنا): وقد سبق(*) في غير ما موضع من أساطيرك المنع فنقول: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ

القواعد ليس من شأن فحول الرجال الذين يعطون المستحق لكل مقام من غير نقص ولا زيادة على ما له من التمام والعلم كله إنما هو للتباهي الملام.

(*) في حاشية البناني: قوله: (قد سلمت الجواز هنا وقد سبق...) إلخ: يا للعجب من عدم فهم كلام الناس على وجهه السليم! وعدم المحافظة على ما تنتقيه كل

---

(1) في (ج) و(د) و(ك): (الحادث القديم).

---

(1) درن: جبل بالمغرب الأقصى يعرف بـ«سقنقور»، وهو جبل شاهق لا يزال عليه الثلج ويظهر من «مراكش». «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت626هـ) (ج2 ص452)؛ و«تقويم البلدان» عماد الدين اسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفداء صاحب حماه (ت732هـ) (ص135)؛ وفي «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739هـ) (ج1 ص524)؛ و«الروض المعطار في خبر الأقطار» لأبي عبدالله عبد المنعم الحميرى (ت900هـ) (ص234).

(2) من الآية 43 من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾.

وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾[1]:

عبارة حسبما اقتضته القواعد المحررة؛ فإن معنى كلام الشيخ اليوسي: أنه أولًا: يقوى بمنع جواز كون علم النبي ﷺ بعدم التعلق عمومًا كعلم الله تعالى، كما دل عقلًا على ذلك ما قدمناه قبل هذه العبارة وما بعدها، وما يقول في هوة العبارة على جوازه فرض لغير عقلًا، فيلزم أنه ليس كل جائز عقلًا وافق قوله، فما معنى «كعلمه» سبحان واهب العقول!

جرت عادته تعالى أن كل من أصر على فهم صحيح أو سقيم، قلما يقع عنه ويزول. قد قلنا لك غير ما مرة أن معنى الشيخ اليوسي -بل أفصح به غير ما مرة، بل غيره من فحول علماء الكلام أولي الاعتقادات المحررة كالولي الصالح الإمام الناصح أبي عبد الله السنوسي الذي على كلامه معول كل متأخر ذي عقد سالم قدسي- هو: أن الكم المنفصل في العبادات هو أن يكون لغير الله تعالى علم كعلمه أي في سائر خواصه؛ كالقدم والعموم الإحاطي، إلى غير ذلك مما يستنكره [ ][2] خالق كل علم وفكر.

وكونك أيها الشيخ التاجموعتي لم تقرأ ولم تفهم الكم المنفصل في صفة العلم مصدرًا بأن يكون لغيره تعالى علم كعلمه في القدم فقط فخالفت [ ][2] المتقدمين والمتأخرين عن ذلك الحصر.

اليوسي يقول لك أنت الذي شبهت الحادث بالقديم، حيث زعمت مساوات الله علم الله تعالى في العموم، وأما عمومه من غير مساورة فقرره غير ما مرة، ولكن

....

(1) سورة الأحزاب، الآية: 4.

(2) يوجد بهذا الموضع من المتن كلام غير واضح.

• قد تقرر(*) من الأحاديث الدالة على عموم علمه ﷺ ما بلغ القدر المشترك منه..

أنت وحدك عندك المشابهة، إنما هي في جعل الحادث قدرها فقد مع أنها ليست مقصورة على خصوص هنا الصورة كما لا يخفى على من له دراية الكلام خبرة.

(*) **في حاشية البناني**: قوله: (قد تقرر...) إلخ: الشيخ اليوسي وغيره من الأئمة المحافظين على مرتبة الربوبية ومرتبة النبوءة؛ يقول لك: إنما تكون تلك الأحاديث دالة على ما ترومه، لو كان فيها ما يقتضي أن علمه ﷺ عام التعلق عمومًا كعموم علم الله تعالى، وأنه لا فرق بينهما إلا بالقدم والجديث، وأنى وحاشى أن يكون فيها ذلك والنبي ﷺ يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»[1] حسبما تقدم لك على فهمنا، وفهم المتقدمين والمتأخرين، لا على فهمك الخاص، وإن كنت تزعم أن فيها ما يقتضي ذلك من حيث أن الأصل في الكلية المأخوذة من حديث: «**أوتيت علم كل شيء**»، أنها حقيقية، وهو معنى العموم الإحاطي الذي ثبت لله سبحانه. فقد سبق للشيخ اليوسي ما معناه وإيضاحه أنه وإن كان الأصل في الكلية أنها حقيقية، منع من الحمل عليها وعين أنها إضافية تلك الأدلة العقلية والنقلية الدالة على عدم مساواة مخلوق أمي مخلوقًا كان في صفة من صفات [ ][2] كل انسان حتى صفة العلم، وقد عددها بطريق الإشارة.

وإن بسط العبارة الشيخ اليوسي فقد ارتكبت أيها الشيخ التاجموعتي طريق المسايرة والمناضلة والمباحثة لا حيث عنهما حتى يتم لك مدعاك، وأنى لك بذلك هناك وقد بسطناها وأوضحناها نيابة عنه.

....

---

(1) سبق في تخريجه في (ص609).

(2) يوجد بهذا الموضع من المتن كلام غير واضح.

حدّ التواتر (*)، وأفاد القطع بنسبة معناه إليه، وإن كانت تفاصيله أحاداً «كشجاعة علي وسماحة حاتم»[1]، وإذا حصل القطع بنسبة معناه إليه، حصل القطع بحقيقته، لأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ معصوم، وكل ما هو خبر المعصوم حق: فقوله ﷺ: «**أوتيت علم كل شيء**»[2]، و«**تجلى لي علم كل شيء**»[3]، إلى غير ذلك من الأحاديث.

(*) **في حاشية الحجوي**: لا أدري من الذي نص على هذا التواتر وإفادة القطع، وكان على المؤلف أن يذكره، وإذا لم يذكر مثل هذا، ولا إفراد تفاصيله، فأي فائدة في تعمير البياض بسواد السب والشتم؟! على أن شجاعة علي تواردت الأخبار وتكاثرت على معنى واحد، وهنا المدعي إحاطة العلم والإخبار اتفقت على ثبوت علمه ووفوره، لا على الإحاطة، فأين الإنصاف؟ الحجوي.

....

---

(1) من أمثلة الروايات التي تظاهرت عن رسول الله ﷺ، بألفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى واشتهرت على لسان الثقات، وإن لم يتواتر أحاديثها من حيث الألفاظ، لكن تواتر معناها لكثرتها: (شجاعة علي وسخاوة حاتم). «بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب» للأصبهاني محمود بن عبد الرحمن، أبو القاسم (ت749هـ) (ج1 ص541)؛ وفي «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» محمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ) (عند الحديث31 ص59)؛ (وعند الحديث182 ص164). والمقصود بعلي: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **وحاتم الطائي**: هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، فارس وشاعر وجواد جاهلي، يضرب به المثل بجوده. «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» للديار البكري (ت966هـ) (ج1 ص255)؛ وفي «الأعلام» للزركلي (ج2 ص151).

(2) سبق تخريجه في (ص378)؛ و (ص389).

(3) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

وقد أشرنا في إملائنا إلى جملة صالحة منها، وأن الصحابة رضوان الله عليهم كان بعضهم يقول لصاحبه(*): (اسكت، فوالله لو لم يكن عندنا من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء)[1]، قول «يخبره»(أ) حق من كلام صدق.

• وفي حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في «الصحيح» عن طارق بن شهاب قال: سمعت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (قام فينا النبي ﷺ مقامًا فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه)[2](**).

(*) في حاشية البناني: قول بعض الصحابة المذكور لا دلالة فيه على مدعاك المنكور من مساورة علم النبي ﷺ لعلم الله العلي الأعظم في العموم الإحاطي الشامل الأتم لأن معناه ما أخبرته الحجارة البطحاء.

(**) في حاشية البناني: لأن المعتقد في فهم الحديث المذكور ونحوه مما تسطره في هذه السطور أن إخبار النبي ﷺ عن بدء الخلق حتى وصل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، وعلمه بجميع ذلك واستيعابه لكل ما هنالك لا يبلغ مرتبة علم الله سبحانه بذلك، بل علمه تعالى بجميع ذلك أتم من جهات عديدة هنالك، لا تخفى على من له اتساع المجال في مشاهدة الكبير المتعال من جهة بصفات الكمال والجلال والجمال، بل ومن جهة جميع صفات الأفعال، فكل مخلوقاته تعالى: عامة، وخاصة، وخاصة الخاصة، بالنسبة ولا مشابهة ولا مشاركة بل وجب إفراده ولو كان هو [ ][3] كلها بينه وبين مولاه سبحانه في صفة من تلك

(أ) في (د) و(ك) : (يخبره) ساقطة.

---

(1) «الشفا» للقاضي عياض (ج1 ص208)؛ وقد تقدم في (ص399).

(2) سبق تخريجه في (ص423 ـ 424).

(3) كلمة غير واضحة في هذا الموضع من المتن.

• وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لقد تركنا رسـول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علمًا)[1]، وهو كنايةٌ عن بيان كل شيء تفصيلا(*) تارة، وإجمالًا أخرى.

• وكان رسـول الله ﷺ قد خطب قبل موته خُطَبًا أطال فيها مرة من الصباح إلى الظهر[2]، ومرة من الظهر إلى قبيل المغرب[3]، لـم يدع شيئًا إلا بينه لأصحابه، وهذا على سبيل الاستيناس والتقريب، وإلا فالحجة الكبرى حديث: «**أوتيت علـم كل شيء**»[4]، و«**تجلى لي علـم كل شيء**»[5].

* **وقوله: (فهاتنا دليلًا على وقوع هذا العموم)**: أي دليل تطلبه بعد قول

الصفات السنية حتى صفة العلم المحدث عنها لأن عقيدة أهل السنة التي نحيى ونموت ولا نخرج عنها ـ إن شاء الله تعالى ألبتة ـ من أن علمه تعالى متعلق بجميع الواجبات والمستحيلات والجائزات تعليقًا مختصًا بمولانا.

(*) **في حاشية البناني**: في كل ما يحتاج إليه أو نحتاجها إليه، وبعد هذا القول الثابت لحبيب الله الأعظم ﷺ علم الله تعالى أكبر وأشمل وأبهر؛ فنعوذ بالله من هذا الغلط.

---

(1) سبق تخريجه (ص424).

(2) سبق تخريجه (ص423).

(3) سبق تخريجه (ص424).

(4) سبق تخريجه في (ص378)؛ و(ص389). وتحدث عنه أبو الفضل عبد الله بن محمد ابن الصديق الغماري (ت1413هـ) في «الأحاديث المنتقاة في فضائل رسول الله» (ص77).

(5) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

الصادق المصدوق[1] عليه الصلاة والسلام: «أوتيتُ»، و«تجلى لي»، بصيغتي[أ] الجزم، بوقوع ذلك، وحصوله(*).

(*) في حاشية البناني: الخلاف على سبيل العموم والشمول والاستغراق من جميع جهات تلك الأقسام الثلاثة التي يتعقلها مخلوقاته تعالى العامة والخاصة وخاصة الخاصة والتي لا يتعقلونها ألبتة والتي لا يمكن أن تعقلها وتصل إليها الطاقة البشرية العمومية والخصوصية.

فقول المحققين من علماء الكلام والعارفين الكمال العظام: (لا يعرف الله إلا الله)[2]: أي: ذاتًا وصفةً وفعلاً، وهكذا قولهم: (العجز عن الإدراك إدراك)، فجميع ما عرفه مخلوقاته العامة والخاصة وخاصة الخاصة ذاتًا وصفةً وفعلاً إذا نسبوه لما هو عليه الأمر في الواقع وكما علم مولاهم الكبير الأكبر العلي العظيم الأبهر المحيط الأفهم، وجدوه كنقطة من بحار زخار لا حد لها ولا نهاية ولا قرار، فلا يعلمون من تلك الأقسام الثلاثة إلا بعضها، ثم ذلك البعض منها لا يعلمونه كعلم الله تعالى له وإن تفاوتت مراتبهم: عامة وخاصة وخاصة الخاصة وارتفع بعضهم على بعض بما لا يساوى فيه ولا يدرك ألبتة، وإن عبر عن مرتبة

(أ) في (م): (بصيغة).

---

(1) سبق الإشارة إلى (قوله: (الصادق المصدوق) في (ص 426).

(2) من الأبيات التي نُسبت للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قوله:

لا يعرف اللّه إلا اللّه فاتّئدوا ... فالدين دينان إيمان وشراك

وللعقول حدود لا تجاوزهما ... والعجز عن درك الإدراك إدراك

أوردها في كتاب «ايقاظ الهمم في شرح الحكم» أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى (ص214)؛ وكذا محمد نووي تناري الجاوي الشافعي (ت1316هـ) في «سلم المناجاة شرح سفينة الصلاة» (ص48).

فإن كنت ممن يصدق به، وبما جاء به، فلا دليل بعد قوله، وإلا كان عتابك السيف:

قال أهل العلم: (حصلت له ﷺ هذه الفضيلة في آخر أحواله بعد انقطاع إيحاء جبريل عنه ﷺ)[1]، كذا قال بعضهم، أعني بزيادة: (بعد انقطاع إيحاء جبريل عنه ﷺ)، وأنكر بعضهم هذه الزيادة.

ثم اختلف القائلون بذلك:

فطائفة منهم قالت: (هذه الحالة حصلت له ﷺ - أعني حالة العلم بكل شيء- إلا أنها غير دائمة).

وقالت طائفة: (هي نعمة من الله اختصّه بها، والكريم لا يقطع عوائده. كما أنعم الله فيما مضى، كذلك ينعم في ما بقي.

ثم أوردَت سُؤالًا عن احتياجه ﷺ إلى الوحي، بمعنى أنه إذا كان ﷺ بحالة العلم بكل شيء، فما فائدة الوحي؟ وهل ذلك إلا من تحصيل الحاصل؟

فكان الجواب: أن ذلك مقتضى العبودية وإظهار الافتقار من لوازمها)، هذا كلامهم باللفظ (*).

هذا المرتفع بما يقتضي لغة وعربية وأصولًا ومنطقًا العموم الشمولي الإحاطي فهو مسلم نوحي به ولكنه فيما خصه الله تعالى به ولم يشاركه فيه مخلوق ألبتة لا أنه شمولي للإحاطة كشمول إحاطة علم الله سبحانه.

(*) في حاشية الحجوي: الضمير مبهم على مبهم، وهو أهل العلم؟ ومثل هذا غير

---

(1) قاله الإمام الشعراني كما صرح بذلك القاضي التجموعتي، في آخر رسالته هاته.

قلت: يشهد للأول: «إني لست كهيئتكم، أني أبيت عند ربي يُطعمني ويسقيني»[1]، فهذه حاله.

وشدّ ﷺ على بطنه حجرين:

وشدّ من سغبٍ أحشاءه وطوى .... البيت[أ][2]

هذه حالة أخرى تخالفها.

ومن استقرأ أحواله ﷺ وقف من هذا الباب على كثير، لأنه ﷺ ذو أحوال وأطوار.

ومما يشهد لعموم علمه ﷺ دائمًا[ب] قول أصحابه رضي الله عنهم كثيرًا في

مقبول عند النظار، فالواجب تعيين من قال؟؟ ومن أين أخذ المقال؟؟ ومثل هذه المسألة لا تثبت برأي الرجال.

في حاشية البناني: يوضح ذا الجواب غاية التأمل، هل يدفع السؤال المذكور أو لا؟ وعلى كل حال، لا دليل لك فيما تدعيه من مساواة النبوءة للربوبية في العلم المحيط.

(أ) في (د): (وطوى تحت الحجارة لخ).

(ب) في (ج) و(د) و(ك): زيادة (أو لا دائما).

---

(1) رواه الإمام مالك: في «الموطأ» (برقم 38 باب النهي عن الوصال في الصيام ص160)؛ والبخاري في «صحيحه» (كتاب الصوم: باب الوصال، برقم 1965و1967 ج1 ص431)؛ و(كتاب التمني: باب ما يجوز من اللو، رقم 7242 ج4 ص333)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصيام: باب النهي عن الوصال في الصوم، برقم 1105 ج4 ص437).

(2) من قصيدة «البردة» (البيت 31 ص9) للإمام البوصيري. والبيت بتمامه:

وشدّ من سغبٍ أحشاءه وطوى تحت الحجارة كشحًا مترف الأدم

«ديوان البوصيري» لصلاح الدين الهواري (البيت 30 ص423)؛ وفي «البردة شرحًا وإعرابًا وبلاغة» لمحمد يحيى الحلو (برقم 30 ص225).

مقامات عديدة: (الله ورسوله أعلم)[1](*)، ويُقرهم على ذلك، وما نهاهم عنه قط؛ مع كثرة صدوره عنهم في المجامع الحافلة. وقد نهاهم أن يقولوا: «**ما شاء الله وشاء فلان؛ ولكن ما شاء الله، ثم ما شاء فلان**»[2] كما في «السنن».

(*) **في حاشية البناني**: بل لا مشاحة فيه أصلًا، وحاشا جناب الصحابة أن يقصدوا بتلك العبارة مساواة النبوءة للربوبية في العلم من حيث الشمول الإحاطي، وإنما قصدهم بتلك العبارة عند مشاهدة حضرة النبوءة المتلقية عن حضرة الربوبية

....

---

(1) من الأمثلة على ذلك:

• ما في «صحيح البخاري» (برقم 4418 ج2 ص112) في قصة كعب بن مالك: (فقلت: يا أبا قتادة! أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي) الحديث.

• وما في «صحيح البخاري» أيضًا (رقم 5401 ج2 ص395) في قصة عتبان بن مالك: (فقال بعضهم [عن مالك بن الدخشن]: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، قال النبي ﷺ: «**لا تقل ذلك. ألا تراه قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟**» قال: الله ورسوله أعلم).

(2) رواه الطيالسي (ت204هـ) في «مسنده» (برقم 431 ج1 ص344)؛ وابن أبي شيبة في «المصنف» (برقم 26690 ج5 ص340)؛ وأحمد في «مسنده» (رقم 23265 ج38 ص299)؛ قال محققه: (حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات لكنه منقطع)؛ وابن ماجه في «سننه» (برقم 2118 ج3 ص252)؛ وأبو داود في «سننه» (رقم 4980 ج7 ص335)؛ والنسائي في «السنن الكبرى» (رقم 10755 ج9 ص361)؛ والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (برقم 985 ص544)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (برقم 5810 ج3 ص306)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم 292 ص357)؛ والبيهقي في «الاعتقاد» (باب القول في وقوع أفعال العباد بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ ص179).

* وقوله: (بعد تسليم ذلك فليس كل جائز واقعًا): انظر هذه المقالة(*)، هل هي من المقالات التي يتردد الذهن(أ) في صحتها وفسادها؟ أو فضيحة نشأت عن التكلم بالهوى الحامل على رد ما لـم يحط به الراد(ب) علمًا.

ولهـذا؛ كان بعض المشايخ إذا خاطبه الطالب بنحو هذا، أعرض عن جوابه لفظًا، فأحرى كتبًا، إذ ليس هذا من موضوع المسألة في شيء، فإن الكلام في جائز

التي لا حصر لها، ولا غاية، ولا نهاية. والاعتراف، وأنهم واقفون للتلقي عما يرد عليهم من حضرة النبوءة المتلقية عن حضرة الربوبية، وأن علمه ما علمه العقول السليمة واستنباطاتهم المستقيمية لازالوا منسلخين [ ](1) منتظرين يرد عليهم من الحضرتين على أن كل وارد عليهم أو يرد منهما الخضر [ ](1) أي في علمه في الجملة وإن كان علم حضرة الربوبية به أكبر كما علمت.

(*) في حاشية البناني: قوله: (انظر هذه المقالة...) إلخ: كان بعض الشيوخ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كثيرا يقول: (سبحان واهب العقول)، فإن الحالف يحلف على أن الشيخ التاجموعتي لـم يفهم كلام الشيخ اليوسي على حسب قواعد بحر علماء المعقول، فإن معنى كلام الشيخ اليوسي: أن العموم لعلم النبي ﷺ على حسب علم الله سبحانه الذي يدعيه الشيخ التاجموعتي حيث يقول أوّلًا بمنعه لاستحالته عقلًا كما بينه بقوله: (ومن الدليل عقلًا منع حسبما بيناه وعيناه؛ ثـم على فرضه وتسليم أنه جائز عقلًا، فلا يلزم جوازه عقلًا، ومنعه ضرورة أنه ليس كل جائز عقلًا، ووقعًا. ونقلنا أن التاجموعتي أنه أوهمه الوقوع.

(أ) في (د) و(ك): (يتردد النظر).

(ب) في (ك): (الراد) ساقطة.

---

(1) يوجـد في هذا الموضـع من المتن كلام غير واضح.

خاص، لا في كل جائز، ولو أخبر الصادق المصدوق[1] بوقوع ذلك له، أو لغيره لوجب الإيمان به:

• كان الشيخ ابن عرفة[2] يقول في حديث: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»[3]: (لا يمتنع أن يكون من الجنة حقيقة، وهذا أمر جائر أخبر الشارع بوقوعه فلا مانع منه).

....

....

(1) سبق التعريف بـ«الصادق المصدوق» في (ص426).

(2) هو ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي الأشعري (716 ـ 803هـ)، الإمام الأصولي الفقيه المتكلم اللغوي المقريء المتفنن صاحب التصانيف الدقيقة، إمام تونس وعالمها وخطيبها ومفتيها، كان من فقهاء المالكية، تصدى للدرس بجامع تونس. من آثاره: «المبسوط» في الفقه سبعة مجلدات وهو تقييده الكبير في المذهب في نحو عشرة أسفار، و«الشامل في أصول الدين» تأليف عارض به كتاب الطوالع للبيضاوي، واختصر «كتاب الحوفي» اختصارًا وجيزًا، وله تأليف في المنطق، وكتاب «الحدود» في التعريفات الفقهية الذي شرحه الرصاع وغير ذلك. «الديباج المذهب» لابن فرحون المالكي (رقم 151 ص263)؛ وفي «الوفيات» لابن قنفذ القسنطيني (ص379)؛ و«شرف الطالب» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج2 ص715)؛ و«الضوء اللامع» للسخاوي (برقم 586 ج9 ص240)؛ وفي «بغية الوعاة» للسيوطي (رقم 414 ج1 ص229)؛ وفي «درة الحجال» لابن القاضي (برقم 793 ج2 ص280)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (رقم 577 ص463)؛ في «كفاية المحتاج» للتنبكتي (برقم 497 ج2 ص99)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج9 ص61)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (رقم 845 ج1 ص326)؛ و«هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي (ج2 ص177).

(3) رواه الإمام مالك: في «الموطأ» (كتاب القبلة باب5 ص107)؛ والبخاري في «صحيحه» (كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة: باب فضل ما بين القبر والمنبر، برقم 1196 =

- فقيل له: (المانع أنه ليس على صفات الجنة المذكورة في الأحاديث).

- فقال: (يجوز أن يكون كذلك، ولا ندركها).

- قيل له: (فقد قال الحكماء: (لو قال قائل: إن بين أيدينا بحارًا وجبالًا، لا ندركها لكان هوسًا من القول)).

- فقال: (لو أخبر الشارع أن بين أيدينا تلك الأشياء لوجب الإيمان به، فقد[1] قال ﷺ: «**أريتُ الجنة والنار في عُرض هذا الحائط**»[1]، وقد قيل: إن ذلك حقيقة)[2].

فقوله ﷺ: «**أوتيت علم كل شيء**»[3]، ....

....

(أ) في (ج) و(د) و(ك): (وقد).

= ج1 ص256)، و (كتاب فضائل المدينة: باب منه، برقم 1888 ج1 ص414)؛ وفي مواضع أخرى؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الحج: باب فضل ما بين قبره والمنبر، برقم 1390 ج5 ص283).

(1) سبق تخريجه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «سلوني...» الحديث. في (ص418)؛ و (ص591 ـ 592).

(2) «صحيح مسلم» مع «شرحه إكمال إكمال المعلم» للأبي و«شرحه مكمل إكمال الإكمال» للسنوسي (كتاب الحج ج3 ص476)؛ ونحوه في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (ج4 ص509). وفي «التمهيد» لابن عبد البر (ج2 ص287)؛ و«المُفْهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (ج3 ص503)؛ وفي «شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك» (ج1 ص561).

(3) سبق تخريجه في (ص378)؛ و (ص389).

و«تجلى لي علم كل شيء»[1]، أمر جائز، أي: عموم علمه ﷺ وشموله من الجائز، وقد أخبر بحصول ذلك كله له ووقوعه، فيجب الإيمان به؛ والعدول عن الحقيقة(*) إلى المجاز من غير مقتض ولا داع استرابةٌ في قوله ﷺ وضلالةٌ.

(*) في حاشية البناني: قوله: (والعدول عن الحقيقة): يعني العموم الحقيقي الشمولي الإحاطي على حسب علم الله سبحانه كما هو مدعاه.

- قوله: (إلى المجاز): يعني العموم الإضافي الذي هو أن علمه ﷺ فوق كل علم حادث بمراتب لا حد لها ولا حصر، ودون علم الله العلي العظيم الأكبر، كما هو الحق والواقع إن شاء الله تعالى عند العلماء الكبار الأولياء النبلاء العارفين الفضلاء.

- قوله: (من غير مقتض ولا داع): قد علمت بمجموع كلام الشيخ اليوسي وكلامنا أن عدم المقتضى والداع إنما هو عندك أيها الشيخ التاجموعتي وأما عند الشيخ اليوسي وعندنا وعند كل من حافظ على مرتبة نبينا ﷺ ومرتبة مولانا سبحانه فهو مع المقتضي والداعي حسبما بيناه وأوضحناه وأزلنا اللثام عن وجد معناه في ذلك الفصل الأول والثاني يسر المولى تعالى بجلب من أنزل عليه السبع المثاني. هـ كاتبه.

- قوله: (وضلالة): هو من تلك العبارات المتقدمة التي لا يحمل صدورها عمن ألجم نفسه لجام التقدير والاستقامة حسبما بسطناه هنالك بنصوص الأئمة الناصحين المتأدبين في ذلك.

---

(1) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

* وقوله: (وما تجد في حديث أو أثر..) إلى قوله: (لأن العمومات تقع حقيقة وإضافة): إذا علمت أنها تقع حقيقة، فهذا العموم من الحقيقي كما يفيده لفظ الحديث(*)، وهو الأنسب(**) بحال عين الكمال وأصل الفضل، ولا مانع منه عقلا ولا نقلا(***)، والأصل في العام بقاؤه على عمومه، ومن ادعى التخصيص

(*) في حاشية البناني: قوله: (كما يفيده لفظ الحديث): هو نوع من أنواع المصادرة عند من له خبرة وتجربة بكيفية المذاكرة والبحث والمسايرة، فكأن الشيخ التاجموعتي لم يركب قط بفرس فكره ميدان المناضلة على سبيل ركض فرسان القواعد المتطاولة، والله هو ولي كل تدقيق والهادي إلى أقدم طريق.

(**) في حاشية الحجوي: لو لم تعاوضه المماثلة لعلم الله تعالى لكان أنسب، لكن ديننا وعقائده القطعية دلت على نفي المماثلة، فالأدب الإمساك عن الإخلال بهذا الجانب، ولا بذلك ليسلم الإنسان. الحجوي.

(***)في حاشية البناني: قوله: (ولا مانع منه عقلًا ولا نقلًا): قد علمت أيها الوافد على كلام الجميع أن ذلك النفي المذكور على سبيل الكلية السالبة فينغرض بغير ما جزرية من الجزيات المدحية حسبما بيناه في الفصل الأول والثاني في ذلك الخليط [ ](1) قال في الـ[ ](1) سالبة كلية تنقضيها مدحية جزرية، وبه تعلم أيضًا ومن ادعى التخصيص فعليه السنة فإن السنة بينة هوها كل موقن سالم بالإعتقاد في الواسط العظيم ورب العباد حتى ضعفاء النساء فضلًا عن فحول العلماء، ولكن إذا أراد تعالى إنفاذ قضائه وقدره سلب التحقيق عن كل خطأ في نقله ونظره بحِكَم يعلمها هو تعالى، على أن التفصيل التام وغيره على سبيل الإيهام.

....

---

(1) يوجد كلام غير واضح في هذا الموضع.

فيه فعليه البينة، وما يختلج في فكرك، من إثبات المثل لله تعالى في صفة من صفاته، من سوء الفهم، وقصور الإدراك(*)، ضرورة تباين اللوازم[1] للملزوم، لتباين الملزومات(أ)(**)، على أن البحث باحتمال كون العموم إضافيًا، قد سبقك إليه بعض الطلبة، وكتب به إليّ من مصر، ومن كلامه أخذت ما سطّرتَه، جهلًا منك بسقوط ذلك كله من أول وهلة، ولو علمتَ فساد كلامه، ما حذوتَ حذوه حتى في ألفاظه: **«لتتبعنّ سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع»**[2] الحديث بتمامه.

(*) **في حاشية البناني**: قوله: (من سوء الفهم وقصور الإدراك): يا للعجب! احضر هناك واحكم وأنصف ولا تمل ولا تعتسف، وقل لمن التبست عليه الأمور في سبيل الفهم وقصور الإدراك هل هنا لمن نزه صفات الربوبية عن مشابهة صفات النبوءة في وصف من أوصافها أو مما ادعاها لها.

(**) **في حاشية البناني**: قوله: (ضرورة تباين اللوازم للملزومات): حجة عليه، لا على صفة القدم والحدوث. الأنسب بحال عين الكمال: أصل كل فضل وإفضال هو كل ما لا مشابهة ولا مشاركة ولا مزاحمة لجانب من جوانب الربوبية العظيمة

(أ) في (م): (لتباين الملزومات) ساقط.

---

(1) **اللوازم**: جمع لازم: واللازم هو غير المنفك وهو الخارج عن الشيء الممتنع انفكاكه عنه. وهو عند علماء الأصول على قسمين: لازم في الذهن: بمعنى أن الذهن ينتقل إليه عند فهم المعنى؛ واللازم الثاني في الوجود وهو كون المسمى بحيث يلزم من حصوله في الخارج حصول الخارجي فيه. «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج3 ص2138)؛ وفي «مقدمة في أصول الدلالة» لأحمد مونة (الفصل الثاني: اللزوم عند الأصوليين ص77 وما بعدها).

(2) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: **«لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه»**، قلنا: يا رسول الله اليهود =

* ثم قوله: (وما تجد في حديث أو أثر): ليس من وظيفك ولا وظيف(*) أمثالك المقلدة الذين ينعقون مع كل ناعق، فهذا قول من لا يُعرف بعلم، ولا هو من أهله، أغرت عليه ونسبته لنفسك جهلاً منك بفساده، ولو وقفت على جوابنا له ما كان منك ما كان، ولكن رؤية النفس وحب الظهور حملك على ارتكاب فتن(أ) قاطعة الأعناق وقاصمة الظهور، ووظيفك الإهتمام بالبحث عن المخصص، ولا تجد لذلك سبيلا(1).

بنص حديث: «لا تطروني...» أنه أصل كل إطراء مذموم وتفاصيله يعلمها أرباب الأذواق والفهوم المحافظون على مرتبتي النبوءة والربوبية أدامنا الله تعالى عليها بجاه من أمرنا بها.

(*) في حاشية البناني: قوله: (ليس من وظيفك...) إلخ: هذا من خلف الألفاظ البسيطة والعبارات الشنيعة التي قلنا أنها لا تصدر ممن ألجم نفسه بالتقدم لحاقًا في حق الشيخ اليوسي الذي ثبتت مكانته علمًا وعملاً ومقامًا. فالأمر كله لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فقوله: (ليس من وظيفك فيه): إن فهم هذا الحديث على وجهه هو من وظيفة من هو أولى من الشيخ اليوسي بمن رضاه فضلاً عمن من مثله من الأكابر الأفاضل بل قدمنا أنه مبني على العقد السالم الذي........................

(أ) في (ج) و(د) و(ك): (متن).

= والنصارى؟ قال: «فمن؟») رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب أحاديث الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم 3456 ج2 ص352)؛ و (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي: «لتتبعن سنن...»، برقم 7320 ج4 ص349)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب العلم: باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم 2669 ج8 ص265).

(1) مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ الآية 143من سورة النساء.

....

قد [ ][1] عنه صحبة الناس فضلًا عن المحققين من العلماء.

وقوله: (المقلدة...) إلخ: من عَلِمَ ما قاله الشيخ اليوسي أواخر كتابه «القول الفصل» وما قاله في مراكش عند فراغه للتفسير كما في «الصفوة» مما قدمناه في المقدمة علم براءته مما رماه به عصريه هذا، ونزاهته، بل مكانته علمًا ومشاركة وتحقيقًا وعملًا وإقراءًا بنفسه عن العوارض الوقتية مما هو معلوم عند الخاصة والعامة، وعلياه لا يحتاج فيها لشاهد، وتقريره [ ][1] ضرب من الجهل.

فقوله: (الذين ينعقون..): للخطا ما أقول لك في هذه العظائم التي صدرت منك في حق هذا الإمام الكبير العظيم العالم، أرجو من الله تعالى أن لا يؤاخذك بها يوم القيامة، وأما هذه الدار الفانية، فهي شأن مثل تلك العبارات السيئة بمن لم يلجم نفسه بالاستقامة، والله أعلم لسبب تلك العداوة الجالبة على تلك العبارات الباطلة، وإذا كان الشيخ اليوسي لا يعرف بعلم ولا هو من أهله فمن الذي يعرف به، بل الذي عنده العجز. وعند شيوخنا المحققين وغيرهم من أهل الهمم العالية أن العالم هو من كان مثل الشيخ الإمام النظار الذي يقبل ما يُقبل ويرد ما يُرد من الأنظار ونقل [ ][1] السنوسي.

طالعنا غير ما تأليف من تآليفه الجيدة منها، كـ «شرح جمع الجوامع» و«حاشية شرح الكبرى» و«حاشيته مختصر السنوسي في المنطق» و«مشرب العلم الخاص» فوجدتها يقينًا لا يرد.

....

(1) يوجد كلام غير واضح في هذا الموضع.

* وقوله: (بحسب صنف أو نوع): لا محصّل له(*)، والحق الحقيق[1] بالقَبول إبقاء الحديث على عمومه، وقصره على صنفٍ، أو نوع، أو غيرهما جهل بحقيقة المصطفى ﷺ(**) مع أنه ....

(*) في حاشية البناني: قوله: (لا محصل له هو): بل هو المحصل المحقق الذي عليه المعول، وغيره تخليط ومزاحمة للربوبية التي ينفر منها وينكرها جميع علماء الظاهر ذوي الأفئدة الفكرية وسائر علماء الباطن أهل القلوب النيرية.

قوله: (والحق الحقيق بالقبول إبقاء الحديث على عمومه): هو من ذلك القبيل وأنه لا يبقيه على عمومه على حسب ما ترومه من تفصح به إلا من التبس عليه جانب النبوءة مع جانب الربوبية وخلط وما أعطى لكل مرتبته وما توسط وبسبب الألفاظ هي التي تؤخذ منها القول غيره والعناية حتى يوهم بها ما تقرر بل شأنها أن تحمل على القواعد والعقائد المقررة كما لا يخفى على كل ضعف وتبصر. قال سيدنا حجة الإسلام الغزالي: (قد طلب المعاني من الألفاظ فسقطت صولة واستطالة). التاجموعتي بالحديث المذكور وتمسكه به من جميع غير ما مرة في ذلك المسطور.

(**) في حاشية البناني: وقوله: (جهل بحقيقة المصطفى ﷺ): حقيقته على ما هي عليه على سبيل التنظيل التام والاستيعاب العام، فقد اعترف بالعجز عن إدراكها والوصول إلى أدنى مرتبة من مراتب علمها أكابر علماء الظاهر وفحول علماء الباطن البحار الزواخر، «وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق»، قال شراحه. بل قال ﷺ: «**لا يعرفني حقيقة غير ربي**»، ما هو مقرر معلوم مبسوط مفروغ منه في كلامهم المنشور والمنظوم ولو تتخذ بعضه مما نستحضره ونطالعه ونقرره لطال المحال وتكررت الأوراق والصحف لا بعده الطول على أنه خروج

(1) في (ج) و(د) و(ك): (والحق الخليق).

لو كان المراد شيئا مخصوصا(*)، لما حصلت الفضيلة التي لم تحصل لأحد، لمشاركة غيره له ﷺ من الأنبياء والأملاك، بل والصالحين[أ] من عباده في ذلك، فلا بد من الخصوصية التي لم يشارك فيها، ولأجلها أخبر بهذا الخبر إعلامًا لأمته، ليعتقدوا ذلك، ويعرفوا قدره عند الله:

وعلى تفنن واصفيه[ب] بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يُعلَم[1]

عن المقصود من هدم جميع ما تمسكت به على فهمك المردود. وأما حقيقته ﷺ على حسب ما تدركه القوى البشرية والطاقة الفكرية والاطلاع على الأنقال الصحيحة والأذواق المليحة والكشوفات الإلاهية والفتوحات النبوية فقد أدرك الفريقان المذكوران من ذلك ما ازدادوا به إيمانًا ومعرفة ومحبة ومشاهدة هنالك على حسب اختلاف مراتبهم العلية ومقاماتهم البينة. ما عند ابن زكري «شرح النصيحة» في الأول نقلا عن ذلك العارف الكبير.

(*) في حاشية البناني: وقوله: (مع أنه لو كان المراد شيئًا مخصوصًا لما حصلت

(أ) في (د) و(ك) : (ومن الصالحين).

(ب) في (ج) و(ك) : وعلى تفنن عاشقيه).

وفي (د): (وعلى تفنن واصفيه بحسنه.. يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف).

---

(1) هذا البيت هو لعمر بن علي المعروف بابن الفارض (ت 632هـ/ 1235م): في مدح النبي ﷺ، من قصيدة مطلعها:

(قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف)

يقول البوريني (ت1024هـ) في «شرحه لديوان ابن الفارض» عند هذا البيت: (وقد بلغني ممّن أثق به أن الشيخ قال: لو لم يكن لي بمدح الرسول ﷺ سوى هذا البيت لكفى). «ديوان ابن الفارض» (ص91)؛ وفي «المواهب اللدنية» للعلامة القسطلاني (ج2 ص517)؛ و«الكشكول» لبهاء الدين العاملي (ت1031هـ) (ص286)؛ و«معجم أعلام شعراء المدح النبوي» لمحمد درنيقة (ص276)؛ «شرح ديوان ابن الفارض» للمؤرخ البويني (ج1 ص19)؛ و«ديوان ابن الفارض قراءات لنصه عبر التاريخ» =

فسبحان من خلقك، وخلق عمداً قد صدّرتَ نفسك، ونصبتها للاهتداء بها سلوكا وتربية بزعمك، وأنت لا تعرف حقيقة هذا النبي الكريم، فإن العارف إذا ذكر الله تعالى، تذكر من دلّه على معرفته، وهداه إلى طاعته، وهو سيدنا محمد رسول الله(أ) ﷺ كما قيل:

وأنـــت بـــاب الله أي امـــرئٍ أتـــاه مـــن غيـــرك لا يـــدخـــل(1)

الفضيلة...) إلخ: تقدم له نحو هذا [...](2)، لا تصدر ممن يعرف تقنية المباحثة والمسايرة والمناظرة وتقدم لنا نيابة عن الشيخ اليوسي بل وعن جميع علمائنا وأوليائنا بيان فسادها وإيضاح بطلانها وكسادها، وأن مراد الشيخ اليوسي وغيره من الأئمة بالشيء المخصوص الذي هو مقتضى كون العموم في الحديث المذكور إضافيًا الذي فوق كل مخلوق من الملائكة والأنبياء فضلًا عن غيرهم من الأولياء مما لم يبلغ مرتبة الربوبية فاعتبروا وأثبتوا [ ](3) النيرة و[ ](3) والغلط باعتقاد صفة الربوبية من صفات النبوءة جنبنا الله وإياكم كل غلط ولبس ورزقنا الأدب وجنبنا مدافع العطب بجاه من يكشف به الأخزر الكرب ﷺ وعلى آله وسلم وشرف ومجد وعظم.

(أ) في (د): (رسول الله) ساقطة.

---

* لجوزيي سكاتولين (ص18) و (ص180).

(1) من قصيدة للإمام محمد بن الشيخ أبي الحسن محمد البكري الصديقي الشافعي الأشعري المصري (ت993هـ)، والتي أولها:

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعد أو تنزل

سبق الإشارة لها في (ص550 ـ 551).

(2) كلمة غير واضحة.

(3) يوجد كلام غير واضح في هذا الموضع.

ومن كلام النبوءة الأولى(*): (من أراد الوصول إلى الله تعالى من غير باب النبوءة قطعه الله تعالى عنه[أ])، فأرنا بابك الذي منه[ب] دخلت، ومنه وصلت، فلعمري ما دخلت، ولا وصلت، ولكن خرجت وانقطعت. وكيف لا؟ وسوء(**) اعتقادك في هذا النبي الكريم قد جهرتَ به، ولم تستحي من الله، ولا خشيت

(*) في حاشية البناني: قوله: (ومن كلام النبوءة الأولى) إلى قوله: (فأرني بابك الذي دخلت منه وصلت): جوابه نيابة عمن سلطك الله عليه، وكأن تقييدك المذكور في المسألة جعلته سلمًا للكلام فيه، هو أن بابه الذي منه وصل ووصل صرت تتجاهله وتتطاول هو الباب الأكبر والنور الجامع الأبهر الذي ما شذ عنه أحد ولا غبر من كل مخلوق له [ ][1] من الواحد الأحد الصمد هو المصطفى ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم وكلام العارفين في هذا المعنى كثير مفرق في كتبهم نظمًا ونثرًا كثير والشيخ اليوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو من كبار العلماء ونبلاء الأولياء الفضلاء الذين يقرون به علمًا وعملًا وحالًا، وهل العرب بالباب؟ هل قصل يده تنبئك عن ذلك الخطاب؟ ولو لم يكن منها إلا جدَّ سيرها فليست [ ][1] أنشأها عند [ ][1] عليه الصلاة والسلام.

(**) في حاشية الحجوي: حاشاه من سوء الاعتقاد، وما كلامه صريح في غاية التعظيم، ونهاية الاحتدام. نعم؛ راعى مقام الحضرتين، وتأدب معهما ولم يفرط في جنب الله، وكلامه دائر على أن الرب رب، والعبد عبد، ولم يتهور بنسبة صفات الرب للمربوب، والله لعليم بما في القلوب.

(أ) في (د) و(ك): (تعالى عنه) ساقطة.

(ب) في (م) : (منه) ساقطة.

(1) يوجد كلام غير واضح في هذا الموضع.

امتعاض الأمّة، وغيرتها، وغضبها لنبيها ﷺ، فترميك عن قوس واحدة، وأخالك اغتررت بالتحصن بكثرة الأتباع، وأن لا يسلموك[أ] لمن يقصدك بالإيقاع، وستعلم ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[1].

* وقوله: (وقد قال الله تعالى في نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾[2] الآية): نحن أمة محمدية[*] لا موسوية، ومع ذلك فقيام دليل التخصيص في عموم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، لا يلزم منه التخصيص في عموم علم المصطفى عليه الصلاة والسلام، لتفاوت المرتبتين، وبُعد ما بين المنزلتين: «لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»[ب][3]، على أن الانتقال من

(*) في حاشية البناني: قوله: (نحن أمة محمدية...) إلخ: هو كله سوء فهم؛ لأن مراد الشيخ اليوسي بذكر الآية في حق نبيها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: التنظير، لكون لفظ «كل» في الحديث المذكور ليس للعموم الحقيقي بالآية الشريفة لا غير، وإن كان كل من الحديث والآية المذكورة إنما حمل لفظ كل منه على غير العموم الحقيقي؛ لدليل كما بينه المفسرون في الآية المذكورة ولا زلت تراه في الحديث المذكور.

(أ) في (د) و(ك): (وألا يسلموك).

(ب) في (ج): زيادة: (أي فيما ذكره من العموم في حق نبينا عليه الصلاة والسلام).

---

(1) سورة البقرة، الآية: 166.

(2) سورة الأعراف، الآية: 145.

(3) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (برقم 26421 ج5 ص312)؛ وأحمد في «مسنده» (رقم 15156 ج23 ص349)؛ و(برقم 14631 ج22 ص468)؛ والبيهقي في «شعب =

بحث عموم علم المصطفى عليه الصلاة والسلام، إلى الاستدلال بالتخصيص في عموم سيدنا(أ) موسى دليل انقطاعك، وقصر باعك، وإلا فما لنا ولذكر عموم سيدنا موسى وخصوصه، لولا الحيرة والزوغان(ب) عن موضوع البحث، لما ضقتَ به ذرعًا، وإلا لم تجد ما يساعدُ أساطيرك عقلًا ولا شرعًا(*):

• وفي «الحلية» عن أنس(**) أنه ﷺ قال: (أوحى الله تعالى إلى موسى ـ عليه

(*) في حاشية البناني: وقوله: (وإلا لم تجد ما يساعدُ أساطيرك عقلًا ولا شرعًا): قد علمت الأدلة العقلية والنقلية ما فيه الكفاية لو اهتديت منها ولم تشغل نفسك بسبب وذم ذلك الشيخ المبرء عند العلماء كافة.

(**) في حاشية البناني: قوله: (وفي الحلية عن أنس...) إلخ: الحديث المذكور وما في معناه من الأحاديث المذكورة في «الخصائص الكبرى» للحافظ السيوطي، وفي غيرها معلوم عند الشيخ اليوسي وغيره من كبراء العلماء الذين لهم الخبرة بخصائص سيد الأسياد، مفروغ منه عند جميع العقلاء النجباء، ذكره في هذا المحل إنما ردك على الشيخ اليوسي لا محل له، إنما هو من ترديدتك وتبجحاتك، وإنك تعلم علم الحديث، ولك الخبرة، والشيخ اليوسي ليس نفسه

(أ) في (ج) و(د) و(ك): (سيدنا) ساقطة.

(ب) في (ج) و(د): (الروغان).

وفي (ك): (الدوغان).

= الإيمان» (برقم 174 ج1 ص347)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (رقم 2238 ج2 ص17)؛ وابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم وفضله» (باب مختصر في مطالعة كتب أهل الكتاب، برقم 782 ص256)؛ والبغوي في «شرح السنة» (برقم 126 ج1 ص270)؛ وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج1 ص174)؛ وفي (ج8 ص262).

الصلاة والسلام ـ أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار، قال: يا رب! ومن أحمدُ؟ قال: ما خلقت خلقًا أكرم عليّ منه، كتبتُ اسمهُ مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض، أن الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته. قال: ومن أمته؟ قال: الحمّادون الذين(أ) يحمدون صعودًا وهبوطًا، وعلى كل حال) الحديث، إلى أن قال موسى: (اجعلني نبي تلك الأمة. قال: نبيها منها. قال: اجعلني من أمة ذلك النبي. قال: استقدمتَ واستأخر، لكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال)[1]، انتهى.

وورد بمعناه من طرق كثيرة كما في «الخصائص الكبرى»[2].

• ومن هذا المعنى: «**كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد**»[3]، وليس معنى

بل هم عندك حسبما دلت عليه ألفاظك السيئة خارج عن مقام العلم حديث

(أ) في (ج) و(د) و(ك): (الذين) ساقطة.

---

(1) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (ج3 ص376).

(2) «الخصائص الكبرى» لجلال الدين السيوطي (ج1 ص22 ـ 23).

(3) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم 36553 ج7 ص329)؛ وأحمد في «مسنده» (رقم 20596 ج34 ص202) قال محققه: (إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (رقم 1606 ج7 ص374)؛ والترمذي في «العلل الكبير» (رقم 683 ج1 ص368)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (رقم 2918 ج5 ص347)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (رقم 410 ج1 ص179)؛ والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (رقم 5977 ج15 ص231)؛ والطبراني «المعجم الكبير» (رقم 833 ج20 ص353وفي مواضع أخرى)؛ والآجري في «الشريعة» (رقم 943 ج3 ص1405)؛ وابن بطة في «الإبانة» (رقم 1893 ج4 ص273)؛ والحاكم في «المستدرك» (رقم 4209 ج2 ص665) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)؛ وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (ج7 ص122)؛ وذكره الهيثمي في «مجمع =

الحديث كما يسبق إلى الأذهان، تعلق علم الله تعالى أنه سيصير نبيًا، لأن علم الله محيط بجميع الأشياء، ووصف النبي ﷺ في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له في ذلك الوقت؛ ولهذا رأى آدم عليه الصلاة والسلام مكتوبًا على ساق العرش: (محمد رسول الله ﷺ)[1]، فلا بد أن يكون ذلك معنى ثابتًا في ذلك الوقت، ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيظهر في المستقبل لم تكن له ﷺ خصوصية بأنه نبي وآدم بين الروح والجسد، لأن جميع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت، وقبله؛ فلابد من خصوصية للنبي ﷺ كما أنه لو كان المراد بقوله: (أوتيت علم كل شيء صنفًا أو نوعًا أو جنسًا)، كما في الأساطير لم تكن له ﷺ خصوصية بذلك، فلا بد من خصوصية لأجلها أخبر هذا الخبر إعلامًا لأمته ﷺ ليعتقدوه ويُنَوّهوا به، فيحصل لهم علم اليقين[2] بقدره. فتبيّن بهذا كله أنه ﷺ نبيء الأنبياء ورسول الإرسال، ويظهر

وغيره أما مقامه في المقعد [ ][3].

....

= الزوائد» (رقم 13848 ج8 ص223)؛ والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص521).

(1) أورده في «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» القاضي عياض (ج1 ص114)؛ وفي «تاريخ دمشق» ابن عساكر (ج39 ص297)؛ وفي «الحاوي للفتاوي» جلال الدين السيوطي (ج2 ص174).

(2) **علم اليقين**: هو العلم الحاصل من الدليل العقلي؛ وهو ما كان ناشئًا عن البرهان. «شفاء السائل» لابن خلدون (ص90)؛ و«السير والسلوك إلى ملك الملوك» لابن صلاح الدين الخاني (ت1109هـ) (ص50)؛ ومعراج التشوف إلى حقائق التصوف» لابن عجيبة (ت1224هـ) (برقم 38 ص43).

(3) يوجد كلام غير واضح في هذا الموضع.

ذلك في الآخرة بكون جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تحت لوائه[1] كما ظهر في الدنيا ليلة الإسراء[2]، إذ صلى بهم ﷺ، فلو اتفق مجيئه ﷺ في زمن آدم أو غيره، وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، فنبوته ﷺ ورسالته إليهم معنى حاصل له، وإنما أمره متوقف على اجتماعه معهم، فتأخر ذلك لأمر راجع إلى وجودهم، لا إلى عدم اتصافهم بما يقتضيه، وفرق بين توقف الفعل على قَبول المحل، وتوقفه على أهلية الفاعل، فهذا لا يتوقف من جهة الفاعل، ولا من جهة ذات النبي ﷺ، وإنما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه، فلو وجد في عصرهم، لزمهم اتباعه بلا شك، ولهذا يأتي عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ في آخر الزمان على شريعته ﷺ، وهو نبي كريم على إجلاله[أ]، لا كما يظنه بعضهم، من أنه يأتي واحدًا من هذه الأمة.

• نعم؛ هو واحد منها لما قلناه من اتباعه ﷺ. الحاصل أن الدعاة إلى الله تعالى وإن تعددوا فهم جزئيات من كليته ﷺ، ولذلك قال بعض العارفين[3]: (لا

....

(أ) في (د) و(ك): (على حاله).

(1) صح ذلك من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي» الحديث. سبق تخريجه في (ص394).

(2) توقفت النسخة (ج) عند هذا الموضع.

(3) يقصد المصنف بـ «بعض العارفين»: سعد بن عبد الله الفرغاني (أبو عثمان، سعد الدين) (ت 699هـ) صوفي. من آثاره: «مناهج العباد إلى المعاد»، و«منتهى المدارك». «معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 5623 ج1 ص757).

داعي حقيقي من الابتداء إلى الانتهاء إلا هذه الحقيقة الأحمدية[1] التي هي أصل جميع الأنبياء، وهم كالأجزاء والتفاصيل لحقيقته ﷺ، فكانت دعوتهم من حيث جزئياتهم(*) عن خلافة من كلهم لبعض أجزائه، وكانت دعوته، دعوة الكل لجميع أجزائه إلى كليته، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[2]، والأنبياء، والرسل، وجميع أممهم، وجميع المتقدمين، والمتأخرين داخلون في كافة الناس، وكان هو ﷺ داعيا بالأصالة، وجميع الأنبياء، والرسل يدعون الخلق

(*) في حاشية الحجوي: هذا قد أورد عليه بعض شراح «الشفا» أشكالًا وألوانًا، إذن صار جميع الخلق أمة له ﷺ، فما معنى أفضليتها على غيرها؟ ومن هو المفضل عليه، ولو كانوا خلفاء، كيف يقول له الحق سبحانه: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[3]؟ وهل يقتدي أحد بنائبه؟ انظر شراح «الشفا»، وكنت أجبت عن ذلك ولم يحضرني الآن ذلك الجواب. وانظر «الخفاجي».

....

(1) تناول أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت1327هـ) في «الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية» (ص66 وما بعدها) حقيقة الرسول ﷺ الباطنية (الحقيقة الأحمدية)، وميز بينها وبين حقيقته ﷺ الظاهرية (كونه بشرًا أرسل للعالمين كافة)، مبينًا ارتقاء روحه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في المعارج الإلهية، ومشاهدتها أنواع الجمال والجلال الإلهين، موضحًا ظهور الحقيقة الأحمدية، وبرزخيتها وتجليها في الموجودات، مؤكدًا على اصطحاب الذاتين الأحمدية والمحمدية، ونزول القرآن التفصيلي على الحقيقة الأحمدية، مبرزًا أسباب تأخر هيكل الرسول ﷺ الشريف، مستدلًا بالقرآن والسنة وأقوال السلف.

(2) سورة سبأ، الآية: 28.

(3) سورة الأنعام، الآية: 90.

إلى الحق عن تبعيته ﷺ، وكانوا خلفاؤه، ونوابه في الدعوة، فهو الداعي على الحقيقة والإطلاق ﷺ)[1].

والكلام في هذا الباب مما يطول، وقد ألف الناس فيه تآليف مفردة، فلنقتصر على هذا القدر.

* وقوله: (وقال في كتاب نبينا ﷺ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[2]، وقال: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[3]...) إلى آخره: المراد بالكتاب من آية الأنعام: اللوح المحفوظ؛ وهو كذلك، ولو قيل المراد به القرآن ما بعُد، والنبي ﷺ يعلم ذلك كله ثم الناس بعده على تفاوت درجاتهم وطبقاتهم. قال علي كرّم الله وجهه: (لو أذن لي رسول الله ﷺ أن أضع على الفاتحة وِقْر سبعين بعيرًا، لفعلتُ)[4]،

....

....

(1) أورده الإمام مصطفى البكري (ت1162هـ) في «الروضات العرشية في الكلام على الصلاة المشيشية» مطبوعة ضمن «شموس الأنوار ومعادن الأسرار على صلاة القطب الأكبر مولانا عبد السلام بن مشيش» لمحمد المرُون (ص198)؛ والإمام محمد بن أحمد بنيس الفاسي المالكي (ت1214هـ) في كتابه «لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية البوصيري» (عند شرحه للبيت رقم 443 ص380). وهو حاشية على كتاب «الفوائد الجليلة البهية على شرح الشمائل المحمدية لأبي عيسى الترمذي» للعلامة محمد بن قاسم جسوس؛ وأحمد ابن عجيبة الحسني (ت1224هـ) في «الأنوار القدسية شرح همزية البوصيري» (عند البيت 135 ص156).

(2) سورة الأنعام، الآية: 38.

(3) سورة النحل، الآية: 89.

(4) أورده أبو طالب المكي (ت386هـ) في «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف =

والإحاطة ليست إلا للمصطفى ﷺ إذ هي من خصائصه.

* وقوله: (تبيانا لكل شيء...) إلى آخره: هو كالذي قبله، إلا أن الكتاب هنا يتعين كونه القرآن بقرينة ﴿ونزلنا﴾، والسورتان معا: «الأنعام» و«النحل» مكيتان، وحصول فضيلة عموم العلم بالمدينة في آخر الأحوال على ما عليه أهل العلم.

* وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]: «طه» مكية أيضا، فلا دليل فيها.

* وقوله: (ومن الدليل عقلا...) إلخ: هذا الدليل منقوض من غير ما جهة، لأنه مبني على ما توهمه من تعلق القدرة بما لا تتعلق به، وعلى ما تخيّلت من الوراثية لما لا يتناهى، وما لا يتناهى لا يُتعقل له وراء، فالممكنات لا تتناهى؛ إذ كل ما وُجد ممكن صحّ مثله[أ]، ولا وقوف للعقل إلى غاية يحكم عندها باستحالة وجود ذلك، لأن ما صحّ على الشيء، يصح على مثله؛ وهكذا لا إلى نهاية.

* فقوله: (لتناهت): باطل؛ لملزومية خلق علم آخر في المحل الذي قام به العلم، لاجتماع المثلين الملزوم لاجتماع الضدين وأنه محال، فلا يصح متعلقًا

....

(أ) في (ك): (وجود مثله).

= طريق المريد إلى مقام التوحيد» (ج1 ص101)؛ وأبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي المالقي الأندلسي المعروف بابن الشيخ (ت604هـ) في «ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة» (ج1 ص222)؛ والعلامة محمد الطيب بن عبد المجيد ابن كيران (ت1227هـ) في «شرحه» على «توحيد ابن عاشر» (ص104)؛ ومحمد عبد الحي الكتاني في «نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية» (ج2 ص130).

(1) سورة طه، الآية: 114.

للقدرة، وسننبه قريبًا على امتناع خلقه في محل آخر، ومعلومية كل شيء ثابتة لا إلى نهاية ضرورة، أن المعلومات كالممكنات لا نهاية لها، ولا يلزم من ذلك ثبوت المثل لعلمه تعالى لتحقق البداية، وقد أجمع المسلمون أن نعيم الجنان، وعذاب الكفار لا نهاية لهما، وهما حادثان مخلوقان لله تعالى، فسبحان الفاعل المختار المخصص من شاء بما شاء ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[1]، فتلخص من هذا أن علمه ﷺ كما أخبر متعلق بغير المتناهي، والمتعلق بغير المتناهي غير متناه.

* وقوله: (بحيث لا يمكن خلق علم آخر...) إلخ: مما لا معنى له لما قدمناه قريبا من ملزوميته لاجتماع المثلين الملزوم لاجتماع الضدين مع أن ما لا يتناهى لا يعقل له وراء، ومهما تعقل له وراء فهو متناه، كيف لا وهو لا يتناهى؟

هـذا خلف!! على أنه قد يقال: هي كون خصوصية عموم علمه ﷺ(*) من الممكنات بالنظر إلى ذات الخصوصية، وأما بالنظر إلى تعلق علم الله تعالى بعدم وجود مثل ذلك في حق غيره ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهو من باب المحال ـ كما قيل ـ في وجود قبله ﷺ، والمسألة معلومة فلا حاجة لإيرادها.

* ثم قوله: (حادث متعلق للقدرة الأزلية): متداخل لملزومية حدوثه لتعلق القدرة وملزومية كونه متعلقًا للقدرة تعلقًا تنجيزيًا لحدوثه، فلا معنى للجمع

(*) في حاشية الحجوي: من الممكنات بالنظر إلى ذات الخصوصية، وأما بالنظر إلى تعلق علم الله تعالى بعدم وجود مثل ذلك في حق غيره عليه الصلاة والسلام، فهو من باب المحال كما قيل في وجود مثله ﷺ.

....

---

(1) سورة القصص، الآية: 68.

بينهما. ثـم لينظر ما بين قوله في هذا الأسطر: (علم الحادث حادث)، وبين قوله في الأساطير السابقة: (على حد علم الله تعالى)، مع قوله: (أن يكون لغير الله علم كعلمه تعالى): من التدابر، والتقاطع الذي لو رآه الجاحظ[1] لاستدرك صاحب الأساطير في ترجمة النّوكَي.

* وقوله: (فيلزَم التخصيص والعجزُ): لا يلزم شيء من ذلك إلا على ما توهمته من تعلق القدرة بالمحال، وبلا شك أن للأوهام موقفًا لا تخرج عن نطاقه كما في حديث: (الذي يخرج من النار ثـم يتمنى حتى تنقطع به الأماني)[2].

....

....

---

(1) **الجاحِظ** (163 ـ 255هـ) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. له تصانيف عديدة منها: «البيان والتبين»، و«كتاب الحيوان»، و«الرد على أصحاب الإلهام» وغيرها. «تاريخ بغداد» للخطيب (رقم 6622 ج14 ص124)؛ وفي «الأنساب» للسمعاني (ج3 ص154)؛ و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (برقم 5316 ج45 ص431)؛ و«ميزان الاعتدال» للذهبي (رقم 6333 ج3 ص247)؛ «سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 149 ج11 ص526)؛ و«بغية الوعاة» للسيوطي (رقم 1861 ج2 ص228)؛ وفي «شذرات الذهب» لابن عماد (ج3 ص231)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج5 ص74).

(2) هو جزء من حديث طويل لرسول الله ﷺ حينما سُئل: (هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فأجاب ﷺ: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**»...) الحديث. رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب تفسير القرآن سورة النساء: باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ برقم 4581 ج3 ص154)؛ وفي (كتاب الرقاق: باب الصراط جسر جهنم، برقم 6573 ج4 ص187)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية، برقم 182 ج2 ص302).

فإنه إنما يتمنى ما يصل إليه إدراكه، ومن وراء ذلك: «ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر»(1).

* وقوله: (وأما النقل فكثير):

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا(2)

ما رأيتَه يا فُلُ! كثيرا، ليس من الدليل في شيء كما أوضحناه لك قبلُ(أ)، وأما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(3)، فليس كما ذكرت، وإنما معنى الآية: إلا بما شاء أن يحيطون به، فالإحاطة داخلة تحت المشيئة، وقد أخبر الصادق المصدوق(4) بحصول ذلك له، وبالضرورة أنه بمشيئة الله وإرادته واختياره. وقد أورد بعض أهل العصر، لما وقف على إملائنا في المسألة ما نصوا عليه من أن: (سر القدر لا يعلمه إلا الله، وذلك كصورة تعلق القدرة بالمقدور حالة الإيجاد)(5)، فأجبتُه بأن الشيخ محي الدين قُدّس سره، نصّ على أن: (الله

....

(أ) في (د): (كما أوضحنا ذلك قبل).

(1) سبق تخريجه في (ص413).

(2) من قصيدة: (ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم): نسبت للإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. «ديوان الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (قافية الدال ص39)؛ كما نسبت لدعبل بن علي الخزاعي (ت246هـ) في «شعر دعبل بن علي الخزاعي» لعبد الكريم الأشتر (ص121).

(3) سورة البقرة، الآية: 255.

(4) سبق التعريف بـ«الصادق المصدوق» في (ص426).

(5) من كلام الإمام الشعراني. ينظر «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر» (عند الكلام على اسمه الله تعالى «القادر» ج1 ص160)؛ وفي «حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع» (ج2 ص455).

تعالى قد طوى علم سر القدر عن سائر الخلق ما عدا محمدًا ﷺ[أ])[1]، وذكر عن نفسه أنه يعلمه بحكم الوراثة المحمدية، ثم قال: (لكن لا يسعنا الإفصاح عنه لغلبة منازعة المحجوبين فيه)[2]، ثم قال: (قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[3])، فأدخله تحت المشيئة، وقد دلت الأحاديث على حصول ذالك له ﷺ، قال: «أوتيت علم كل شيء»[4]، و«تجلى لي علم كل شيء»[5].

فالعدول عن ظاهر الحديث: تكذيب له، وصدف له عن معناه الظاهر منه من غير داع عقلي ولا شرعي، وكيفية نظم الدليل على طريقة أهل النظر هو هكذا: عموم علم النبي ﷺ، وشموله أمر ممكن، وكل أمر ممكن، إذا أخبر الصادق المصدوق[6] بوقوعه، يجب الإيمان والتصديق به، فعموم علمه ﷺ يجب الإيمان

....

(أ) في (ك): (ما عدا رسول الله ﷺ).

(1) نقله الإمام الشعراني في «اليواقيت والجواهر» (ج1 ص160)، وقال: (قاله الشيخ - يعني ابن عربي - في شرحه لترجمان الأشواق)؛ وذكره العطار في «حاشيته على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع» (ج2 ص456)؛ وكذا محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة (ت1367هـ)، في حاشيته على «الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق لأحمد بن إدريس القرافي (ت684هـ)» (الفرق113 القاعدة 18: التفضيل بالتأثير ج2 ص368).

(2) السابق نفسه.

(3) سورة البقرة، الآية: 255.

(4) سبق تخريجه في (ص378)؛ و (ص389).

(5) سبق تخريجه في (ص388 - 389).

(6) سبق التعريف بـ«الصادق المصدوق» في (ص426).

يه، أي بوقوعه وحصوله، والحق لا ينتج إلا حقًّا.

وقوله: (وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1])، السجدة مكية، يا فُلُ! فلا دليل فيها، وبحسبك جهلًا، جهل من لا يفرق بين المكي والمدني من التنزيل.

* وقوله: (فهذا القدر من التعميم): لو كانت السجدة مدنية، لسهل الجواب عن آياتها، ولكن مكية، فلا حاجة بالكلام عليها، إذ هي ليست من موضوع البحث في شيء، ومن أغرب ما يسمع الإستدلال على نفي أمر حصل للنبي ﷺ في آخر أحواله بالمدينة بآي مكية، وذلك من المجازفة وعدم التحرير.

* وقوله: (وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[2]): طه، يا فُلُ! مكية، فلا معنى للاستدلال بآياتها في هذا الباب.

وقوله: (وقال ﷺ في نفسه يوم الناقة...) إلخ[3]: لما قال ذلك المنافق ما قال، أرشد ﷺ إلى محل ناقته، فوجدت كما أخبر، وهذا دأبه ﷺ قيامًا بمقتضى العبودية، وتأدبا مع ربه، فإن دعت الحال إلى الكلام، تكلم ﷺ هاديًا مرشدًا، وقد انتهت بك أمارتك إلى الركون إلى مقالة أهل النفاق، حرصًا على نفي هذه الفضيلة، وترويجًا لأساطيرك، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾[4]

....

....

(1) سورة السجدة، الآية: 17.

(2) سورة طه، الآية: 114.

(3) سبق في (ص463).

(4) سورة التوبة، الآية: 32.

الآية، على أن ذلك المنافق: وهو زيد بن اللصيت[1] أسلم وحسُن إسلامُه، وهداه الله بالنبي ﷺ، فما أيقن صدقَه بظهور تلك الآية الواضحة، وإطلاعه على أسرار علوم الغيب.

* وقوله: **(وهو إن احتمل العموم..)**، إلى قوله: **(فمع الاحتمال يُصارُ إلى الأصل، وهو عدم الحصول، وذلك ما قلناه)**: هذه قاصمة، يسن لها عاصمة، عياذا بالله من هذه المقالة البشيعة الشنيعة؛ اللّهم أني أبرأ إليك منها.

فإن الكمال، والفضل أصله رسول الله ﷺ ابتداءً ودوامًا، فكيف يا فُلُ، تفوه بهذا؟! وتصرح بأن الأصل في أصل الكمالات الدنيوية، والأخروية، ومنه صار ما صار إلى النبيئين، والمرسلين، والملائكة، وخواص الخلق فضلا من الله تعالى وكرامة فما يقال لفضل الله ذا بكم»[2] خبر أن الأصل عدم حصولها له.

فتنبّه يا مغرور! فقد وقعتَ في مهاوي الخزي الأكبر؛ أما تستحي من الله ورسوله أن تفوه بهذه المقالة؟ فإنها مقالة تهيج الدم، وتوجب في الدنيا والآخرة

....

....

---

(1) هو القائل لما ضلت ناقة النبي ﷺ في غزوة تبوك، وطلبوها فما وجدوها؛ لأنهم خيموا ونزلوا في الطريق: (يزعم محمد أنه نبي، يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته!!)، إلا أنه لم يزل فسلًا - أي: رذلًا - إلى أن مات. «مغازي الواقدي» لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ) (ج3 ص1010)؛ وفي «السيرة النبوية» لابن هشام (ت213هـ) (ج2 ص502)؛ و«إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع» للمقريزي (ت845هـ) (ج5 ص117)؛ و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (ت852هـ) (برقم 3015 ص522).

(2) من قصيدة «البردة» للإمام البوصيري. سبق في (ص402).

الطرد والذم، ولا يرتاب من سمعها في أنها مقالة كفر، ولـم تقنع بقولك: (يُصار إلى الأصل وهو عدم الحصول)، حتى أكّدته بقولك، وذلك ما قلناه، وهو تسجيل عليك بما أشرنا إليه، من تصديك في أساطيرك للغض من منصب سر الوجود، وعروس المملكة ﷺ، إذ صرّحتَ في جانبه بما لـم يقل به سابق ولا لاحق، من أن الأصل فيه عندك، عدم حصول الكمالات، فنعوذ بالله من العثرات، والفلتات، وهذا ما لا يسع أحدًا من هذه الأمة السكوت عنه، ولا يكفي التبري منه:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يُراق على جوانبه الدّمُ[1]

* **وقوله: (وفي حديث آخر: «كل يوم لا أزداد فيه علما، لا بورك في شمس ذلك اليوم»):**

هذا اللفظ الذي ساقه، لـم يقله النبي ﷺ، وإنما تقوله عليه، فيتناوله الوعيد الوارد: «**من كذب عليّ فليتبوّأ مقعده من النار**»[2]، ولفظ الحديث كما رواه

....

....

(1) هذا البيت من قصيدة للمتنبي مطلعها: (لهوى النفوس سريرة لا تعلم)، قافية الميم. «ديوان أبو الطيب المتنبي» (ص571)؛ وفي «شرح ديوان المتنبي» لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت468هـ) (البيت 11 ص342)؛ وفي «شرح ديوان المتنبي» لعبد الرحمن البرقوقي (ت1363هـ) (ج4 ص252).

(2) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم 259 ص75)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الزهد والرقائق: باب التثبت في الحديث، برقم 3004 ج9 ص244)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (رقم 26238 ج5 ص295)؛ وأحمد في «مسنده» (رقم 8266 ج14 ص17)، و(رقم 8776 ج14 ص384)؛ والدارمي في «مسنده» (برقم 237 و238 ج1 ص304)؛ والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (برقم 381 ج1 ص354)؛ والحاكم في «المستدرك» =

أبو النعيم والطبراني وآخرون بسند ضعيف: «**كل يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله تعالى، فلا بورك لي في شمس ذالك اليوم**»[1]، ولا شبهة في كون العلم مقيدًا بالمقرب إلى الله تعالى في الحديث، وفيما ساقه مطلقًا، فيا بُعد ما بين المقيد والمطلق! فزاد على قوله ﷺ، وكذب عليه، وقوّله ما لم يقل، فأيّ سماء تظله؟ وأيّ أرض تقلّه؟ ونقص لفظة (لي) من قوله: (**فلا بورك لي في شمس** ذلك اليوم)، فاجتمع له الزيادة المعنوية، والنقصان اللفظي، وكفاك بذلك خسرًا، ولأجل هذا ـ من خوف التبديل والتغيير لحديثه ﷺ مع عدم استيفاء معناه ـ منع أهل المصطلح نقله بالمعنى، سيما في حق من لم يتمرّن لسانه، ولا تنور سره، بمعاني أقواله ﷺ. والحديث على ضعفه، لا تقوم به حجة، لما يرومه من نفي هذه الخصوصية، لاحتمال صدوره عنه في أول الأمر، أو وسطه، ومع الاحتمال يسقط الاستدلال[2].

....

....

= (رقم 258 ج1 ص149)؛ و(برقم 5141 ج3 ص294)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (برقم 4487 ج6 ص469).

(1) سبق تخريجه في (ص463 ـ 464).

(2) القاعدة الأصولية: (الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال):
استعملها علماء عديدون مثل: السندي في «حاشيته على النسائي» (برقم 631 ج2 ص333)؛ والسيوطي في «شرحه على سنن النسائي» (برقم 631 ج2 ص332)؛ والشوكاني في «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار»: (باب الوضوء من مس المرأة ص140)، و(باب النهي عن الطلاق في الحيض ص1261)؛ والشوكاني في «السيل الجرار المتدفق على =

....

....

....

= حدائق الأزهار» (ص86)؛ والشوكاني في «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» (في إمكان الإجماع في نفسه ج1 ص357).

على أنه في تفصيل للقرافي نقله: ابن اللحام البعلي الحنبلي (ت803هـ) في «القواعد والفوائد الأصولية» (ج1 ص311 عند القاعدة 59)؛ ونقله العطار في «حاشيته على شرح المحلي لجمع الجوامع للسبكي» (ج2 ص24 ـ 25)؛ والزركشي في «البحر المحيط في أصول الفقه» (مباحث العام: فصل في العموم المعنوي: المسألة الثالثة، ج3 ص148): (ومنها قول الشافعي: «حكاية الحال، إذا تطرق إليها الاحتمال، كساها ثوب الإجمال، وسقط منها الاستدلال». ونقل عنه أيضا: «ترك الاستفصال في حكاية الحال، مع قيام الاحتمال، ينزل منزلة العموم فى المقال، ويحسن بها الاستدلال». واختلفت أجوبة الفضلاء عن ذلك: فمنهم من يقول: (هذا مشكل)؛ ومنهم من يقول: (هما قولان للشافعي). وجمع القرافي في كتبه بينهما فقال: (الاحتمالات: تارة تكون فى كلام صاحب الشرع، فتقدح. وتارة تكون فى محل مدلول اللفظ، فلا تقدح. فحيث قال الشافعى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن حكاية الحال إذا تطرق إليها الاحتمال سقط منها الاستدلال»، مراده: إذا استوت الاحتمالات في كلام صاحب الشرع. ومراده: «إن حكاية الحال إذا نزل فيها الاستفصال تنزل منزلة العموم في المقال»: إذا كانت الاحتمالات في محل المدلول دون الدليل والله أعلم) .

وردها علماء آخرون: قال صاحب «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي» في (أبواب النكاح: باب ما جاء في القسمة للبكر والثيب، ج4 ص293): (.. لأن مجرد الاحتمال لا يمنع الاستدلال)، على أنه في موضع آخر: (أبواب الصلاة: باب ما جاء في الرجل يسلم في الركعتين من الظهر، ج2 ص423)، قال: (.. فإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال). ونفسه في موضع آخر أيضًا، عند (أبواب الطهارة: باب ما جاء أن الماء لا ينجسه =

* وقوله: (إلى غير ذلك من الأدلة): قد مرّ بك غير مدة سقوط أدلتك ودلالتها على قلة بضاعتك ونُضوب مادتك.

* وقوله: (والأنبياء كلهم في عين الكمال): انظر هذه الأسطور تجده على وثيرة ما قبله، فإنه نظمه ﷺ مع إخوانه الأنبياء في سلك واحد، فقال: (والأنبياء كلهم)، أي لا فرق بينهم عنده، فجعلهم سواء؟!! ولا سواء: فإن الكمال مقول بالتشكيك لا بالتواطي كما يفيده منطوق هذا الأسطور:

فاق النبيئن في خلق وفي خُلق ... ولم يُدانوه في علم ولا كرم[1]

وقد تقدر عند أهل الكشف[2] والعرفان[3]، أن أول أثر صدر عن المؤثر الحقيقي تعالى هو الروح الأعظم، والخليفة الأكبر الذي هو روح نبينا وسيدنا محمد ﷺ، فليس كمثله من الأنبياء والأملاك شيء، كيف؟ وقد سبق قريبًا أنه ﷺ الأصل والداعي بالأصالة، وجميع الأنبياء والرسل خلفاؤه ونوابه في الدعوة، فهو الداعي على الحقيقة والإطلاق.

* وقوله: (وتفاوت الدرجات لا يقضي بالتمايز الحقيقي): إن أراد بهذا

....

....

= شيء»، ج1 ص209)؛ ومثله في «فتح الباري»: ردها في موضع (رقم 510 ج1 ص832)، واستعملها في موضع آخر (رقم 836 ج2 ص423).

(1) من قصيدة «البردة» للبوصيري (البيت 39 ص10). وفي «ديوان البوصيري» (البيت 38 ص424).

(2) سبق التعريف بمصطلح» الكشف» في (ص354).

(3) سبق التعريف بمصطلح» العرفان» في (ص586).

الأسطور أن الجواهر كلها متماثلة في الحد والحقيقة، وإنما تختلف بالأعراض، فذلك محل الخلاف بين الناس(أ).

وإن أراد أن الأنبياء باعتبار النبوءة على حدّ واحد، إذ هي شيء واحد، لا تفاضل فيها، لأن النبوءة مقولة بالتواطي لا بالتشكيك، فذلك أمر معلوم. ولا شك عند كل مؤمن أن حقيقته ﷺ باعتبار ما اختصت به من الإيثار والاصطفاء، وأنافة المنزلة عند الله تعالى، ليست كحقيقة غيره، وليس النظر إلى الجواهر مجرّدة عن معانيها:

منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهرُ الحسن فيه غير منقسم[1]
وما تفضُلُ الأيامُ أخرى لذاتها ... ولكن أيام الملاح ملاحُ[2]
هو الجَدّ حتى تفضل العين أختها ... وحتى يكون اليوم لليوم سيدا[3]
ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا ... إلى المجد حتى عُدّ ألفٌ بواحدِ[4]

....

(أ) في (د) و(ك) : (بين الناس) ساقطة.

(1) من قصيدة «البردة» للبوصيري (البيت 43 ص11). وفي «ديوان البوصيري» (البيت 42 ص424).

(2) أورده المقري التلمساني في «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (ج5 ص317).

(3) هذا البيت من قصيدة مطلعها: (لكل امرئٍ من دهره ما تعودا)، للمتنبي. «ديوان أبو الطيب المتنبي (ت354هـ)» (ص372)؛ و«شرح ديوان المتنبي» لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت468هـ) (البيت 24 ص532)؛ وفي «شرح ديوان المتنبي» لعبد الرحمن البرقوقي (ت1363هـ) (ج2 ص4).

(4) هذا البيت من قصيدة في مدح وزير المتوكل الفتح بن خاقان، مطلعها: (مثالك من طيف الخيال المعاود) للبحتري (205هـ ـ 284هـ): أبو عبادة الوليد بن عبيد بن =

فمن فيضان بحر نور حقيقته ﷺ كان قبول توبة آدم عليه الصلاة والسلام حين توسل بمحمد ﷺ. فوجود سر محمد ﷺ، سر وجود آدم عليه الصلاة والسلام، وغيره عليهم أجمعين صلوات الله وسلامه.

وبكل حال، فهذا الأسطور يدل على عدم تنور باطن صاحبه بمعرفة الصادق المصدوق، إذ لم يقم بواجب ما له من الحقوق.

على أن بعض أهل التحقيق قال في قوله ﷺ: «كنت نبيا وآدم» الحديث[1]: (الإشارة بقوله: «كنت نبيًّا» إلى روحه الشريفة ﷺ، أو إلى حقيقة من الحقائق، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما عرفها خالقها، ومن أمده بنور إلهي).

فليتأمل هذا الكلام مع قوله: (لا يقضي بالتمايز الحقيقي) تجده منورا لظلامه، ومُبرئًا من سقامه.

ثم إن تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء، في الوقت الذي يشاء.

فحقيقة النبي ﷺ قد تكون من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام، آتاها الله ذلك الوصف بأن يخلقها متهيئة لذلك، وأفاض عليها من فضله ما شاء، فصار ﷺ نبيًّا وكتب الله اسمه على العرش، وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وغيرهم كرامته ﷺ عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت

....

....

= يحيى التنوخي الطائي، أحد أشهر شعراء العرب في العصر العباسي. «ديـوان» البحتري (القصيدة 257 البيت 22 ج1 ص625).

(1) سبق تخريجه في (ص635).

وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها، واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المفاضة عليها من الحضرة الإلهية[1].

وإنما تأخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله، ومن جهة تأخر ذاته الشريفة، وحقيقته تعجل لما تأخر فيه، وكذلك استنباؤه وإيتاؤه الكتب والحكم والنبوءة، وإنما المتأخر تكونه وتنقله إلى أن ظهر ﷺ في الوقت الذي يريده ربه جَلَّ وَعَلَا.

وغيره ﷺ من أهل الكرامة قد تكون إضافة الله تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه وتعالى.

فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله، ولا محل أشرف من محله. وقد عرفنا

....

....

(1) تحدث ابن عربي الحاتمي في مواطن عديدة من «الفتوحات المكية» عن الحضرة الإلهية والحضرة الإنسانية، والحضرة المحمدية.

ويقسم الشريف الجرجاني (ت816هـ) الحضرة الإلهية إلى خمس: حضرة الغيب المطلق، وعالمها عالم الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية. وفي مقابلها حضرة الشهادة المطلقة، وعالمها عالم الملك. ثم حضرة الغيب المضاف، وهي تنقسم إلى ما يكون أقرب من الغيب المطلق، وعالمه عالم الأرواح الجبروتية والملكوتية، أعني عالم العقول والنفوس المجردة، وإلى ما يكون أقرب من الشهادة المطلقة، وعالمه عالم المثال، ويسمى عالم الملكوت. والخامسة الحضرة الجامعة للأربعة المذكورة، وعالمها عالم الإنسان الجامع لجميع العوالم وما فيها، وهو مظهر الأسماء الإلهية. «التعريفات» للجرجاني (برقم 743 ص93).

بالخبر الصحيح عنه ﷺ حصول ذالك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا محمد ﷺ من ربه، فإذن حقيقته ﷺ ليست كحقيقة غيره، فسقط قوله: (لا يقضي بالتمايز الحقيقي).

* **وقوله: (والزائد على القدر المتناهي بقدر متناهٍ متناهٍ)**: تأمل هذا الأسطور مع ما قبله، وهو قوله: (فكيف بما في قلب سيد البشر)، ولم يقنع بذلك حتى جعل الإحصاء من قبيل المحال، وما ذلك إلا لأن علمه عليه الصلاة والسلام متعلق بغير متناه، وهنا أفصح بالتناهي كما أفصح بتناهيه عند قوله: (ولو علم كل شيء لتناهت)، وهذا دأبه في هذه الأساطير: يكُرّ على ما يبنيه بالنقض والتغيير، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾[1].

على أن هذه الجملة مسوقة من تقرير بعض الأعاجم لبرهان القطع والتطبيق[2]، فهي موضوعة في غير موضعها شأن أهل التلفيق.

....

....

(1) سورة النحل، الآية: 92.

(2) **البرهان اصطلاحا منطقيًا**: هو منهج يتوصل به العقل إلى الوقوف على الأشياء الخفية وقوفا متيقنا بتوسط الأشياء الظاهرة. ولذلك فهو ينطلق من بنائه من المعرفة المسبقة لدى العقل بعناصر البرهان. ويعرف بكونه القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت هذه اليقينيات بديهيات أو منتهية إلى البديهيات.

والبرهان عند المناطقة أنواع، بحسب ما يبرهن عليه.

وعند علماء الأصول كل قضية أو قضايا دلت على حقيقة حكم الشيء.

وهو أنواع، منها: برهان الدلالة. برهان الاستدلال. برهان الاعتلال.

* وقوله: (فقد قلبت الجزئية كليةً): ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1]، وقول من لا يفرق بين القشر واللباب؛ صاحب الأساطير هو الذي عمد إلى كلية المصطفى برأيه وجهله، فأخذ يتردد فيها، لما خُلط عليه الأمر، فتارة يجعلها جزئية ويضيف جعلها كلية إلى غيره، كما صنع هنا، وتارة يبقيها على عمومها، وهو لا يشعر ـ كما في قوله: (ما يغرق في أدنى بحاره علوم الأولين والآخرين) ـ على ما في هذا الكلام من التبديل والتحريف، وسنُنبّه عليه بعد، ولا سبيل إلى جعل كلية المصطفى جزئية، ومن طبع الله على قلبه، يتحكم برأيه وهواه على الشارع ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي لا ينطق عن الهوى، فيوجّه إليه السؤال، ويقول له: ما تريد به هذه الكلية؟ فإن كان كذا، كان كذا، وإن كان كذا، كان كذا.

وليت شعري، هل يتوقف أحد في كفر صانع ذلك، والقائل بأن المراد بالكلية البعض حملًا للعموم الحقيقي على الإضافي، وتكذيبًا لظاهر الحديث، هو الذي قلب الكلية جزئية والحقيقة مجازًا:

....

....

= والبرهان التطبيقي: هو أن تفرض من المعلول الأخير إلى غير النهاية جملة ومما قبله بواحد مثلًا إلى غير النهاية جملة أخرى، ثم تطبق الجملتين بأن تجعل الأول من الجملة الأولى بإزاء الأول من الجملة الثانية، والثاني بالثاني، وهلم جرًا.. «التعريفات» للجرجاني (ت816هـ) (برقم 349 وبرقم 350 ص48)؛ و«موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» للتهانوي (ج2 ص325)؛ وفي «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج1 ص399).

(1) سورة ص، الآية: 5.

• قال الطيبي في «شرح أحاديث البغوي»: (عجبت ممن يتسمى بالسني، وإذا سمع من سنة رسول الله ﷺ وله رأي، رجح رأيه عليها، وأي فرق بينه وبين المبتدع، أما سمع: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[1])[2].

• وهذا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهو من أكابر فقهاء الصحابة، والمرجوع إليهم في الفتوى والاجتهاد، كيف غضب لله ولرسوله، وهجر فلذة كبده، وشفيق روحه إلى الممات لتلك الهنة، عبرة لأولي الألباب)[3].

وقد روي أن بِشر المنافق خاصم يهوديًا؛ فدعاه إلى النبي ﷺ، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم أنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ فقضى لليهودي، ولم يرض المنافق، فقال: (تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، فقال

....

....

(1) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (رقم 15 ج1 ص46)؛ وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (برقم 279 ج1 ص387)؛ والبغوي في «شرح السنة» (برقم 104 ج1 ص213)؛ وابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (الحديث 41 ص386).

(2) «شرح شرف الدين الطيبي (743هـ) على مشكاة المصابيح» المسمى بـ «الكاشف عن حقائق السنن» (رقم 1082 ج4 ص1139).

(3) هجر عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنًا له إلى أن مات، لعدم انقياده لحديث ذكره له أبوه عن رسول الله ﷺ نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب الى المساجد. رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة: باب خروج النساء إلى المساجد، برقم 442 ج3 ص258)؛ وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (برقم 2006 ج3 ص410)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 4933 ج8 ص527)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (برقم 13472 ج12 ص399)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (برقم 5369 ج3 ص189).

اليهودي لعمر: (قضى لنا رسول الله ﷺ، فلم يرض بقضائه)، فقال للمنافق: (أكذلك؟)، قال: (نعم!)، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مكانكما، حتى أخرج إليكما)، فدخل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد ثم قال: (وهكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله ﷺ)[1]، وأنت يا فل! أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتحدثني عن صحيفة رأيك بما لا يُعقل من الهذيان.

* ثم قوله: **(والأنبياء كلهم إلخ)**: لا شبهة أنهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بالمحل الأرفع من ربهم، لكن نبينا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أفضلهم، وأكملهم إجماعًا، فكما أن الله تعالى رب كل شيء، وخالقه، فسيدنا محمد ﷺ سيد كل شيء، وملاذه من النبيئين، والمرسلين، والأملاك، فضلًا من الله وكرامة. وترديدك بقولك: (إن أراد كذا، وإن أراد كذا)، كله مروق من الدين، وفسوق وعصيان، إن لم يكن من الكفران. فبادر يا مغرور! بالتوبة، وأب إلى الله، وإلى رسوله أصدق أوبةٍ، وإلا فأنت في أودية الضلالات[أ] تهيم، وتشرب منها شرب

....

(أ) في (د): (الضلالة).

(1) أورده ابن وهب المصري القرشي (ت197هـ) في «الجامع في تفسير القرآن» (رقم 160 ج1 ص71)؛ والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (برقم 268 ج1 ص176الأصل43)؛ والواحدي (ت468هـ) في «أسباب النزول» (ص162)؛ والزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف الزمخشري» (برقم 339 ج1 ص329)؛ والسيوطي في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (عند الآية 60من سورة النساء ج4 ص519)؛ وفي مجلة «دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف، (العدد 88 و89 = العدد 6و7 السنة 9 ذو الحجة ـ محرم1386هـ أبريل ماي1966م). مقال: «القضاء عند العرب» للأستاذ محمد شمس الدين (ص58).

الهيم[1]، إذ صرت تتحكم على الشارع، وتعمد إلى كليته عليه الصلاة والسلام، فتقلبها جزئية انتصارًا لهواك، ولم تدر الأفضيلة في الخصوص والبعض، لمشاركة الغير فيه، وإنما الفضيلة في الشمول[أ] كما دلت عليه أداة العموم، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآية[2]، وغير هذا كله مما حشوت به أساطيرك ملزوم للحشو، واللغو في كلامه عليه الصلاة والسلام، وحاشاه من ذلك.

* وقوله: (وناهيك بذلك غلطا وأضحوكة): ما أجد لك مثلًا إلّا كما قال الله تعالى إخبارًا عن فرعون وملائه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾[3]، قال ﷺ: «أوتيت علم كل شيء»[4]، وقال ﷺ: «وتجلى لي علم كل شيء»[5]، ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[6]، فيا لله ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[7].

* وقوله: (وإن أردت بعضًا مخصوصًا): قد مرّ بك، أن هذا الترديد من أصله

....

(أ) في (د): (في السؤال).

(1) مقتبسة من قوله: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾. سورة الواقعة، الآية: 55.

(2) سورة النجم، الآية: 3 - 4.

(3) سورة الزخرف، الآية: 47.

(4) سبق تخريجه في (ص378)؛ و (ص389).

(5) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(6) سورة النجم، الآية: 59 ـ 60.

(7) سورة النساء، الآية: 78.

مع الشارع صلوات الله وسلامه عليه، وأن أمارتك لم ترض بأن يؤتى ـ عليه الصلاة والسلام ـ علم كل شيء، بل ضقت بذلك ذرعًا، وأنكرته عقلًا وشرعًا، وقد أسلفنا أن ما خلته دليلًا من الشرع، لا حجة لك فيه لما قدمناه. وأما دليلك العقلي، فما هو بشيء يتصدى له، لسقوطه من أول وهلة، وقد مرّ ذلك.

* وقوله: (**وإلا فالكلام مجهول**): الجهل الكثيف، والعقل السخيف، فيمن يتصدى للكلام فيما لا يحسنُ ولم يحط به خبرًا ولا خُبرا، وأن من أغرب ما مرّ في التصدر للمجال في مسائل العلم بالحدس والتخمين، لا بالتحقيق واليقين.

وهذه المسألة قد تكلم عليها المتقدمون والمتأخرون، لكن كما قال الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا**»[1] الحديث بتمامه.

* قوله: (**لا تتحصل منه فائدة**): لا فائدة أجل مما أفاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمته، إذ قال مبينا لهم فضيلته وحجته: «**أوتيت علم كل شيء**»[2]، **وتجلى لي علم**...

....

....

(1) من حديثه ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا**». رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب العلم: باب كيف يقبض العلم، برقم 100 ج1 ص38)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب العلم: باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، برقم 2673 ج8 ص269).

(2) سبق تخريجه في (ص378)؛ و (ص389).

كل شيء»[1]، فهذا كلام منور مفيد، لا يقول بعدم إفادته إلا جبار عنيد.

* **قوله: (فمن العجب العجيب المباحثات...) إلى قوله: (في حكم لم يتصور بعدُ)**: هذا بهتان عظيم! بأنه ﷺ حكم على العلم الذي هو صفة توجبُ تمييزًا.. إلخ، بقيامه به حصوله له فضلا من ربه، وكرامة على سبيل الشمول والعموم، فقال مخبرًا عن ربه، وهو الصادق المصدوق[2]: «**أوتيت علم كل شيء**»[3]، و«**تجلى لي علم كل شيء**»[4]، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[5].

* **قوله: (حتى لا يحصل..) إلى قوله: (فائدة، يحسن السكوت عليها)**: قد حسُن السكوت على أجل الفوائد وأعلاها قدرًا، وهي ما أخبر به النبي ﷺ وتلقته أمته عنه بالقبول والإذعان، والتصديق والإيمان، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[6].

* **قوله: فـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾**[7]: ما سطّر في أساطيره لو كان يعقل أنفع من بهذه المقالة: ....

....

....

---

(1) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(2) سبق التعريف بـ«الصادق المصدوق» في (ص426).

(3) سبق تخريجه في (ص378)؛ و (ص389).

(4) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(5) سورة التكوير، الآية: 26 ـ 27.

(6) سورة الزمر، الآية: 36.

(7) سورة البقرة، الآية: 156.

(رمية من غير رام)[1]، فلو عقل، والعقل أي: وثاق، لعلم أن الأخذ في المسائل المنصوصة لأهل العلم بمجرد الوهم والظن، من الجهل الذي سارت به البغال الشهب[2] في الآفاق.

* قوله: (قلنا ما صدّرنا به): قد كشف الغيب أنك ما صدّرت ولا عجّزت، ولا بيّنت ولا ميّزت:

لك أشكو جهلي من دهر ملم أوغل الغل مسرعًا في الصدور
من أناس تشدقوا فيه لمّا .... البيت

....

....

(1) ربّ رمية من غير رام: أصل هذا المثل أن الحكم بن يغوث المنقري كان راميًا من الرماة المهرة، ينذر أن يخطىء هدفًا رماه، وذات يوم خرج للصيد مع ابن له، فلاح لهما سرب فرماه فأخطأه أولًا، وثانيًا، وثالثًا، وأخذ ابنه القوس منه ورمى فأصاب. فقال الحكم عند ذلك: (رب رمية من غير رام). ويضرب هذا المثل لغير الخبير بأمر من الأمور اذا أصاب فيه. «مجمع الأمثال» لأبي الفضل الميداني (ت518هـ) (برقم 1581 ج1 ص299)؛ وفي «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (ت538هـ) (برقم 376 ج2 ص105)؛ وفي «زهر الأكم في الأمثال والحكم» للعلامة اليوسي (ج3 ص38).

(2) يُذكر أن البغال الشهب، هي التي حملت الهدايا النفيسة، والطّرف العجيبة، والكرامات الثمينة، التي أهدتها بلقيس بنت ذي شرح ملكة مملكة سبأ، إلى سليمان ابن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتي أخبر الله تعالى بها في الآية 36 من سورة النمل ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾. كتاب «البغال» ضمن «رسائل للجاحظ» تح: عبد السلام هارون (باب: عناية الأشراف بالبغال ص229_230)؛ وفي «أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام» لعمر رضا كحالة (ص142 _ 143).

* قوله: (فنقول من الواجب ليس الكلام في هذا): فإن كان عندك(أ) علم فيما تدّعيه من تخصيص العموم المدلول عليه بأدلته(ب) من الحديث الشريف فائدة، وإلا، فبهذا كله في غير ما وقع فيه كلام، ولا يحتاج إليك فيه أحد من العوام، فالبحث في خصوص هذه الخصوصية التي أخبر بها صفوة الصفوة عن نفسه، عن ربه جَلَّ وَعَلَا، فما للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وذكرهم هنا، وغاية الأمر، أنك ضقت ذرعًا بالمسألة، فأخذت تسوّد القرطاس بمبادئ الضروريات، لكي توهم الرعاع من أتباعك أنك أفدتَ في المسألة علمًا، وأجدت فيها فهمًا، وهيهات أن تخفى مقاصدك على الجهابذة النحارير، الذين لا غرض لهم في التقدم ولا التصدير.

* وقوله: (أن يُعلم أن وصف صفوة الخلق): يا سبحان الله!! (لا تنه عن خلق وتأتي مثله)(1)، هـذا صفوة الصفوة قد ناله منك ما قاله، حيث تقول: (يُصار

....

(أ) في (د): (إن كان لك).

(ب) في (د): (بأذاته).

(1) من قصيدة مطلعها: (حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه) لأبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ). والبيت بتمامه:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

«ديوان» أبي الأسود الدؤلي (ص404)؛ والبيت نسبه الزمخشري جار الله (ت538هـ) في «المستقصى في أمثال العرب» (برقم 904 ج2 ص260) ـ إلى المتوكل الكناني، من قصيدة مطلعها:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

إلى الأصل وهو عدم الحصول)، وذلك ما قلناه، فحكمت على أصل الكمالات الدنيوية والأخروية، ومنه استمداد الخلق كله.

وكلهم من رسول الله ملتمس .... البيت[1]

فإن الأصل فيه عدم حصولها له، وحسبك بهذه المقالة خسرًا وكفرًا، استنزلت واستزللت بها، سيما من يتقلدك من أتباعك نهيًا وأمرًا، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

* وقوله: (الثاني أن يخرجوا عن البشر ويُشبَّهوا بالإله): «حقيقته تعالى مباينة لسائر الحقائق»[2]، فلا يجتمع مع خلقه في جنس، ولا تلحقه صفة تشبيه أبدًا، لأن التشبيه لا يكون إلا لمن يجتمع مع غيره في حال من الأحوال، وهو تعالى منزه عن ذلك كما أسلفنا:

كل ما يصلح للمولى على العبد حرام[3]

....

....

(1) من قصيدة البردة للبوصيري (البيت 40 ص10). وفي «ديوان البوصيري» (البيت 39 ص424). وتتمته:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

(2) من «شرح العقيدة الصغرى أم البراهين» للعلامة السنوسي (ت895هـ) (ص31).

(3) من أقوال عمرو بن مسعدة بن سعيد، أبي الفضل كاتب المأمون. «الإعجاز والإيجاز» لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت429هـ) (ص110)؛ وفي «تاريخ بغداد مدينة السلام» لأبي بكر بن علي البغدادي (ج14 ص111).

* وقوله: (دع ما ادعته النصرى...) البيت: قد سبق في إملائنا في العلم النبوي الاستشهاد به، ولكن لرؤيتك نفسك واستيلاء الهوى عليك، تظن أنه لا يحسن الاستشهاد به إلا منك، وإلا فما معنى ذكر الاتحاد وغيره مما في أساطيرك مع التحذير من نحلة النصارى، ومن دان دينهم، وقَمَ[1] الله جميعهم.

* قوله: (الثالث: التوسط و«خير الأمور أوسطها»[2]): قوة هذا الأسطور تفيد قصد الإيثار، والتفضيل لما جعله ثالث، ولا خيرية فيما جعله أولًا وثانيًا، فلا معنى أيضًا لقصد التفضيلي، ضرورة انتفاء المشاركة في أصل الخير، فتبين أن هذا الكلام موضوع في غير موضعه، على أن خيرية الوسط لا مطلقًا، بل في أمور مخصوصة اقتضى توسطها خيريتها: كالكرم بين التبذير والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن، فالتوسط من نحو هذين مطلوب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[3]، فهنا يحسنُ إيراد: «خير الأمور أوسطها»[2]، وأما إذا كان الطرفان: كالأول والثاني من الأساطير، فلا يحسن إيراد الحديث هنالك، إذ الطرفان كما في الأساطير من القصد إلى التفضيل كفر، لا خير فيهما، فاتضح أن إيراد الحديث دليلًا على القصد المشار إليه من الجهل، وقد نظمه بعضهم فقال:

....

....

(1) وقَمَ الرجلَ وقماً ووقمه: أذلّه وقهره. «لسان العرب» لابن منظور (حرف الميم: فصل الواو: مادة وقم، ج12 ص642).

(2) سبق تخريجه في (ص467).

(3) سورة الفرقان، الآية: 67.

حـــبُّ الـتـنـــاهـي غـلـط   خيـر الأمــور الوســـط[1]

فلو جعلت صدر البيت نصب عينيك، لعلك تتناهى عما شغلك من حب التناهي، لكان خيرًا لك.

* تنبيه من قوله: (فنقول: من الواجب...) إلى قوله: (فكذلك نعتقد): ليس من موضوع البحث في شيء، فإن كان ولا بد من إلقائه، فعلى أهل خُصّك وخيمتك ومن اشتملت عليه من غلامك وأمتك، وأما مخاطبة الناس بذلك ممن عنجُهيتك(أ) وبداوة نشأتك، فأي معنى لتسطير مثل هذا، والهذيان به لولا فساد المقاصد، والأخذ لعوام المسلمين بالمراصد.

* قوله: (من غير أن يكونوا بذلك آلهة، ولا أمثال الآلهة): لما لم يتحصل عندك في بحث خصوصية شمول العلم، ما تسطره، عدلت إلى تكثير السواد، بأمور فرغ منها الخلق منذ دهور متطاولة، وقرون متقادمة، تعرفها عجائز أهل البدو، ولا يعتريها فيها ذهول ولا سهو، فإن كان لك علم بما يتعلق بالبحث فأظهره، وإلا فهذه الأوليات[2] مما لا يروج بها على أحد لتمكنها - لله المنة - في قلوب العامة، بحيث لا تتزحزح عنها أبد الأبد.

* وقوله: (فإذا اعتقدت في الأنبياء والرسل...): هذا من باب الأرض تحتنا،

....

(أ) في (د): (غنجبيتك).

(1) هـذا البيت أورده السخاوي في «المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة» (رقم 455 ص206)؛ والعجلوني في «كشف الخفاء» (برقم 1247 ج1 ص448).

(2) سبق التعريف بمصطلح «الأوليات» في (ص602).

فهو غير مفيد لحصوله، حتى عند كل بليد، على أن الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - لم يتناولهم البحث، ولا تعرض لذكرهم إلا بالصلاة والسلام عليهم أحد، فلم يبق إلا قصد تطويل الأساطير بما لا حاصل له، سوى الانتقال والعدول عما الكلام فيه إلى غيره تغريرًا للأتباع، وتكثيرًا لتسويد الكاغذ سواد الأشياع.

* **قوله: (فلا نثبت لهم شبها به...)** إلخ: هذه بقية من بقايا توهم المثلية بين صفة الخالق، ونعت المخلوق، (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا)[1]، وقد وضحنا ما يتعلق بذلك في غير ما موضع مما سبق.

* **وقوله: (أعطي نبينا ﷺ من العلوم...)**: نعم؛ وخصوصية عموم العلم من ذلك، فمالك تحجرها وتردها.

* **وقوله: (وليس في الكراسة أنصع منه)**: الكراسة ظاهر مستندها من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام[أ]، ونصوص الأئمة من أمته[ب]، وقد مرّ ذلك. وأساطيرك يا فُلُ! ما مستندها؟ ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[2].

* **وقوله: (وقد جاء به صاحبها..)**: إنما جاء به صاحبها لقوله، وأحوال العالم كله لما فيه من العموم الصريح في بابه، وقد تتبع صاحب الإملاء الأحاديث الواردة في ذلك، بعد أن جعل أصلها ودستورها الأحاديث الصريحة في العموم

....

(أ) في (د): (من أحاديث رسول الله ﷺ).

(ب) في (د): (من أمته) ساقطة.

(1) مقتبسة من قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. سورة الإسراء، الآية: 43.

(2) مقتبسة من: سورة الأنعام، الآية: 25؛ وسورة الأنفال، الآية: 31؛ وسورة المؤمنون، الآية: 83؛ وسورة النمل، الآية: 68؛ وسورة الأحقاف، الآية: 17.

على سبيل الشمول، كحديث: «أوتيت علم كل شيء»[1]، و«تجلى لي علم كل شيء»[2]، وليس المراد ما توهمته من القصد إلى إثبات الخصوصية به، فإنها لا تثبت إلا بقول المعصوم، لا بقول غيره لقيام الإحتمال، والخصائص لا تثبت به.

ولما أن تمسكنا من قول المعصوم بما لا يسع جاحدًا جحده، ولا مُرتابًا رده، أخذنا في استقراء مواضع العموم من الأحاديث، وكلام أهل العلم على سبيل التنزه والتلذذ بخصوصيات هذا النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم، وإن لم تتناول كل شيء، إذ لا يضر ذلك بعد ثبوت الأصول المتمسك بها ليزداد ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَٰبَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾[3]:

من أنت محبوبه من ذا يعيره ... ومن صفوت له من ذا يُكدره
هيهات عند مِلاح الكون تشغلني ... والكل أعراض حسن أنت جوهرهُ[4]

* وقوله: (وما أبعد ما بين الدليل والمدلول): قول غير مستصفى ولا منخول، فإن كلام القرطبي: ليس على موضوع البحث بمحمول.

....

....

(1) سبق تخريجه في (ص378)؛ و (ص389).

(2) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(3) سورة المدثر، الآية: 31.

(4) هذان البيتان هما لأحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس الأندلسي الإشبيلي الأصل، المنعوت بزين الدين، المعروف بكتاكت المصري الواعظ المقرئ (ت 684هـ)، «ذيل مرآة الزمان» لأبي الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت 726هـ) (السنة الرابعة والثمانون وستمائة، ج4 ص260)؛ وفي « النجوم الزاهرة» لابن تغري =

ببني كايس[1] لناسبتَ، فإني أخشى عليك من قول أبي الطيب:

بها نبطيٌّ من أهل السواد ... يُدرسُ أنساب أهل الفلا[2]

* وقوله: (فلا إشكال في كون نبينا ﷺ قد فضله الله تعالى على الخلق بالعلم): «التائب من الذنب، كمن لا ذنب له»[3]، وإن كان ظاهر الشرع لا يقبلها كما في المتن: (قُتِلَ حدًّا ولم يُستبت)[4]، ولو اقتصرت على هذه المقالة على ما

....

....

= بردي (ت874هـ) (عند سنة 684هـ، ج7 ص365)؛ وفي «نفح الطيب» لأحمد المقري التلمساني (ت1041هـ) (ج2 ص517).

(1) آيت كايس: هم فخذ من آيت يوسي أهل كيكو. «فهرس الفهارس» للكتاني (برقم 658 ج2 ص1155).

(2) هذا البيت من قصيدة لأبي الطيب المتنبي (ت354هـ) مطلعها: (ألا كل ماشيَةِ الخَيْزَلَى)، «شرح ديوان المتنبي» لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت468هـ). (قافية الهمزة ج1 ص167).

(3) رواه ابن ماجه في «سننه» (رقم 4250 ج5 ص320)، قال محققه: (حديث محتمل للتحسين بشواهده، وإسناده رجال ثقات)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 10281 ج10 ص185)؛ والدارقطني في «العلل الواردة في الأحاديث النبوية» (برقم 895 ج5 ص297)؛ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج4 ص210)؛ والقضاعي في «مسند الشهاب» (برقم 108 ج1 ص97)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (رقم 20561 ج10 ص259)؛ والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (برقم 313 ص152)؛ وحسنه الزرقاني في «مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي» (برقم 288 ص98).

(4) «مختصر العلامة خليل» (باب في بيان حقيقة الردة وأحكامها ص239).

فيها من دسيسة الشيطان، إذ قلت بالعلم ولـم تقدر أن تقول كما قال ﷺ علم كل شيء، أنفة، وكبرًا، وطيًا لهذه الفضيلة، وسترًا، لقربتَ.

وقوله: (مع أن التفضيل بالحكـم): هذا منه التفات إلى إلقاء الشرع، وإبطال أحكامه، وإتيان بنيانه من القواعد بالهدم والخراب، وأن لا سنة ولا كتاب، فإن الحكم عبارة عن القضاء الأزلي والحكم النافذ فيه، وقد اختلف الناس في أول من انقدحت هذه الشبهة في نفسه، فقيل على كما في «الصحيـح»:

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنا مع النبي ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة، **فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»**، فقال: يا رسول الله، أفلا نتّكلُ؟، فقال: **«اعملوا، فكل ميّسر لـما خلق له»**)[1].

* **وقوله: (فلو قيل: زيدٌ يعرف رجال بني زُهرةَ..)**: لو أتيت بدل بني زُهـرةَ[2]

....

....

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب تفسير القرآن سورة الليل: باب قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾، برقم 4945 ج3 ص285)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب القدر: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه، برقم 2647 ج8 ص243).

(2) زهرة بن كلاب: بطن من بني مرّة بن كلاب، من قريش، من العدنانية، وهم: بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. كانت منهم جماعة ببلاد الأشمونين، وما حولها من صعيد مصر، ولا تزال قرية في مركز المنيا تحمل اسم زهرة بن كلاب الى اليوم. «الأنساب» للسمعاني (برقم 1976 ج6 ص328)؛ وفي «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم الأندلسي (ص128)؛ وفي «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» لعمر رضا كحالة (ج2 ص482).

قال الخطابي في قولهم: (أفلا نتكل؟): (على كتابنا مطالبة منهم بأمر يوجب تعطيل العبودية، ورَوْمُ أن يتخذوا حجة لأنفسهم في ترك العمل، فأعلمهم ﷺ بقوله: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» بأمرين لا يبطل أحدهما بالآخر: باطن وظاهر. قال في «فتوح الغيب»[1]: (تلخيصه عليكم بشأن العبودية وما خلقتم لأجله وأمرتم به، وكِلوا أمر الربوبية الغيبية إلى صاحبها، فلا عليكم في شأنها).

ونظير ذلك الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب، والأجل المضروب في العمر مع المعالجة بالطب، وقد اتفق الناس خاصتهم وعامتهم أن الظاهر لا يترك بسبب الباطن)[2].

إذا تقرر هذا؛ اتضح أن قوله مع أن التفضيل بالحكم، إضراب عن التفضيل الشرعي.

* وقوله: (وفي هذا من البحث..): هذا منه إيهامٌ وتشبعٌ بما لم يُعط، ولا تحته كبير.

....

....

(1) ينظر «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» لشرف الدين الطيبي (ت743هـ) (ج16/ 470، تفسير سورة الليل).

(2) نقله المصنف عن القسطلاني القتيبي المصري في «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (رقم 4946 ج7 ص421)؛ وينظر «معالم السنن شرح سنن أبي داود» لأبي سليمان بن الخطاب البستي (ت388هـ) (ج5 ص47)؛ وفي «شرح السنة» للبغوي (ج1 ص133)

فائدة: في «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: (تحاجَّ آدم وموسى، قال موسى: «أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة». قال آدم: «أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، تلومني على أمر قدّر عليّ قبل أن أخلَق»، فحج آدمُ موسى ثلاثًا)[1]:

• فإن قيل: إن موسى عاتبه بالأمر، فاحتج هو بالحقيقة ونفوذ الحكم، فإن كان هذا الإحتجاج مقبولا، فلمَ لا يقبل من المشركين في قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾[2]؟! وفي قولهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾[3]؟! فإنه احتجاج بالحقيقة ونفوذ الحكم، وهو احتجاج لا تعارضْ فيه الشريعة؟!

• فالجـوابُ: إن الاحتجاج بالحكم، مع مخالفة الأمر، والإصرار على المعصية، لا يقبل، فإذا دُعيَ الكافر إلى الإيمان، والعاصي إلى الطاعة، فقالا: لا حول ولا قوة إلا بمشيئة الله، فإن هذا احتجاجٌ لا يُقبل.

• قال بعض العلماء في قول المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾[4]: (هذا كلام حق، أرادوا به باطلًا، فلا يقبل منهم، فإنهم لـم يقولوه توحيدًا، ولا تسليمًا، فلو قال ذلك عاص، تائب من ذنبه، تندمًا، وتحسرًا على ما سلف منه، ثم عيّره إنسان بذنبه، بعد توبته، ورجوعه إلى حال الصّلاح، فاحتج بالحكم، فذلك مقبول

....

....

(1) سبق تخريجه في (ص577 ـ 578).

(2) سورة الأنعام، الآية: 148.

(3) سورة يس، الآية: 47.

(4) سورة الأنعام، الآية 148.

في الشريعة، فالقدر يجب الإيمان به، ولا يحتج به، إلا في المصائب، وما أشرنا إليه).

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اختلف الناس في أيهما الأفضل: الدعاء أم السكوت والرضا؟

• فمنهم من قال: «الدعاء عبادة، قال ﷺ: **«الدعاء مخ العبادة»**[1]، والإتيان بما هو عبادة أولى من تركه، ولأن الدعاء إظهار لفاقة العبودية».

• وقالت طائفة: «السكوت، والخمول تحت جريان الحكم أتم، والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى، وقد قال ﷺ خبرًا عن الله عَزَّوَجَلَّ: **«من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»**[2].

• وقال قوم: (يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه، صاحب رضى بقلبه ليأتيَ بالأمرين كليهما[أ]). قال: (والأولى أن يقال الأوقات مختلفة، ففي

(أ) في (د) : (بالأمرين جميعا).

---

(1) رواه الترمذي في «الجامع الكبير» (رقم 3371 ج5 ص486) وقال: (هذا حديث غريب من هذا الوجه)؛ والطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم 3196 ج3 ص293)؛ وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (رقم 2534 ج2 ص317)؛ وابن حجر في "فتح الباري" (ج11 ص94).

(2) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (رقم 1879 ج2 ص115)؛ والبزار في «مسنده» (رقم 137 ج1 ص247)؛ والطبراني في «الدعاء» (رقم 1850 ص519)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 3786 ج5 ص508).

بعض الأحوال: الدعاء أفضل من السكوت، وهو الأدبُ. وفي بعض الأحوال: السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدبُ. وإنما يُعرف ذلك بالوقت، فإذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء، فالدعاء أولى، وإذا وجد إشارة إلى السكوت، فالسكوت له أتم، وإن لم يجد في قلبه إشارة إلى واحد منهما، فالدعاء. وتركه ها هنا سيان، ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب، أو للحق سبحانه فيه حق، فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم)[1] انتهى.

وما ذكره من الخلاف والتفصيل، إنما يجري في حق الخاصة أرباب القلوب؛ وأما العامة: فلا إشكال في أن الدعاء هو المطلوب في حقهم؛ والكلام في هذا الباب شهير، فلا معنى للإيهام لولا رؤية النفس والإعجاب بها.

* وقوله: (أن يقع بين أهله): كأنه يشير بهذا الكلام إلى نفسه، إذ من شأنه رؤيتها وملاحظتها والالتفات إليها كثيرًا، وإلا فالمسألة معلومة من لدن عهده ﷺ، إلى هلّم جرّا، وسؤال بعض ملاعين يهود الشام عن ذلك مستفيض حتى عند صغار النشأة، وضعفاء الطلبة، حيث يقول: (وهل لي اختيارٌ أن أخالف حكمه؟)[2]؛.....

....

....

(1) «الرسالة القشيرية» لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت465هـ) (باب الدعاء ص265).

(2) من سؤال في القدر. أورده ابراهيم بن سهل، أحد ملاعين اليهود، في قصيدة مطلعها:

أيا علماء الدين، ذمي دينكم ... تحير دلوه بأوضح حجة

والبيت بتمامه:

وهل لي اختيار أن أخالف حكمه؟ ... فبالله فاشفوا بالبراهين غلتي

والسؤال كان موجها إلى الإمام أبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الغرناطي =

وجواب الأستاذ أبي سعيد[1] متداول، فلا معنى للإيهام والتهويل، والتشويش بغير مقدمات البيان والتحصيل.

* وقوله: (فلنُمسك العنان عنه): قد أطلق العنان فيه أهل البصيرة من العلماء العاملين، فما إمساكك، وإطلاقك؟ لولا رؤية نفسك.

* وقوله: (وأما الكلية فإن شئنا عبرنا بها...) إلخ: الكلية: كلية المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فليس لك التصرف فيها بالهوى، وإلا سقطت على أم رأسك في الهُوى.

* وقوله: (فنقول أنه يعلم جميع ما ينبغي لمثله): لا مثل له ﷺ إجماعًا، وهذا من أشنع ما في هذه الأساطير، مع ما فيه من التحكم على الشارع، صلوات الله وسلامه عليه، وهو يقول: «أوتيت علم كل شيء»[2]، و«تجلى لي علم كل

....

....

= الثعلبي (ت782هـ)، شيخ الجماعة، وعمدة فقهاء غرناطة. «مجموعة الفتاوى» لابن تيمية (كتاب القدر ج8 ص156)؛ وفي «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (ج10 ص352)؛ وفي «أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي (ج3 ص292)؛ و«المعيار المعرب» لأبي العباس الونشريسي (ج11 ص266)؛ وفي«شرح توحيد الرسالة» لابن قاسم جسوس (ج2 ص478)؛ وفي «البهجة شرح التحفة» لأبي الحسن علي التسولي (باب الكراء ج2 ص324).

(1) جواب الأستاذ أبي سعيد في «تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد ـ نوازل ابن لب الغرناطي» (باب الجامع في نوازل مختلفة، ج1 ص186 ـ 188). وفي «الديباج المذهب» لابن فرحون المالكي (برقم 420 ج2 ص110).

(2) سبق تخريجه في (ص378)؛ و (ص389).

شيء»[1]، وأنت تقول له: بل بعض شيء. فما أجرأك على الله ورسوله!!

* **وقوله: (أو كل ما تبلغه، أو كل ما يستأثر الله بعلمه، أو نحو هذا)**: كفى بالشك جهلًا، ومن المعلوم عند أهل الأصول أن «الشك في الشيء نوع من إنكاره»، لأنه لا يثبت معه اليقين الواجب ثبوته، على أن الإنكار منك لهذه الخصوصية بالتصريح لا بالتلويح.

* **وقوله: (وهو كله صحيح)**: الصحيح ما قاله رسـول الله ﷺ، وقولك إن لم يكن كفرا، كان فسوقًا، وعصيانًا، وخسرًا.

* **وقوله: (لأنه ﷺ عين الكمال)**: أين هذا من قولك السابق؟ يُصـار إلى الأصل: وهو عدم الحصول، تنبه يا مغرور! فإن الحامل لك على هذا كله: هوى النفس والرضا عنها، ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه.

* **وقوله: (بالقياس إلى الألوهية...) إلخ**: من يقيس الحادث على القديم، والمخلوق على الخالق سوى المختوم على قلبه، المحجوب عن ربه، كما يحكى عن برابر ملوية[2]، وقد رأى بعضهم الحيتان تضطرب، وتجول في بعض الأودية، أو بعض البرك، فقال عند رؤيتها كذلك متعجبًا: (ما أعظم ما تخلق يا بن أبي بكر!) أو ما معناه برطاتنهم.

....

....

---

(4) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(1) نهر ملوية: من الأنهار الكبيرة والمشهورة بالمغرب الأقصى. «معلمة المغرب» (ج21 ص7262).

* وقوله: (فإنه كذلك فافهم): ما فهمت، ولكن تهتَ، وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ فليتك[1]. ثم ليتك ما فهمت. وظاهر أن الأمر بالشيء، فرع حصول ذلك الشيء في نفس الأمر[2] وفهمه، وحتى الآن يا فلُ! ما حصل لك في المسألة علم، ولا فهمٌ.

وقوله: (وأما بحسب التفصيل): كأنك تريد الرجوع إلى ما عليه الناس، لكن صدّك عن ذلك ما صدّك، ....

....

....

---

(1) فليتك: الفلاة: القفر من الأرض لأنها فليت عن كل خير، أي فطمت وعزلت، وقيل: هي التي لا ماء فيها؛ وقيل: هي الصحراء الواسعة. والجمع: فلاً؛ وفلوات؛ وفُليّ؛ وفِليّ. «لسان العرب» لابن منظور (حرف الواو والياء: مادة فلا ج15 ص164).

(2) عن «الواقع» و«نفس الأمر» قال ابن قاسم العبادي الشافعي (ت994هـ) في «شرح الورقات الكبير للجويني» (ص77): («الواقع» و«نفس الأمر» عبارتان عن معنى واحد، وهو علم الله تعالى، أو اللوح المحفوظ، أو المبادئ العالية، أو ما يجده العقل لضرورة أو دليل. ونفس الشيء على اختلاف بينهم في معناه مذكور مع ما يتعلق به في محله، واقتصر السيد في حاشية «شرح المطالع» على الأخير فقال: وأما نفس الأمر فهو نفس الشيء والأمر هو الشيء. ومعنى كون الشيء موجودًا في نفس الأمر أي موجودًا في حد ذاته أي ليس وجوده وتحققه وثبوته متعلقًا بفرض فارض أو اعتبار معتبر، مثلًا الملازمة بين طلوع الشمس ووجود النهار متحققة في حدِّ ذاته سواء وجد فارض أو لم يوجد أصلًا، سواء فرضها أو لم يفرضها قطعًا. ونفس الأمر أعم من الخارج مطلقا، فكل موجود في الخارج موجود في نفس الأمر بلا عكس كلي، ومن الذهن من وجه، لإمكان اعتقاد الكواذبكزوجية الخمس، فتكون موجودة في الذن، لا في نفس الأمر، ومثل ذلك يسمى ذهنيا فرضيا، وزوجية الأربعة موجودة فيهما معًا، ومثلها يسمى ذهنيًا حقيقيًا). =

﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾[1].

وقوله: (لأن ما كان ضروريًا منها للفطرة..): العلوم كلها في حقه ﷺ ضرورية[2](*)، فلا معنى لقوله ما كان منها ضروريا، على أنه لو وصف أدنى الناس بالعلم الضروري، الذي تقتضيه جبلته، وطبيعته لساءه ذلك ضرورة.

عدم تفاوت العقلاء في هذا المقدار من الضروري الجبلي، ثم اللواحق للنبي ﷺ من الصفات والحركات.

بل وللإنسان مطلقًا قسمان:

(*) **في حاشية الحموي**: هذا بحث فيه القرطبي في صدر كلامه الذي نقله في «ملاك الطلب» وقال: إنما صارت ضرورية، أما في الأصل فنظرية، لأنه مكلف بها، ولا يكلف بضروري لتحصيل الحاصل.

....

= * وقال علي جمعة مفتي الديار المصرية السابق في «المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم» (ص13): (فرق العلماء والمفكرون في الوجود بين الواقع ونفس الأمر: فالواقع: هو ما يدرك بالحواس البشرية، وهو ثابت عبر الأزمان. أما نفس الأمر: فهو مختلف وغير ثابت، والمقصود بنفس الأمر: ما وراء الحواس البشرية).

(1) سورة غافر، الآية: 56.

(2) **الضروري**: يقع صفة للعلم، بمعنى أن حصوله لا يحتاج إلى نظر وكسب، كما يقع صفة للمعلوم، بمعنى أن حصول العلم به كذلك، كحصول علم إنسان بأنه موجود، أو بأنه جائع، أو بأنه متألم. فهذا العلم بالمحسوسات الظاهرة والمشاعر الباطنة علم ضروري. «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص1497). وفي «مجلة دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف (العدد 119= العدد 7 السنة 12 ربيع =

- **أحدهما**: ما يلحقه من جهة المادة الجسمانية، ولا مدخل فيه للنفس النفسانية، كالطول، والقصر، والبياض، وأمثال ذلك، فهذا لا معنى للتأسي فيه بالنبي ﷺ.

- **والقسم الآخر**: ما يلحقه بواسطة القصد والاختيار: كالأفعال عبادة وعادة، ففي هذا القسم يكون التأسي بالنبي ﷺ:

إما ما كان من ذلك ظاهر القربة، فواضح التأسي به فيه سواء عُقلت حكمته فيه أو لم تُعقل.

• وأما ما خفي فيه حكم القربة، فهو الذي يلتبس بالجبلي المحض، فابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن شرب من شربه يرى التأسي به ﷺ في ذلك، فكان يدير راحلته كما كان ﷺ يديرها، ويتتبع مواطئ نعله، وكان أنس يحب الدباء، وأبو أيوب يكره الثوم، إلى غير ذلك مما هو واضح.

وقوله: (ولم يمت حتى علم جميع ما نزل... إلخ): قد سبق من كلام أهل العلم أنه ﷺ في آخر أحواله علم كل شيء حسبما أخبر - وهو الصادق المصدوق[1] - بذلك، وهذه الحيرة التي أنت فيها، من قصورك، وعدم وقوفك على كلام الناس، بل ولا على الحديث، وإلا فأنت في غنى عن تسويد القرطاس، بما خيل إليك من الهوس والوسواس، ....

....

....

= الأول1389هـ/ يونيو1969م) مقال: «كتاب العلم المحمدي» لمحمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ)» لمحمد الناصر الكتاني (ص217).

(1) سبق التعريف بـ «الصادق المصدوق» في (ص426).

ولذلك تكثر الحزّ[1]، وتخطئ المفصل، وتمد عصاك، حيث لا يجدي إلا المخصَل[2].

* وقوله: (**وأما ما سينزل إلى قيام الساعة**): قد أكثرت من التردد هنا، والتشكيك بجهلك بأصل المسألة[أ]، وعدم العلم بما قال الناس فيها، فتارة تقول لنا: (أن نقول)؛ وتارة تقول: (فيمكن)، خلط عليك الأمر!

* وقوله: (**وأن المراد به نوازل الأحكام**): قد أكثر الناس في الحديث الكلام[ب]، والذي عليه المحققون: إنه أمر الخلافة كما يفيده حديث أمره الصديقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن تدعو له أباها مخافة أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون والحديث شهير[3].

....

(أ) في (د): (في هذه المسألة).

(ب) في (د): (في المذهب الكلام).

(1) **الحزّ**: القطع من الشيء من غير إبانة. وفي الحديث: أنه احتز من كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ. «لسان العرب» لابن منظور (حرف الزاي: فصل الحاء: مادة حزز ج5 ص334).

(2) **المخصل**: القطاع من السيوف وغيرها. المخصل والمخضل بالصاد والضاد، والمقصل السيف. «لسان العرب» لابن منظور (حرف اللام: فصل الخاء: مادة خصل ج11 ص208).

(3) إشارة إلى حديث: (عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: وارأساه فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك**» فقالت عائشة: واثكلياه! والله إني لأظنك تحب موتي، فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسًا ببعض أزواجك فقال النبي ﷺ: «**بل أنا** =

* وقوله: (وهذا كله لا يخلو عن فضول): قد فتحت أساطيرك بأن الخوض في المسألة، والكلام عليها من الفضول، وختمت بمثل ذلك، فتحصل أنك فيما بينهما فضولي، سيما وقد لمزت، ونبزت منصب النبوءة بالنقص، والغض، شبه فعل السّلولي[1].

* وقوله: (تطلب ما لا يُدرك): وما لا يلزم مبني على ما تخيلته من أن المطلوب في المسألة: إحصاء المعارف التي استأثره الله بها ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذلك ليس من موضوع البحث في شيء كما قدمناه غير مدة.

* وقوله: (فرحم الله امرءًا عرف قدره)[2]: من جال في المسألة وتكلم فيها

....

....

= وارأساه لقد هممت ـ أو أردت ـ أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد، أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون». رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب المرضى: باب عيادة المريض، برقم 5666 ج4 ص8)؛ والطبراني في «المعجم الأوسط» (برقم 4567 ج5 ص23)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (برقم 6568 ج3 ص530)، و (برقم 16588 ج8 ص263).

(1) إشارة إلى عبد الله بن أبيّ ابن سلول (ت9هـ) كبير المنافقين. «تفسير ابن كثير» (عند الآية: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ من سورة التوبة ج4 ص193)؛ وفي تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (عند الآية 84من سورة التوبة ج10 ص319)؛ وفي «الأعلام» للزركلي (ج4 ص65).

(2) من كلام عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه حين اتخذ خاتمًا من فضة. تقدم توثيقه في (ص472).

بما أخبر به النبي ﷺ عن نفسه، عن ربه، وبما قال أهل العلم، فقد جل قدره، ومن خاض فيها بالهوى، والجهل، وعدم الوقوف على النصّ فيها، وقد أسلفناه، فقد عظم رُزْؤه[1] ووزره.

ثـم هذا الكلام، قال السمعاني: (هو من حديثه ﷺ لكن بلفظ: «ما هلك امرؤ عرف قدره»[2]، لا كما ساقه صاحب الأساطير على عادته في التحريف والتغيير. وقال غيره: (هو من قول عمر بن عبد العزيز(أ) في وصية)[3]. وبكل حال فمعناه صحيح: إذ من عرف مقدار نفسه، ونزلها منزلتها، نجى في الدنيا والآخرة من الهلاك، ومن عد أطواره، فتكبر، ورفع نفسه فوق حدّه، هلك. كما اتفق لكثير من أهل هذا الوقت في تصدرهم، ونصب أنفسهم، وجعلها وسائط بين الحق والخلق حرصًا على الحطام، وذهبًا لأموال الأرامل والأيتام، فافتُتِنوا وفَتنوا، وضَلّوا وأضلّوا،..........................

....

(أ) في (د): (هو قول أكثم بن صيفي).

---

(1) المرزئة والرزيئة: المصيبة، والجمع أرزاء ورزايا. وقد رزأته رزيئة: أي أصابته مصيبة، وقد أصابه رزء عظيم. «لسان العرب» لابن منظور (حرف الألف: فصل الراء: مادة رزأ ج1 ص86).

(2) رواه أبو المظفر، منصور بن السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت489هـ) في «تاريخه» كما في «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا» لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ) (رقم 104 ص49)؛ وذكره أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542هـ) في «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (ج5 ص384).

(3) تقدم في (ص472).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾[1]. ولو أوتوا رُشدهم، لأقبلوا على خُويصاتهم[2] وما يعنيهم؛ ففي المواظبة على الصلوات المكتوبة، وآدائها في أوقاتها، وتلاوة القرآن العظيم، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى عليه الصلاة والتسليم، ما يشغل كل عاقل عن التصدي لما ليس منه في قبيل، ولا دُبير ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[3]، ومعتمدهم إن قيل لهم في ذلك أو عوتبوا عليه: قد أذن لنا الشيخ، وإذنه على فرض ثبوته، وكونه تام المرتبة، كامل الحال، مقيد بوجود إفادة، أو استفادة كما قال الشيخ تاج الدين: (من أذن له في التعبير، فُهمت في مسامع الخلق عبارته، وجليت لهم إشارته)[4]، وهؤلاء المصاب بهم الوقت شأنهم عند اجتماع الخلق عليهم، أن يعمدوا إلى من يعرفونه بإحكام وجوه التصرف، وجمع الدنيا، فيقدموه ـ أي يجعلوه ـ وليا على طائفة منهم، إلا أنهم يأنفون من التسمي بالولي، ويسرون بالتسمي بالمقدم.........................

....

....

---

(1) سورة البروج، الآية: 10.

(2) **الخوص والخيص**: الشيء القليل. والخوصاء: الموضع، قارة خوصاء: مرتفعة. «لسان العرب» لابن منظور (حرف الصاد: فصل الخاء: مادة خوص، ج7 ص34).

(3) سورة فاطر، الآية: 13.

(4) «غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية» لابن عباد النفزي الرندي (ص223)؛ وفي «شرح الحكم» للعلامة زروق الفاسي (ص217)؛ و«إيعاد الغمم عن ايقاظ الهمم في شرح الحكم العطائية» لابن عجيبة الحسني (رقم 177 ص264)؛ وفي «شرح الحكم» لمحمد سعيد رمضان البوطي (برقم 188 ج4 ص256).

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[1].

ولا فرق في النظر بينهما من حيث المعنى؛ فإذا عزموا على التوجه إلى الشيخ بزعمهم، وهو الشيخ النجديّ بالحقيقة[2]، أخذ المقدم في جمع الزيارة، وهي الوظيف في المعنى، ومن تراخى أو تكاسل عن ذلك أُخِذَ منه قهرًا وجبرًا، ويسمونه مع ذلك بقلة الصدق، والمحبة؛ حتى إذا اجتمع من ذلك أمثال الجبال من الماشية وغيرها، تقدم المقدم أو نائبه إلى الشيخ بزعمه ليشيره، ويخبره بما قدموا به، وربما وصف له كيفية التوصل إلى ذلك من أنواع التحيلات، ووجوه الخدائع، فيتطلق في وجهه، ويتبسم، ويقول له: (أنت! أنت!)؛ ثم يأخذ هو في الاحتيال على تحصيل من غير شعور أحد وهيهات:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم[أ][3]

....

(أ) في (م): عجز البيت ساقط.

(1) سورة هود، الآية: 98.

(2) يُقصد بالشيخ النجدي: الشيطان الرجيم لعنه الله وأخزاه، كما جاء في مسألة اجتماع قريش بدار الندوة وتآمرها على قتل رسول الله ﷺ، حيث أتاهم الشيطان في صورة شيخ، وعندما سألوه عن حاله، قال: (شيخ من نجد). «السيرة النبوية» لابن هشام (هجرة الرسول ﷺ، ج2 ص454)؛ و«تاريخ الرسل والملوك» لابن جرير الطبري (ت310هـ) (ج2 ص370)؛ و«دلائل النبوة» لأبي نعيم (ت430هـ) (برقم 154 ج1 ص201)؛ و«الروض الأنف» للسهيلي (ج2 ص307)؛ وفي «المنتظم» لابن الجوزي (ج3 ص45)؛ و«السيرة النبوية» لابن كثير (ج2 ص227).

(3) هذا البيت من قصيدة مطلعها: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم)، لزهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني (ت 609م)، من مُضر. أخته الخنساء الشاعرة، ولد في بلاد =

فتارة يأمرهم بالقدوم به إليه ولا يبالي: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[1]، وتارة يشير إلى وضع ذلك عند فلان ممن يثق بحرصه وهلعه إلى أن يطل موسم يحتاج الناس فيه إلى ذلك في أسواقهم، فيُجلَبُ ويباع ويمكّن منه الشيخ، فيكنزه ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ الآية[2]، أو يحلى به صواحب أخصاصه وخيامه:

أما الخيام فإنها كخيامهم .... البيت[3]

....

....

= مُزَينة بنواحي المدينة. «ديوان» زهير بن أبي سلمى (ص 111)؛ وفي «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ) (برقم 685 ج9 ص26)؛ وفي «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات» لمحمد المهدي الفاسي (ت1109هـ) (ص85).

(1) عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**». رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب أحاديث الأنبياء: باب منه، برقم 3484 ج2 ص359)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (برقم 1316 ص336)؛ وأحمد في «المسند» (رقم 17090 ج28 ص319)؛ وابن ماجه في «السنن» (رقم 4183 ج5 ص278)؛ وأبو داود في «سننه» (رقم 4797 ج7 ص175).

(2) سورة التوبة، الآية: 34.

(3) هذا البيت هو لعلي بن أحمد بن علي بن سلك، أبو الحسن المؤدب المعروف بالفالي (ت 448هـ)، من قصيدة مطلعها:

قف بالديار وناد في صحرائها ... فعسى يجيب الحي عن أبنائها

وتتمة البيت:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها =

فهـذا دأبهـم وسيرتهـم.

.... وأول راض يسـير مسيرة من يسيرها[1]

قال حجة الإسلام: (متصوفة أهل هذا الزمان ـ يعني زمانه ـ إلا من عصمه الله تعالى اغترّوا بالزي والمنطق والهيئة [فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم، وفي ألفاظهم، وفي آدابهم ومراسمهم، واصطلاحاتهم، وفي أحوالهم الظاهرة في] السماع والرقص والطهارة والجلوس على السجادات، مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر، وفي تنفس الصعداء وخفض الصوت في الحديث، إلى غير ذلك [من الشمائل والهيئات. فلما تكلفوا هذه الأمور، وتشبهوا بهم فيها، ظنوا أنهم أيضاً صوفية]، فظنوا أنهم منهم ولـم يُتعبوا

....

....

= «الرسالة القشيرية» لعبد الكريم بن هوازن (ص36)؛ و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (ت571) (ج66 ص67)؛ و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (رقم 718 ج4 ص1646). و«البداية والنهاية» لابن كثير (ج15 ص738 وص180)؛ و«كنوز الذهب في تاريخ حلب» لأحمد بن إبراهيم (ت884هـ) (ج1 ص109).

(1) هـذا البيت هو لخالد ابن زهير، أو خالد ابن أخت أبي ذؤيب، والبيت بتمـامه:

فـلا تـجزعـن مـن سـنة أنـت سرتها وأول راض بسـير مسـيرة مـن يسـيرهـا

«ديوان الهذليين شعر أبي ذؤيب وساعدة بن جؤية» (ج1 ص157)؛ و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (ت395هـ) (ج3 ص121)؛ وفي «لسان العرب» لابن منظور (ج4 ص390)؛ وفي مجلة «دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف (العدد218= العدد8 السنة 22 ربيع الأول 1402هـ/ دجنبر 1981م) مقـال: (السنة وأنواع الكتب الحديثية) للدكتور محمد الحبيب بن خوجة (ص12).

أنفسهم قط بالمجاهدة والرياضة، ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية.

وكل ذلك من [أوائل] منازل المتصوف، ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدّوا أنفسهم في الصوفية. كيف ولم يحوموا قط حولها [ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها؟] بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال العمال [السلاطين] ويتنافسون في الفلس والرغيف والحبّة، ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض).

إلى أن قال: (ومنهم طائفة ادّعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال [والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب] ولا تعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ [لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها/ تتلقفها] ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين، فهي تنظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الازدراء [فضلًا عن العوام] حتى إن الفلاح ليترك فلاحته، والحائك يترك حياكته ويلازمهم أيامًا [معدودة] ويتلقف منهم [تلك/ هذه] الكلمات فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار، ويستحقر بذلك جميع العُباد والعلماء، فيقول في العُبّاد أجراء متعبون، وفي العلماء أنهم بالحديث عن الله محجوبون، ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق، وأنه من المقربين، وهو عند الله من الفجار المنافقين، وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين)[1].

---

(1) «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ) (ج3 ص303-305). ما بين معقوفتين ثابت في الأصل، ساقط من المتن.

وأصناف اغترار المتشبهين بالصوفية لا تحصى، وأنواعها لا تستقضى، ومن الله الاستعانة، وبالله الاستعاذة. حاشا الشيخ العارف الكامل ابن ناصر[1] من سير هؤلاء المتلوثين بالقاذورات، فإن طريقته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما شاهدناها أويسية، وهمته قدسية، لا يعبأ بالدنيا ولا بأهلها، ولا يلتفت الى كثرها ولا قلها، سره فارغ منها، وباطنه مشغول بربه عنها، كما قال علي كرم الله وجهه: (يا صفراء يا بيضاء غري غيري)[2].

وولده البركة أبو العباس[3] اليوم على سيرته، وميزان طريقته، وفيه الغنية لمن

....

....

---

(1) سبق التعريف به في (ص137).

(2) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم 884 ج1 ص531) قال محققه: (إسناده حسن)؛ وابن قتيبة في «غريب الحديث» (ج2 ص96)؛ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج1 ص81)؛ وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (ج1 ص315)؛ والمحب الطبري (ت694هـ) في «ذخائر العقبى» (ص101)؛ والملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة» (رقم 611 ص375)؛ والعلامة الزرقاني في «مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي» (برقم 1224 ص249).

(3) هو أحمد ابن ناصر الدرعي (1129هـ)، الإمام اللغوي النحوي السني، العَلَم الجليل الزاهد السني، أبو العباس أحمد ابن الإمام الكبير أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر الدرعي، من آثاره: «الأجوبة العباسية»؛ و«حاشية على المختصر لخليل»: «شرح الجوهر المكنون في الثلاثة فنون»؛ وغير ذلك. «نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج5 ص1960)؛ و«طبقات الحضيكي» (برقم 99 ج1 ص85)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 259 ج1 ص298)؛ و«الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» للسملالي (رقم 254 ج2 ص357)؛ وفي «الأعلام» للزركلي (ج1 ص241).

أراد الإستبصار. وعليه فليكن الاقتصار، وليحذر من هؤلاء المبدلين المخلطين، وأشباههم من المبطلين، وصاحب الأساطير ممن يحتج باذن الشيخ ابن الناصر له، ومعاذ الله أن يكون كما يقول، وعلى فرض الإذن وصحته، فهو معلق على شروط لم يتحصل له شيء منها، ولذلك لم تستقم له[أ] حالة، ولا استقرت قدمه[ب] إلا على متن البطالة:

يومًا بِحَزْوى ويومًا بالعَقِيقِ .... البيت[1]

فقلما يدوم مستقرًا، أو يبني بناؤه إلا جعله الله هباء لإخلاله بالقيام بحق الشروط التي الإذن بها على زعمه منوط، فلقد حدثني غير ما واحد من ثقات أصحاب الشيخ ابن الناصر، أنه ما أوتي، ولا ابتلي إلا من جهته، وتفسخه من طريقته، وسيرته، تفسخ الريع، فاختلت لذلك أحواله، وضاعت بُكره وآصاله، تداركنا الله بعفوه[ت].

* وقوله: **(كما قال ﷺ في قصة تأبير النخل...) إلخ**[2]: هذا منه أيضًا جار

....

(أ) في (د): (ولذلك لم تستقم حالة له).

(ب) في (د): (قدماه).

(ت) في (د): (بلطفه).

---

(1) هذا البيت من قصيدة مطلعها: (هذا فؤادك نهبى بين أهواء)، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخازن الشاعر. «تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام» للذهبي (ج8 ص572)؛ و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (ج2 ص702)، وتتمته:

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

(2) سبق تخريجه في (ص394 _ 395).

على حاصل أساطيره من نفي عموم علمه ﷺ، والاحتجاج على ذلك بقصة تأبير النخل من الجهل الذي لا يسع أحدًا السكوت عنه، لاشتهار الأجوبة عنها، منها: أنه ﷺ أراد أن يسلك بهم مسلك التفويض[1] بترك الاعتماد على تعاطي الأسباب، والركون إليها بالإعتماد على مسببها، والانقطاع إليه، فلما رأوا من نخلهم ما رأوا، رجعوا إليه ﷺ، ولو صبروا لكفوا مؤونة التأبير، ولكن خلق ﴿ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[2]، على أن القضية كما عليه العارف سيدي عبد الوهاب الشعراني قبل حصول تلك الخصوصية.

وقوله: (فالاشتغال بهذا كله إثباتًا ونفيًا...) إلخ: قد أثبت ذلك الصادق المصدوق[3] - عليه الصلاة والسلام - لنفسه الشريفة إخبارًا عن ربه فضلًا منه وكرامة، ونفاه الكاذب المكذوب، بعقله المسلوب، اغترارًا برؤية نفسه، وابتهاجًا بصحبة الخلق وأنسه.

ومن علامات الإفلاس: الاستئناس بالناس، ولا مرية في اغترار صاحب

....

....

(1) التفويض: قال ابن العربي المعافري في «المتوسط في الاعتقاد» (الفصل الثاني: الاسم الثالث ص446): (هي منزلة عظيمة لا تنال إلا بموهبة سنية من الله، قال العبد الصالح: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: 44]، ولم يتم الاقتداء به إلا لأهل السنة؛ الذي يقولون: لا عطاء ولا منع، ولا رفع ولا وضع، ولا نفع ولا موت، ولا حياة ولا نشور؛ إلا لله، يسلمون الجميع لربهم، ويفوضون الكل إليه. والمبتدعة أثبتت من ذلك لله قسما، وللعبد آخر، ففاتهم فضل هذا المقام، وزلوا عنه خائبين).

(2) سورة الاسراء، الآية: 11.

(3) سبق التعريف بـ«الصادق المصدوق» في (ص426).

الأساطير بمن يلازمه ملازمة ظله، من أولياء كل خان، فخان الله ورسوله فيمن خان.

على أن قوله: (إثباتًا ونفيًا): رفض منه لما افتتح به أساطيره واختتمها به من النفي الملزوم للغض من منصب من لا منصب فوق منصبه، ولا مشرب إلا دون مشربه.

وقد تقرر أن «الأصل في الكلام الحقيقة»[1]، ومنها بقاء الألفاظ على أوضاعها، ومبادرة الفهم إلى الحقائق أقوى من مبادرته إلى المجاز، فنحن نتمسك في الأمور باستصحاب الأصول إلى أن يقع النقل بالموجب، فالترجيح من غير مرجح باطل، والقول فيما يرجع إلى الدين بمجرد الشهوة لغو لا يلتفت إليه، وبكل اعتبار، فلا نعلم في نمط المنتسبين للشيخ القدوة ابن الناصر تدريجًا كان أسمج من تدريجك، ولا تعريجًا أشد اعوجاجًا من تعريجك، فأقبل أو فدع، ونعوذ بالله من دسائس الشيطان.

* **وقوله: (فيسقط المشتغل بها...) إلخ**: هذا مثل، لكنه ساقه مغيّرًا مبدلًا

....

....

(1) من القواعد الفقهية: (الأصل في الكلام الحقيقة). المراد بهذه القاعدة أنه إذا كان للفظ معنيان متساوٍ استعمالهما، معنى حقيقي، ومعنى مجازي، وورد مجردًا عن مرجح يرجح أحد المعنيين على الآخر، فيراد به حينئذ المعنى الحقيقي لا المجازي؛ لأن المجاز خلف عن الحقيقة، فترجح هي عليه في نفسها. وهذه القاعدة تكملها قاعدة «إذا تعذرت الحقيقة يُصار إلى المجاز». «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص63)؛ وفي «القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة» لمحمد الزحيلي (ج1 ص367).

على عادته فيما يلفق:

* قال أبو عبيد[1]: (سقط العشاء به على سرحان): أصله أن رجلًا خرج يلتمس العشاء، فوقع على ذئب فأكله.

وقال الأصمعي: (أصله: أن دابة خرجت تطلب العشاء فلقيها ذئب فأكلها).
وقال ابن الأعرابي[2]: (أصل هذا أن رجلًا من غني، يقال له سرحان بن هُذالة كان بطلًا فاتكًا يتّقيه الناس، فقال رجل يومًا: (والله لأرعينّ إبلي هذا الوادي، ولا أخاف سرحان بن هزله)، فورد بإبله ذلك الوادي، فوجد به سرحان وهجم عليه فقتله وأخذ إبله، وقـال:

أبلغ أصيحة أن راعيَ أهلها سقط العشاء به على سرحان

....

....

(1) أبو عبيد: هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت487هـ)، مؤرخ جغرافي، ثقة، علامة بالأدب، أجازه الحافظ ابن عبد البر القرطبي. من آثاره: «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال»، «سمط اللآلي في شرح أمالي القالي» «التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه»، «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع»، «المسالك والممالك». «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي (برقم 1401 ج2 ص49)؛ وفي «الأعلام» للزركلي (ج4 ص98).

(2) ابن الأعرابي: هو الإمام الحافظ الزاهد شيخ الحرم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري الصوفي (ت340هـ). «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (برقم 655 ج10 ص375)؛ وفي «تذكرة الحفاظ» للذهبي (برقم 830 ج3 ص852)؛ وفي «سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 229 ج15 ص407).

سقط العشاء به على متقمر   طلق اليدين معاود ذي طعان

يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف)[1].

فتأمله تجده قد غيّر المثل وبدّله، ومن المستفيض أن الأمثال لا تغير، وصاحب الأساطير بمعنى المثل جديد، فإنه أخذ فيما لا يدريه ولا يقوم به ولا يرويه، ولذلك أداه طلبه للوقوف على حقيقة المسألة من غير علم ولا بصيرة إلى التلف، فقال فيها بما لم يقل فيها أحد من السلف ولا من الخلف، وظن مع ذلك أنه بنى وعلّا، وما يدري المغرور!! أنه في صنعه كمن أذّنَ بغير طهارة وصلّى.

* وقوله: (**وكذا البحث في خصوص الخمس**): قد صرح الحفاظ، كالحافظ الجلال السيوطي وغيره من القائمين بالفن والراسخين فيه، بعلم النبي ﷺ الخمس والروح وغير ذلك، وأنت أبيت إلا الوقوف مع جهلك الحالك، اغترارا بملاحظة نفسك وحالك.

* وقوله: (**أعطي نبينا ﷺ من العلوم ما يغرق في أدنى بحاره**): الذي قاله أهل العلم، ورووه عنه ﷺ، أنه تعالى أطلعه باطنا على ما بين يديه وما خلفه(*) من علوم

(*) **في حاشية الحجوي**: هذا تقييد ينافي ما قدمه من الإطلاق والشمول، والاستغراق، وهذا شأن من لم يكن قصده إرشاد الخلق للحق، بل نصرة النفس أن يقع في كلامه رد كلامه، ليقيم الحق عليه دليلًا من نفسه ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ

....

(1) «مجمع الأمثال» لأبي الفضل الميداني النيسابوري (ت518هـ) (الباب الثاني عشر، برقم 1764 ج1 ص328)؛ وفي «لسان العرب» لابن منظور (حرف السين: سرح ج2 ص482).

الأولين والآخرين:

• فإما أن ترجع إلى ما أخبر به النبي ﷺ، عن ربه جَلَّ وَعَلَا، أنه أعطاه وأتاه علم كل شيء يتجه ما ذكرته من قولك: (يغرق في أدنى بحاره علوم الأولين والآخرين).

• وإما أن تأبى إلا ما في أساطيرك من نفي ذلك، فلا تجد لك أسوة فيما سطرته هنا من قولك: (يغرق في أدنى بحاره): فإنه مخالف لكلام الناس.

* وقوله: (وكلهم من رسول الله ملتمس)؛ قد سبق الإملاء إلى الاستشهاد بهذا البيت النفيس، وتريد هنا خطابًا للنبي ﷺ:

أنت مصباح كل ضوء وفضل فما تصدر إلا عن ضوئك الأضواء[1]

﴿وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[2]، وبالمراء والجدل الذي حذر النبي ﷺ أمته منه، هلكت الأمم واضمحلت الأديان، وصار الطالب للحق في وقتنا هذا غريبًا، والناصر له ناشرًا للهذيان، متطرف الفكر بين الخلان.

....

(1) من «همزية» البوصيري. «ديوان البوصيري» (قافية الهمزة البيت 4 ص26)؛ و«المنح المكية شرح الهمزية» للهيثمي (البيت 4 ص41)؛ و«الأنوار القدسية شرح القصيدة الهمزية للبوصيري» لأبي العباس أحمد ابن عجيبة (ت1224هـ) (البيت 4 ص17)؛ وفي «الفوائد الجليه البهيه علي الشمائل المحمديه» لمحمد بن قاسم جسوس وبهامشه: «شرح همزية الإمام البوصيري» الموسوم بـ«لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية الإمام البوصيري» للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد بنيس الفاسي المالكي (ت1214هـ) (ص13).

(2) سورة النور، الآية: 24.

* وقوله: (وقف ها هنا، وراجع كلام «الشفا»): لو كنت ممن عانا الشفاء لعلمت أنك فيما ضمنته أساطيرك من جرف هار على شفا، ففي «الشفا»[1]: (أنه ﷺ أوتي علم كل شيء)؛ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[2] الآية.

* وقوله: (وقف له ودع عنك الجدال والمراء): أول من جادل ومارأ في المسألة من غير علم، ولا وقوف على ما قال الناس فيها: أنت يا فل! وأما الناس الذين لم يروا أنفسهم، ولا أعجبوا بكثرة الأتباع، فقد وقفوا عند قول نبيهم عليه الصلاة والسلام، وهم حملة الحجة والشريعة.

* وقوله: (لعلك تتنور بصيرتك): تنور البصيرة باتباع السنة، والوقوف عند ما حدث، لا بترجيح الرأي عليها والاغترار بهوى النفس، وإن جدّت في الصالحات(أ) ما جدّت (*).

(*) في حاشية الحجوي: هذا آخر ما تيسر كتبه على هذه الرسالة إصداعًا للحق، وقيامًا لله بالحجة، أحب من أحب؛ أو كره من كره. ولولا ضيق الوقت، وإفساد الورق والمراد، لتتبعنا جميع مقالاتها ذرة ذرة، وحللناها عروة عروة، غير أنه فيما كتبناه كفاية في بابه، إذا كان القصد إحقاق الحق، أي: أن يزهق الباطل، وقد زهق. والله! ولم يبق من الرسالة إلا ما لا غرض لنا في التعرض إليه، من الهمز واللمز الذي تكفل الله بالتوعد عليه..........

(أ) في (د): (في الطاعات).

---

(1) «الشفا» للقاضي عياض (ت544هـ) (ج1 ص203).

(2) سورة البقرة، الآية: 85.

* وقوله: (وتسلم عقيدتك): قد تقدم في أساطيرك أن هذا منك غير مطلوب، وما تتوقف على ترك الأخذ به سلامة العقيدة مما يتعين على الأفئدة والقلوب.

اللّٰهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على الإيمان بك وبرسولك وبما جاء به، و«رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم، أو سكت فسلم»[1].

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا
محمد وآله وصحبه

[تم الكتاب بحمد الله]

في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾[2]، أو صريح السب الذي قال فيه: (سباب المسلم فسوق)[3]، وذلك في الحقيقة أجنبي عن العلم، وللبيت رب

---

(1) من حديث رسول الله ﷺ: «رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم، أو سكت فسلم». رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (برقم 380 ص128)؛ ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (رقم 41 ص63)؛ وابن أبي عاصم في «الزهد» (برقم 9 ص20)؛ والشهاب القضاعي في «مسنده» (برقم 581 ج2 ص338)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (برقم 4585 ج7 ص17)؛ وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم 855 ج2 ص510).

(2) سورة الهمزة، الآية: 1.

(3) من حديثه ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله، برقم 48 ج1 ص24)؛ و (كتاب الأدب: باب ما ينهى عنه من السباب واللعن، برقم 6044 ج4 ص79)؛ و (كتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا»، برقم 7076 ج4 ص298)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق»، برقم 64 ج2 ص130).

يحميه، ويكفينا أننا قد عمدنا إلى هذه الرسالة فهدمنا قصورها العنكبوتية، وبينا قصور صاحبها بالأدلة القطعية، وطمسنا عيونها العمياء، وأزلنا غمامتها التي يراد بها إنزال الظلماء، وأنها والله بالنسبة للإمام اليوسي رَحِمَهُ اللَّهُ وقدس روحه لعلم محض، وظلمات بعضها فوق بعض، والنبيه تكفيه هذه العجالة، ويستبين النور بظهور الهالة.

ونسأل الله أن يجعله لوجهه خالصًا، وأن لا يجعله عن إظهار الحق ناقصًا. وأن يلهمنا رشدنا، ويثبتنا على الدين القويم والصراط المستقيم آمين والحمد لله رب العالمين.

قيده: عبد ربه وأسير كسبه: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري، خلال شهور عام 1338هـ، بفاس المحروسة بالله.



الكتاب الخامس

الرَّوْضُ المُعْطَارُ في عِلْمِ النَّبِيِّ المُخْتَارِ صلى الله عليه وسلم

لِأَبِي العَبَّاس أَحْمَد بن عَبْد السَّلَام البَنَّاني (ت 1234هـ/ 1819م)

نَصٌّ مُحَقَّقٌ عَنْ:

- النسخة الأم التي هي بخط يد المصنف والموسومة بـ:
  «النور اللامع وكنز رواة المجامع»
- وعن «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ)
- وعن «الروضات العرشية» للعارف بالله مصطفى البكري (ت1162هـ)

نماذج صور من النسخ الخطية من كتاب:

«الروض المعطار في علم النبي المختار ﷺ»

لأبي العباس أحمد بن عبد السلام البناني: (ت1234هـ - 1819م)

12

اللوحة (12) من «الروض المعطار في علم النبي المختار»

لأبي العباس أحمد بن عبد السلام البناني

مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 266)

2/81

صل على من جعل شهوده للشيخ أنه شغل أو فيه حجب وأسقط الغيب
عن ما فيه رائحة النقص من النهاء والاشتغال. اللهم صل على من جعل
شهوده للشيخ لا شغل أو فيه حجاب أولى ذكر أولى إشارة للفناء في
مقام حقائق أفعال. اللهم صل على من جعل شهوده للشيخ لا شغل أو
فيه حجاب ذكر ثانيا إشارة للفناء في جلاله وجماله عن كل أشكال
وحلال. اللهم صل على من جعل شهوده للشيخ لا شغل أو فيه حجاب
ذكر ثالثا إشارة للفناء في ذاته الأحدية عن الرؤية أدنى لها أشكال وأمثال
الفصل التاسع في ذكر شعوره عليه صلى الله عليه وسلم
على علم الروح الأمري وغيبه والملائكة المقربين وسائر الأنبياء
والمرسلين وفضلها على غيرهم من الملائكة والناس أجمعين
وردا ما هو مذكور في كتاب التفكر من إحياء علوم الدين للحجة الغزالي
الشافعي عن مراده أن يتفكر في آثار قدرته اقتصارا على ما هو مرئي لنا
عيانا وأنها هي المنتهى لذوي [illegible] وبيان أنها هي النار متضادة
دالة على سبيل البرهنة من التوحيد والمعرفة التي لا يعرفها إلا ذو
جهل وكبر أو تسع أعلم أن التي نعتقده ونديره الله به
أن الله عز وجل أطلع نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ما لم يطلع عليه
أحدا من خلقه من هذا هو استمداد لما استعملناه وشاهده [illegible]
في ذلك أن الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه قال في كتاب التفكر
من الإحياء لما ذكر بعض ما في السماوات والأرض من العجائب الظاهرة
والخفية الدالة على عظمة خالقها تعالى وعظمته وعز جلاله وتقدس
مشيئته وفي العالم على ذلك ما نصه ولنقبض عنان الكلام

اللوحة (281) من «الروض المعطار في علم النبي المختار»
لأبي العباس أحمد بن عبد السلام البناني
مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 266)

الحمد لله الذي اطلع في سماء الأفكار من أبراج العلوم أبكارها، ومن أزهار الغصون النضارة
والنفائس الأنظار، ومنعت أزهارها وثمارها، وجعل أنشاء العلماء في كل الأمصار
أمانا للقلب الجريح ومحاجة للأنظار، وحماة سلاح الحجج والبراهين، وبث أنوارها
ومضامين الجزاء والسياسة، والصلاة والسلام على عين الوجود، وسلالة الأشرف
من الوجود، ومطلع كل جود، ومن نطق لسان الكون به في الماضي والمستقبل
نجوم تسيرنا ومولانا محمد، وعلى آله الذين اتصلوا بحبله، ورشفوا الأنوار
من كأسه نيلهم، وعلى الصحابة الذين بالنصر والتبيان، ورفعوا الكفار
بصفقة السلاح وإرسال الغبار، وبعد فيقول [illegible] كان [illegible] محمد الله
على المؤلف مؤلفه، وزاد [illegible] وصرح به عن [illegible] ومن
[illegible] الذي [illegible] روضا زاهيا، وبدرا ساطعا، احتوى على
دقائق وحقائق فيه حقائق، [illegible] فيه الفهوم، وتعالت بالطرق
النجوم، [illegible] سطورها بنفحة، ومن الضياء [illegible]
[illegible] مجموع له [illegible] مجموع، ولا مقطوع
ولا ممنوع، [illegible] الكتاب [illegible] على [illegible]
[illegible] الفهم [illegible] القلم، وانصر [illegible]
وكيف ومؤلفه [illegible] على [illegible] الأنهار، ومن [illegible]
[illegible] ما [illegible] الجدال والاعتصام
[illegible] على ما [illegible] والانصاف، [illegible] الذي [illegible]
[illegible] من النجم [illegible] الأعلام، وجعل ما [illegible]
وراءه [illegible] وأعزه [illegible]
[illegible] العفو [illegible] الأقطار

اللوحة (486)، مخطوطة المكتبة الوطنية بالرباط (برقم 266)

بسم الله الرحمن الرحيم • وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي خص النبي العربي القرشي الهاشمي المقتفى
بالعلم اللدني ونفح الغيب [illegible] • افضل الخلق
على الإطلاق • والمعول [illegible] • سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم • المنفرد بالاطلاع على السر المكنون والعلم اللدني المصون
وكيف لا ومعلمه الإله الحق الذي هو بكل شيء عليم • قد أثنى
عليه بقوله جل ثناؤه وإنك لعلى خلق عظيم • وقد كان صلى الله
عليه وسلم خلقه القرآن • الذي جمع علم الأولين والآخرين [illegible]
والبيان • ويقوله جل علاه • [illegible] • وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما فناهيك بهذا الثناء
العظيم • من رب العزة الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في
السماء وهو السميع العليم • [illegible] قوله وما أوتيتم
من العلم إلا قليلا [illegible] سبحانه رقى نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم في مراتب المعارف والكمالات • وصير علمه [illegible]
العلوم [illegible] • [illegible]
[illegible]

اللوحة (5)، مخطوطة المكتبة الوطنية بالرباط (برقم 266)



الكتاب الخامس

الروض المعطار في علم النبي المختار ﷺ

لأبي العباس أحمد بن عبد السلام البناني (ت 1234هـ / 1819م)

تأليف وتحقيق

الدكتورة محجوبة العوينة

نائب رئيس إتحاد الأكاديميين والعلماء العرب

رئيسة مكتب المملكة المغربية لاتحاد الأكاديميين والعلماء

التابع لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية - جامعة الدول العربية

دكتوراه في العقيدة والفكر

أستاذة أكاديمية طنجة - تطوان الحسيمة - المغرب

دار المالكية

النص المحقق

مقدمة

الروض المعطار في علم النبي المختار

لأبي العباس أحمد بن عبد السلام البناني

(ت 1234هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي خص النبي العربي القرشي الهاشمي المصطفى، بالعلم اللائق بقدر الحبيب، قطب دائرة كل كمال ووفاء، أفضل الخلق على الإطلاق[1]، والشمول، والاستغراق[2]، سيدنا محمد ﷺ، المنفرد بالإطلاع على السر المكنون، والعلم اللدُني[3] المصون، وكيف لا؟ ومعلمه الإله الحق، الذي

---

(1) **الإطلاق**: استعمال اللفظ ليدل على معناه المتداول من غير إرادة تعميم أو تخصيص، وهو: إرسال الكلام بغير قيد أو شرط.

وفي الاصطلاح المنطقي هو: أن يذكر المعنى من غير أن يزاد عليه شيء يقيد به (ابن سينا)؛ وقيل: إنه إطلاق الحكم سلبًا أو إيجابًا، بحيث يكون المعنى عامًّا شاملًا لجميع وجوه التخصيص الممكنة. «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج1 ص230).

(2) سبق التعريف بمصطلح «الاستغراق» في (ص578).

(3) **العلم اللدني** هو: ما يحصل للعبد من غير واسطة، بل بإلهام من الله، وتعريف منه لعبده، كما حصل للخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ بغير واسطة موسى، قال الله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا=

هو بكل شيء عليم، هو المثني عليه بقوله جل ثناؤه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، وقد كان ﷺ (خلقُه القرآن)[2]، الذي جمع علم الأولين، والآخرين، والقاص، والدّان، وبقوله جل علاه، وارتفع مجده وسناه: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[3]، وناهيك بهذا الثناء العظيم، من رب العزة

= وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة الكهف الآية 65]. وفرّق بين الرحمة والعلم؛ وجعلهما «من عنده»، و«من لدنه»، إذ لم ينلهما على يد بشر، وكان «من لدنه» أخص وأقرب من «من عنده»، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء الآية 80]؛ فالسلطان النصير الذي من لدنه سبحانه: أخص وأقرب مما عنده. ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾، وهو الذي أيده به.

والذي من عنده: نصره بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآية 62].

والعلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة، والصدق مع الله، والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله، وكمال الانقياد له؛ فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به، كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ - فقال: لا؛ والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة؛ إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه). «منازل السائرين» لعبد الله الأنصاري الهروي (ت481هـ) (باب العلم ص77)؛ وفي «مدارج السالكين بين منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لابن القيم (ت751هـ) (ج2 ص445)؛ وقال في موضع آخر من «مدارج السالكين» (ج3 ص385): (العلم اللدني: هو ما يقذفه الحق في قلب العبد فيقطع عنه الوساوس، ويزيل الشكوك، ويحل محل العيان، فيصير لصاحبه كالوجدانيات التي لا يمكن دفعها عن النفس).

(1) سورة القلم، الآية: 4.

(2) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لما سُئلت عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن) الحديث. رواه البخاري في «الأدب المفرد» (برقم 308 ص86)؛ وفي «خلق أفعال العباد» (برقم 390 ج2 ص198)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب جامع صلاة الليل، برقم 746 ج4 ص63).

(3) سورة النساء، الآية: 113.

الذي ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[1]، وهو السميع العليم؛ المنزل عليه مع ذلك قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2].

سبحانه، سبحانه رقّى نبيه محمدًا ﷺ في مدارج المعارف والكمالات، وصيّر علمه الحادث أكمل العلوم المحْدثات، ولم يجعل لمعلوماته حدًّا، ولا غايةً كسائر المكونات، ونصب على ذلك لمن شاء من خلقه دلائل وآيات، وقضى بأن مقامَهُ أشرف المقامات، ودرجتَهُ أعلى الدرجات، وهداه دينًا قويمًا، وصراطًا سويًّا مستقيمًا، وأولاه من كل وصف جميل نصيبًا وافرًا، وحظًّا جزيلًا.

نحمده سبحانه أن جنّبنا الإفراط في علم نبينا، والتفريط؛ وحمانا من جميع الشبه، المريدُ منها والبسيط؛ ولم يجعلنا كمن أراد أن يعمر ديارًا فهدم أمصارًا[3]؛ ولا كمَن جعل علم بعض الملائكة أغزر من علم نبينا[4]، الذي في ضخامة قدره لا يُجارى؛ مُجانبة لا نبغي بها بدلًا، ولا نزيد عنها تحويلًا؛ وخصّنا بكوننا من أمة هذا النبي الذي رفع عن كل رفيع مقامه، وضرب فوق خزانة أسرار الوهبية أعلامه، كما خصه بالتثبّت لمّا رافقهُ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة المعراج، وانتهيا إلى بحر من نور يفوق نورُه نور كل كوكب وسراج؛ فأمدّه سبحانه بالتثبت في هذا المقام الذي لا يشبهه مقامٌ، وملأ قلب رفيقه جبريل رعبًا حتى قال له: (هذا مقامي لا أتجاوزه، وها أنت وربك الذي لم يزل جوادًا كريمًا يقول لك: (تقدم وادنُ واقرب إلى العُلا

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 5.

(2) سورة الإسراء، الآية: 85.

(3) هذا المثل يضرب لمن ضرره أكثر من نفعه. ينظر «مجمع الأمثال» للميداني النيسابوري (ت518) (ج2 ص428).

(4) من الذين قالوا بهذا القول: الإمام أبي حامد الغزالي في «كتاب التفكر من إحياء علوم الدين» (ج5 ص34).

وسلني أعطيك عطاءً جسيمًا))[1]. فدنا من ربه وتدلى، وأوحى إليه ما أوحى، من لـم يزل فردًا صمـدًا جليـلًا:

- فصـلِّ اللَّهُم وبارك على من تشرفت به جميع الأكوان، وظهرت به معالـم العرفان، واتضحت به دقائق القرآن عين الأعيان، والسبب في وجود كل إنسان.

- وصـلِّ اللَّهُم على من شيّد أركان الشريعة للعالمين، وفتح أقفال الطريقة للسائرين، ورمز في علوم الحقيقة للعارفين.

- وصـلِّ اللَّهُم على من زين مقاصير القلوب، وأظهر سرائر الغيوب؛ باب كل طالب، ودليل كل محجوب.

- [وصـلِّ اللَّهُم على من أكرمته بالرؤية البصرية[2]، وعلم أسرار الذات

(1) إشارة إلى حديث الإسراء، وقوله ﷺ: «ثم زجّ بي في النور زجًّا؛ فخرق لي سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابًا، وانقطع عني حس كل ملك وإنس؛ فإذا النداء من العلي الأعلى: «ادن يا أحمد، ادن يا أحمد، ليدن الحبيب...» فأدناني ربي حتى كنت كما قال تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [سورة النجم: الآية 9]، وأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علومًا شتى: فعلم أخذ علي كتمانه، إذ علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيري. وعلم خيرني فيه. وعلمني القرآن، فكان جبريل يذكرني به. وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي» الحديث، والذي ذكره أبو الحسن بن غالب فيما تكلم فيه على أحاديث الحُجُب السبعين والسبعمائة والسبعين ألف حجاب وعزاها لأبي الربيع بن سبع في «شفاء الصدور» من حديث ابن عباس رَضِوَاللَّهُعَنهُ. كتاب «الشفا» للقاضي عياض (ج1 ص129)؛ وفي «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» للقسطلاني القتيبي (المقصد الخامس: حديثان موضوعان، ج3 ص84 ـ 86).

(2) إشارة إلى حديث: (إن الله اصطفى محمدًا بالرؤية). رواه: ابن أبي عاصم في «السنة» (برقم 445 ص308)، قال محققه: (إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح)؛ وابن خزيمة في «التوحيد» (برقم 276 ورقم 277 ج2 ص485)، قال محققه: (إسناده صحيح وهو موقوف ورجاله ثقات)؛ والآجري في «الشريعة» (باب ما خص الله تعالى به النبي ﷺ =

العليّة، فنال نهاية التقريب.

- وصلِّ اللّٰهُم على من جمعت له المحبة والخلة[1]، وبين الرؤية والكلام، فنال منك مالـم ينله قريب

- وصلِّ اللّٰهُم على من تضمّن ذلك أن علومه أكثر من علوم اللوح والقلم وأعلى وأعم.

- وصلِّ اللّٰهُم على من أخبر عنك أنك خلقت ألف ألف أمة[2] لـم يطلع عليها اللوح المحفوظ ولا صرير القلم.

- وصلِّ اللّٰهُم على من أخبر أن كل أمة من هذه الأمم لـم تعلم أنك خلقت سواها.

- وصلِّ اللّٰهُم على من تضمن أخباره أنه اطلع على ما لـم يطلع عليه اللوحُ والقلم إذ لا يشملاها.

= من الرؤية لربه، برقم 1031 ج3 ص1541)، قال محققه: (إسناده صحيح)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (رقم 216 ج1 ص133): (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولـم يخرجاه، ولـه شاهد صحيح، عن ابن عباس في الرؤيـة).

(1) **مقام الخلة:** (مقام تحقق العبد بصفات الحق. وهو عند ابن عربي: مقام ابراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ). **ومقام المحبة:** (مقام جامع لمقام المعرفة والرجاء والخوف). «اصطلاحات الصوفية» للكاشاني (ص179)؛ وفي «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج1 ص955) و(ج3 ص2319).

(2) قال وهب بن منبه: (إن الله عَزَّوَجَلَّ ثمانية عشر ألف عالم؛ الدنيا منها عالَم عالِم واحد، وإن الله عَزَّوَجَلَّ خلق في الأرض ألف أمة، سوى الإنس والجن، والشياطين ويأجوج ومأجوج، أربعمائة في البر، وستمائة في البحر). الأثـر رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (ج4 ص70)؛ وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (رقم 946 ج4 ص1434).

- وصلِّ اللَّهُم على من علمُه بأحوال هذه الأمم الزائد على إطلاعه عليها من الجائز الذي لم يمنع منه مانع.

- وصلِّ اللَّهُم على من اتفقت كلمة أهل الإسلام أنه أعلم الخلق وأفضلهم من غير منازع ولا مدافع.

- وصلِّ اللَّهُم على من قال فيه السيوطي: (إنه أوتي علم كل شيء إلا الخمسُ التي في آخر لقمان)[1].

- وصلِّ اللَّهُم على من قيل: (إنه أوتيها لكن أُمِرَ فيها بالكتمان)[2].

- وصلِّ اللَّهُم على من قال مع هذا: (أحمدُ ربي بمحامد يوم القيامة لا أعلمها الآن)[3].

- وصلِّ اللَّهُم على من أمرته مع هذا بطلب زيادة العلم فبان أنه لا يزال مترقيا في العرفان.

- وصلِّ اللَّهُم على من قال فيه الجيلاني[4]: (فتح فاه ليلة الإسراء، فقطرت

---

(1) «الخصائص الكبرى» لجلال الدين السيوطي (ت911هـ) (ج2 ص335).

(2) المصدر السابق.

(3) سبق تخريجه في (ص543).

(4) هو الشيخ الإمام، العالم الزاهد، العارف أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد، مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين؛ ولد سنة 470هـ/ 1077م، وتوفي في 561هـ. من آثاره: «الغنية لطالب طريق الحق»؛ «الفتح الرباني»؛ «فتوح الغيب»؛ «الفيوضات الربانية»؛ ولموسى بن محمد اليونيني كتاب «مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني»؛ ولعلي بن يوسف الشطنوفي «بهجة الأسرار» في مناقبه؛ ولمحمد بن يحيى التاذفي «قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر» وترجم عبد القادر بن محيي الدين الإربلي عن الفارسية «تفريج الخاطر في مناقب الشيخ =

فيه قطرة من بحر العلم الأزلي فعلم بها ماهو كائن أو كان)[1].

- وصلِّ اللَّهُم على من أفهم بهذا ـ وبقول الجيْلاني: (فقطرت فيه قطرة) ـ: أن عظمتَك فوق ما تدركه العقول والأذهان.

- وصلِّ اللَّهُم على من أعلمنا بهذا: أن الذات العلية، وصفاتها السنية، لا يحيط بها أحد سواك][2].

- وصلِّ اللَّهُم على من أفادنا بهذا بطلان قول مَن قال بعدم خروج شيء ما عن علم نبيك محمد الذي لم تخلق مثله، وبالغت في تشريفه حتى سميته ببعض سُماك صلاة تليق بجنابه الشريف. ومقامه المنيف. ما تلا تالٍ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦﴾[3]، واعترف معترف بأن منتهى العلم إلى الله العظيم. وسلِّم تسليمًا يشمل آله، وأصحابه تخصيصًا وتعميمًا. وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ولم يبدل تبديلًا، وبعدُ:

فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الغني الحميد: أحمد بن عبد السلام بن

= عبد القادر». «المنتظم» لابن الجوزي (ت597هـ) (برقم 4259 ج18 ص173)؛ و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ت630) (ج9 ص482)؛ وفي «سير أعلام النبلاء» الذهبي (برقم 286 ج20 ص439)؛ وفي «العبر» الذهبي (ج4 ص175)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج6 ص330)؛ و«الكواكب الدرية» المناوي (رقم 424 ج2 ص253)؛ و«الأعلام» الزركلي (ج4 ص47)؛ و«هدية العارفين» البغدادي (ج1 ص596).

(1) «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الجيلاني» لعلي بن يوسف الشطنوفي (ص210) الطبعة الصادرة عن المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم - فاس2013).

(2) هذه الصلوات ما بين معقوفتين ـ من الصلاة الرابعة (ص666) ـ، نقلها المصنف عن العلامة ابن زكري (ت1144هـ) من «الإلمام والإعلام» (ص428).

(3) سورة يوسف، الآية 76.

محمد بن أحمد البناني؛ سقاه الله من فيض معارفه بأعظم الأواني.

هذا تقييد منيف، وتصنيف فهم شريف، اقتطفته من كتابي المسمى[1] بـ «النور اللامع وكنز رُواة المجامع وبستان[2] الفوائد العظيمة المنافع»، التي من جُملتها التنبيه على ما وقع من الغَلَطِ لبعض علماء الإسلام، من حُكمه بمساواة علم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، لعلم مولانا الملك العَلَّام.

ولما ذكرتُ ذلك فيه؛ تتبعتُ جميع ما له تعلقٌ وارتباط أصلًا وفرعًا بالمسألة، واستوفيت الكلام فيما على عادتنا في ذلك الكتاب الذي كُلٌّ من طالعه أنصف له، ثم بدا لي أن أفردها بتأليف وأخصها بتصنيف، يشتمل على ما في الأصل ويزيد بزيادات، لها مزيد تعلق بهذا الجناب المعظم بتعظيم رب الأرضين والسماوات، معتمدًا فيها على كلام الشيخين العارفين، النزيهين الفاضلين، الوليين الكاملين: الإمام الصوفي المحقق: سيدي مصطفى البكري[3]؛ والعلامة الصوفي المدقق:

---

(1) سبق الإشارة له في (ص204).

(2) في حاشية المتن ما نصه: (وقد كاتبه على هذا التأليف بخط مؤلفه في كراريس نحو 50 وانتصر فيه للعلامة ابن زكري). وهي بخط العلامة الحجوي الثعالبي (ت1376هـ)، بدليل تشابه خط الكتابة بخطه - رَحِمَهُ اللَّهُ -؛ ثم بدليل كتابته في أول ورقة من المتن جملة: «برهان الحق في الفرق بين الخالق والمخلوق»؛ وهي جملة مثلت عنوان كتاب له، طبع مؤخرًا عن مركز التراث الثقافي المغربي (1432هـ - 2011م) وبتحقيق محمد بن عزوز.

(3) هو العارف مصطفى البكري بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محي الدين الصديقي الحنفي الدمشقي البكري (ت1162هـ/ 1749م)، شيخ الطريقة الخلوتية في مصر، والأستاذ الكبير والعارف الرباني الشهير. ولد بدمشق سنة 1099هـ، له عدة مؤلفات أهمها: «الروضات العرشية على الصلوات المشيشية». «كروم عريش التهاني في الكلام على صلوات ابن مشيش الداني»، و«فيض القدوس السلام على صلوات سيدي عبد السلام»، و«اللمحات الرافعات غواشي التدهيش، عن معاني صلوات ابن مشيش...» «سلك الدرر» لأبي الفضل محمد المرادي (ج4 ص 190)؛ وفي «فهرس الفهارس» =

سيدي محمد بن زكري[1] رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ونفعنا ببركتهما، في شرحيهما لصلاة الشيخ القطب الكامل، والغوث الجامع أبي محمد مولانا عبد السلام بن مشيش المشهورة[2]، التي هي على جميع المحاسن مقصورة، خصوصًا شرح الثاني منهما المسمى بـ[3]: «الإلمام والإعلام بنفثةٍ من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام»، خصوصا ما تضمنه من الصلوات، الطيبات المباركات، التي تضمنت الشرح بطريق الإشارة، وفصاحةً في العبارة، بيد أنه بجملته من التحقيق والتعجيز بمكان، وليس وراء العيان لمن عاينه من بيان، فجاء

= للكتاني (رقم 76 ج1 ص223)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج7 ص239)؛ وفي «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (ج2 ص471).

(1) سبقت ترجمته في (ص59)؛ (ص314).

(2) هو أبو محمد سيدي عبد السلام بن مشيش (ت622هـ) - وقيل ابن بشيش - ابن أبي بكر بن علي ابن حزمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن علي بن محمد بن مولانا إدريس دفين فاس، ابن مولانا إدريس دفين زرهون، وفاتح المغرب، ابن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن سيدنا علي ومولاتنا وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيد العالمين ﷺ، عليهم من ربهم جميعًا الصلاة والسلام. ولد سنة (559هـ/ 1198م) بالحصين، إذ ينحدر من قبيلة بني عروس، كان معروفًا بذله لله تعالى، وبتواضعه بين الخلق، كان إقباله على الله وإدباره عن الخلق سمة من سماته، عاش في بيئة سليمة، وترعرع بين أحضان أسرة كريمة من آل البيت التزمت بدين الله وشرعه. «طبقات الشاذلية الكبرى» الكوهن الفاسي (ت1247هـ) (ص59)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (ت1345هـ) (ج1 ص6)؛ و«الأعلام» للزكلي (ت1396هـ) (ج4 ص9)؛ وفي «النبوغ المغربي» لعبد الله كنون (ج1 ص151).

(3) هو كتاب «الإلمام والإعلام بنفثة من عِلْم بحور صلاة القطب مولانا عبد السلام»، للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ): من منشورات مركز الإمام الجنيد للدراسات والأبحاث الصوفية بوجدة، التابع للرابطة المحمدية لعلماء المغرب، تح: د محمد علوي بنصر (ط1 1433هـ - 2012م)؛ كما توجد نسخة بتحقيق: هشام حيجر الحسني، عن دار الكتب العلمية - لبنان. ط1/ 2010.

بحمد الله كتابًا عديم الشبيه والنظير، محتويًا على جملة المحاسن، ونهاية التدقيق والتحرير، مسدداً سطور مطروسه بالدرر اليتيمة، واليواقيت التي ليست لها قيمة، ومزينًا بفوائد لم أُسْبق إليها، ومُوَشحًا بشرائد لم يقع نظر الحداق عليها.

غير أن المسألة التي انبنى عليها الكتاب، من غرر المسائل، وأدقها من غير ارتياب، وقد حققناها من غير حول منا، ولا قوة، تقبلها الله بجاه صاحب الرسالة العظمى، والنبوءة؛ وسميته بـ:

«الروض المعطار في علم النبي المختار»

أو

«الروض المزهر، المحتوي على تحرير القول في علم النبي»

ولنا أن نسميه بـ(1):

«تحرير الدليل والبرهان في الرد على من سوّى بين علم النبي وعلم المولى العظيم الشان»

و

«الروض المزهر المونق النضير في أداء بعض الواجب من خدمة سيدنا محمد البشير النذير»

---

(1) لم يفضل المصنف، أو يميّز عنوانًا خاصًا من العناوين الأربعة التى وشّح بها مؤلفه على وجه التحديد، والتعيين، والتخصيص، وقد اخترت العنوان الأول - رغم ميلي الشديد للعنوان الثالث الذي يبرز بشكل جلي موضوع الكتاب - لأن الكتاب يعرف باسمه الأول بالمكتبة الوطنية بالرباط، وكذا في «المصادر العربية لتاريخ المغرب» لمحمد المنوني (برقم 867 ج2 ص70)؛ كما أحال إليه ـ بهذا الاسم الأول ـ محقق كتاب «الديوان العام لحمدون ابن الحاج السلمي (ت1232هـ)» الدكتور أحمد العراقي (ج2 ص443).

وناهيك بكتاب لـم يهتد إلى تحرير مقصد من مقاصده، من تكلم على المسألة من الإثبات، وعُلم بالتصدي لحل المشكلات. وتفريج الكرب المولهات، وبمصنف جمع بين الحسْن الذاتي والعرضي المعدود من المحسنات في الأغراض المهمات، وذلك أنه يشتمل على مقاصد جمة مع خاتمة وتتمات، أكيدة مهمة جر إليها الكلام، واقتضاها المقام، وصادفت المحز وحُسن النظام:

1 - **المقصد الأول:** في ذكر هذه المسألة على وجه مشتمل على طرق مجملة. وجلْب كلام من تعرض لها من العلماء المهرة مع الإشارة إلى بعض ما جر إليه كلام ذوي الفهوم المعتبرة.

2 - **المقصد الثاني:** في بيانها بالطرق المفصلة. وتتبُّع كلام من غلط فيها منهم ونسي ما أجمله علم التوحيد وفصّله، ونقضه نقضًا يبلغ به معَارِضُه سُؤلَهُ وما أمّلهُ.

3 - **المقصد الثالث:** في ذكر ما وقفتُ عليه من النصوص المصرِّحة بعدم إطاقة ذوي الذوق والتمييز للإحاطة بشيء ما من صفات الإله القوي العزيز، المنتجة للقول بعدم مساواة علم النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ لعلم مولانا الملك الخالق للأنام.

4 - **المقصد الرابع:** في ذكر استنباطنا لدليل قوي لهذا الأمر اللازم المحتوم، من نفس ذات من له تضاءلت الفهوم، وحجت لكعبة قلبه غرائب العلوم، صلّى الله عليه وسلّم وشرّف وكرّم.

5 - **المقصد الخامس:** في بيان كونه ﷺ ارتقت فيه الحقائق، وأعجزَ بعلومه التي تنزلت فيه جميع الخلائق.

6 - **المقصد السادس:** في صحة نسبة العُموم إلى علم النبي ﷺ، باعتبار عدم انتهاء معلوماته واختصاصه مع ذلك بهذا العالم الشامل لدُنْياهُ، وآخرته، وأرْضه وسماواته.

7 - **المقصد السابع:** في ذكر بعض جزئيات عُلوم المصطفى وباهر

معجزاتـه، وما أخبـر به قبل وقوعه؛ فوقـع على طبْق ما أخبر به مـن نوائب الدهر ومغيباتـــه.

8 - **المقـصد الثامن:** في ذكر السبب في اختصاص روح سيدنا محمد ﷺ بكثرة الأذواق، والاطلاع على سائر الكليات والجزئيات والأنوار الطالعة في الأفاق.

9 - **المقـصد التاسع:** في رد ما هو مذكور في كتاب «التفكر من إحياء علوم الدين»، من شُفُوق علم الملائكة المقربين، على علم سيد الأولين والآخرين، المفيد رد المقالة السابقة، وإن كان في نفسه مردودًا ردًّا بليغًا يرى الحق عِيّانا بدون كلفة ولا مشاققة، والشبيه على أنهما مقالتان متضادتان: اشتملت إحداهما على غاية التفريط، كما اشتملت الأخرى على الإفراط الذي لا يقول به إلا ذو جهل مركب أو بسيط.

هـذا برنامج المقاصد؛ وأمـا برنامج التتمات:

• **فالأولى:** في ذكر شـرح باقي ما له ارتباطٌ بالمقام، من صلاة الشيخ القطب مولانا عبد السلام.

• **الـثـانية:** في اتصـافه ﷺ بالعلم الشريف بعد موته، وأن علمه بعد الموت كعلمه في حال الحياة. كمـا رواه عنه رواة شريعته لثبوت حيوة الأرواح، وسائر صفاتها من سمع وبصر وعلوم وأحزان وأفراح؛ لاسيما روح سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وسائر نوابه وخلفائه الذين هم صفوة الأنام.

• **الـثـالثة:** في ذكر ورثة علمه الشريف، الكامل المنيف.

• **الرابعـة:** في عدم جواز إطلاق لفظ الضروري على علمه عليه الصلاة والسلام، وكذا لفـظ الكسبي؛ لمـا في ذلك من الإيهام الذي لا يليق بهذا المقام.

• **الخامسة:** فيما قيل: إن المؤمن يعلم كل غيب، وما في هذه المقالة من الرَّيب.

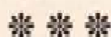
• **السادسة:** في كون الواجب على الإنسان هو اعتقاد قلة عمله وكثرة الخطأ والنسيان.

• **الخـاتمة** : في التعريف بالأئمة الذين جرى ذكرهم والخوض معهم في هذا الميدان. وهـم:

* التجموعتي العلّامة المحقق أبو مروان.

* والإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الطوسي.

* ووارث معارفه وعوارفه أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي.



ولـم آلُ جُهـدًا في ترتيبه وتنقيحه وتهذيبه، والله أسأل أن ينفع به، وبأصله، بمنه وفضلـه، وكمال إحسانه وطَوْله.

وهــذا أوان الشروع، في هذا الموضوع؛ فنقول، وعلى الله سبحانه الاعتماد في بلوغ القصد والمأمول:



المقصد الأوّل

في ذكر هذه المسألة
على وجه مشتمل على طرق مجملة
وجلْب كلام من تعرَّض لها من العلماء المهرة
مع الإشارة إلى بعض ما جر إليه كلام ذوي الفهوم المعتبرة

اعلم أن هذه المسألة لم يتكلم عليها من مضى، ولم يخوضوا فيها أصلًا، وقد وقع فيها نزاع بين المتأخرين خصوصًا بين الشيخين العالمين المحققين الفاضلين: أبي علي اليوسي، وأبي مروان التجموعتي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ تعالى، حتى أنه ألف كل واحد منها تأليفًا في الرد على الآخر، ويتبين ذلك بجلب كلام الثاني منهما الذي قال أولًا، قبل أن يؤلف في المسألة، ثم الذي قاله ثانيا حين تصدى للتأليف، ولم يكترث بالحجج التي أبداها الخصم له، مُعرضًا عما فيه من الطمس الشديد على منصب خصمه أبي علي ذي الباع الطويل المديد؛ لما ورد من النهي عن تتبع هفوات الأئمة، ساداتنا عُلماء هذه الأمة، ومطرزا له بنوع فائق في التطريز، يشهد بحسنه إن شاء الله من يقف عليه من أرباب الذوق والتمييز.

فنقول ـ وعلى الله سبحانه الاعتماد والاتكال في العصمة من الخطأ والزلل في المقال ـ أنه سُئل: (هل النبي ﷺ يصح أن يُقال: عَلِمَ كل شيء أم لا؟).

فأجاب بـ: أنه ﷺ: (لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء)، فأنكر علماء فاس

هذا الجواب، وبالغوا في التشنيع عليه حتى نسب بعضهم معتقده إلى الكفر.

فلما وصل المجيبَ هذا الإنكارُ، ردّ عليهم ردًّا شنيعًا، وكتب في رسالة مخاطبًا لبعض خواصه بقوله[1]:

(أما بعد؛ فقد اتصل بنا مكتوبكم الأنور، يلتمس الإفادة لحقيقة العلم النبوي، وقد أجبنا عنه -بحضرة النخبة العليا، وبهجة هذه الدنيا؛ الزكي النحرير الناقد البصير؛ مولاي محمد بن مولانا السلطان أدام الله تأييده وتسديدهُ- من أنه ﷺ لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء، فاسْتنكره واستغربه طلبة فاس، وبالغوا في التشنيع بين عوام الناس؛ فـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2]، على فقد العلم وضياع أهله؛ (ما هذا بعشّكِ فادرُجي)[3]، وغالب ما يتعاطاه هم وشيوخهم من قِبل: (نُدِبَ لقاضي الحاجة جُلوس).

ويرحم الله ابن خلدون، إذ قال[4]: (لم نشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق النضار بفاس لأجل انقطاع ملكةِ التعليم عنهم، ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة، بل قصُرت هِممهُمْ، واقتصرت على طريق تحصيل القراءة ودرس «التهذيب» فقط). نعم؛ أخذوا أشياء من مبادئ علم العربية من أهل الأندلس، مثل

(1) «ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب» للقاضي أبي مروان عبد المالك التجموعتي، (ص369 ـ 438 وما بعدها).

(2) سورة البقرة، الآية: 156.

(3) قال أبو عبيد: قال الأصمعي وغيره في هذا المثل ـ (ليس هذا بعشك فادرجي) ـ أي: ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق فدعه. وقد يضرب مثلا للرجل ينزل المنزل لا يصلح له. «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» لأبي عبيد البكري (ت487هـ) (الباب13 رقم 179 ص403).

(4) «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» لشهاب الدين المقري التلمساني (ت1041هـ) (ج3 ص27ـ26).

ابن الربيع[1] والشلوبيين[2] وغيرهما لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس بسبب رحلة عُلمائهم إلى تلقيه من أربابه بالمشرق، كما ارتحل أعلامهم إلى بغداد في تحصيل الفقه على الأبهري[3]، وكذا يحيى بن يحيى[4] عن مالك وغير واحد، وكذا علوم الحديث كرحلة الإمام أبي بكر بن العربي[5]، وسُقْتُه حجة على كثير ممن يغلط منهم ويرى الفضل لنفسه بمجرد سُكنى فاس، كالحاكم في قضية العلم النبوي بتكفير القائل بعلم النبي ﷺ كل شيء، وإني لأقضي العجب من المنكرين لذلك مع ورود الأحاديث الصحيحة به:

- ففي «كبير» الطبراني عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عنه ﷺ قال: «**أوتيت مفاتيح كل شيء**»[6].

- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه أنه قال: «**أوتي نبيكم علم كل شيء سوى هذه الخمس**»[7]، وهو وإن لم يرفعه له حكم المرفوع ضرورة، لأن مثل هذا لا يقال بالرأي، وقد تقرر أن الاستثناء معيار العموم.

وعليه فعلمُ، ﷺ محيط بكل شيء سوى الخمسِ.

والخمسُ قد علمها ﷺ بعدُ على ما عليه المحققون، إذ هو ﷺ من لدن بعثه الله إلى أن قبضه الله في الترقيات والتجليات، **فبحسبها ورد**:

---

(1) سبقت ترجمته في (ص384).

(2) سبقت ترجمته في (ص384).

(3) سبقت ترجمته في (ص385).

(4) سبقت ترجمته في (ص385).

(5) سبقت ترجمته في (ص386).

(6) سبق تخريجه في (ص378).

(7) سبق تخريجه في (ص389).

• (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)[1].

• (لا تفضلوا بين الأنبياء)[2].

ثم ورد أنه علم الخمس، وأنه: (سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)[3]، وما من بني آدم يومئذ فمن سواه إلا تحت لوائه[3].

وقال الحافظ الجلال الأسيوطي: (أوتي ﷺ علم كل شيء سوى الخمس، وقيل: إنه أوتيها أيضًا وأمر بكتمها)[4]؛ والخلاف جار في الروح.

وفي «شرح الصدور» له لمَّا تكلم على الروح قال: (علمها وأطلعهُ الله عليها، ولم يأمره أن يُطلع عليها أمتهُ. وهو نظير الخلاف في علم الساعةِ)[5].

وقد اشتهر أمره ﷺ بين أصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى قال بعضهم لصاحبه: (اسكت، فوالله لو لم يكن عندنا من يخبره، لأخبرته البطحاءُ بذالك)[6].

- قال سيدنا حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلوا كتاب الله في كل مشهد

فإن قال في يوم مقالة غائبٍ ... فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد[7]

---

(1) سبق تخريجه في (ص393).

(2) سبق تخريجه في (ص394).

(3) سبق تخريجه في (ص394).

(4) «الخصائص الكبرى» لجلال الدين السيوطي (ج2 ص335).

(5) «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» للسيوطي (ت911هـ) (ص319).

(6) «الشفا» للقاضي عياض (ج1 ص208). وفي «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني» (ج10 ص112).

(7) «المعجم الكبير» للطبراني (برقم 3605 ج4 ص51). وقد جاءت هذه الأبيات على النحو التالي:

=

إذا تقرر هذا؛ فاعلم أنه ﷺ قد أحاط بكل شيء علمًا فضلًا من الله تعالى؛ فما يقال لفضل الله ذا بكم:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ... ومنها لآدم الأسماء[1]

دع ما ادَّعته النصارى في نبيهمُ ... واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم[2]

وفي «الصحيح»، أنه ﷺ قال: «سلوني»[3]، ولا شك أنه كالمتحدي بهذه الخصوصية، فتلحق بالمعجزات، ويلحق منكرها ما يلزمُ منكر شيء من معجزاته ﷺ. وما في «الكتاب العزيز» ـ من الآي الدالة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله ـ محمول على العلم بغير واسطة، وأما الاطلاع على ذلك بإعلام الله، فأمر متحقق؛ لقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[4].

- وفي الطبراني عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد رفع لي الدنيا، فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى كفي هذه»[5].

ولولا توالي الموانع الوقتية، لأفردت المسألة بتأليف يأتي على ما فيها إجمالًا وتفصيلًا. والقول الفصل: أنه ﷺ أوتي علم كل شيء قبل أن يفارق الدنيا، وقد اتضح أن المنكر: إما جاهل فيعلم، أو ملحد فيولم.

---

* نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلوا كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائبٍ ... فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

(1) ينظر «ديوان البوصيري» بشرح صلاح الدين الهواري (قافية الهمزية برقم 5 ص26).

(2) ينظر «ديوان البوصيري» بشرح صلاح الدين الهواري (قافية الميم برقم 43 ص424).

(3) سبق تخريجه في (ص418).

(4) سورة الجن، الآية: 26 ـ 27.

(5) سبق تخريجه في (ص424 ـ 425).

ثم ليت شعري[1] ما وجه الإنكار؟ فإن المسألة لم تخرج من دائرة الإمكان، وكل ما كان سبيله كذلك، وأخبر الصادق المصدوق[2] بوقوعه، وجب المصير إليه اعتقادًا واعتمادًا، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[3]) هـ[4].

بحذق وَفّى هذا الكلام، إشارة واضحة إلى بيان أصل هذه المسألة الشريفة، البهية الجليلة المنيعة، وستتضح إن شاء، اتضاحًا يبلغ به الطالب سؤلهُ وأمله، ويرى الحق فيها عيانًا بالأدلة الساطعة المسترسلة.

[ترجمة للسلطان مولاي محمَّد]:

ومولاي محمد الذي أجاب بحضرته، هو ابن أمير المؤمنين: الملكُ الأعظم الأفخم، المقدس المنعم، أبي النصر مولانا اسماعيل بن الشريف الشريف الحسني العلوي قدس، روحه، وأسكنه من أعلا الجنان فسيحه. وهو أيضًا الممدوح بقصيدة للشيخ الإمام، علم الأعلام: أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن المسناوي الدلائي[5] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، خاطبه بها لما فتح حصن السوسي

---

(1) جاء في «لسان العرب» مادة: (شعر): (... وليْتَ شِعْرِي، أي: ليت علمي، أو ليتني علمت، وليتَ شِعري من ذلك أي: ليتني شَعَرْتُ، قال سيبويه: قالوا: ليت شِعْرَتي فحذفوا التاء مع الإضافة للكثرة..). «لسان العرب» (حرف الراء: فصل الشين، ج4 ص409).

(2) سبق تعريفه في (ص426).

(3) سورة الأحزاب، الآية: 4.

(4) «ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب» للقاضي أبي مروان عبد المالك التجموعتي، سبق في (ص369 ـ 438 وما بعدها).

(5) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن المسناوي (ت1136هـ/ 1724م) الذي أخذ عنه معظم أدباء عصره وشرفاؤه. (اهتم المسناوي في متقبل عمره بالفقه؛ والبلاغة، المنطق والأدب، والتاريخ وكان يواظب على إقراء «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني بالشرح الصغير لسعد الدين التفتازاني، و«مختصر الشيخ السنوسي» في المنطق، ثم انقطع في آخر حياته لتفسير القرآن الكريم وقراءة «صحيح البخاري». من آثاره: «نتيجة التحقيق في أهل =

التمناري[1] من بلاد سوس[2]، ولا بأس بذكرها هنا، وهي هذه:

[قصيدة المسناوي في مدح السلطان]

فجر سعدك لاح شمس نهار ... وفخارك ليس فيه مماري
ومعاليك أنجدت وأغارتْ ... وتلى آي ذكْرها كل قاري
ووفود التهاني نحوك جاءتْ ... مهديات عرائسَ الأفكارِ
ورياح المنى بنصرك هبّت ... سائقاتٍ له على أقدارِ
مؤذناتٍ لكم بأسنى فُتوح ... وبراعة ذلك التمنارِ
طالما رامَهُ سواكم فولى ... آيسًا منه بعد طُول حصارِ
وهو يسخر بالجميع ويهزا ... ويُدَلّيهمُ بحبل اغْترَارِ
وبدا منه إذ رآك ارْتياعٌ ... أظلمت منه سبْلَهُ في النهارِ
شام بارق نصركم فتدلّى ... وأتى خاضعًا بحكم اضْطرارِ
موقنا أن للإله اعْتِناء ... بكم بشهادة الأبصارِ

= النسب الوثيق»، و«القول الكاشف في صحة الاستنابة في الوظائف»، و«صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة»، و«نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاة الفرض».
«نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب: (ج5 ص1980)؛ و«طبقات الحضيكي» (برقم 458 ج2 ص362)؛ وفي «سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 920 ج3 ص59)؛ «شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 1323 ج1 ص481)؛ و«الإعلام بمن حل مراكش» للسملالي (برقم 726 ج6 ص26).

(1) تمنار: هي بلدة تقع حاليًا في جهة مراكش تانسيفت الحوز، تابعة لعمالة إقليم الصويرة، وتلقب بعاصمة أركان. يحدها في الشمال مدينة أكادير وتبعد عنها ب 95 كلم. المدينة تنتمي لإقليم الصويرة.

(2) التعريف بمنطقة سوس بالغرب في «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ج3 ص281)؛ وفي «معلمة المغرب» (ج15 ص5168).

فاهْـنِ واسلَـمْ وقـر عينا بما لم يُـؤتـه أحـدٌ مـن الأنـظـارِ
وتحس إفـراق عيـشٍ هنـيٍ واقـتطـع زهـر روضـهِ المعطارِ
واجْـرر الذيـل في مغاني سُعودٍ واركـبـن متـن رفعـة وفخـارِ
واسـق دوح النعيم منك بشكرٍ إن سقي الريـاض نجح الثمارِ
وأدر عنـد جوائح الدهـر بالصـ ـنْع الجميـل فإنـه خيـر دارِ
وأضـف شـرف الخلال إلى ما حُـزت من شرف الجدود الخيارِ
واسمُ بالنفس لاقتفاء هداهم إنـه المجـد لا احتسـاء عقارِ
دُمـت يـا كعبة الوفـود مُطافًا لبني الـدهـر عـاليَ المِقْـدار
وعليـك مـن المحب سـلام فـائحٌ كـنوافـح الأزهـارِ
مـا تجلت بأفْـق مجد عُلاكم وغـدتْ طـرز حُلـةِ الأشعـارِ[1]

وبأخرى له أيضًا بعدما وقع الفتح المذكور وهي هذه:

بشراك يا تـاج الكرام فقد غدت أيـام سعـدك وهـي في إقبـالِ
وغـدت رياح النصر تخدم مجدكم وتـؤمكـم في الحـل والترحـال
وشـدت بزاهـر روضكم طير الهنا بـمـوشحـات البشـر والأزجـال
ورياض أشتات المنى قد أثمرت أدواحـهـن بمبتغـى الآمـال
وأتتـك وافـدةُ الفتوح مجيبة لـنـداك طـائعة عـلى استعجال
ولطالما اعتاصت على من رامها مـن قبلكم مـن سائر الأقيال
حتى غـدت كالأبلق الفرد الذي ضربـوا بـه مثلًا مـن الأمثـال
هـذا وكم من مطلب أعيا النهى قـد نلتـه بسهولة في الحـال
فالسعد أني سـرت فهو مقدّمٌ واليُمـن صـار لكم محط رحال

(1) «إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» ابن زيدان السجلماسي (ت 1365هـ) (ج4 ص90 – 91).

والنصر مقرون برايتك التي ... تكسو العدو ملابس البلبال
فاشكر لمن أولاك ما يشجي العِدا ... ويعيدهم في أسوأ الأحوال
واعرف ومثلك لا يعرف قدر ما ... أوتيته من رفعة وجلال
واختر لها ما لا يشين جمالها ... من سيرة وشمائل وخلالِ
فطراز ديباج الخلافة مذهبًا ... ومرصعًا وأبيك حُسنُ معالِ
واشرب كؤس الفخر صافية على ... غيظ الحسود ورغم أنف القالِ
واسحب ذيول العز في روض الهنا ... فالدهر دانٍ لكم أخا إذْلالِ
وأصخ إلى سجع القريض فإنه ... يحدوا الكريم إلى اقتناء فعَال
لا زلت في أوج الخلافة راقيًا ... حتى تهنّأ فيه باستقلالِ
وعليك من صافي الوداد تحية ... تغشاك بالبكرات والآصالِ
ما غرّدت ورق فهاجت شجْوَ من ... قد صار مثلي نازح الأطلالِ[1]

قلت: ولم يتفق لهذا السيد المذكور، ما دعا له به هذا الشيخُ في هذا النظم الذي ما غنت بمثله الطيور؛ بل استعجله قبل أوانه، فابتلي بحرمانه.

وقد حذره من ذلك الشيخ ناظم هاتين القصيدتين ببيتين فذين وهما:

البدر ليس يلوح ساطع نوره ... والشمس واضحة السّنا في الحال
فإذا توارت بالحجاب فعند ذا ... يبدوا بُدوّ تعزّز وجمال[2](أ)

---

(1) «إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» ابن زيدان السجلماسي (ت 1365هـ) (ج4 ص90 – 91).

(2) البيتان ذكرهما القادري في «نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج5 ص1912)؛ والمصنف في «النور اللامع «مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 650 ك) (اللوحة 136)؛ و ابن زيدان في «إتحاف أعلام الناس» (ج4 ص91).

(أ) في «النور اللامع»: (وكمال).

ولما مثل: وهاب جميع القواد والرؤساء تجهيزه ومواراته، وخافوا من أبيه إن هم فعلوا شيئًا من ذلك؛ بادر إلى اغتنام ذلك وإحراز فضيلته القاضي الإمام: حجة الأنام أبو محمد سيدي العربي بردلة[1].

وكتب في ذلك معتذرًا ما نصه[2]: (الحمد لله،

قد ورد تقييد من الجانب العلي أدام الله أيامه، ونصر أعلامه، وسد بهيبته يأجوج الفتن، وأبقاه لإظهار واضح الهدى والسنن.

يتضمن ذلك التقييد التقبيح لما صدر من أمر الصلاة الموصى بها، واستعظام

---

(1) هو الفقيه العلامة البركة الأمثل، الضابط الثقة، قاضي الجماعة بفاس ومفتيها وخطيب جامعها الأعظم: أبو عبد الله، وأبو حامد العربي بن أحمد بردلة الأندلسي. له أجوبة ورسائل مفيدة، منها: «تقييد في صلحاء مدينة فاس»، «رسالة إلى المولى اسماعيل»؛ «جواب لسؤال أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي عن معنى قول العلماء (إن الكلام الأزلي نسبة)»؛ «جواب عن سؤال من مولاي إسماعيل حول حديث «ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس»»؛ «جواب عن سؤال مسألة ما طلب فورًا هل ينعقد في وقت غيره»؛ «تقييد في مسألة فضل القرآن على الأحاديث القدسية وحكمة الواسطة في القرآن»؛ «إفشاء القواعد المذهبية والأقوال المرضية في إبطال النحلة العليلشية التي أشاعها الملحد بالأقطار المغربية». توفي سنة 1133هـ. «نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج5 ص1973)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 1056 ج3 ص169)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (ج1 ص480رقم 1320)؛ و«إتحاف أعلام الناس» لابن زيدان (ج4 ص100)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج7 ص65).

(2) بعد وفاة الأمير المولى محمد رَحِمَهُ اللَّهُ، تولى الصلاة عليه من وصية منه: القاضي أبو عبد الله أبو حامد العربي بن أحمد بُردلة. فنقم عليه بعضهم وأوغر عليه قلب السلطان المولى اسماعيل بن الشريف الشريف الحسني العلوي قدس الله روحه، فكتب السلطان إلى القاضي يهدده ويوبخه، فأجابه بنص هذه الرسالة. «نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج5 ص1913)؛ و«إتحاف أعلام الناس» لابن زيدان (ج4 ص101).

أمر ذلك إذ كان بغير أمر من الجانب العلي نصره الله، وأنه في عداد الافتياتِ.

وأقول معتذرًا عن نفسي ومجيبًا عنها بتقرير ما كان، وحكاية لأمر ما صدر: أن ذلك لم يكن من غير إذن، وإنما كان بإذن جاءنا من قِبل الدار العالية، بلغ مبلغ الشهرة، وخرج عن طريق الشك وكان أمرًا مقرّرًا، وحديثًا سابقًا مكررًا، ثم مع هذا لم أذهب لمحل إلا بقائد يقودني، ومترجم ينسب الأمر إلى الجانب العلي، ولم أفعل فعلًا ـ صلاةً أو غيرها ـ إلا مربوءًا[1] إليها ومجذوبًا نحوها، وكالمجبور عليها، وإذا كان كذلك، فلا لوم من جهة عدم الإذن، لأن من تلقى ذلك وسمعه وجاءه الأمر به، وكان حاله على ما وُصف، لا يسمى مفتاتًا[2] ولا مُنزّلاً منزلته.

هـذا؛ ولوْ فُرض أن لا إذن من الجانب العلي بالكلية، فالواجب في حقنا، والمناسب لحالنا، ولسائر رعية مولانا نصره الله، هو القيام بذلك، والسعي والمبالغة فيه، إجلالًا وإعظامًا لجانب مولانا نصره الله؛ وإذا كان المقصود تعظيم جانبه، فلا ينصتُ إلا لما هو من قبيله، وسالكًا على سبيله، لأن ما هو من قبيل الإجلال والإعظام واجب أن يعامل به، ولا يعذر مثلنا في عدم القيام به.

وقد قال مولانا علي كرم الله وجهه كما في قضية الحديبية: (هذا ما قضى عليه محمد رسول الله أهل مكة)، فقال المشركون: (لو علمنا أنك رسول الله

(1) مربوءًا: اسم المفعول من ربَأ، ربأ الشيخ: أي تثاقل في مشيه. وربأت الأرض رباء: زكت وارتفعت، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ [سورة الحج الآية 5 و[سورة فصلت الآية 39]، أي: ارتفعت. «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (ت395هـ) (كتاب الراء: باب الراء والباء وما يثلثهما: (ربأ) ج2 ص484)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (ت711هـ) (حرف الألف: فصل الراء: مادة (ربأ) ج1 ص82).

(2) مفتات: فاعل (افْتَاتَ) في الأمر: استبدَّ به ولم يستشر من له الرأي فيه. «لسان العرب» لابن منظور (حرف التاء: فصل الفاء: مادة (فأت) ج2 ص64).

ما صددناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: (والله إني لرسول الله وابن عبد الله! امح يا علي رسول الله)[1]، فقال سيدنا علي كرم الله وجهه: (والله لا أمحو رسول الله أبدا): تعظيما لجانب النبي، وترجيحا لإجلاله وإعظامه على امتثال أمره، لأن المقام تعارض: فيه وجوب امتثال أمره عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمحو، ووجوب الإجلال والتعظيم لمقامه، فرجح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه جانب التعظيم والإجلال على جانب امتثال الأمر.

وهذا شاهد جليّ لمسألتنا، لو فرضنا وقوع النهي وعدم الإذن، مع أنه لم يكن نهي واشتهر بدله الإذن، فتعين ما فعلناه من جهة ما سمعناه من الإذن، ومن جهة ما هو متعين من الإجلال والإعظام لمولانا نصره الله، إذ كان من قيم بحقه من يمت إليه، بل قريب القرابة.

ثم من جلي الإذن ما كان منه - نصره الله - صبيحة وُقوع الموت، فما كان شائعًا، وسمعه من حضر وأسمعُونا إياه من أمر مولانا نصره الله بالقيام بأمر التجهيز والتشييع:

- وفي «الأبي شارح مسلم»، أن الحسن البصري لما ليم على صلاته على الحجاج قال: (استحييت من الله أن أستعظم ذنب الحجاج في جانب عفوه)[2].

- وفي «الخازن مختصر تفسير البغوي» على قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ

---

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الجزية والموادعة: باب المصالحة على ثلاثة أيام أو وقت معلوم، برقم 3184 ج2 ص286)؛ ومسلم في صحيحه» (كتاب الجهاد والسير: باب صلح الحديبية في الحديبية، برقم 1783 ج6 ص394).

(2) «صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم للأبي (ت827هـ) ومكمل إكمال الإكمال للسنوسي (ت895هـ)» (كتاب فضائل الصحابة: باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، ج6 ص369).

خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] ما نصه: (هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم. فأما من أجرى الآية على المحاربين من المسلمين، فنفى العذاب العظيم عنهم في الآخرة؛ لأن المسلم إذا عوقب لجنايته في الدنيا، كانت عقوبته كفارة له، وإن لم يعاقب في الدنيا، فهو في نظر المشيئة، إن شاء عذبه في الآخرة بجنايته ثم يدخله الجنة، وإن شاء عفى عنه وأدخله الجنة: هذا مذهب أهل السنة) هـ[2] بحروفه.

- وفي كتاب «الإيمان من البخاري» ما نصه: (حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني أبو إدريس عائذ بن عبد الله أن عبادة بن الصامت ـوكان شهد بدرا، وهو أحد النقباء ليلة العقبةـ: (أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرفوا، ولا تزنوا، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**»، فبايعناه على ذلك) هـ[3].

هـذا ما تيسر من الاعتذار، والله يديم عز مولانا ويخلده، ويديم الملك فيه وفي عقبه الأكرمين ويؤيده، والسلام)[4]؛ من خطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(1) سورة المائدة، الآية: 33.

(2) «تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام البغوي (ت516هـ)» للخازن (ت725هـ) (ج2 ص39).

(3) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب مناقب الأنصار: باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة، برقم 3892 ج2 ص446).

(4) يوجد مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط للقاضي بردلة «رسالة إلى المولى اسماعيل» (برقم 163د)، مكون من 12 لوحة، خط مغربي لا بأس به، وهي رسالة إلى المولى =

وكان صاحب هذه الترجمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقيها أديبًا ماهرًا بارعًا عالمًا جليلًا فاضلًا سريًّا ماجدًا كريمًا محبًّا للصدقة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن نظمه في الحظ عليها:

إذا المرء لم يزرع ولم يحصد في العمر سيندم على التفريط في زمن البدر
عليك بفعل الخير ما دمت قادراً يرجح ميزانًا وينفع في الحشر
فكن سمحًا طلقًا كريمًا ومحسنًا واشبع بالإحسان للعبد والحر
فقطعة خبز خير من ألف جامع لدى صلوات الخمس تبنى وللذكر
وقطعة خبز خير من ألف حجة تفوق بناء البيت والركن والحجر
وقطعة خبز خير من ألف رمكة [(1)] ملجّمة تغذى بها ملل الكفر
كذا غضب الرحمن تطفيه لقمة إذا نزلت في بطن ضيف وذي فقر
وشربة ماء تدخل العبد جنة واسق عطاش الماء لو كنت في النهر
سقى رجلٌ كلبًا وأدخِلَ جنةً وقد كان من أهل الجرائم والوزر
كذا امرأة أيضًا سقت كلبا شربة ففازت بجنة وعفو عن الوزر
وتكسوا بثوب الجود عورة من عرا فتكسى حريرًا سندسًا زائد الفخر
فلا تمنع المعروف من كل سائل ولو كان دائمًا مصرًّا على الكفر
حديث صحيح دار أهل كرامة وأهل السخا جنات عدن لهم تجر
وإنَّ بخيل الناس في النار داره جهنم مثواه يعذب بالجمر

ونقلتها على نحو ما ألفيتها عليه من الخلل في الوزن الواقع فيها من جهلة

= إسماعيل قصد الموعظة، غير أنه - بعد اقتنائه والاطلاع عليه - لا يضم هذا الاعتذار.

(1) الرمكة: الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل، معرب، والجمع رمك، وأرماك جمع الجمع. الجوهري: الرمكة الأنثى من البراذين، والجمع رماك ورمكات وأرماك - عن الفراء -، مثل ثمار وأثمار. «لسان العرب» لابن منظور (حرف الكاف ج10 ص434).

النساخ تتميمًا للفائدة، واعتناء بجمع المسائل المنسوبة لهذا السيد المقتفي أثر الأشياخ.

قلت: وبعد ما ذكر سيدي عبد الرحمن الثعالبي [1] نفعنا الله به في «تذييل الأربعين حديثًا» التي جمعها الحافظ المنذري ما يؤيد ذلك، قال ما نصه [2]:

- قلت: قال الشيخ ابن أبي جمرة [3]: (ولا يلهم للصدقة إلا من سبقت له سابقة خير).

- قلت: قال أبو عمر في «التمهيد»: (ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله له الخلافة على بنيه، وكان في ظل الله يوم

---

(1) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجزائري، المغربي، المالكي، الإمام الحُجَّة، العالِم العامل، الزاهد الورع، وليُّ الله الصالح العارف بالله، عرَّف هو بنفسه في مواضع من كتبه منها: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»؛ وفي «الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز»؛ و«تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن»؛ وفي «جامع الأمهات في أحكام العبادات»؛ وغير ذلك من الكتب النافعة في نواح علمية مختلفة. كانت وفاته (سنة 875هـ). «الضوء اللامع» للسخاوي (ت902هـ) (ج4 ص152)؛ وفي «وفيات الونشريسي (ت914هـ)» (ص106)؛ و«لقط الفرائد» ضمن موسوعة أعلام المغرب (ج2 ص781)؛ و«درة الحجال» لابن القاضي (برقم 1007 ج3 ص84)؛ و«نيل الابتهاج بتطريز الديباج» للتنبكتي (برقم 306 ص257)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (رقم 1002 ج1 ص382)؛ و«فهرس الفهارس» للكتاني (رقم 390 ج2 ص732)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج3 ص331).

(2) كتاب «أربعون حديثا في اصطناع المعروف»، جمع: زكي الدين المنذري (ت656هـ)؛ شرح: أبو عبد الله محمد السلمي (ت803هـ)، تلخيص: أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (ت875هـ)، علق عليه: محمد بن تاويت الطنجي، طبعة (1405هـ ـ 1985م)، (الحديث الخامس عشر، ص37)؛ وفي تفسير الثعالبي (ت875هـ) (ج1 ص537).

(3) سبقت ترجمته في (ص390).

لا ظل إلا ظلـه، وحفـظ في يوم صدقته من كل عـاهة وآفة)[1] هـ[2].

- قلـت: وروى أبو داوود في «سننـه»، أن سعد بن عبادة قال: (يا رسـول الله! إن أم سعد ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ قال: «المـاء»! فحفر بئرًا وقال: هذه لأم سعد)[3].

- قلت: وحدث الجوزي في «صفة الصفوة» بسنده إلى حارثة بن النعمان الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه أنه قال: (لما كف بصره، جعل خيطًا في مصلاه إلى باب حجرته، ووضع عنده مِكتلًا - يعني قفة - فيه تمر وغير ذلك، فكان إذا سأل[4] المسكينَ، أخذ من ذلك التمر، ثم أخذ من ذلك الخيط حتى يأخذ إلى باب الحجرة، فيُناولُه المسكينَ، فكان أهله يقولون له: نحن نكفيك. فيقول: سمعت

---

(1) رواه ابن المبارك (ت181هـ) في «الزهد والرقائق» (برقم 599 ص516)، قال محققه: (مرسل وإسناده صحيح)؛ وقال الحافظ العراقي (ت806هـ) في «المغني عن حمل الأسفار» (ج1 ص315): (أسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفـه).

(2) «التمهيـد لمـا في الموطـأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البر (ت 463هـ) (ج23 ص174).

(3) رواه أحمد في «المسند» (رقم 22459 ج37 ص124) و(برقم 23845 ج39 ص264). قال محققه: (رجاله ثقات رجال الشيخين)؛ وابن ماجة في «السنن» (رقم 3684 ج4 ص643). قال محققه: (رجاله ثقات وهو منقطع)؛ وأبو داود في «السنن» (رقم 1681 ج3 ص109) قال محققه: (صحيح وإسناده ضعيف)؛ والنسائي في «السنن الكبرى» (برقم 6458 ج6 ص166)؛ وابن خزيمة في «صحيحه» (برقم 2497 ج2 ص1196)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (برقم 1512 ج1 ص574): (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(4) في الكتـاب المطبـوع: (سلّم المسكين).

رسول الله ﷺ يقول: «مُناولة المسكين تقي ميتة السوء»[1])[2].

- وقال عياض في «المدارك»: (جاء رجل إلى ابن وضاح فقال له: إني حضرت الآن، فأصابت العجلة ولدك! ومشت إليه، فأقبل ابن وضاح على ما كان عليه من إسْماع العلم، وقال للقارئ: اقرأ! ولم يكترث لذلك، فما لبث أن جاء آخر فقال: أبشر يا أبا عبد الله! سلم الصبي، إنما أصابت العجلة ثوبه فسقط وجازت، فلم تضره. فقال: الحمد لله، قد أيقنت بذلك، لأني رأيت الصبي ناول اليوم مسكينًا كسرة، فعلمت أنه لا يصيبه بلاء في هذا النهار، للحديث: «إن الله يدفع عن العبد الميتة السوء بالصدقة يتصدق بها») هـ[3].

* هذا، وما نقله أبو مروان في «رسالته» المتقدمة عن ابن خلدون، ذكره أيضًا بعضهم وزاد عليه حكاية ذكر أنه لخصها من «تاريخ القيسي» وهذا نصها[4]: (ولما كمل غرضُ أبي عنان -كبير ملوك بني مرين- من بناء مدرسته المتوكلية بفاس، وكان بعيد الصيت في علو الهمة، قال: (انظروا من يقرئ بها الفقه؟).

---

(1) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (رقم 550 ج1 ص180)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 3233 ج3 ص360)؛ وأبو نعيم في «حلية الاولياء» (رقم 59 ج1 ص356)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 7655 ج10 ص377)؛ وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزياداته» (برقم 5892 ص850).

(2) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (رقم 41 ص171)؛ وفي «سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 81 ج2 ص378).

(3) «أربعون حديثًا في اصطناع المعروف» (الحديث الخامس عشر، ص37)؛ وفي «المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات» لابن بشكوال الخزرجي الأندلسي (ت578هـ) (رقم 67 ص70)؛ وفي «تفسير» الثعالبي (ت875هـ) «الجواهر الحسان» (ج1 ص537)

(4) ذكرها في «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» شهاب الدين أحمد المقري التلمساني (ت 1041هـ) (ج3 ص27).

فوقع الاختيار على الشيخ الصرصري الحافظ، ولما جلس بها واتسع صيته، وجّه إليه أبو عنان من يسأله في مسائل «التهذيب» التي انفرد بإتقانها وحفظها، وطالبه بتحقيق ذلك وإتقانه وحسن تلقيه، ولا أدري المنتخِبَ له؟ هل هو أبو عيسى موسى ابن الإمام التلمساني[1]، أم السيد الشريف أبو عبد الله[2] شارح «الجمل»[3]، أو هما معًا؟

---

(1) لعله أبو موسى عيسى بن الإمام التونسي التلمساني (ت749هـ)، خاتمة الحفاظ بالمغرب ممن اصطفاهم السلطان أبو الحسن المريني معه إلى تونس مثبوتا في ظل كرامته. «كفاية المحتاج» للتنبكتي (برقم 244 ج1 ص264)، و (برقم 308 ج1 ص310)؛ و«تذكرة المحسنين» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج2 ص655)؛ وفي «شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 807 ج1 ص316).

(2) هو محمَّد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي، وكنيته أبو عبد الله، ولقبه وشهرته الشريف التلمساني، ويعرف أيضًا بالعلوي، واشتهر بذلك نسبة إلى قرية من أعمال (تلمسان) تسمى (العلوين)، كما يُعرف بأبي عبد الله الشريف. ولد سنة عشر وسبعمائة، وكانت وفاته سنة إحدى وسبعين وسبعمائة (ت771هـ). من آثاره: «مفتاح الوصول إلى بناء الفروع والأصول»؛ و«شرح جمل الخونجي». «وفيات الونشريسي» (ج1 ص55)؛ و«درة الحجال» لابن القاضي (برقم 770 ج2 ص268)؛ و«البستان في ذكر الأولياء بتلمسان» لابن مريم (ص164)؛ و«كفاية المحتاج» للتنبكتي (برقم 477 ج2 ص70)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (رقم 554 ص430)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 868 ج1 ص337)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج5 ص327)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (ج8 ص301).

(3) هو في الأصل كتاب «نهاية الأمل في شرح الجمل» لابن مرزوق التلمساني، وهو في المنطق، اختصره تلميذه: العلامة، أفضل الدين، أبو عبد الله: محمد بن نامور الخونجي، الأسفرايني (ت649هـ)، وسماه» الجمل». وكتاب «الجمل» للخونجي مطبوع نشره مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية، ومعه «المختصر في المنطق» لابن عرفة، تح: سعد غراب. و«شرح الجمل»: ذكره غير واحد من المترجمين للفقيه الشريف التلمساني. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 146 ج23 ص228)؛ =

فطالبه بتحقيق ما أورده من المسائل عن ظهر قلب على المشهور من حفظه؛ فانقطع انقطاعًا فاحشًا، ولما أضجره ذلك نزل من كرسيه وانصرف كئيبًا في غاية القبض، ولما اشتهر ذلك عنه، وجّه إليه أبو عنان، فلما مثل بين يديه أنسه وسكّنه وقال له: أنا أمرت بذلك كي تعلم ما عندك من العلم، وما عند الناس، وتعلم أن فاسًا دار الغرب: هي كعبة كل قاصد، فلا يجب أن تتكل على حفظك وتقتصر على ما حصل عندك، ولا يمنعك ما أنت فيه من التصدي لملاقات من يرد من العلماء والتنزل للأخذ عنهم، ولا يقدح ذلك في رتبتك عندنا إن شاء الله). ثم قال الملخص المذكور.

(قلت: وعكس هذا ما وقع لبعض فقهاء فاس في أواسط المائة الثامنة، لما شرف السلطان أبو الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ، وانتهت به درجة الاستبداد والاستقلال بلده إفريقية، فظهر فقهاء المغرب ممن صحبه على فقهاء تونس لحفظهم «كتاب التهذيب» عن ظهر قلب، وزعيم الفقهاء حينئذ الرجل الصالح: أبو عبد الله السطي [1] رَحِمَهُ اللَّهُ.......................................

= و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (ج2 ص1986)؛ وفي «قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر» لصالح بن محمد الفلاني (ت1218هـ) (ص232)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (ج12 ص73).

(1) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن سليمان السطي (ت750هـ)، الفقيه الفرضي الحافظ، أثنى عليه ابن خلدون، ووصفه ابن مرزوق الخطيب أنه (خزانة مذهب مالك مع مشاركة تامة في الحديث والأصلين واللسان العربي وديانة شهيرة وصلاح متين)؛ مات غريقًا في سواحل بجاية مع من غرق من الفضلاء بأسطول السلطان أبي الحسن. قال الحجوي: (وممن أصيب المغرب بفقده في جملة الأعلام نخبة المغرب غرقوا، وضاعت معهم نفائس الكتب، ورزء المغرب في أنفس أعلاقه، وأنفس أعلامه، وبموتهم ظهر نقصان بيّن، وفراغ شاسع في عمارة سوق العلم، وبه أصبحت دياره بلاقع، وأقفرت المدارس والجوامع). «وفيات الونشريسي» (ص117)؛ و«جذوة الاقتباس» لابن القاضي (برقم 199 =

ونفع به، إلى أن جاءت نوبة الشيخ ابن عبد السلام[1]، وعقد مجلسه بحضرة السلطان المذكور ومن معه من الفقهاء والنحاة والكتاب والرؤساء، وتوجهت مطالبة فقهاء المغرب له، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ على ما وصفه من أرخ الواقعة كأنه بحر تلاطمت أمواجه، فكان يقطعهم واحدًا بعد واحد، وتلميذه ابن عرفة[2] كذلك، إلى أن قال ولي الله المنصف أبو عبد الله السطي للسلطان: يا أخي، كذا يكون التحصيل وكذا يقرأ الفقه، ولو لم يكن بتونس إلا هذا الإمام، لكان بها خير، فلا بد من ملازمة هذا المجلس حتى ينتفع به أصحابنا، وننتفع بطريقه، وذلك هو السبب في التنويه بالشيخ ابن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ، على أنه كانت رغبته فيما عند الله إلى أن مات) انتهى[3].

وعلم منه، أن المراد بالعكس ظهور صاحب المجلس على القادم عليه

= ج1 ص228)؛ و«درة الحجال» (برقم 591 ج2 ص134)؛ و«موسوعة أعلام المغرب (ج2 ص650)؛ و«كفاية المحتاج» للتنبكتي (برقم 463 ج2 ص51)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (ص408رقم 540)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (ج1 ص318رقم 816).

(1) هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري، شيخ من شيوخ ابن عرفة (توفي 749هـ)، قاضي الجماعة بتونس وعلامتها الشيخ الفقيه القوال بالحق الحافظ المتبحر في العلوم العقلية والنقلية العمدة المحقق المؤلف المدقق، له شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي بديع. توفي في أوائل الطاعون الجارف سنة (749هـ/ 1348م). «الديباج المذهب» لابن فرحون (برقم 149 ج2 ص262)؛ و«وفيات ابن قنفذ (ت810هـ)» (ص356)؛ و«وفيات الونشريسي (914هـ)» (ج1 ص45)؛ و«درة الحجال» لابن القاضي (برقم 589 ج2 ص133)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (برقم 538 ص406)؛ و«كفاية المحتاج» للتنبكتي (برقم 461 ج2 ص49)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 763 ج1 ص301).

(2) سبقت ترجمته في (ص622).

(3) «أزهار الرياض» لشهاب الدين أحمد المقري (ج3 ص27).

الباحث معه، لا ظهور فقهاء فاس على غيرهم كما قد يتبادر منه، أو يقال أن ذلك باعتبار ما كان أولا قبل أن تجيء نوبة الشيخ ابن عبد السلام، والله أعلم. وفي هذا كله إشارة إلى الحظّ على الاتساع في العلم الشريف، وطلب الازدياد منه ومن الرواية فيه، لما فيها من اكتساب العلوم، وتحصيل الفوائد الجديدة.

- وقد نقل الإمام المواق في «سنن المهتدين»[1] عن الإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر أنه قال: (معرفة أعمار العلماء، والوقوف على وفياتهم من علم خاصة أهل العلم، وأنه لا ينبغي لمن وسم نفسه بالعلم جهل ذلك، وأنه مما يلزمه من العلم العناية به، والقيام بحفظه) هـ[2].

وقال الشيخ أبو علي اليوسي في «محاضراته»: (وحدثني أبو عبد الله محمد الحاج الدلائي[3]..............................

(1) هو كتاب «سنن المهتدين في مقامات الدين» للعلامة محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي المالكي المعروف بـ: المواق (ت897هـ)، كتاب مطبوع بتحقيق محمد بن محمد بن حمين، ط1 كانت سنة 2002من مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث، ومطبعة بني يزناسن سلا.

(2) «الاستذكار» لابن عبد البر (باب ما جاء في دفن الميت، برقم 11513 ج8 ص287)؛ ونقله ابن مخلوف في مقدمة «شجرة النور الزكية» (ج1 ص14)؛ وعبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس» (ج1 ص83).

(3) هو أبو عبد الله محمد الحاج ابن محمد بن أبي بكر الدلائي: العالم الجليل القدر الشهير الذكر. كان على غاية من الاستقامة مع نبل وفضل وشهامة. أخذ عن والده وغيره. وكان سلطاناً على فاس وما والاها نحواً من الأربعين عاماً؛ ثم انتزع الملك من يده المولى رشيد بن الشريف العلوي (1075هـ/ 1082هـ)، ورحل لتلمسان وبها توفي سنة 1080هـ. «نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج4 ص1570)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 1228 ج1 ص450)؛ و«الزاوية الدلائية» لمحمد حجي (ص161).

أن الفقيه أبا العباس[1] المذكور - يعني سيدي أحمد المقري الحافظ - كان أيام مقامه بمصر، قد اتخذ رجلًا عنده بنفقته، وكسوته، وما يحتاج إليه، على أن يكون كلما أصبح ذهب يطوف في البلد أسواقا، ومساجد، ورحابًا، وأزقة، وكل ما رأى من أمر وقع، أو سمع يريحه عليه بالليل، فيقصه عليه.

قلت: وهذا اعتناء بالأخبار، والنوادر، والتواريخ، وقد كان نحو هذا لشيخ مشايخنا أبي عبد الله محمد العربي[2]: ابن أبي المحاسن يوسف الفاسي[3]،

---

(1) هو المَقري التلمساني (992 - 1041هـ): أبو العباس شهاب الدِّين، أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقَّري التِّلِمْساني، مؤرخ أديب من علماء المغرب، من آثاره: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب»؛ «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض»؛ «روضة الأنس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيه من علماء مراكش وفاس»؛ «حسن الثنا في العفو عمن جنى»؛ «عرف النشق في أخبار دمشق»؛ «إضاءة الدُّجنة في عقائد أهل السنة»؛ «أجوبة على مسائل» أرسلها إليه أستاذه محمد بن أبي بكر الدلائي، سماها: «أعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس». «البستان» لابن مريم (ص154)؛ و«خلاصة الأثر» للمحبي (ج1 ص302)؛ و«صفوة من انتشر» للأفراني (برقم 73 ص143)؛ و«نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج3 ص1294)؛ و«طبقات الحضيكي» (ج1 رقم 59 ص57)؛ و«اليواقيت الثمينة» الأزهري (ج1 ص29)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 1183 ج1 ص434)؛ و«الإعلام» للسملالي (ج2 ص308رقم 234)؛ و«فهرس الفهارس» للكتاني (رقم 331 ج2 ص574)؛ و«الأعلام «للزركلي (ج1 ص237).

(2) سبقت ترجمته في (ص43) و (ص98).

(3) الشيخ يوسف أبو المحاسن، القصري الفاسي. هو العالم الفقيه النوازلي القطب الكامل المجدد على رأس الألف العارف بالله. اشتغل بالتدريس والإفتاء بالقصر الكبير، وأقام على ذلك أزيد من عشرين سنة. كانت له عدة مكاتبات إلى أصحابه، منها مكاتبات في الحض على استحضاره تعالى في جميع الشؤون، والدعوة إلى الخمول والابتعاد عن الشهرة والدعوة إلى الابتعاد عن الفتنة، والتسليم للأقدار، والدعوة إلى الصبر عند البلاء، =

فكان من دأبه أنه مهما لقي إنسانًا يسأله من أي بلد هو، فإذا أخبره قال: من عندكم من أهل العلم؟ ومن عندكم من أهل الصلاح؟ ومن الأولياء؟ فإذا أخبره بشيء من ذلك سجله.

وهذا الاعتناء بالأخبار والوقائع والمسانيد ضعيف جدًا في المغاربة، فغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية، وفيما سوى ذلك لا همة لهم.

وكان أبو عبد الله المذكور -يعني سيدي العربي الفاسي- يذكر في كتابه «مرآة المحاسن»، أنه كم في المغرب من فاضل قد ضاع من قلة اعتنائهم، وهو كذلك.

وقد سألتُ شيخنا الأستاذ أبا عبد الله بن ناصر[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه يومًا عن السند في بعض ما كنت آخذه عنه فقال لي: إنا لم تكن لنا رواية في هذا، وما كنا نعتني بذلك. قال: وقد قضيت العجب من المشارقة واعتنائهم بمثل هذا، حتى أني لما دخلت مصر كان كل من يأخذ عني عهد الشاذلية[2] يكتب الورد

= والدعوة إلى جمعية القلب على الله تعالى، والدعوة إلى الأخذ بالأسباب وغير ذلك. توفي في ربيع الثاني 1013هـ. خصه أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري (ت1052هـ) بتأليف سماه «مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن». «خلاصة الأثر» للمحبي (ت1111هـ) (ج4 ص507)؛ و«الإعلام بمن غبر» لعبد الله الفاسي (ت1131هـ) (ص60)؛ و«صفوة من انتشر» للأفراني (رقم 17 ص78)؛ و«نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج3 ص1142)؛ وفي «طبقات الحضيكي» (برقم 788 ص600)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (ج2 ص348)؛ «شجرة النور» لابن مخلوف (رقم 1158 ج1 ص428).

(1) سبقت ترجمته في (ص137 الهامش 3).

(2) **الطريقة الشاذلية**: طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي (591-656هـ) يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد =

والرواية والزمان والمكان الذي وقع فيه ذلك)هـ[1].

* قلت: ولهذا أكثرنا في الأصل من ذكر الأخبار والنوادر والتواريخ كما يعلمه الواقف عليه، وهو أيضًا وجه إشارتنا هنا لقضية الشيخ الشريف الجليل الماجد الأصيل مولاي محمد، وشيء من أخباره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد قال الحاكي لما تقدم عن «تاريخ القيْسي» عقبه ما نصه: (وإنما ذكرت هذه القضايا تنشيطًا للطالب وتمحيضًا للناظر، ولم نزل نسمع من أئمتنا في مجالس دروسهم ما يشبه ما ذكرناه من آثار السلف، لما في ذلك من تقوية باعث الطالب على كيفية التحصيل، وأبحر في إدراك أسبابه، وأخذ العلم من أرْبابه، والولوج إليه من بابه.

وكان المازري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير الحكايات في المجلس ويقول: هي جند من جنود الله؛ حتى لا يخلي مجالسه منها) هـ[2].

فإن قلتَ: هل يعارض هذا ما في «الجامع» للجلال الأسيوطي: (همة العلماء الدراية، وهمة السفهاء الرواية؛ أخرجه ابن عساكر عن الحسن مرسلا)؟[3].

= وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد «الله» أو مضمرًا «هو». «طبقات الشاذلية الكبرى» لقاسم الكوهن الفاسي المغربي (1347هـ) (ص19).

(1) «المحاضرات في اللغة والأدب» للحسن اليوسي (ج1 ص173 ـ 175).

(2) «أزهار الرياض» للمقري (ج3 ص29).

(3) وردت هذه الجملة بألفاظ عدة:

ـ (همة العلماء الرعاية وهمة السفهاء الرواية): أوردها بهذا اللفظ السيوطي في «الجامع الصغير»، وعزاه إلى ابن عساكر عن الحسن البصري مرسلًا، «ضعيف الجامع الصغير» للألباني (برقم 6099 ص879)؛ وفي «السلسلة الضعيفة» (برقم 2263 ج5 ص288).

ـ (فإن العلماء همتهم الرعاية وإن السفهاء همتهم الرواية): رواها ابن عبد البر في «جامع =

قلتُ: لا يعارض، لأن المذموم هو محض الرواية دون شيء ما من الدراية، وهناك صورة أخرى وهي الجمع بينهما، ولا شك أن هذه أكمل، أو يقال: المذموم هو محض الرواية بدون علم ولا عمل، أو يقال: إن ذلك في الأشعار التي فيها سخفٌ ومدح من لا يستحق المدح، وذم من لا يستحق الذم، وفي التواريخ الباطلة والله أعلم.

*** ولنرجع إلى المقصود فنقول:**

كتب بعضهم بعد «جواب» أبي مروان مؤيدًا له ما نصه:

(أخرج الحافظ أبو عيسى الترمذي والإمام أحمد بسنديهما إلى مُعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعًا فثوّب بالصلاة، فصلى وتجوّز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته فقال: «**مصافكم كما أنتم**»، ثم التفت إلينا فقال: «**أما أنا فسأحدثكم ما حبسني، أني قمت من اللّيل، فتوضأت وصليت ما قُدر لي ثم نعست حتى استثقلت فإذا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد! قلت: لبيك ربي. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟**[1] **قلت: لا أدري؛ قالها ثلاثا. قال: فرأيته وضع كفه في كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت**». وفي لفظ آخر: ـ**فتجلى كل شيء وعلمت**ـ **ما في السموات وما في الأرض وما بين المشرق والمغرب. فقال: يا محمد. فقلت: لبيك ربي.**

= بيان العلم وفضله» (باب جامع القول في العمل بالعلم، برقم 658 ص212).

ـ (فإن السفهاء همتهم الرواية وإن العلماء همتهم الرعاية): رواه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (ج1 ص135 برقم 37).

(1) الملأ: الجماعة أهل الشأن والقدر. والمراد بهم هنا الملائكة. ووصف الملأ بـ (الأعلى) لتشريف الموصوف. «التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر ابن عاشور (عند الآية 8 من سورة الصافات ج23 ص92).

فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: ما هي؟ قلت: مشيُ الأقدام إلى الحسنات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، واسباغ الوضوء على الكريهات. قال: فيم قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام. قال: سل؟ قلت: اللَّهُم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون، أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب ما يقربني إليك». قال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها». هـ[1]. وفسروا اليد بالنعمة، والبرد بالسرور، والصورة بالصفة، أي: في أحسن صفته أي: راض)[2].

قلتُ: وأورده بعض أهل الطريق الخلوتية[3] مستدلًّا به على كون رؤيا الحق إذا أعقبت مثل هذه العلوم كانت صحيحة، وإلا فلا؛ ونصه:

(إذا ظهر على الرائي بعد الرؤيا علوم ومعارف واتباع للشريعة وتخلق بالطريقة، فهي صحيحة وهذه هي الفهوانية[4] الصحيحة: لأنها أعقبت هذه

(1) سبق تخريجه والتعليق عليه في (ص388 ـ 389).

(2) ينظر هذا التعقيب في (اللوحة 100) من« ملاك الطلب» مخطوط بالخزانة الوطنية بالرباط (برقم 278 د).

(3) **الطريقة الخلوتية**: أحد الطرق الصوفية السنية، نسبة إلى محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، المتوفى في مصر سنة 986هـ، وهو من أئمة الصوفية في خراسان في القرن العاشر الهجري. والخلوتي نسبة إلى الخلوة الصوفية: وهي العزلة، وقيل: هي الخلوة عن جميع الأذكار إلا عن ذكر الله. «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (ج1 ص764)؛ و«اصطلاحات الصوفية» للقاشاني (ص161). من أهم رواد الطريقة الخلوتية: مصطفى كمال الدين البكري (ت1162هـ) ـ سبقت ترجمته في (ص670) ـ؛ وإسماعيل حقي البروسوي (ت1137هـ) صاحب كتاب «روح البيان في تفسير القرآن». ينظر «الكشف عن حقيقة الصوفية» لمحمود القاسم (ص364).

(4) **الفهوانية**: هي خطاب الله للسالك بطريق المكافحة في عالم المثال. إنه في الواقع عالم =

العلوم، وأما غيرها فهي أمور شيطانية، لأن المطلوب من هذه الطريقة: العلوم والمعارف الإلاهية التي هي نتائج تزكية النفس وتصفية القلب، ولكل واحد من تصفية القلب وتزكية النفس علامة؛ فعلامة تصفية القلب: حصول الإلهامات، والعلوم الربانية والموافقة للكتاب والسنة. وعلامة تزكية النفس: خلاصها من الغضب، والكبر، والحسد، والعجب، والكراهة لبعض الخلق، والميل للبعض الآخر، ومن الشهرة فيكون الخلق كلهم عنده على السوية لا يحبهم محبة تميلهم إليه فينقطع عن الحق، ولا يكرههم كراهية تغير باطنه عليهم فيشغله عن الحق) هـ.

والفهوانية: هي خطاب الله للسالك بطريق المكافحة في عالم المثال.

وكتب تحت كلامهما الفقيه سيدي الطيب ابن الشيخ سيدي محمد الفاسي[1] معترضًا، ونصه: (قال الشيخ ابن أبي جمرة [1] على حديث: «**ما من شيء لم أكن رأيته، إلا رأيته في مقامي هذا**»[2]: (فيه دليل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يعلم من الغيب جميعه في الزمن المتقدم قبل هذا الموطن، بل البعض فقط، وأنه في هذا الموطن تكملت له الرؤية لتلك الأشياء كلها.

ويردُ على هذا سؤال، وهو أن يقال: ما المراد بقوله عليه الصلاة والسلام: «**ما من شيء لم أكن رأيته... إلخ**»، هل المراد به جميع الغيوب؟ أو المرادُ به ما

= الجذبة عندما يكون المجذوب غائباً عن شعوره بالمخلوقية، وعندما يشعر أنه الله، ويكون معنى (الفهوانية) هو الكلام الذي يسمعه المجذوب من نفسه باعتباره هو الله، أثناء الجذبة. ولابن عربي الحاتمي رسالة «منزل المنازل الفهوانية» مطبوعة رفقة رسائل أخرى له بدار الكتب العلمية 2004م.» إصطلاحات الصوفية» لكمال الدين الكاشاني (ص154). وفي «التعريفات» للجرجاني (برقم 1381 ص171). وفي «السير والسلوك إلى ملك الملوك» لابن صلاح الدين الخاني (ت1109هـ) (ص59).

(1) سبقت ترجمته في (ص390).

(2) سبق تخريجه في (ص390).

يحتاج الأخبار به إلى أمته، وما يخصه عليه الصلاة والسلام في ذاته المكرمة؟

وَالجوَاب: أن لفظ الحديث محتمل للوجهين معًا، والظاهر منهُما الوجه الأخير، والأول ممنوع، يدل على ذلك الكتاب والسنة.

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]، وأما الحديث فقوله عليه الصلاة والسلام: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**»[2]. وذكر ما في الآية.

ولا يمكن أن يحمل على جميع الغيوب، لأن هذا يؤدي إلى استواء الخالق والمخلوق، وقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[3]، والأشياء منها ما وقع قبل خلق بني آدم، وما وقع بعد موتهم، فكان ذلك مستحيلًا من طريق العقل والنقل) هـ[4].

وقد جعل الشارح: العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمن ابن زكري[5] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن في قول الشيخ القطب الكامل: أبي محمد مولانا عبد السلام بن مشيش رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (وفيه ارتقت الحقائق)[6]: (تحتمل احتمالين، أحدهما: أن تكون للاستغراق الحقيقي، ويكون أراد بالحقائق جميع العلوم والإرتقاء عليه بمعنى الظهور والتجلي. ويحتمل أن يكون بمعنى: الارتفاع، وذكر فيه وجوها منها: أن يكون ارتفاعها فيه باجتماعها له على التمام، فإنه علم علم الأولين

---

(1) سورة النمل، الآية: 65.

(2) سبق تخريجه في (ص379).

(3) سورة الرحمن، الآية: 29.

(4) «بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري» لابن أبي جمرة الأندلسي (ج1 ص120).

(5) سبقت ترجمته في (ص59) و (ص314).

(6) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص132).

والآخرين وأوتي علم كل شيء، ويكفي في هذا استمداد اللوح والقلم من علومه)[1]، ويأتي كلامه بتمامه في تتمات الكتاب إن شاء الله.

وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

محمد مطلع أنوار العلوم ... من شمس عرفان وبدر ونجوم
منه استفادها الخصوص والعموم ... فانسب إلى علمه إطلاق العلوم
أطلعه الله على الحقائق ... فكل ما قد قاله مُطابِقْ
قد أوضح السبيل والطرائقْ ... وبين النكت والرقائقْ[2]

وقال في «همزيته»:

سدرة المنتهى انتهى عندها العلم ... وعلمه ليس فيه انتهاء[3]

وهو في ذلك كله موافق باعتبار ظاهره لما قاله أبو مروان التجموعتي، إلا أنه لم يقع في ذلك المحذور، ولم يلزمه ما لزم التجموعتي المذكور، وذلك أنه لم يرسل العنان في ذلك كما أرسله التجموعتي محافظة منه - والله أعلم - على ما عليه السلف، حيث لم يخوضوا في ذلك، بل تأول لفظ «العلم» الواقع في البيت المذكور من «همزيته» بـ«المعلوم».

وأشار أيضًا إلى ما يندفع به الإشكال لشبهة توهم التسوية بين علم الخالق والمخلوق التي لا تصح بحال.

---

(1) الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص132).

(2) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص137).

(3) «الهمزية في مدح خير البرية» لابن زكري الفاسي (اللوحة 32) مخطوط نفيس بالمكتبة الوطنية بالرباط، (تحت رقم (د1071ـ) ؛ وفي «شرح الهمزية» له (اللوحة 116) مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط تحت رقم (2474) و(746)؛ ونقله المصنف أيضًا في «النور اللامع» مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 650 ك) (اللوحة 162).

وأما قوله في هذه الأبيات: (فانسب إلى علمه إطلاق العلوم)؛ فمراده ـ والله أعلم ـ: أن ذلك بالنسبة إلى الخصوص والعُموم، أو أن ذلك بالنسبة لما اشتمل عليه العالم فقط. والله أعلم.



المقصد الثاني

في بيانها بالطرق المفصلة
وتتبع كلام من غلط فيها منهم
ونسي ما أجمله علم التوحيد وفصّله،
ونقضه نقضًا يبلغ به معارضه سُؤْلهُ وما أمّلهُ

وتتبع كلام [... إلخ] ما سبق في برنامج الكتاب:

اعلم أنه لما بلغ كلام الشيخ أبي مروان في المسألة إلى أبي علي، ورآه مصممًا على القول بعموم علمه ﷺ، واستوائه مع علم مولانا تبارك وتعالى، تصدى للرد عليه، وألف في ذلك تأليفًا كما سبقت الإشارة إليه، وبعثه إليه، فلم يزده إلا تصميمًا على اعتقاده. ونشْرًا لهُ بين يديْ أعرابه، وأهل وداده، ثم إنه لم يكتف بذلك، ولا وقف عنده، بل عارضه بتأليف آخر بذل فيه جَهْده؛ وكثر بينهما الجدال، والقيل والقال، وأفضى الأمر إلى السب والشتم، ولم يبق إلا الضرب بالنعال، أو الرمي بالنبال، وطال الأمر بينهما في ذلك مدة مديدة، وسنين عديدة، من غير تحصيل على طائل، ولا ظهر أحدهما على الآخر بحجة، تبطل ما لحليفه من الوسائل.

وإنا إن شاء الله تعالى نأتي في هذا الكتاب، بما فيه فصل الخطاب، ويحصل به البرءُ والشِّفاء، من هذا الداء، الذي دِين صاحبه بسببه على شَفا، وينقطع به في المسألة الكلام، ولا يبقى فيها بين المتخاصمين ميدان من ميادين الخصام،

ويقضى به الدَّيْن عنهما، وعن غيرهما من سائر الأئمة الأعلام.

ولـم أقفْ من تأليف أبي علي إلا على رؤُوس بعض الجمل من كلامه التي أشار إليها خصمه المذكور، بخلاف تأليف أبي مروان، فقد وقفتُ على بعْضه ولـم أقفْ عليه بتمامه.

ولا بد من جلب ما يتضمن الوقوف على حججه للمسألة، وما له فيها من المقال، وما لنا عليه من الانتقاد، والرد والإبطال، وإن كنت لـم أطلع على تأليف خصمه، ولا وقفت على حده ورسمه، **فنقول من ذلك:**

* قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن قيـل: لا نزاع في تعلق علم النبي ﷺ ببعض المغيبات وإنمـا النزاع في عمومه. قلنـا: إذا تعلق بالبعض فضلًا من الله تعالى وكرامة لنبيه ﷺ، جاز تعلقه بكله بجامع الإمكان؛ لأن ما صح على الشيء، صح على مثله، وهكذا لا إلى نهاية؛ وقد أخبر النبي ﷺ عن ربه بحصول ذلك، ووقوعه على سبيل العموم، فلم يبق إلا الإذْعَانُ، والإيمان به.

وقد ورد مثل ذلك في إدراكاته ﷺ:

- فقال فيما يرجع إلى بصره: «**ما من شيء لـم أكن أريته إلا رأيته في مقامي**» الحديث[1]. قـال بعض العلماء: (حتى الذات العلية رآها في مقامه ذلك)[2].

- وقـال ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون وأسمعُ ما لا تسمعون، أطت السماء وحُق لها أن تئط**»[3].

---

(1) سبـق تخريجـه والتعليق عليه في (ص390).

(2) ينظـر جملة العلمـاء الذين قالوا بأنه ﷺ رأى الذات العلية في مقامه ذاك، في رسالة العلمية الموسومة بـ «الروض المعطار في علم النبي المختـار» لأبي العباس أحمد البناني (ت1234هـ) (دراسـة وتحليـل)، المرقـونة بكلية أصـول الدين - تطوان - برسم الموسم الجامعي 2013/ 2014. (الفصل الرابع ص139 - 142).

(3) سبق تخريجه والتعليق عليه في (ص503).

- وفي حديث أسامة بن زيد: (أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة قال: «**هل ترون ما أرى؟**» قالوا: لا، قال: «**فإني لأرى الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**»[1].

- وفي رواية أبي نُعيمٍ: «**تسمعون ما أسمع؟**» قالوا: ما نسمع من شيء، قال: «**إني لأسمع أطيط السماء**»[2].

- وورد أنه ﷺ: (يبصر في الليل الدامس كما يبصر في النهار الشامس[3].

- وما ورد في قضية زينب[4]، أجاب عنه الحافظ أبو عمر، بأن ذلك كان قبل حُصول هذه الفضيلة له.

- ثم علمه ﷺ بما كان، وبما لا يكون، مما لا وقفة فيه.

- وأما علمه بما لا يكون: أن لو كان كيف يكون؛ كحديث: «**لو عاش إبراهيمُ لكان نبيًا**»[5]، وحديث: «لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعونَ»[6]، جمعًا لا تردد فيه أصلاً أيضا. فإن الإرادة القديمة خصصت إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعدم العيش وخصصته مع ذلك على تقدير العيش بالنبوة،

---

(1) سبق تخريجه والتعليق عليه في (504).

(2) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (رقم 1134 ج3 ص167)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 3122 ج3 ص201)؛ وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (ج2 ص217).

(3) «الشفا» (ج1 ص53)، «العلل المتناهية» (رقم 266 ج1 ص73)، «المواهب اللدنية» (ج2 ص226).

(4) المراد بقضية زينب المشار إليها، ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ الآية. وقد تَوَسَّعَ في بيانها ابن العربي في «أحكام القرآن» (ج3 ص575)؛ والقرطبي في «تفسيره» (ج17 ص153 الأحزاب الآية 37).

(5) سبق تخريجه في (ص505).

(6) سبق تخريجه في (ص506).

كما خصصت سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدم الاستثناء، وخصصته مع ذلك على تقدير أن لو استثنى بعيش العدد الذي تمناه، وجهادهم في سبيل الله فرسانا أجمعين)هـ[1].

• أقـول:

- قـوله: (إذا تعلق بالبعض جاز تعلقه بالكل): هذا القياس فاسد، فإن الفرق بين «البعض» و«الكل» ضروري، ولا يلزم من تعلق علم النبي ﷺ ببعض المغيبات تعلقه بجميعها، ولا نسلم دلالة شيء من تلك الجزئيات، ولا وقوعها على وقوع الجميع، وإلا لأدَّى إلى مشاركة المخلوق الحادث، للخالق القديم سبحانه في صفة من صفاته، وذلك محال.

- وقـوله: (لأن ما صح على الشيء صح على مثله): هـذا إنما يجري في الشيء الذي له مثل على ما فيه، وأما الشيء الذي لا مثل له ـ وهو الذات العلية وصفاتها السنية ـ فلا.

- وقوله: (بجامع الإمكـان): أيُّ إمكان يتصوَّر في هذا وهو تبارك وتعالى واجب الوجود[2] لذاته وصفاته، وغيره من الذوات والصفات ليس كذلك، وأنَّى يُدرك[3] جائز الوجود، واجب الوجود.

---

(1) «خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية» للقاضي التجموعتي (ت1118هـ)، سبق في (ص497 ـ 506).

(2) واجب الوجود: مصطلح فلسفي كلامي دال على الله تعالى، يراد به: الوجود الذي لا يقبل العدم، ويكون وجوده من ذاته لا من غيره؛ ويقابله «ممكن الوجود» الذي يقصد به: كل ما سوى الله عَزَّوَجَلَّ، فهو ممكن، لأنه يجوز وجوده، ويجوز عدمه. «التعريفات» للجرجاني (برقم 1972 ص244)؛ الكليات» للكفوي (ص927)؛ «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج3 ص2984).

(3) قال العلامة الحجوي الثعالبي في الهامش ما نصه: (يجاب عن هذا بأن مراده الإمكان =

فإن قلتَ: هذا مردودٌ بما نقله عن بعض العلماء، من كونه رأى في مقامه تلك حتى الذات العليـة؟

قلتُ: سلمنا هذا، لكن الرؤية لا تفيد الإدراك بالكنْه والحقيقة -كما يأتي بيانه، والتنصيصُ عليه إن شاء الله تعالى-. وأيضًا فإنه يلزم عليه إثبات شيء من صفات الربوبية للمخلوق الحادث، وإثبات شيء ما لمخلوق - أي مخلوق كان- شرك.

ألا ترى أن أهل الجاهلية، إنما كفروا بعبادة الأصنام لتضمنها اعتقادهم ثبوت شيء من صفات الربوبية لها؟

• ويـؤيد هذا التسجيل عليهم بأنهم اتخذوها أنداد إليه وأحبوها كحبهم إياه كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقال تعريضًا بهم: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، والأنداد: جمع ندّ بالكسر. قال أهل اللغة والتفسير[3]: (هُو المثل المُساوي، أي: المعاند أو المقاوم. فدل على أنهم أثبتوا لها ضربًا من المقاومة، وإن كانوا يقولون أن الله هو الإله الأعظم.

• ويـؤيده أيضًا: ما حكاه عنهم بقوله: ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]. فإن التسوية المذكورة إن كانت في

= في العلم، والإدراك، لا في المعلوم، والمدرك حتى يلزم المحظور، ثم يلزم عليه اتحاد المعلول بالعلة، لأن الجواز هو عين الإمكان).

(1) سورة البقرة، الآية: 165

(2) سورة البقرة، الآية: 22.

(3) نحوه في «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» لابن عجيبة الحسني (ت 1224هـ) (ج1 ص86).

(4) سورة الشعراء، الآية: 96 – 98.

الوصف بالألوهية وإثبات شيء من صفات الربوبية، فهو المطلوب. ومن هذه الحيثية نشأ شركهم وكفرُهم، لأن صفاته تعالى يجب لها الوحدانية، بمعنى عدم وجود نظير لها، لا قائم بذاته تعالى، ولا بذاتٍ أخرى كما برْهَنَ عليه في محله من علم الكلام، وإن كانت التسوية في استحقاقها للعبادة، فهو يستلزم اعتقاد الإشراك بما فيه الاستحقاق، وهو صفات الألوهية أو بعضها، وإن كانت التسوية في العبادة نفسها، فهي لا تكون من العاقل إلا لمن يُعتقدُ استحقاقه لها، كرب العالمين، تعالى الله عما يشركون. انظر تأليفنا المسمى بـ «الفُيُوضات الوهْبيّة في الرد على الطائفة الوهبية»[1].

فالتخصيص إذاً في المغيبات واجب، وعدم إبقائها على العموم: هو الواجب اعتقاده على الخصوص والعموم. وتخصيص علمه ﷺ بما اشتمل عليه هذا العالَم فقط: هو المتعين على كل من تعلق بدينه وارتبط.

واعلم أن حديث: «**لو عاش إبراهيم... لخ**»[2]، رواه إسماعيل السدي عن أنس بلفظ: «**كان إبراهيم بن النبي ﷺ قد ملأ المهد، ولو بقي لكان نبيئا، لكنه لم يكن ليبق**». وبعد إيرادِ أبي عمر بن عبد البر في «التمهيد» حديث أنس هذا، استنكرهُ وقال: (لا أدري ما هذا؟ فقد ولد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ غير نبي، ولو لم يلد النبي إلا نبيًّا لكان كل واحد نبيًّا، لأنهم من ولده)[3]. وقال النووي في «تهذيبه»: (وأما ما روي عن بعض المتقدمين: «لو عاش ابراهيم لكان نبيئا»: فباطل، وجسارة على الكلام على المغيبات، ومجازفة وهجومٌ على عظيم) هـ[4].

---

(1) سبق التعريف به في (ص209).

(2) سبق تخريجه في (ص505).

(3) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (برقم 2 ص70).

(4) «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام محيي الدين بن شرف النووي (ت676هـ) (برقم 23=

قال في «الإصابة»: (وهذا عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة، وكأنه لم يظهر له تأويله، فأنكره. وجوابه: أن القضية الشرطية لا تستلزم الوُقوعَ، ولا يُظن بالصحابي أنه يهجم على مثل هذا بظنه؛ والله أعلم) هـ[1]. من «شرح الاكتفاء»[2] للشيخ ابن عبد السلام البناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3].

وما نسبه «للتمهيد»، رأيت نحوه في «الاستيعاب» لأبي عمر.

وقد تكلم على الحديث المذكور شيخنا الإمام البحر الزاخر الهمام، خاتمة المشايخ العظام، القدوة الحجة المتبرك به حيًا وميتًا صاحب التصانيف العديدة المعتبرة المفيدة: أبو عبد الله سيدي محمد التاودي بن سودة المُري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]، ورضي عنه [ورضي عنه][5]، في «أجوبته» بكلام حسن نفيس قائلا بعد الجواب المذكور ما نصه:

(وما ذكره من الجواب غير ظاهر، لأن الشرطية[6]، وإن كانت لا تستلزمُ

= ج1 ص103).

(1) «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (برقم 23 ص22).

(2) كتاب «الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء» لأبي الربيع بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت634هـ). تح: محمد كمال الدين عز الدين علي، طبعة دار الكتب، ط1 (1417هـ/ 1997م): هو في السيرة النبوية العطرة والفتوحات الإسلامية. أما «شرح الاكتفاء المسمى: «مغاني الوفاء بمعاني الاكتفاء» للشيخ ابن عبد السلام البناني (ت1163هـ) فقد أصبح نصًا مطبوعًا بالمكتبة الوطنية بالرباط، الناشر: دار السلام – الرباط، 2017م.

(3) سبقت ترجمته في (ص62) و (ص144).

(4) سبقت ترجمته في (ص80) و (ص194).

(5) جملة مكررة في المتن.

(6) الشرطية: هي القضية المركبة من قضيتين، إحداهما محكوم عليها، والأخرى محكوم =

الوقوع لكن، صدقها بصدق الملازمة بين جزئيها، وكذبها بكذب الملازمة، فنحو: «**لو جئتني لأكرمتك**»، وكنت بحيث تفعل ذلك: صدق، و«لو جئتني لرفعتك إلى السماء»: كذب. ولا يكفي في صحته كون الشرطية لا تستلزم الوقوع، وهذا هو محل إشكاله وعدم فهمه.

والذي يظهر أن هذه شخصية لا كلية، أي بمنزلة الشخصية لكونها مهملة، والإهمال بإطلاق «أن» و«لو» و«إذا» في المتصلة، وأن الصحابي إنما يقول هذا بتوقيف من النبي ﷺ، فهو في حكم المرفوع، وإذا كان كذلك، فلا يلزم من كون ولد نبي كل كذلك حتى يرد علينا ولد نوح أو غيره من الأنبياء، لعدم ورود ذلك في حقهم.

والحاصل: أن الخبر ثابت ولا إشكال فيه، وأنه في حكم المرفوع أو مرفوع، وأنه ﷺ قال ذلك فيه يوم موته، واختُلف في أي يوم مات، وفي سنّه يوم مات، وفي موضع دفنه، وهل صلى عليه ﷺ أم لا؟ وهل لقنه جواب الملكين أم لا؟ ثم ذكر ما قيل في ذلك كله فانظره). انتهى[1].

= بها.

والشرطية عند المنطقيين على قسمين: شرطية متصلة، وذلك حينما توجب أو تسلب حصول إحدى القضيتين عند حصول الأخرى. **وشرطية منفصلة**، إن أوجبت أو سلبت انفصال إحداهما عن الأخرى. «ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة» لحبنكة الميداني (ص81)؛ و«موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» للتهانوي (ج2 ص1017).

(1) «حاشية» محمد التاودي بن محمد الطالب بن سودة المري (ت1209هـ) على صحيح البخاري: «زاد المجد الساري لمطالع البخاري» (ج5 ص584 كتاب الأدب: باب من سمي بأسماء الأنبياء).

ووجدت بخط شيخ شيوخنا العلامة ابن الحسن البناني ما نصه[1]: (الحمد لله ومن خط سيدي عبد القادر[2] ما نصه: (ووجدت بخطه أيضًا ـ أي شيخه سيدي عبد الرحمن[3] ـ ما نصه:

(قوله ﷺ[4]: «**لو عاش ابراهيم لكان نبيًا وأنه كان لا يعيش لذلك**». عياض: وربما أنكر هذا من لا يلتفت لإنكاره، ويقول: كيف يقال هذا ومحمد خاتم النبيئين؟

ولكن مجمل ما رُوي من ذلك أنه مما أطلعه الله عليه من مكنون غيبه مما لا يكون أن لو كان كيف يكون؛ فعيْشُ إبراهيم وكونه نبيًّا لا يكون، ولكن في علم الله أن لو عاش لكان نبيًا إن صح الحديث كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[5]، وهم لا يردون ولا يعودون، ولكن أخبر تعالى عن علمه فيهم لو كان هذا الذي لا يكون كيف كان يكون).

ثم قال: (ثم على تنزيل إبراهيم منزلته من النبوءة: أن لو عاش؛ يتأول الحديث في أنه لم يصل عليه، خصوصًا له عن سائر ولده، لمزية درجة النبوءة على غيرها. هذا إن صح أنه لم يصل عليه، فمجمله ما ذكر.

---

(1) لأبي عبد الله محمد بن الحسن البناني (ت1194هـ) ـ سبقت ترجمته في (ص73 ـ 74) ـ أجوبة عن مسائل متنوعة في «علم الكلام»؛ «المنطق»؛ «الحديث»؛ و«النحو»، [مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 939ك الثاني ضمن مجموع من ص41 إلى61)]؛ وهو في طور الطبع عن دار الكتب العلمية غير أنه لا يضم هذا النص.

(2) سبقت ترجمته (ص110 ـ 134 وما بعدها).

(3) سبقت ترجمته (ص94 ـ 109 وما بعدها).

(4) سبق تخريجه في (ص505).

(5) سورة الأنعام، الآية: 28.

وقـد اختلف العلماء[1] في الصلاة عليه، فقيل: صلـى عليه الصلاة المعهودة وقيـل: دعـوا فقط، ثـم اختلف بعـدُ، هل صلوا عليه أفـذاذا أو جماعة؟ واختلف فيمـن أمّهم، فقيل أبو بكر الصديق: ذكره ابن العطار[2]، وفي الحديث أنهم صلوا

(1) اختلف العلمـاء في الصلاة على ابراهيـم ابن النبي ﷺ لمـا مـات، فمنهم من روى بإسناد حسن، عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أنه ﷺ لـم يصل عليه، قال الخطابي: (حديث عائشة أحسن اتصالا من الرواية التي فيها أنه صلّى عليه)؛ وقال ابن عبد البر: (حديث عائشة لا يصح، وقد يحتمل أن يكون معناه: لـم يصل عليه في جماعة، أو أمر أصحابه فصلوا عليه ولـم يحضرهم). «الاستيعـاب» لابن عبد البر (ج1 ص54)؛ و«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (برقم 23 ج1 ص103)؛ و«زاد المعـاد» لابن القيم الجوزية (ج1 ص235)؛ وفي «الإصابة» لابن حجر العسقلاني (برقم 23 ص22).

وروى أبو داود في «سننه» (رقم 3188 ج5 ص98)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 18497 ج30 ص456) أن النبي ﷺ صلى على ابنه إبراهيم)؛ وجمع صاحب «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني» (ج7 ص210) بين هذه الأحاديث بقوله: (إنهـا - أي سيدتنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لـم تعلم بصلاة النبي عليه، وعَلِمَ غيرهـا، فأخبر كلٌّ بمـا علم، والمثبت مُقدّم على النافي).

(2) هو علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار (654 ـ 724هـ)، فاضل من أهل دمشق، كان أبوه عطارًا وجده طبيبًا. من مصنفـاته: «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين» و«الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد» و«مجلس من حديث ابن العطار»؛ «الوثائق المجموعة»؛ و«آداب الخطيب»، وغير ذلك. «تذكرة الحفـاظ» للذهبي (ج4 ص1504)؛ «العبر في خبر من غبر» للذهبي (ج4 ص71)؛ «طبقات الشافعية» لابن السبكي (برقم 1386 ج10 ص130)؛ «الوافي بالوفيـات» للصفدي (برقم 13 ج20 ص10)؛ «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (برقم 551 ج2 ص355)؛ «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني (ج3 ص5)؛ «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (ج9 ص261)؛ «شذرات الذهب» لابن العماد (ج6 ص63)؛ «فهرس الفهـارس» للكتاني (برقم 465 ج2 ص829)؛ «هدية العارفين» للبغدادي (ج1 ص717)؛ وفي «الأعلام» للزركلي (ج4 ص251)؛ و«معجم المؤلفين» لعمر كحالة (برقم 9066 ج2 ص387).

بصلاة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكبروا تكبيره). هـ موضع الحاجة منه وبعضه بالمعنى اختصارًا.

قال شيخنا سيدي عبد الرحمن المذكور: (ومثله عندي حديث: (لو قال سليمان: إن شاء الله؛ لجاهدوا)[3].

وقال ابن حجر: (لا يلزم من إخباره ﷺ في حق سليمان في هذه القصة أن يقع ذلك لكل من استثنى في أمنيته، بل في الاستثناء رجو الوقوع، وفي ترك الاستثناء خشية عدم الوقوع والله أعلم) هـ[4] أي: وقد يقع، وقد لا يقع كما في استثناء النبي ﷺ وغيره من الأنبياء وأحرى غيرهم. وقد عدّ ابن حجر منها ما وقع في حديث: «إنا قافلون غدا إن شاء الله في غزوة الطائف" هـ[5]. من خط سيدي عبد القادر هـ.

وفي «شرح الرسالة» لشيخ المشايخ سيدي محمد[6] جسوس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ما نصه: (ومناسبةُ قوله: «وخاتم النبيئين لما قبله»: بيان كونه ﷺ غير أبٍ لمن بلغ مبلغ الرجال، وهو أنه خاتم النبيئين، وكالتعليل لقوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ

---

(3) سبق تخريجه في (ص505 ـ 506).

(4) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني (كتاب أحاديث الأنبياء، ج6 ص598).

(5) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب المغازي: باب غزوة الطائف، برقم 4325 ج3 ص88)، وفي (كتاب الأدب : باب التبسم والضحك، برقم 6086 ج4 ص88)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الجهاد والسير: باب غزوة الطائف، برقم 1778 ج6 ص385).

(6) سبقت ترجمته في (ص71).

﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[1]، فمات أولاده الذكور كلهم صغارًا قبل أنْ يكونوا رجالًا، لأنهم لو عاشوا حتى بلغوا سن النبوءة، ثم لم ينبئوا، كانوا في ذلك أحط رتبة من أولاد كثير من الرسل الذين خلوا، كإبراهيم ويعقوب وداوود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فماتوا صغارًا لتنتفي هذه الحطيطة[2])[3] هـ.

قلتُ: وإلى هذا المعنى ـ والله أعلم ـ يشير سيدنا حسّان بن ثابت بقوله:

مضى ابنك محمود العواقب لم يشب بعيب ولم يذمم بقول ولا فعل

رأى أنه لو عاش ساواك في العُلا فآثر أن تبقى وحيدا بلا مِثْلِ[4]

وكان موته سنة عشر في يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الأول، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (عاش ثمانية عشر شهرًا)[5]، ولما مات قال النبي ﷺ: «إن

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 40.

(2) **الحطيطة**: ما يحط من جملة الحساب، فينقص منه، اسم من حط، جمع حطائط. «لسان العرب» (مادة حطط ج7 ص275).

(3) «شرح توحيد الرسالة» لمحمد بن قاسم جسوس (ت 1182هـ)، تح: دة. إحسان النقوطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية، ط: الأولى 2008م، (ج2 ص501).

(4) من رثاء حسّان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، للنبي ﷺ. ذكره في «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» إبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ) (عند الآية 40 سورة الأحزاب ج15 ص366)؛ وفي «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» شمس الدين أبو الخير محمد السخاوي (ت902هـ) (ج7 ص126).

(5) رواه أحمد في «مسنده» (رقم 26305 ج43 ص330)؛ وأبو داود في «سننه» (رقم 3187 ج5 ص97)، قال محققه: (إسناده حسن، وقد صححه ابن حزم في «المحلى»)؛ وابن عبد البر في «الاستيعاب» (برقم 2 ص70)؛ وحسن إسناده ابن حجر في «الإصابة» (برقم 23 ص22).

له مرضعًا في الجنة، ولو عاش لكان صدِّيقا نبيًا، ولو عاش لأعتقتُ أخواله من القبط، وما استرق قبطي». رواه: ابن ماجه من حديث ابن عباس والبخاري عن عبد الله ابن أبي أوفى) هـ[1].

قلتُ: وهذا صريح في رفعه إلى المصطفى، ولعل الحافظ ابن حجر أراد بالثلاثة: أنسًا، وابن عباس، وابن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وانظر ما المراد بقضية زينب المشار إليها في كلام أبي مروان، ولعل المراد بها ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ الآية[2].

هـذا؛ وقد سبقت الإشارة إلى أن أبا مروان التجموعتي، التزم في تأليفه أن يأتي برؤوس بعض الجمل من تأليف خصمه أبي علي اليوسي، ثم ينزل كلامه عليها كما جرت عليه عادة أرباب الحواشي واصطلاحاتهم، وأنا أنقل ذلك وأنسب قول كل واحد منهما إلى قائله، وأميز كلامي الذي اختصصت عنهما بقولي: «**أقول**». فنقول:

* **قال أبو علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن القائل بتعميم علم النبي ﷺ...) لخ[3].

---

(1) رواه ابن ماجه في «سننه» (رقم 1511 ج2 ص475)؛ وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (برقم 2073 ج8 ص507)؛ والذهبي في «ميزان الاعتدال» (برقم 9879 ج4 ص471)؛ وابن كثير في «جامع المسانيد والسنن» (ج1 ص72)؛ وقال ابن حجر العسقلاني في «الإصابة» (برقم 23 ص22): (في سنده أبو شيبة الواسطي إبراهيم بن عثمان وهو ضعيف)؛ وأضاف الملا القاري في «الأسرار المرفوعة» (رقم 379 ج1 ص284): (لكن له طرق ثلاثة يقوي بعضها بعضًا...).

(2) سورة الأحزاب، الآية: 37. وقد تَوَسَّعَ في بيانها ابن العربي المعافري (ت543هـ) في «أحكام القرآن» (ج3 ص575)؛ والقرطبي (ت671هـ) في «الجامع لأحكام القرآن» (ج17 ص153 سورة الأحزاب الآية 37) حيث قال: (فيه تسع مسائل).

(3) سبق ذكره في (ص457) وفي (ص566).

- أبو مروان: (القائل بالتعميم هو النبي ﷺ، وإذا لم يكفك قوله، كفاك من سيف شريعته فعله) هـ[1].

- أقول: أشار به إلى: حديث الطبراني: «**أوتيت مفاتيح كل شيء**»[2].

وحديث ابن مسعود: (أوتي نبيكم علم كل شيء)[3])[4].

* **ثم قال أبو علي:** (يقال له: ما تريد بهذا التعميم...) لخ[5].

- **قال أبو مروان:** (صريح حديثه ينادي عليك بإرادته ومشيئته. وقوله: (مستفهمًا في الحقيقي): نعم؛ لم يرد غيره، إذ لا فضيلة فيما عداه، لمشاركة الغير فيه، وقرينة الحال -من انصراف القصد إلى التحدث بنعم الله، وبما استأثر به ﷺ مما لم يحصل لغيره، وإعلام أمته بذلك ليعتقدوه، ويعرفوا قدره عند ربه- شاهدة) هـ[6].

• أقول: هذا غير صحيح، لأن الشركة في شيء، لا يلزم أن تكون على حد

---

(1) نقله المصنف عن «خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية» للقاضي التجموعتي (ت1118هـ)، وقد سبق ذكره في (ص566).

(2) سبق تخريجه في (ص378).

(3) سبق تخريجه في (ص389).

(4) قال العلامة الحجوي الثعالبي في الحاشية ما نصه: (في كلا الحديثين استثناء، هكذا: «إلا الخمس»، كما في «فتح الباري» لابن حجر).

(5) نقله المصنف عن «رسالة في العلم النبوي» للعلامة اليوسي (ت1102هـ)، وقد سبق ذكره في (ص457)؛ وفي (ص566).

(6) نقله المصنف عن «خلع الأطمار البوسية» للقاضي التجموعتي، وقد سبق ذكره في (ص566 - 567).

السواء، وشفوق مرتبته ﷺ على غيره من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لم تزل موجودة. وإن وقعت الشركة بينه وبينهم في صفة من الصفات، لا يزيلها ذلك، ولا غيره، لأنها بجعل الله وإرادته ومشيئته، فلا يمحوها شيء، وشرفه ﷺ أصلي أي: بمحض اختيار الله تعالى لا بتكسب، فلا يوجه بالعُلوم، والأعمال، والأخلاق، والأحوال، كما يوجه بذلك شرف العلماء، والأولياء أهل السلوك.

• بل نقول: لما كانت تلك الأخلاق والأحوال أخلاقه ﷺ شرفت بشرف من اتصف بها، فشرفها، وشرف المتّصفِ بها بانتسابها لهُ، وكذا شرف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصلي بالمعنى المذكور، إلا أنه ﷺ أكملهم وأعظمهم. وثناء الله عليهم بالأخلاق والأحوال، لأنه جعلها صفاتهم ورضيها لهم، وهم أهل حضرة قربه وخواصه. نصّ على هذا المعنى النفيس، الشيخ العلامة سيدي محمد بن زكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* **ثم قال أبو علي:** (على حد علم الله تعالى)[1].

• **قال أبو مروان:** (هذا كفر لا يحتمل التأويل، ولا تختلف فيه الأقاويل، فإن التباين في اللوازم دليل التباين في الملزومات[2]، إذ من لازم علمه تعالى: القدم، ومن لازم علمه ﷺ وكل حادث الحدوث، فما معنى على حد علم الله تعالى؟ وبالضرورة أن علم النبي ﷺ الشامل موجودٌ بإيجاد الله تعالى وتخصيصه نبيه به فضلًا وكرامة، فكيف نذهب على أنه على حد علم الله تعالى؟ و (الحقيقة مباينة للحقيقة)[3]، ولا مانع بينهما. ومن فهم كفهمك أنه على حد علم الله تعالى

---

(1) نقله المصنف عن «رسالة في العلم النبوي» للعلامة اليوسي (ت1102هـ)، وقد سبق في (ص458)؛ وفي (ص567).

(2) سبق التعريف بـ (التباين) في (ص567)، وبـ (اللزوم بين شيئين) في (ص395).

(3) «أم البراهين السنوسية الصغرى» بشرح السنوسي (فصل في صفات المعاني: صفة =

بالكنْه والحقيقة، فلا اختلاف في كفره، ولما (حصر أهل الاعتزال الكلام في الحروف والأصوات، ردّ عليهم ونقض حصرهم أهل السّنة بكلامنا النفْسي، فإنه ليس بحرْف ولا صوت ولا يلزم من ذلك مساواته لكلام الله تعالى بالكنْهِ)[1].

• قال بعض أهل التحقيق[2]: (وعلى طريقة القصر الإفرادي)[3]، فلم يقع الاشتراك بينهما إلا في هذه الصفة السلبية، ردًّا على من زعم مشاركة كلام الله لكلامنا النفسي في الحقيقة وفي الصفة السلبية، ولذلك قال: (أما الحقيقة فمباينة للحقيقة، فتحصّل من هذا أن الاشتراك في الاطلاق اللفظي لا يلزم منه الاشتراك بالكنه والحقيقة)[4].

- قال حجة الإسلام، في الكلام على تسمية الله تعالى لهُ بالرؤوف الرحيم، مع أنهما من أسمائه تعالى الحسنى: (أعطاهما لهُ عليه الصلاة والسلام بمعنى من المعاني التي أطلقت بها عليه تعالى، فجعله ﷺ متحلّيًا ببعض صفاته، كما جعله متخلقًا بأخلاقه بوجه ما، وإن لم يكن ذلك على الوجه الأكمل،

= الكلام، ص31).

(1) نقله المصنف عن «الإرشاد» للجويني أبو المعالي (478هـ) (ص109 وما بعدها)؛ وعن «أم البراهين السنوسية الصغرى» بشرح السنوسي (فصل في صفات المعاني: صفة الكلام، ص31).

(2) يقصد المصنف بـ«بعض أهل التحقيق»: القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني (ت402هـ) كما صرح به العلامة السنوسي التلمساني (ت895هـ) في شرحه على «العقيدة الكبرى عقيدة أهل التوحيد» (ص64). وقد سبقت ترجمته في (ص571).

(3) سبق التعريف بـ (القصر الإفرادي) في (ص571).

(4) «أم البراهين السنوسية الصغرى» بشرح السنوسي (فصل في صفات المعاني: صفة الكلام، ص31).

وفي الخبر: «**تخلقوا بأخلاق الله**»[1]، ومعلوم أن ذلك لا على المعنى اللائق برب العزة، فعلمه ﷺ حادث مخلوق لله تعالى إظهارًا لكرامته ﷺ، وزلفاه من ربه، فلا التباس، ولا اشتباه إلا على أكمه البصر والبصيرة، المصر على هواه، وسيصير إصراره مصيره) هـ[2].

• **أقولُ**: هـذا كله مصادرة عن المطلوب، إذ ليس هذا محل النزاع بينه وبين الخصم، فإيراد ذلك وشبهه هنا لا يجديه نفعا، وتبرؤه من كونه لـم يـرد أن علم النبي ﷺ على حد علم الله تعالى بالكنه والحقيقة، لا يرفع اللوم عنه. وهو مع ذلك حُجة عليه، لا لـهُ. وكـذا اعترافه بأن الاشتراك بينهما إنما هو في اللفظ فقط: حُجة عليه لا لـه. وكذا إقراره بأنه لا جامع بينهما.

والعجب منه كيف ألغى محل النزاع، وجعل يجلب مثل هـذا الكلام الذي لا دلالة فيه أصلًا على مرامه ومطلوبه؟ ـ وإن كان صحيحًا في نفسه ـ، وما درى أن هنالك أمورًا أخرى سوى هذه توجب افتراق العلمين كل الافتراق، وتغايرهما كل التغاير من وجوه شتى، يتفق عليها أهل الحق قاطبة ولا يدفعهما أحد من أهل الشقاق؟

قال الشيخ السنوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3] في بعض كتبه: (لا شك أن العلم القديم يباين العلم الحادث في أمور كثيرة، من جملتها: تناهي معلومات العلم الحادث، وعلم الله تعالى لا نهاية لمعلوماته. ومنها: أن علم الله تعالى محيط بالمعلومات على الجملة والتفصيل، والعلم الحادث إنما تعلقه بذلك النزر اليسير الذي تعلق

---

(1) سبق تخريجه والتعليق عليه في (ص573).

(2) نقله المصنف عن «خلع الأطمار البوسية» للقاضي التجموعتي، وقد سبق ذكره في (ص567 ـ 573).

(3) سبقت ترجمته في (ص569 ـ 570).

به من الموجودات على طريق التفصيل، فعلمنا بالبحر مثلًا إنما هو على الجملة من أنه جسم عريض طويل عميق، وقد اشتمل على حيوانات كثيرة، ولا نعلمه على التفصيل بأن نعلم كم عدد ما فيه من القطرات؟ وكم يتحرك أو يسكن في اليوم أو الساعة من الحركات أو السكنات؟ وكم يعلوه من موج يضطرب فوق بسيطه أنواعا من الاضطرابات؟ وكم فيه من سابح يموج بعضه في بعض من أنواع الحيوانات؟ وكم في كل واحد من جوهره فرد في لحم وعظم وعصب؟...

إلى أن قال: ثم انقل نظرك بمثل هذا في سائر العوالم الأرضيات؛ ثم في العلويات من العرش، والكرسي، والجنة، والنار، والسماوات، إلى غير ذلك من العوالم التي لا شعور لنا بأنواعها، بل ولا بأسمائها، لا جملة، ولا تفصيلًا، وغير ذلك من الكائنات، كل ذلك غائب عن علومنا الحادثة، ومنكشف لعلم مولانا جَلَّ وَعَلَا جملة وتفصيلًا، انكشافًا لايتغير، ولا يعتريه زوال، ويتنزه عن أن يتوقف وجوب اتصافه به على خبرة أو نظر أو استدلال، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله تعالى سبعة عشر نوعًا من الخلق، السموات السبع والأرضون السبع وما فيها عالم واحد من ذلك**»[1].

هذا كله إذا نظرت فيما وُجد من العوالم.

وأما إن نظرت لما سيوجد في المستقبل من ذوات، وأعراض، وأحوال قبل الآخرة، وبعدها في القبور، ومواطن الآخرة مجتمع العوالم العلوية، والسفلية، وما يوجد في الجنة، والنار أبد الآبدين، وأن كل ذلك معلوم مع عدم نهايته على التفصيل لمولانا جَلَّ وَعَلَا في الأزل؛ فلا نظر ولا تأمل؛ فإنه يتحصل من ذلك عبرة عظيمة بجلال الله تعالى، وكمال علمه وقدرته، ونفوذ إرادته، وعلو ذاته وصفاته،

(1) سبق تخريجه والتعليق عليه في (ص667).

وتنزهه عن شريك في ملكه وملكوته)[1] هـ.

بل قال الإمام أبو حامد الغزالي: (إن جميع علوم الملائكة والإنس والجن إذا أضيفت إلى علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يستحق أن يسمى علمًا، بل هو إلى أن يسمى دهشًا، وحيرةً، وقصورًا، وعجز القرب؛ فسبحان من عرف عباده ما عرفهم ثم خاطب جميعهم فقال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] هـ؛ فقفْ عليه وتأمله، وانظر أيضًا إلى قول الخضر لموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وقد نقر نقرة أو نقرتين في البحر: (يا موسى ما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر)[3] هـ[4].

ولعل الغلط إنما جاء أبا مروان من جهة كونه لم يفرق بين: «عليم» الذي هو اسم من أسماء الله تعالى، وبين الذي يعلو على غيره، فإن تفسيره يختلف بحسب ما يطلق عليه، ولو عرف معناه في حق الله تعالى لم يصفه بذلك أصلًا، ولتحاشى عن جميع ما أتى به جملة وتفصيلًا، وقد فسره البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما يناسبه فقال: (هو المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم، وما لا يستطيعون إدراكهُ من غير أن يوصف بعقل أو حس، وذلك راجع إلى أنه لا يعزب عنه شيء ولا يعجزه شيء، كفاقد العقل والحس من المخلوقات. ومعناه: أن لا يشبههم سبحانه ولا يشبهونه. قال الخطابي: العليم العالم بالسرائر والخفيات، التي لا يدركها

(1) نحوه في «شرح العقيدة الكبرى عقيدة أهل التوحيد» للعلامة السنوسي (فصل في قدم صفات الله تعالى وأنها غير حادثة، ص204).

(2) سورة الإسراء، الآية: 85.

(3) سبق تخريجه في (ص461)، وسيأتي برواية أخرى في بداية التتمة (ص1435 ـ 1436).

(4) «إحياء علوم الدين» للغزالي (ج4 ص447، المقام الأول من المرابطة: المشارطة).

علم الخلق، وجاء على فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم) هـ[1].

والمراد بالمبالغة: الكثرة، باعتبار المعلومات التي لا نهاية لها، وإن كان علمه واحدا في ذاته، وحظ العبد منه أن يبالغ في تحصيل العلم. ففي «جواهر الكلام»[2]: (أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «**أوحى الله إلى خليله إبراهيم إني عليم أحب كل عليم**»[3]) هـ من «شرح»[4] الشيخ الشرقاوي[5] على «ورد

---

(1) «الأسماء والصفات» لأبي بكر أحمد البيهقي (ت458هـ) (برقم 71 ج1 ص123)؛ ونقله عبد الله الشرقاوي المصري (ت1227هـ) في «الفيض العرشي شرح ورد السحر» (اللوحة 299).

(2) هو كتاب «جواهر الكلام في الحكم والأحكام من قصة سيد الأنام، معجم مفهرس للحكم النبوية» لعبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (ت510هـ) كما لمّح لذلك عبد الله الشرقاوي المصري (ت1227هـ) في «الفيض العرشي والكشف الأنسي شرح ورد السحر للعارف مصطفى البكري (ت1162هـ)» (اللوحة 299)، وهو كتاب مطبوع عن دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر (1994م). ذكره في «كشف الظنون» حاجي خليفة (ج1 ص616)؛ وفي «هدية العارفين» البغدادي (ج1 ص635).

(3) ذكره في «جامع بيان العلم وفضله» ابن عبد البر (رقم 180 ص57)؛ وقال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار»: (ذكره ابن عبد البر تعليقًا ولم أظفر له بإسناد)؛ وفي «جامع الأحاديث القدسية» عصام الدين الصبابطي (رقم 1035 ج6 ص363).

(4) ذكره عبد الله الشرقاوي المصري (ت1227هـ) في «الفيض العرشي على الكشف الأنسي» (اللوحة 299). وهو شرح على «الفتح القدسي والكشف الأسنى في ورد السحر» لقطب الدين مصطفى البكري (ت1162هـ) ـ مخطوط بالخزانة الوطنية (برقم ك456ـ)، وبخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 2293)، فهرس مخطوطات التصوف، منشورات خزانة القصر الملكي بالرباط (ج2 ص693).

(5) هو عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي الأزهري (ت1227هـ)، وَلِيَ مشيخة الأزهر. من آثاره: «شرح مختصر في العقائد والفقه والتصوف»؛ و«الجواهر السنية على العقائد المشرقية»؛ و«شرح رسالة عبد الفتاح العادلي في العقائد»؛ و«رسالة في لا إله إلا الله»؛ =

السحر»، فقف عليه عموما وخصوصا واستفد منه بطلاق جميع ما يقوله أبو مروان.

على أنه كان من حقه أن يجعل من جملة ما يفترق فيه العلمان أيضا، أن علم النبي ﷺ وإن بلغ ما بلغ، فلا يخرج عن العالم الحادث المخلوق: وهو ما سوى الله تعالى، ولا يصل إلى ذات الخالق سبحانه وصفاته القديمة (الخارجة)[1] عن هذا العالم، فأين هذا من ذاك؟

واستدلاله بكلام الغزالي على ما ساقه لأجله صحيح، ولكن كان المناسب أن لو استدل بإطلاق لفظ «عليم» عليه ﷺ، ولعله إنما ترك ذلك لمشاركة غيره له في ذلك، وموضوع كلامه إنما هو فيما اختص به عليه الصلاة والسلام عن غيره من الأنبياء؛ ثم هو على تقدير أن لو استدل به لم يكن له فيه دليل لما مرّ عن البيهقي في «تفسيره». وبضدها تتبين الأشياء.

تتمة:

قال الشيخ سيدي عبد الكريم الجيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] ما حاصله: (ولا يجوز

= و«فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي» في الحديث؛ و«فتح القدير الخبير بشرح تيسير التحرير في فروع الفقه الشافعي»؛ و«رسالة في مسألة أصولية في جمع الجوامع»؛ و«شرح الحكم لابن عطاء الله السكندري»؛ و«الوصايا الكردية في التصوف»؛ و«تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين»؛ و«مختصر مغني اللبيب» في النحو؛ و«التحفة البهية في طبقات الشافعية». «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» لعبد الرزاق البيطار (ت1335هـ) (ج2 ص1005)؛ وفي «الفكر السامي» للحجوي الثعالبي (رقم 924 ج2 ص679)؛ وفي «الأعلام» للزركلي (ج4 ص78)؛ وفي «معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 7868 ج2 ص234).

(1) قال العلامة الحجوي الثعالبي في هامش المتن ما نصه: (عبارة - خارجة - فيها قلق، فلو قال: لا خارجة ولا داخلة).

(2) هو عبد الكريم الجيلي (767-826هـ) واسمه عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن =

أن يقال إن معلوماته تعالى أعطته العلم من نفسها؛ لئلا يلزم من ذلك كونه استفاد شيئًا من غيره، فيكون مفتقرًا إلى ذلك الغير.

ولقد سهى الإمام محي الدين بن العربي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حيث قال: إن (معلومات الحق تعالى أعطته العلم من نفسها، فلنعذره ولا نقول كان ذلك مبلغ علمه) هـ[1]. وردّ بأنه: (لا سهو؛ لأن العلم صفة لها تعلق واحد بالأشياء ـ قديمة كانت أو حادثة ـ، تعلق انكشاف. ويستحيل أن يوجد علم بدون معلوم يتعلق به، كما يستحيل أن توجد إرادة بدون مُراد تتعلق به تعلقًا صلاحيًا، وأن توجد قدرة بدون مقدور تتعلق به كذلك؛ لأن التعلق نفسي المتعلِّق ـ بكسر اللام ـ لا ينفك عنه. فمعنى قول الشيخ: إن المعلومات أعطت الله العلم أنه لولا تلك المعلومات التي يتعلق بها العلم، وتنكشف به في الأزل، لم يوجد علم لاستحالة علم بدون معلوم، وليس المراد أنه محتاج إلى تلك المعلومات في قيام صفة العلم به كما فهمه الشيخ الجيلي)[2]. وقد ردّ عليه غير واحد بأشنع رد في تعرضه للشيخ الأكبر

= خليفة بن أحمد. وكني بقطب الدين، ولقب بالجيلي أو الجيلاني، نسبة إلى «جيلان» بلدة أسرته. وُلد في جيلان العراق. له ما يزيد على ثلاثين مؤلفاً، في مختلف المواضيع الصوفية والفلسفيّة، منها: «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل»، و«الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم»، و«المناظر الإلهية»، ورسالة «السفر القريب»، و«حقيقة اليقين»، و«مراتب الوجود»، و«شرح مشكلات الفتوحات المكية»، و«الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية»، وغير ذلك. «كشف الظنون» لحاجي خليفة (ج1 ص181)؛ «الأعلام» للزركلي (ج4 ص50)؛ وفي مقدمة «الفكر الصوفي بين عبد الكريم الجيلي وكبار الصوفية» ليوسف زيدان (ص25 وما بعدها).

(1) «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» لعبد الكريم الجيلي (ص 81).

(2) «الفيض العرشي شرح ورد السحر» عبد الله الشرقاوي المصري (ت1227هـ) (اللوحة 299).

في هذه المسألة وغيرها)) هـ من «شرح» الشرقاوي[1].

* ثم قال أبو علي: (أم تعميمًا إضافيًا)[2].

• قال أبو مروان: (الإضافي: لا فضيلة فيه لحصوله لكثير من خواص عباده، والمقام مقام إظهار ما اختصه به ربه، وانشرح له صدره وقلبهُ، وأئمة الدين والفتوى أبقوا الحديث على عمومه، وانتهجوا به منهج التقوى الذي لا تطيق ذوو الأهواء مخالفته ولا تقوى) هـ[3].

• أقول:

أما قوله: (الإضافي: لا فضيلة فيه لحصوله...) لخ: فهو كقوله فيما تقدم، إذ لا فضيلة في الخصوص لمشاركة الغير فيه، وقد سبق اعتراضه.

أما قوله: (وأئمةُ الدين والفتوى أبقوا...) لخ: ففيه نظر، إذ الواقع في نفس الأمر هو عدمُ خوضهم في هذه المسألة، وعدم تعرضهم للكلام فيها بوجهٍ، وإنما تلقوا لفظ الحديث بالقبول ولم يتعرضوا لما وراء ذلك، ومثل هذا لا يقال فيه ذلك كما هو واضح، والله أعلم.

* ثم قال أبو علي: (يقال له ما تريدُ؟ الحقيقي أو الإضافي)[4].

• قال أبو مروان: (إنما أورده الشارع صلوات الله وسلامه عليه، فإنه القائل:

---

(1) «الفيض العرشي شرح ورد السحر» عبد الله الشرقاوي المصري (اللوحة 299).

(2) «رسالة في العلم النبوي» للعلامة اليوسي (ت1102هـ)، وقد سبق في (ص458).

(3) «خلع الأطمار البوسية» للقاضي التجموعتي وقد سبق في (ص573 ـ 575).

(4) «رسالة في العلم النبوي» للعلامة اليوسي، وقد سبق في (ص457).

«أوتيت علم كل شيء»[1]، و«تجلى لي علم كل شيء»[2]) هـ[3].

• أقول: الشارع لا يرد عليه شيء من هذا، وإنما يرد الإيراد على من أراد أن يفهم خلاف المراد، وتعرض لمنكر شنيع اختص به من دون سائر العباد، فهو الذي يقال له ذلك، وأزيد مما هنالك.

• وكذا قوله: (يتعين بقاء كل في الحديث على معناه من الإحاطة والعموم إذ لا وجه للعدول عن ذلك مع ظهوره، والتخصيص بلا مخصص من فُتُور النظر وقصوره) هـ[4]:

واضح الفساد، بل العدول عن ذلك له وجه وجيه، كيف وهو المتعين الجاري على قواعد الشرع وأصوله، بل هو الجاري على مقتضى الدليل العقلي الذي لا يتأتى سواه، ولا يمكن إلا الجريُ على سننه ومُقتضاهُ، وإلا لوقعْنا في المحذور وارتكبنا السنن المهجور.

• وكذا قوله: (على أن القول بالعموم الإضافي غض من مرتبة الشارع، ومن وفور علمه؛ وفي «المختصر»: (أو وُفُور علمه عطفًا على ما يقتل فيه من صدر عنه شيء من ذلك حدا بلا استتابة)[5]) هـ[6]:

غير مسلم، وإنما الغض العظيم الذي لا غض يشبهه في مقابله، وما مثله في

---

(1) سبق تخريجه في (ص378) و(ص389).

(2) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(3) «خلع الأطمار البوسية» للقاضي التجموعتي وقد سبق في (ص576 ـ 577).

(4) «خلع الأطمار البوسية» (ص579).

(5) «مختصر العلامة خليل المالكي» (باب في بيان حقيقة الردة وأحكامها، ص249).

(6) «خلع الأطمار البوسية» للقاضي التجموعتي وقد سبق في (ص579 ـ 581).

ـك إلا كمثل «من أراد أن يعمر ديارًا فهدم أمصارًا»[1].

• **وكذا قوله:** (وألفاظ الشارع كلها تفهم على ظاهرها، ما لم يمنع من ـك مانعٌ، ولا مانع في المسألة عقلًا ولا نقلًا، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «إني لأراكم من وراء ظهري»[2]:

قال الإمام الشافعي: (هذه كرامة من الله أبانه بها عن خلقه)[3].

وقال ابن حجر: (هي رؤية إدراك بالبصر)[4]، والرؤية الواقعة على جهة الكرامة لا تتوقف على شعاع ولا على مقابلة عند أهل السنة.

وما قيل من أنه: (كان لهُ عينان بين كتفيه ﷺ كسم الخياط لا تحجبهما الثياب: لم يثبت ما يدل عليه)[5]، والأصل عدمه، فكذا نقول هنا: الإحاطة بجميع ما ذكرته يا فُلُ! مفصلًا على سبيل الإنكار والاستغراب جاءك من قياس عقلك)[6]، ثم أنشد:

(قاس اليوسي هنا قياسًا فاسدًا فجعل البابين بابًا واحدًا) هـ[7]

---

(1) سبق توثيق المثل في (ص458).

(2) سبق تخريجه في (ص594).

(3) قول الإمام الشافعي ذكره البيهقي في «دلائل النبوة» (ج6 ص73، باب ما جاء في رؤية النبي ﷺ أصحابه وراء ظهره)؛ والذهبي في «تاريخ الإسلام» (ج1 ص695).

(4) «فتح الباري» لابن حجر (كتاب الصلاة: أبواب استقبال القبلة: باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكر القبلة، ج1 ص732).

(5) «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني (ج1 ص732)؛ وفي «فيض القدير» للمناوي (ت1031هـ) (رقم 154 ج1 ص145).

(6) «خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية» للقاضي التجموعتي (ص594 ـ 595).

(7) سبق ذكر هذا البيت والتعليق عليه في (ص595).

كله تهويل ليس عليه تعويل، بل المانعُ من حملها على ظاهرها قائم موجود، وهو قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]، وأي دليل كهذا الدليل؟ ألا ترى إلى ما فيه من أدوات الحصر؟ وإلى «مَن» الموصولة التي هي من صيغ العموم؟ وذكر السّموات والأرضين اللاتي لا يخرج مخلوق من المخلوقات عنهن مع الإتيان بالفعل المضارع المنفي المفيد للتجدد والحدوث؟ إلى غير ذلك؟ فإذا ضممت إليه الدليل العقلي: وهو استحالة تسوية المخلوق لخالقه تقوّى الأمر جدًّا قـوة لا يلحقها شيء.

ثـم ذكر لـ (شيء) الواقع في الحديث أربعة معانٍ قائلًا:

(فإن اعتبرنا أخذه من المشيئة من غير تقييد؛ كان بمنزلة مشيء، ومراد فيعم الممكن الموجود والمعدوم، ولا نزاع في صحته وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2]، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[3]، وهذا هو المعنى الأول.

الثاني من المعاني والإطلاقات اللغوية: أن يكون بمعنى الممكن الموجود في الخارج، وهو الوجود العيني، وهو المراد من قول بعضهم أنه يسمى به الكائن؛ لأن الله تعالى شاء أن يكون فاعتبر فيه المشيئة بقيد الإيجاد والتكوين، وكأنه لاحظ الاشتقاق ومذاهب النظار، فإن اصطلاح المتكلمين من أهل السنة والجماعة أنه الموجود الخارجي؛ لتصريحهم بنفي الوجود الذهني، ومن حجتهم قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾[4].

---

(1) سورة النمل، الآية: 65.

(2) سورة النحل، الآية: 40.

(3) سورة الكهف، الآية: 23.

(4) سورة مريم، الآية: 9.

والثالث من الإطلاقات: أن يكون بمعنى الموجود مطلقًا عند مثبت الوجود الذهني.

والرابع من الاطلاقات: إطلاقه على ما يصح أن يعلم ويخبر عنه من موجود ومعدوم واجبًا أو جائزًا أو مستحيلًا.

الحاصل من ذلك كله: أنه لا خلاف في إطلاقه على المعدوم مجازًا، وهو قول أهل السنة ـ أو حقيقة ـ وهو قول أهل المعتزلة في المعدوم الممكن.

والخلاف في هذه المسألة راجع للاطلاق فقط والمقصود من الحديث الإطلاق الرابع فإنه المناسب لحاله ﷺ) هـ[1].

• **أقول:** قد أفصح بهذا عن مراده غاية الإفصاح، وأغنى فيه بالإصباح عن المصباح، فإن كون هذا الإطلاق الرابع لشيء هو المراد هنا مما لا نسلمه بوجه، وإنما المراد غيره، ولو كان هذا هو المقصود كما زعم، للزم منه إثباتُ المماثلة لصفةٍ من صفاته تبارك وتعالى، وهو محال.

قال في «المرشد المعين» عطفًا على ما يجب اعتقاده في حق مولانا تبارك وتعالى:

وخلقه لخلقه بلا مثال   ووحدة الذات ووصف والفعال(2)

---

(1) نقله المصنف عن «خلع الأطمار البوسية» للقاضي التجموعتي (ص596 ـ 597).

(2) «منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين» لابن عاشر الأنصاري الأندلسي الفاسي (ت1040هـ)، بـ«حاشية» أبي عبد الله محمد الطالب ابن سيدي حمدون بن الحاج (ت1274هـ) على «شرح محمد ميارة الفاسي» (ت1073هـ)». (كتاب أم القواعد ج1 ص41).

ثم قـال:

يستحيـل ضد هـذه الصفات ....

إلى أن قال:

.... وأن يمـاثـل..........[1]

وقال صاحب «المراصـد»:

ولـم يشابهـه سـواه مطلقا في الـذات والصفات قولا حققا

فـلا مشـاركة أصـلًا تلحق ومـا مـن الأسمـاء قـد يتفق

ما اشتركا أمـرًا سوى اللفظ فما مـن نسبـة حقيقة بينهما[2]

ويلزم على كلام أبي مروان، أن يكون معنى حديث الطبراني الذي جلبه أنه لم يبق هنالك شيء يمكن علمه، أو يجب أو يستحيل إلا وقد علمه النبي ﷺ بحيث لا يخرج شيء ما كائنًا ما كان عن علمه ﷺ، ولا مزيد أصلًا على ما حصل عنده من ذلك؛ ولا شك أن هذا فاسد، إذ هو عين المساواة بين العلمين: القديم

---

(1) «منظومة المرشد المعين» (ج1 ص66)، وتتمته:

ويستحيـل ضد هـذه الصفات العـدم والحـدوث ذا للحادثات

كـذا الفنـا والافتـقـار عُـدَّهْ وأن يمـاثـل ونفـي الوحـده

(2) المرصد الأول فيما يرجع إلى ذاته تعالى (الظهر6) من «مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد» أرجوزة في علم التوحيد لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري المالكي (ت1052هـ)، أولها:

الحـمـد للّـه العظيم الشان الملـك الفـرد بغيـر ثـان

الـواجب الـوجود والتنزيه لـذاتـه عـن سمـة التشبيه

مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 614-6057-9033وغيرها). «فهرس المخطوطات بخزانة القصر الملكي بالرباط» (ص409). وبالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 2950د) و(برقم 2173 د/ 9)؛ و(برقم 1645 د) و(برقم د- 952). كما ذكر هذه الأبيات في «شرح توحيد الرسالة» (ج2 ص443) محمد ابن قاسم جسوس (ت1182هـ).

والحادث، وهـذا مما يتنزه عنه المولى جَلَّ وَعَلَا، ورسوله ﷺ، ويستحيل أن يكون مقصودًا لهُ في قوله: «**أوتيتُ علم كل شيء**»[1]، و«**تجلى لي كل شيء**»[2]، على أن الواقع في الخارج، خلاف ما زعمه، لأن الذات العلية، وصفاتها السنية، لا يمكن أن يتسلط علم النبي ﷺ عليها، ولا يتأتى له، ولا لغيره أن يعلمها، وأما الله تبارك وتعالى، فهو عالـم بذلك، ولا يخفى عليه منه شيء سبحانه.

فإن قلـت: إذا كان كذلك، فعلى مَا يحمل (شيء) في الحديث الشريف؟

قلـتُ: الأقرب عندي أن يحمل على المعنى الثاني، والإطلاق الثاني من الإطلاقات المذكورة: وهو أن يراد به الممكن[3] الموجود في الخارج[4]، مع

---

(1) سبـق تخريجه في (ص378) و (ص389).

(2) سبـق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(3) **الممكن:** هو الذي لا يلزم من فرض وجوده، ولا من فرض عدمه محال لذاته. وقيل: الممكن هو الذي يقبل الوجود والعدم من حيث هو هو. وقيل: هو الذي لا ضرورة في وجوده، ولا في عدمه من حيث هو هو. «المباحث العقلية في شرح العقيـدة البرهانية» لأبي الحسن اليفرني الطنجي (ت734هـ) (ج2 ص741)؛ وينظر الأصوليون إلى الممكن من حيث يحتاج إلى العلة التي تخرجه من العدم، ويقولون: لا بد لكل ممكن من علة يجب وجوده عند وجودها، وعدمه عند عدمها؛ فهو بالنظر إلى وجود العلة واجب، وهو الوجوب للغير؛ وبالنظر إلى عدمها ممتنع، وهو الامتناع بالغير. والممكن عند المتكلمين معناه أنه جائز الوجود وجائز العدم، فيستوي طرفاه ـ أعني الوجود والعدم ـ باعتبار ذاته. فإذا وجد فإنما يوجد باعتبار موجده، ولولا موجده لما استحقَّ إلا العدم. فهو إذن مستحق الوجود والعدم بالاعتبارين المذكورين؛ وللممكن عند الفلاسفة معنيان: الأول: سلب الضرورة، وهو قد يكون بحسب نفس الأمر، ويسمى إمكانًا ذاتيًا، وإمكانًا خارجيًا، أو يكون بحسب الذهن، ويسمى إمكانًا ذهنيًا، وهو ما لا يكون تصور طرفيه كافيًا، بل يتردد الذهن بالنسبة بينهما. «موسوعة المصطلح في التراث العـربي» للكتاني (ج3 ص2688).

(4) **الموجود:** كاصطلاح فلسفي هو الثابت في الذهن أو في الخارج، وهو من المعاني =

احتمال أن يُراد كل ممكن أو بعضه فقط. هذا ما ظهر لي والله أعلم.

* ثم قال أبو علي: (وأشركت مع الله غيره)[1].

• أبو مروان: (المشرك من يقول بمثلية وصف الحادث للصفة القديمة في القدم كما في أساطيرك، وأما والنبي ﷺ يقول: «أوتيتُ»، أي: أعطيتُ، ومعلوم أنه لا مُؤتي ولا معطي إلا ربه جَلَّ وَعَلَا، فلا) هـ[2].

• أقول: هذا الكلام من أعجب ما يسمع، فإن المماثلة بينهما حاصلة على كلامه قطعًا كما هو ظاهر، ومع ذلك لم يتفطن له، ولا ظن أن الفرق بينهما، فما ذكره كاف، وما درى أنه لا يكفي؟ كيف، وقد جعل كلا من العلمين يتعلق بكل معلوم موجودًا كان أو معدومًا، واجبًا أو جائزًا أو مستحيلًا، فدخل في الواجب الذات العلية وصفاتها السنية، وظن مع هذا أنه لم يحكم بالمماثلة بينهما هيهات!

* ثم قال أبو علي: (فهات دليلًا على وقوع هذا العموم)[3].

• أبو مروان: (أي دليل تطلبه بعد قول الصادق المصدوق ﷺ: «أوتيت»[4]

= الأولية أو البديهية التي يصعب تعريفها. قال ابن سينا: (الموجود لا يمكن أن يشرح بغير الاسم، لأنه مبدأ أول لكل شرح، فلا شرح له، بل صورته تقوم في النفس بلا توسط). ويميز الفلاسفة بين عدة مستويات للموجود، فيذكرون الموجود بذاته، والموجود بالعرض، والموجود بالفعل، والموجود بالقوة، والموجود في الأعيان، والموجود في الأذهان. «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج3 ص2763).

(1) «رسالة في العلم النبوي» للعلامة اليوسي، وقد سبق في (ص458).

(2) «خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية» للقاضي التجموعتي (ص597).

(3) «رسالة في العلم النبوي» للعلامة اليوسي (ت1102هـ)، وقد سبق في (ص460).

(4) سبق تخريجه في (ص378) و (ص389).

وتجلى لي كل شيء»[1]، بصيغة الجزم بوُقوع ذلك وحصوله، فإن كنت تصدق به وبما جاء به، فلا دليل بعد قوله، وإلا كان عتابك السيف، قال أهل العلم: (حصلت له ﷺ هذه الفضيلة آخر أحواله بعد انقطاع إيحاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ)[2]. كذا قال بعضهم، أعني: (بعد انقطاع إيحاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ). وأنكر بعضهم هذه الزيادة.

ثم اختلف القائلون بذلك:

- فطائفة منهم قالت: هذه الحالة حصلت له ﷺ ـ أعني حالة العلم بكل شيء ـ إلا أنها غير دائمة.

- وقالت طائفة: هي نعمة من الله اختصه بها، والكريم لا يقطع عوائده، كما نعم الله فيما مضى، كذلك ينعم فيما بقي.

- ثم أوردت سؤالًا عن احتياجه ﷺ إلى الوحي، بمعنى أنه إذا كان بحالة العلم بكل شيء، فما فائدة الوحي؟ وهل ذلك إلا من تحصيل الحاصل؟

- فكان الجواب: (إن ذلك مقتضى العبودية وإظهار الافتقار من لوازمها) هذا كلامهم باللفظ[3].

---

(1) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(2) قاله الإمام الشعراني كما صرح بذلك القاضي التجموعتي في آخر رسالته «خلع الأطمار البوسية».

(3) (الضمير مبهم على مبهم، وهو أهل العلم، ومثل هذا غير مقبول عند النظار، فالواجب تعيين من قال، ومن أين أخذ المقال، ومثل هذه المسألة لا تثبت برأي الرجال). قاله العلامة الحجوي الثعالبي في هذا الموضع من «حاشيته» على «خلع الأطمار البوسية» (ص618 ـ 619).

قلتُ: يشهدُ للأول: «لستُ كهيئتكم، أني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين»[1]. فهذه حالة، وشدّ ﷺ على بطنه حجرين:

وشدّ من سغب أحشاءه وطوى .... البيت[2]

وهذه حالة أخرى تخالفها.

ومن استقرأ أحواله ﷺ وقف من هذا الباب على كثير، لأنه ﷺ ذو أحوال وذو أطوار، ومما يشهد لعموم علمه ﷺ دائمًا أو لا دائمًا قول الصحابة رضي الله عنهم في مقامات عديدة: (الله ورسوله أعلم)[3]، ويقرهم على ذلك، وما نهاهم عنه قط مع كثرة صدوره منهم في المجامع الحافلة، وقد نهاهم أن يقولوا: «ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ما شاء الله ثم ما شاء فلان»[4] كما في «السنن») هـ[5].

• **أقول**: هذا كله لا دليل فيه، ولا حجة، وإن كان حقًا وصدقًا في نفسه، إذ لا يمكن أن تقصد طائفة من المؤمنين ـ فضلًا عن العلماء الراسخين ـ إلى الحكم على النبي ﷺ بأنه يعلم جميع الغيوب التي اشتمل عليها هذا العالم، وغيره، وما كان قبل وجود بني آدم، حتى الذات العلية وصفاتها السنية.

وفهم المماثلة بين علم الله تعالى، وعلم نبيه محمد ﷺ من مجرد قول الصحابة رضي الله عنهم: «**الله ورسوله أعلم**»[6] لا يخفى ما فيه؛ فإن هذا مما يتنزه عنه

---

(1) سبق تخريجه في (ص619).

(2) من «قصيدة البردة» للإمام البوصيري (البيت 31 ص9)؛ وفي «ديوان البوصيري» لصلاح الدين الهواري (البيت 30 ص423)؛ والبيت بتمامه:

وشدّ من سغب أحشاءه وطوى   تحت الحجارة كشحًا مترف الأدم

(3) سبق تخريجه في (ص620).

(4) سبق تخريجه في (ص620).

(5) «خلع الأطمار البوسية» للقاضي التجموعتي (ص616 ـ 620).

(6) سبق تخريجه في (ص620).

صغار الطلبة -فضلًا عن كبارهم- وإنما هو دال على شدة أدبهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معه ﷺ، ورسوخ معرفتهم به، وتواضعهم لله ورسوله، ورد جميع الأمور إلى الله ورسوله، ولذا أقرهم على هذا القول، وما ورد أنه نهاهم عنه قط. كيف؟ وهو دال على شدة الأدب المطلوب مع الله ورسوله، وقد عاتب الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث لم يرد العلم إلى الله[1].

وإنما نهاهم أن يقولوا: «ما شاء الله وشاء فلان»[2] بالعطف بالواو، ولما فيها من الدلالة على الجمع المطلق الذي لا يدل على الفصل والتراخي والمهلة، فربما يتوهم من ذلك مساواة المعطوف للمعطوف عليه في الرتبة، ولما كانت «ثم» تدل على ذلك، جاز العطف، لفقد توهم المساواة بينهما.

على أنه ورد تصريحه ﷺ بنفي علمه ببعض الأشياء، ورد العلم فيها إلى الله عَزَّوَجَلَّ مع التفصيل تارة، ومع الإجمال تارة أخرى، مع احتمال أن يكون ذلك قبل أن يطلعه الله سبحانه عليها أو مطلقًا، فمن ذلك:

• ما ثبت في «الصحيح» عن علي - حسبما ذكره الحاكم وأخرجه أبو داوود - أن رسول الله ﷺ قال: «**لا أدري أعزير نبي أم لا؟ ولا أدري أذو القرنين نبي أم لا؟**»[3]، قال ابن أبي شريف[4]: (وقد ذكر شيخنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» طرفًا صالحًا في هذا المعنى - يعني قول: «**لا أدري متى**»؟) - عن النبي ﷺ وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ) هـ.

(1) سبق تخريجه في (ص461)، وسيأتي برواية أخرى في بداية التتمة (ص1435 - 1436).
(2) سبق تخريجه في (ص620).
(3) سبق تخريجه في (ص529).
(4) سبقت ترجمته في (ص351).

يعني: فما ظنك بغيرهما.

• ومنها ما ثبت في حديث ابن مسعود من قوله ﷺ في دعائه: «أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»(1).

• ومنها قوله ﷺ في دعائه أيضًا: «وبأسمائك الحسنى: ما علمت منها، وما لم أعلم»(2).

• ومنها قوله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»(3).

• وقوله أيضًا في حديث الشفاعة: «فيفتح عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه ما لا أقدر عليه، إلا أن يلهمنيه الله عَزَّوَجَلَّ»(4) أو كما قال ﷺ.

* ثم قال أبو علي: (ومن الدلائل عقلًا... لخ)(5).

- أبو مروان: (هذا الدليل منقوض من غير ما جهة، لأنه مبني على ما توهمه من تعلق القدرة بما لا تتعلق به، وعلى ما تخيله من الورائية لما لا يتناهى، وما لا يتناهى لا يتعقل له وراء، فالممكنات لا تتناهى، إذ كل موجود ممكن يصح وجود مثله، ولا وقوف للعقل على غاية يحكم عندها باستحالة وجود ذلك، لأن ما صح على الشيء، صح على مثله، وهكذا لا إلى نهاية.

- فقوله: (لتناهت): باطل؛ لملزومية خلق علم آخر في المحل الذي قام به العلم، لاجتماع المثلين الملزوم لاجتماع الضدين، وأنه محال، فلا يصح متعلقًا

---

(1) سبق تخريجه في (ص534).

(2) سبق تخريجه في (ص534).

(3) سبق تخريجه في (ص499 ـ 500).

(4) من حديث الشفاعة، سبق تخريجه في (ص543).

(5) نقله المصنف عن «رسالة الإمام الحسن اليوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ» (ص462 وما بعدها).

للقدرة، ومعلومية كل شيء ثابتة لا إلى نهاية، ضرورة أن المعلومات كالممكنات، لا نهاية لها، ولا يلزم من ذلك ثبوت المثل لعلمه تعالى لتحقق البدلية.

وقد أجمع المسلمون على أن نعيم الجنان وعذاب الكفار لا نهاية لهما، وهما حادثان مخلوقان لله تعالى، فسبحان الفاعل المختار، والمخصص من شاء بما يشاء ويختار.

فتلخص من هذا: أن علمه ﷺ كما أخبر متعلق بغير المتناهي، والمتعلق بغير المتناهي غير متناه) هـ[1].

- أقول: فهم هذا المحل على ما ينبغي، يتوقف على جلب كلام أبي علي، لأنه منزل عليه ولم نظفر به[2]، ولعله أشار بهذا الكلام إلى دوام ترقيه ﷺ في مقامات[3] العرفان، وأنه ﷺ لم يزل يترقى في العلوم والمعارف

---

(1) نقله المصنف عن «خلع الأطمار البوسية» للقاضي التجموعتي في (ص640).

(2) كلام الإمام العلامة أبو علي الحسن اليوسي: في هذا المحل هو: (ومن الدليل عقلًا على ما ذكرنا أن يقال: علم الحادث حادث متعلق للقدرة الأزلية، ومعلوم أن المقدورات لا تتناهى لاستحالة التخصيص، لا بالأعداد ولا بالأزمان؛ فالعلوم الحادثات لا تتناهى، ولو علم كل شيء على ما فسرنا لتناهت، بحيث لا يمكن خلق علم آخر وراء ما علم ضرورة بطلان تحصيل الحاصل، فيلزم التخصيص والعجز وهو باطل، وأما النقل فكثير....). «رسالة الإمام الحسن اليوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «سبقت في (ص462 وما بعدها).

(3) **المقام**: هو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب، مما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق بضرب تطلب، ومقاساة تكلف، فمقام كل واحد في موضع إقامته عند ذلك، وما هو مشتغل بالرياضة له. وشرطه أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل، ومن لا توكل له لا يصح له التسليم، ومن لا توبة له لا يصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد. والمقام هو الإقامة، ولا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام، ليصح بناء أمره على قاعدة =

والأسرار، وأن الله تبارك وتعالى لا يزال ممدًّا له من خزائن رحمته، ومفيضًا عليه من بحور كرمه بعلـوم وهبية لدنية، وقتًا بعد وقت، وحالًا بعد حال، وهو صحيح؛ ومع هـذا فلا نسلم أنه لـم يبق هنالك شيء يمكن أن يعلم إلا وقد علمه؛ بل نعتقد أنه بقي هنالك شيء آخر لـم يعلمه، ولا يصح له، ولا لغيره من المخلوقات أن يعلمه: كالـذات العلية وصفاتها السنية[1].

* ثـم قـال: (وأما معنى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[2]، فليس كما ذكرت، وإنـما معنى الآية: إلا بمـا شـاء أن يحيطوا به، فالإحـاطة داخلة تحت المشيئة. وقد أخبر الصادق المصدوق بحصول ذلك له وبالضـرورة أنه بمشيئة الله وإرادته واختياره.

وقد أورد بعض أهل العصر لمـا وقف على إملائنا في المسألة، ما نصوا عليه من أن: (سر القدر لا يعلمه إلا الله، وذلك كصورة تعلق القدرة بالمقدور حال الإيجاد)[3].

فأجبته: بأن الشيخ محيي الدين قدس الله سره، نص على أن: (الله تعالى

= صحيحة. «الرسـالة القشيرية» لأبي قاسم بن هوزان (ص56)؛ و«معجم اصطـلاحات الصوفية» لعبد الرزاق الكاشاني (ص107).

(1) قـال العلامة الحجوي الثعالبي في الهـامش، مـا نصـه: (المراد: الكنه والحقيقة كما هو ظـاهر).

(2) سـورة البقرة، الآية: 255.

(3) مـن كـلام الإمـام الشعراني. ينظر «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر» (عند الكلام على اسمه الله تعالى» القادر» ج1 ص160)؛ وفي «حـاشية العطار على شـرح الجلال المحلي على جمـع الجوامع» (ج2 ص455).

قد طوى علم سر القدر عن سائر الخلق ما عدا محمدًا ﷺ)[1]، وذكر عن نفسه أنه يعلمه بحكم الوراثة المحمدية، ثم قال: (لكن، لا يسعنا الإفصاح عنه لغلبة منازعة المحجوبين فيه)[2].

ثم قال: (قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[3]، فأدخله تحت المشيئة، وقد دلت الأحاديث على حصول ذلك له ﷺ، فإنه قال: «**أوتيتُ علم كل شيء**»[4]؛ و«**تجلى لي كل شيء**»[5]، فالعدول عن ظاهر الحديث تكذيب له، وصرف له عن معناه الظاهر منه، من غير داع عقلي، ولا شرعي) هـ[6].

• **أقول**: مراده من هذا ـ والله أعلم ـ حسبما يتبادر منه، أنه ليس هنالك شيء ينفرد به علم [الله] تعالى عن علم رسوله ﷺ، تعالى [الله] عن ذلك علوًّا كبيرًا، وأنه لم يجر مثالًا يمثل به صورة انفراد العلم القديم عن علم النبي ﷺ الحادث، فلم يبق إلا حكم بالمماثلة بينهما في العموم، والشمول، والإستغراق بجميع المعلومات: الظاهرة والخفية، الملكية والملكوتية، السرية والجهرية،

---

(1) نقله الإمام الشعراني في «اليواقيت والجواهر» (ج1 ص160)، وقال: (قاله الشيخ – يعني ابن عربي – في شرحه لـ«ترجمان الأشواق»؛ وذكره العطار في «حاشيته على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع» (ج2 ص456)؛ وكذا محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة (ت1367هـ)، في حاشيته على «الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق لأحمد بن إدريس القرافي (ت684هـ)» (الفرق113 القاعدة 18: التفضيل بالتأثير، ج2 ص368).

(2) السابق نفسه.

(3) سورة البقرة، الآية: 255.

(4) سبق تخريجه في (ص378) و (ص389).

(5) سبق تخريجه في (ص388 ـ 389).

(6) نقله المصنف عن «خلع الأطمار البوسية» للقاضي التجموعتي في (ص643 ـ 644).

الغيبية وغير الغيبية، ولما أورد عليه بعض أهل عصره صورة يتوهم انفراد علم الله تعالى بما أجاب بأن النبي ﷺ قد شارك ربه جَلَّ وَعَلَا في العلم بذلك، ولم يختص به عنه، بل وكذا غيره، فيكون هذا من أقوى الأشياء الحاملة له على القول بتساويهما في هذه الصفة وإن اختلفت في القدم والحدوث. وما درى أن السبب الموقع له في هذه الورطة هو القصور، وأن مفاسد الجهل وقلة التأمل مما يطيق عنها نطاق البيان، فنسأل الله جَلَّ وَعَلَا العصمة من ذلك إنه عظيم الطول والإحسان.

كيف؟ وقد ورد عنهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه قال: «**إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم**»(1)، فانظر رحمنا وإياك، هل يمكن أحد أن يدعي أن النبي ﷺ غير داخل فيمن لم يثبت له إدراك حقيقة الذات العلية ومعاني الأسماء والصفات؟ بل هو داخل في ذلك. وإذا كان كذلك، فعلمه ﷺ قاصر غير محيط بالموجودات كلها، وعلمه تبارك وتعالى هو المحيط بها على الإطلاق والشمول والاستغراق، فافترقا.

وقد منع النبي ﷺ بنفسه من التفكر في ذات الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(2)؛ قال الحاتمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أي: لا تتفكروا فيها لارتفاع المناسبة بين ذات الحق وذات الخلق؛ وأهل الله لما علموا مرتبة الفكر، وأنه غاية علماء الرسوم وأهل الاعتبار من الصالحين، وأنه يعطي المناسبات بين

---

(1) لم أقف عليه في كتب الأحاديث المعروفة، وذكره ابن عربي الحاتمي في «الفتوحات المكية» (ج5 ص224)؛ وفي (ج1 ص148)؛ وكذا في (ج7 ص44)؛ والصفوري (ت894هـ) في «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (ج2 ص146)؛ وعبد الله الشرقاوي (ت1227هـ) في «الفيض العرشي والفتح القدسي شرح ورد السحر» (اللوحة 174)؛ والألوسي (ت1270هـ) في «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» (ج4 ص243).

(2) سورة آل عمران، الآية: 28.

الأشياء: تركوه لأهله، ولم يجعلوه من أحوالهم، بل ارتقوا عنه إلى المكاشفة والمشاهدة الباطنية) هـ[1].

فحقيقتُه تعالى لا يمكن إدراكها من كل وجه ـ لا في الدنيا، ولا في الآخرة ـ لأكمل الخلق، فضلًا عن غيره من أهل المراتب الشامخة، فضلًا عن غيرهم.

ويشهد لذلك أيضًا حديث:

- **«كل الخلق في ذات الله حمقى»**[2].

و**«سبحانك ما عرفناك حق معرفتك»**[3].

- **«لا أثني عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**[4].

---

(1) «الفتوحات المكية» لابن عربي الحاتمي (ت638هـ) (ج3 ص347). ونقله عبد الله الشرقاوي في «الفيض العرشي» (اللوحة 174).

(2) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل، أورده أبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج1 ص306)؛ والغزالي في «إحياء علوم الدين» (كتاب ذم الغضب والحقد ج3 ص233)؛ والسبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (ج6 ص342) ضمن الفصل الذي خصه لذكر الأحاديث الواردة في «إحياء علوم الدين» ولم يجد لها إسنادًا.

(3) رواه أبو الشيخ في العظمة» (برقم 515 ج3 ص994)؛ ورواية الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (برقم 8739 ج4 كتاب الأهوال، ص629)؛ وعبد الجليل القصري في «شعب الإيمان» (ج1 ص262) و (ج2 ص379): عن سلمان عن النبي ﷺ قال: «**يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن السموات والأرض لوسعت فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك...**» الحديث. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه). ولمحمد بن قطب الدين الأزنيقي (ت885هـ) [ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد (ج9 ص513)] رسالة في شرح «**سبحانك ما عرفناك حق معرفتك**» وبيان موقف الناس منها؛ فمنهم من نسب قائلها إلى الكفر، ومنهم من نسبه إلى الخطأ والخطل. «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» بدر الدين العيني الحنفي (ت855هـ) (ج23 ص198)؛ وفي «كشف الظنون» لحاجي خليفة (ت1067هـ) (ج1 ص871).

(4) سبق تخريجه في (ص499 ـ 500).

- و﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾[1]، إلى غير ذلك.

فهذه الكلية: أعني قوله ﷺ: «كل الخلق في ذات الله...» لخ، هي الكلية الحقيقية التي لا تقبل التخصيص بحال، بخلاف الكلية الأخرى، وهي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أوتيت علم كل شيء»[2]، فإنها مخصصة، وليست على عمومها قطعًا كما رأيته عيانًا بالبرهان الواضح.

وقد قال الإمَامُ حجة الاسلام أبو حامد الغزالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أكبر من أن يُنال بالحواس، ويدرك كنهُ جلاله بالعقل والقياس؛ بل أكبر من أن يعرفه غيره، فإنه لا يعرف الله إلا الله، فإن منتهى معرفة عباده أن يعرفوا أنه يستحيل منهم معرفة الحقيقة، ولا يعرف ذلك بكماله نبي ولا صديق: فأما النبي ﷺ فيعبر عنه ويقول: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[3]؛ وأما الصديق فيقول: (العجز عن درك الإدراك إدراك)[4] هـ[5].

قلتُ: وهنا ما هو أدق من هذا وأرشق: وهو عدم إطلاع الخلق كلهم على كُنه حقيقة العلم القديم، الذي هو صفة من صفات الله تعالى، وكذا جميع صفاته تعالى لا تدرك بالكنه كالذات العلية، وإذا كان كذلك، فأحرى في المنع مشاركته

---

(1) سورة المائدة، الآية: 116.

(2) سبق تخريجه في (ص378) و(ص389).

(3) سبق تخريجه في (ص499 ـ 500).

(4) قال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (العجز عن درك الإدراك إدراك، والبحث عن كنه ذات الله تعالى إشراك). أورده ابن العربي المعافري في «الأمد الأقصى» (السابقة السابعة: في صحة معرفة الله.. ج1 ص225)؛ والغزالي في «إحياء علوم الدين» (كتاب التوحيد والتوكل، ج4 ص335)؛ وعبد الكريم الجيلي في «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» (ص19)؛ والسيوطي في «حاشيته على سنن النسائي» (برقم 169 ج1 ص111)؛ وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (ج2 ص216): (لا يصح).

(5) «الأربعين في أصول الدين» للغزالي (ج1 ص40).

في نفس الاتصاف بصفة من صفاته، وإنما يجب معرفة الصفات التي نصب عليها الآيات أي: الدلالة العقلية والسمعية بحسب الوسع، وعلى قدر ما تحتمله العقول، وأما كنهُ تلك الصفات، فمحجوب عن العقل كالذات العلية، فليس لأحد الخوض في شيء من ذلك بعد معرفة القدر الواجب. كما أنه لا يجب معرفة الصفات التي لم تنصب عليها الآيات، إذ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1].

قال في «شرح الصغرى»: (كمالاته تعالى لا نهاية لها، لكن العجز[2] عن معرفة ما لم ينصب عليه دليل عقلي، ولا نقلي، لا نؤاخذُ به بفضل الله تعالى) هـ[3].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 286.

(2) **العجز**: استعمل المتكلمون هذا المصطلح بمعنى عدم القدرة على الممكن، الذي لا يكون فيه شائبة الامتناع. فإن عدم القدرة على الممكن بالذات الممتنع بالغير ليس بعجز. ويستعمل ابن عربي «العجز» كاصطلاحًا صوفيًا باعتباره حالا من أحوال الصوفي البالغ مقام العرفان، حيث يقع في الحيرة والعجز عن استيعاب الحقيقة الإلهية؛ يقول شعرًا:

من قال يعلم أن الله خالقه ... ولم يحر كان برهان بأن جهلا
لا يعلم الله إلا الله فانتبهوا ... فليس حاضركم مثل الذي غفلا
العجز عن درك الإدراك معرفة ... كذا هو الحكم فيه عند من عقلا

اعلم أيدك الله بروح منه، أن سبب الحيرة في علمنا بالله طلبنا معرفة ذاته جل وتعالى بأحد الطريقين، إما بطريق الأدلة العقلية؛ وإما بطريق تسمى المشاهدة. فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة، والدليل السمعي قد أومأ إليها، والدليل العقلي قد منع إدراك حقيقة ذاته. والجمع بين الدليلين أوقع في الحيرة. فرجال الحيرة هم الذين نظروا في هذه الدلائل، واستقصوها إلى أن أداهم ذلك إلى العجز والحيرة. «الفتوحات المكية» لابن عربي الحاتمي (الباب 50 ج1 ص408)؛ وفي «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص1604).

(3) «شرح أم البراهين بشرح السنوسي» (ت895هـ) (عند قول الصغرى: فمما يجب لمولانا جل وعز عشرون صفة، ص20).

فالعجز ـ لاسيما عن مثل هذا ـ من أوصاف الخلق اللازمة لهم.

وقد جعل صاحب «سير السلوك إلى ملك الملوك»[1] المقامات التي يترقى السالك فيها سبعًا، ومن كان في واحد منها كان محجوبًا به عما بعده. وجعل آخرها الحجب بتجليات الأسماء والصفات عن تجلي الذات، قال: (وأما تجلي الذات فممتنع)[2].

ولا بأس بجلب كلامه ونصه:

- **الأول** : مقام ظلمات الأغيار، وتسمى النفس فيه بالأمارة.
- **الثاني** : مقام الأنوار، وتسمى النفس فيه باللوامة.
- **الثالث** : مقام الأسرار، وتسمى النفس فيه بالملهمة.
- **الرابع** : مقام الكمال، وتسمى النفس فيه بالمطمئنة.
- **الخامس** : مقام الوصال، وتسمى النفس فيه بالراضية.
- **السادس** : مقام تجليات الأفعال، وتسمى النفس فيه بالمرضية.

---

(1) هو قاسم بن صلاح الدين الخاني (ت1109هـ)، الحلبي، الحنفي، صوفي، منطقي، متكلم، محدث، أصولي. من آثاره: «سير السلوك إلى ملك الملوك»؛ و«شرح على الجزائرية في التوحيد»؛ و«رسالة في المنطق»؛ «التحقيق في الرد على الزنديق»؛ «شرح مختصر السراجية»؛ «سر فتح الملك المجيد»؛ «الطريق الواضح إلى عقيدة السلف الصالح»؛ «سلك الدرر» للمرادي (ج4 ص9)؛ «الأعلام» للزركلي (ج5 ص177)؛ و«هدية العارفين» لإسماعيل (ج1 ص833)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 10997 ج2 ص643).

(2) «السير والسلوك إلى ملك الملوك» لقاسم بن صلاح الدين الخاني (ت1109هـ) (ص37-38).

- السابع : مقام تجليات الأسماء والصفات، وتسمى النفس فيه بالكاملة.

• **وكلما كان الإنسان في مقام، كان محجوبًا به عمًا بعده:**

- فمن كان في المقام الأول : فهو محجوب بالأغيار عن مشاهدة الأنوار.
- ومن كان في المقام الثاني : فهو محجوب بالأنوار عن الأسرار.
- ومن كان في المقام الثالث : فهو محجوب بالأسرار عن الكمال.
- ومن كان في المقام الرابع : فهو محجوب بالكمال عن الوصال.
- ومن كان في المقام الخامس : فهو محجوب بالوصال عن تجليات الأفعال.
- ومن كان في المقام السادس : فهو محجوب بتجليات الأفعال عن تجليات الأسماء والصفات.
- ومن كان في المقام السابع : فهو محجوب بتجليات الأسماء والصفات عن تجلي الذات، وتجلي الذات ممتنع لأنه يعطي ظلمة كالشمس، فإن الناظر إليها لايبصر شيئًا، ولذلك قالوا: (إن الحق لا يتجلى من حيث ذاته على الموجودات إلا من وراء حجاب من حجب الأسماء فحينئذ أعلا المقامات: تجلى الأسماء وتجلي الصفات)، وأما تجلي الذات فهو شيء لا يمكن) هـ[1].

فإن قلت: هذا ينافي ما ذكرت من امتناع الاطلاع على الصفات كامتناع الإطلاع على الذات؟

---

(1) «السير والسلوك إلى ملك الملوك» لقاسم بن صلاح الدين الخاني (ت1109هـ) (ص37 – 38).

قلتُ: لا منافات؛ لأن التجلي أعم، والإطلاع بالكنه والحقيقة أخص، ولا يلزم من وجود الأعم وجود الأخص[1]؛ فصحّ ما قلناه من منع اطلاع الخلق كلهم على كنه حقيقة العلم القديم، وغيره من صفاته تبارك وتعالى.

وها هنا عبرة لمن لهُ أدنى فكرة، وهي: أن تعلم أنه إذا كان محي الدين ابن العربي الحاتمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو من هو - يعجز عن جواب هائشة من هوائش البحر، وهي خلق من خلق الله تعالى، ووجد عندها من العلم ما لم يجده عنده حتى أعجزته، فما بالك بالرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالعجز عنه، وعن الإحاطة بمعلوماته لأحد من البشر أحق وأولى، وانفراده سبحانه عن مخلوقاته بمعلومات لا تعد ولا تحصى، أوجبُ وأقرب إلى جنابه العلي الأعلى:

- ذكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنه ركب البحر، فهاجت ريح شديدة، فقال: (اسكن يا بحر، فإن عليك بحرًا من بحار العلم)، فسكن البحر لمجرد قوله. ثم أنه طلعت عليه هائشة فقالت له: (يا محيي الدين، أسألك مسألة واحدة، فإن أجبت عنها فأنت بحر علم، وإن لم تجب عنها، فأنت جاهل لا ينبغي لك دعوى العلم)، فقال: وما هي؟ فقالت: (إذا مسخ الله عَزَّوَجَلَّ زوج امرأة، هل تعتد عدة الأحياء أم عدة الأموات؟)، فما درى الشيخ ما يقول، فقالت له الهائشة: (تعملني شيختك، وأنا أقول لك عليها)، فقال: نعم. فقالت له: (إن مسخ حيوانًا اعتدت عدة

---

(1) من القواعد الأساسية المتناثرة في المعرفة، ويرددها العلماء، ويحتجون بها، باعتبارها من المسلمات المقررة التي لا تحتاج إقامة براهين عليها، فقد سبق التسليم بها عندهم حتى غدت قواعد يحتج بها، ويستند إليها في إثبات قضايا أو نفيها: قاعدة: (نفي الأعم يستلزم نفي الأخص، لكن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم. وإثبات الأعم لا يستلزم إثبات الأخص، لكن إثبات الأخص يستلزم إثبات الأعم). يقصد بالأعم كلي تلاحظ فيه نسبته إلى نوعه أو بعض جزئياته؛ ويقصد بالأخص: كلي تلاحظ فيه نسبته إلى جنسه، أو جزئي ونحوه تلاحظ فيه نسبته إلى نوعه. «ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة» لحبنكة الميداني (القاعدة الثالثة، ص355).

الأحياء، وإن مسح جمادًا اعتدّتْ عدة الأموات)) هـ[1].

- قال سيدي عبد الوهاب[2] الشعراني: (وبلغنا أنه من ذلك الوقت ما سمع منه أحد رائحة دعوى العلم)[3].

ذكر الحاتمي ذلك في ترجمة مشايخه من الجن والإنس والملائكة والحيوانات.

قال: (ووقع لي مرة أني قلتُ في نفسي: قد صرتُ من أهل العلم. فسألني في الحال إنسان وقال: من أطول الملائكة عُمرًا؟ وهل خلقوا جملة واحدة أو على التدريج؟)، فما دريت ما أقول) هـ[4].

---

(1) «لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية» لعبد الوهاب الشعراني (ج1 ص659)؛ ونقله في «الفيض العرشي شرح ورد السحر» عبد الله بن حجازي الشرقاوي المصري (اللوحة 254).

(2) هو عبد الوهاب الشعراني، المتوفى سنة 973هـ، عرف الشعراني بنفسه في كتابه «لطائف المنن والأخلاق: المنن الكبرى». له تصانيف، منها: «الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية» و«أدب القضاة» و«إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العالمين» و«الأنوار القدسية في معرفة آداب العبوديّة» و«البحر المورود في المواثيق والعهود» و«البدر المنير» في الحديث، و«بهجة النفوس والأسماع والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق»، و«تنبيه المغترين في آداب الدين»، وغير ذلك. «لطائف المنن والأخلاق: المنن الكبرى» (ص7 وص66)؛ «الكواكب الدرية» لعبد الرؤف المناوى (برقم 793 ج3 ص392)؛ «شذرات الذهب» لابن العماد (ج8 ص372)؛ و«طبقات الشاذلية الكبرى» للكوهن الفاسي (برقم 41 ص130)؛ «فهرس الفهارس» للكتاني (ج2 ص1079و1080)؛ والأعلام» للزركلي (ج4 ص180)؛ و«هدية العارفين» لاسماعيل البغدادي (ج1 ص641).

(3) «لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية» لعبد الوهاب الشعراني (ج1 ص659).

(4) «الفيض العرشي على الفتح القدسي شرح ورد السحر» عبد الله بن حجازي الشرقاوي المصري (اللوحة 254).

• قلتُ: وقد أُجيبُ عن هذا بأنهم لَمْ يخلقوا دفعة واحدة:

- فقد رُوي عنه ﷺ أنه قال: (من صلى عَلَيَّ صلاة تعظيمًا لحقي خلق الله عَزَّوَجَلَّ من ذلك القول ملكًا له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه مقرورتان في الأرض السابعة السفلى، وعنقه ملتوية تحت العرش، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: (صَلِّ علَى عبدي كما صلى على نبيِّي)، فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة)[1].

ذكره صاحب[2] «دلائل الخيرات في فضائل الصلاة على النبي ﷺ».

- قال «شارحه» سيدي المهدي الفاسي[3]: (هذا يؤذن بخلق الملائكة من

---

(1) رواه ابن شاهين (ت385هـ) في «الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك» (رقم 20 ص14)؛ وقال السخاوي (ت902هـ) في «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» (ص121): (رواه ابن شاهين في «الترغيب» له وغيره والديلمي في «مسند الفردوس» وابن بشكوال، وهو حديث منكر).

(2) هو محمد بن سليمان الجزولي (ت870هـ) السّملالي الحسني، أبو عبد الله، عالم دين سني على طريقة الأشاعرة، وفقيه مالكي، وصوفي على طريقة الشاذلية. صاحب الكتاب المشهور «دلائل الخيرات في الصلاة على النبي ﷺ»، من أهل سوس المراكشية. تفقه بفاس، وحفظ «المدونة» في فقه مالك، وغيرها. وحج وقام بسياحة طويلة. ثم استقر بفاس، وبها ألف كتابه. وله أيضًا «حزب الفلاح»، و«حزب الجزولي» بالعامية. وكان له أتباع يسمون (الجزولية) من الشاذلية. الضوء اللامع» للسخاوي (برقم 651 ج7 ص258)؛ و«جذوة الاقتباس» لابن القاضي (برقم 328 ج1 ص319)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (برقم 664 ص545)؛ و«كفاية المحتاج» للتنبكتي (برقم 579 ج2 ص181)؛ وتذكرة المحسنين»ضمن موسوعةأعلام المغرب (ج2 ص777)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 997 ج1 ص380)؛ و«الإعلام بمن حل بمراكش» للسملالي (رقم 625 ج5 ص40)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج6 ص151).

(3) هو الحافظ العلامة المحقق، الصوفي المدقق، أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي لقبا، القصري مولدا. قرأ على والده وعمه عبد القادر الفاسي =

بعض الأعمال:

• وفي «التذكرة» للقرطبي على حديث[1]: (مجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة يحاجان عن صاحبهما): (قال علماؤنا: (وقوله: (يحاجان) أي: يخلق الله من يجادل عنه من ثوابهما ملائكة كما جاء في الحديث أن: (من قرأ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2] الآية، عند منامه، خلق الله لهُ سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة)[3] هـ[4].

= وابن عمهما محمد بن يوسف الفاسي وغيرهم مما هو كثير؛ من آثاره: «الدرة الغراء في وقف القراء»؛ و«سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر»؛ وكفاية المحتاج في خبر صاحب التاج»؛ و«مطالع المسرات في شرح دلائل الخيرات»؛ وغير ذلك. توفي سنة 1109هـ. وقد ترجم له في مؤلف خاص المؤرخ أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني سماه: «جلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي». «صفوة من انتشر» للإفراني (برقم 260 ص352)؛ و«نشر المثاني» ضمن موسوعة أعلام المغرب (ج5 ص1842)؛ «سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 768 ج2 ص355)؛ و«شجرة النور» لابن مخلوف (رقم 1298 ج1 ص473).

(1) حديث: «**اقرؤوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة، إقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهما..**» الحديث. رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين: باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، برقم 804 ج4 ص119)؛ والحاكم في «المستدرك» (كتاب فضائل القرآن، برقم 2071 ج1 ص752).

(2) سورة آل عمران، آية: 18.

(3) أورده القرطبي في «المُفْهِم» (كتاب الصلاة: باب فضل تعلم القرآن ج2 ص431)؛ وفي «الجامع لأحكام القرآن» (ج5 ص9 وص66)، قال محققه: (موضوع)؛ وقال الكناني في «تنزيه الشريعة» (ج1 ص298): (رواه أبو نُعيم)؛ وقال الفتني في «تذكرة الموضوعات» (ص80): (فيه مجاشع بن عمرو كذاب يضع)؛ ورواه الشوكاني في الفوائد المجموعة» (برقم 49 ص312).

(4) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» لأبي عبد الله القرطبي (ت671هـ) (ص289).

• وقد سُئل الشيخ ولي الدين ابن العراقي[1] في «الأسئلة المكية» عن الملائكة عليهم الصلاة والسلام: (هل خلقوا دفعة واحدة ويكون موتهم كذلك؟)، فأجاب: (لم يثبت في ذلك شيء، ولا يجوز الهجوم عليه بمجرد الاحتمال، ولا مجال للنظر فيه، ولا مدخل للقياس.

وأما ما يحكى من أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يخلق بسبب بعض الأعمال الحسنة ملكًا، ويكون تسبيحه لذلك العامل. فلم يثبت؛ بل هو باطل موضوع لا أصل له)[2] هـ[3].

• إلا أنه ورد في حديث ضعيف رواه ابن السايس[4]، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، من طريق أبي هريرة: «إن في السماء السابعة بيتًا يقال إنه مثل الكعبة[5]، وفي السماء نهر يقال له الحيوان، يدخله جبريل كل يوم، فينغمس

---

(1) هو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت826هـ)، الإمام الحافظ الفقيه، المصنف، قاضي القضاة ولي الدين أبو زرعة ابن الإمام العلامة الحافظ زين الدين أبي الفضل، العراقي الأصل، المصري. من آثاره: «البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مُسّ بضرب من التجريح»؛ «الإطراف بأوهام الأطراف»؛ «رواة المراسيل»؛ «حاشية على الكشاف»؛ «أخبار المدلسين»؛ وغير ذلك. «طبقات الحفاظ» للسيوطي (رقم 1182 ج1 ص548)؛ و«البدر الطالع» للشوكاني (ج1 ص72)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج1 ص148).

(2) «الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية» لولي الدين أبو زرعة ابن الإمام العراقي (ت826هـ)، (المسألة الثالثة، ص36)؛ ونقله في «شرح البخاري» المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية أحمد السفيري الشافعي (ت956هـ) (ج1 ص182).

(3) «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات» لمحمد المهدي الفاسي (ت1109هـ) (ص40 – 41).

(4) في الأصل: (ابن سنجر) كما في «مطالع المسرات» (ص41).

(5) في الأصل: (يقال له المعمور بحيال الكعبة) كما في «مطالع المسرات» (ص41).

فيه انغماسة؛ ثم يخرج، فينتفض انتفاضة يخرّ عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكًا، فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور، ويصلون فيه، فيفعلون، ثم يخرجون، فلا يعودون إليه أبدًا، يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم في السماء موقفًا يسبحون الله إلى أن تقوم الساعة»[1]، فهذا على ضعفه يدل على أنهم لم يخلقوا دفعة واحدة.

• ومثله ما أخرجه البيهقي في «كتاب الرؤية»: (عن علي بن أرطات عن رجل من الصحابة أن رسُول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم ملك تقطر دمعة من عينه إلا وقعت ملكًا يسبح»[2] الحديث هـ عن نقل شارح «الدلائل»[3].

- وفي «سيرة الحلبي»، قال: (رأيت في «كتاب التشريفات في المناقب والمعجزات» لم أقف على اسم مؤلفه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: (يا جبريل، كم عمرتَ من السنين؟ فقال: يا رسول الله، لست أعلم غير أني كنت أعرف نجمًا لا يطلع إلا على رأس اثنين وسبعين ألف سنة، ثم يطلع مرة واحدة ثم يغيب ولا يطلع إلا بعد مضي اثنين وسبعين ألف سنة

(1) رواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (برقم 497 ج2 ص59)؛ والديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» (برقم 8842 ج5 ص486)؛ وقال ابن كثير في «تفسيره» (سورة الطور ج7 ص428): (قال الحاكم: لا أصل له؛ وأنكر هذا الحديث جماعة من الحفاظ)؛ وفي «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للمناوي (رقم 2325 ج2 ص469).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه» الرقة والبكاء» (رقم 104 ص99)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (برقم 515 ج3 ص993)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 886 ج2 ص279)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (رقم 29836 ج10 ص366).

(3) «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات» لمحمد المهدي الفاسي (ت1109هـ) (ص40 - 41).

ثم يطلع مرة أخرى وهكذا، وقد رأيته اثنين وسبعين ألف مرة كل مرة فيها طلع على رأس اثنين وسبعين ألف سنة، قال له ﷺ: «أنا ذلك النجم» هـ[1].

قلتُ: فهذا ربما يدل - والله أعلم - على أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أطول الملائكة عمرًا.

فائدة:

من مطالعة سر القدر[2] الذي أخبر الحاتمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه كان يعرفه بحكم الوراثة المحمدية، ما حكاه الشيخ سيدي عبد الكريم الجيلي في قصيدته ونصها:

---

(1) أورده في «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: السيرة الحلبية» علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت1044هـ) (ج1 ص38)؛ والحديث باطل لا أصل له، قال عنه عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مرشد الحائر» (ص5): (هذا كذب قبيح، قبّح الله من وضعه وافتراه).

(2) سر القدر: قال ابن العربي المعافري في «الأمد الأقصى» (ج2 ص95): (وأما قوله - أي قول الإمام الغزالي -: إن هذا سر القدر الذي لا يُفشى، والمخاطَب به عارف، فكل عالم يعلم سر القدر، وهو أن الله سبحانه لا يُسأل عما يفعل، وإن زعمت أن له سرًّا قيل لك: أتريد أن ترُدّ ما ظهر من الأدلة بما بطن من الدعاوي، هذا ما لا يرضاه حصيف)؛ وقال الكاشاني في «معجم اصطلاحات الصوفية» (ص121): (سر القدر: ما علمه الله من كل عين في الأزل مما انطبع فيها من الأحوال التي يظهر عليها عند وجودها. فلا يحكم على شيء إلا بما علمه الله من عينه في حال ثبوتها)؛ وقال الإمام الشعراني (ت973هـ) في الجواهر والدرر» (ص37): (سألت شيخنا - أي سيدي علي الخواص - عن سر القدر المتحكم في الخلائق، هل اطلع عليه أحد من الأولياء المحمديين؟ فقال: نعم؛ لكن بحكم الإرث لرسول الله ﷺ، قال: لأنهم لو اطلعوا عليه ربما كان سببًا لفتورهم عن التبليغ وعما هم مأمورون بفعله، فكان طيّه عنهم رحمة بهم. فقلت له: فكيف اطلع عليه رسول الله؟ فقال: لما هو عليه من القوة الإلهية والتمكين، فلم يصده اطلاعه عليه عن التبليغ. والله أعلم).

أرانـي كـالآلات وهـو محركي | أنـا قلـم والاقـتـدار أصابـعُ
ولسـتُ بجبري ولـكـن مشاهدٌ | فـعـال مريـد مـا لـه مـن يدافـعُ
فـآونـةً يقضـي علـى بضـاعـةٍ | وحينا بما نهشي عنه الشرائـعُ
لـذلك تـرانـي كنت أتـرك أمـره | وءات الـذي ينهاه والحين دامع
ولـي نكثة غـراءَ سـوف أقولها | وحُـقّ لها أن ترعد بهـا المسامع
على الفرق ما بين الولي وفاسقٍ | تنبه لهـا فـالأمرِ فيـهـا فضايع
ومـا هـو إلا أنـه قبـل وقـعـه | يـخـبرُ قلبـي بالـذي هـو واقـعُ
فأجني الـذي يقضي عليَّ مُرادهـا | وعيني لـه قبل الفعـال تطالـعُ
فآتي الـذي تهواه نفسي ومهجتي | لـذلك فـي نـارٍ حوتها الأضالـعُ
إذا كنتَ فـي علم الشريعة عاصياً | فأنت فـي علـم الحقيقـة طائـع[1]

وحاصله: الإخبار عن نفسه بأنه كان يطالع سر القدر، وباطنه في المخالفة وغيرها، قبل انتشار ذلك على جوارحه، وأنه كان يدرك تعلق القدرة بالمقدور حال الإيجاد خيرًا كان أو شرًّا، بحيث لا يمكنه التزحزح عنه بحال. قالوا: (وبهذا يتضح حديث: «فحج آدم موسى»[2]، وأن ما جرى عليه كان بمطالعة قدر

(1) هذه القصيدة بعنوان: «الباديات العينية في النادرات الغيبية» مطلعها: (فؤاد به شمس المحبة طالع): وهي منظومة عينية في موضوع التصوف، توجد مخطوطة بالخزانة القصر الملكي بالرباط ضمن مجموع (تحت رقم 12125) كما في «فهرس مخطوطات التصوف»، منشورات خزانة القصر الملكي (ج1 ص101)، وبالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم د310ـ) نسبت هذه القصيدة لعبد القادر الجيلاني (ت561هـ)، وذكرها في «شرح حزب البر المعروف بـ«الحزب الكبير للإمام أبي الحسن الشاذلي» العارف بالله عبد الرحمن الفاسي (ص69). إلا أن يوسف زيدان في «عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية» (ص81)، نسبها لعبد الكريم الجيلي (ت826هـ).

(2) من الحديث الصحيح، سبق تخريجه في (ص577 ـ 578).

سابق، وأنه ليس ذلك لغيره إلا لمن كان له شبهٌ به بأن كان من أهل الغيبة في الباطن، بحيث يكون كالنائم وإن لم يكن نائمًا فعُذر بما قهره من وارد الحق واصطلمه من تصرفات الجبر، وذلك خاص بأهله، فيسلم لهم في الجملة)[1].

وفي «فتوحات» الحاتمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (زلة العارف صاحب مقام الكشف للأقدار تحل به النازلة، وحكمه بمعزل عنها، فلا تؤثر في مقامه، بخلاف من تحل به وهو على غير بينة ولا بصيرة بما قدر عليه، فهذا يلزمه الحياء والندم والذلة، وذلك ليس كذلك)هـ[2]. فالعارفون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يشهدون تصريف الحق لهم وجريان قضائه عليهم، ولا يأتون أو يذرون موافقة النفس والهوى، فلا تقع منهم المخالفة على وجه وقوعها من غيرهم، بل يطالعون بالقدر فيسكنون تحت مجاري الأقدار، بحيث يكونون كالنيام وإن لم يكونوا نياما لذلك. قيل للجنيد: (أيزني العارف؟ فأطرق رأسه مليا وأجاب: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾[3][4]. فنبه بهذه العبارة على أنه يسكن للقدر.

نعم؛ لا يعذرون بهذا في ظاهر الشريعة، فإن الحكم فيها بالظاهر، والله يتولى السرائر، ولذلك أقام النبي ﷺ الحدّ على الذي كثر الإتيان به شاربًا، ومع ذلك

---

(1) من كلام العارف بالله عبد الرحمن الفاسي (ت1036هـ) عن مؤلفه «شرح حزب البر للإمام أبي الحسن الشاذلي» (ص70).

(2) «الفتوحات المكية» لابن عربي الحاتمي (الباب39 في معرفة المنزل الذي يحط إليه الولي.. ج1 ص353).

(3) سورة الأحزاب، الآية: 38.

(4) ذكره في «بستان العارفين» أبو زكريا محيي الدين النووي (ص346)؛ وفي «الفتوحات الإلهية في المباحث الأصلية» ابن عجيبة الحسيني (ص55)؛ وفي «الفيض العرشي والفتح القدسي شرح ورد السحر» ابن حجازي الشرقاوي (ت1227هـ) (اللوحة 305).

قال: «**لا تلعنوه فإنه يُحب الله ورسوله**»[1]. وفي «العهود المحمدية»: (أن إبليس لعنه الله قال: (يا رب أمرتني بالسجود لآدم، ولـم ترده مني، فلو أردته مني لوقع)، قال: (متى علمتَ أني لـم أردهُ منك؟ قبل الإباء أو بعده؟)، قال: (بعده)، قال: (بذلك أخذتك) هـ. ولا يُفهم من هذا أنهُ لو علم بذلك قبل الإباء لـم يؤاخذه، بل يحتمل المؤاخذةَ وعدمها، فالفرقُ بين معصيّة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإبليس لعنه الله: هو هذا، ولأجله ـ والله أعلم ـ قال ﷺ: «**فحج آدم موسى**»[2]، أي: غلبه بالحجة.

وقال أبو العباس القرطبي[3]: (السبب في ذلك، هو أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ علم توبة الله عليه، والعلم بالتوبة يرفعُ اللوم، أو يقال: هذا الاحتجاج لـم يكن في دار التكليف)[4].

وبهذا يتبين أن ما وقع من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ والأولياء الكمل ليس بذنب في

---

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الحدود: باب ما يكره من لعن شارب الخمر، برقم 6780 ج4 ص229)؛ وعبد الرزاق الصنعاني في «المصنف» (رقم 13552 ج7 ص380)؛ والبزار في «مسنده» (رقم 269 ج1 ص393)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (رقم 17496 ج8 ص542).

(2) من الحديث الصحيح، سبق في (ص577 ـ 578).

(3) هو الإمام الفقيه المحدّث أبو العباس ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري الأندلسيّ القرطبي المالكي، ولد سنة 578هـ في قرطبة، وعُرف بابن المزيِّن، من آثاره: «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم». «مختصر البخاري». «كشف القناع عن حكم مسائل الوجد والسماع». وغيرها. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في الرابع من ذي القعدة من عام 656هـ. «تذكرة الحفاظ» للذهبي (ج4 ص1438)؛ «الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 885 ج7 ص173)؛ «الديباج المذهب» لابن فرحون (برقم 12 ج1 ص219)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج7 ص473)؛ وفي «شجرة النور» لابن مخلوف (رقم 688 ج1 ص278).

(4) نحوه في «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم» (ج6 ص665).

الحقيقة، وإن كان ذنبا في الصورة، ومع هذا، فيفترق النبي من الولي: (بأن النبي محفوظ من المعصية مطلقًا؛ والولي إنما هو محفوظ من الإصرار عليها فقط)[1]؛ لكن، قل أن تقع معصية من الولي حال شهوده للحق تعالى، بل تحصل له غفلة وحجاب حتى يقع منه الذنبُ، ثم تعقبه الندامة ويُرَدّ لمقامه؛ لحديث: «**إن الله إذا أراد إمضاء أمر، نزع عقول الرجال حتى يمضي أمره، فإذا أمضاه ردّ إليهم عقولهم، ووقعت الندامة**»[2]. وهذا هو الفرق بين معصية الولي ومعصية غيره، فإن غيره يسر بالذنب حال فعله. وهو بخلاف ذلك؛ وإلى الحديث المذكور يُشير القائل:

إذا أراد الله أمرًا بامرئٍ ... وكان ذا عقل وسمع وبصرْ
وحيلة يفعلها في دفع ما ... يأتي به محتومُ أسباب القدرْ
غطى عليه سمعه وعقله ... وسلّه من ذهنه سلّ الشعرْ
حتى إذا أنفذ فيه حكمه ... ردّ عليه عقله ليعتبرْ[3]

(1) «الفيض العرشي والفتح القدسي شرح ورد السحر» لعبد الله ابن حجازي الشرقاوي (ت1227هـ) (اللوحة 305).

(2) عن هذا الحديث قال الذهبي: (خبر منكر)؛ وقاله أيضًا ابن حجر العسقلاني؛ وضعفه الألباني؛ وذكره القضاعي في «مسند الشهاب» (برقم 1408 ج2 ص301)؛ والديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» (برقم 966 ج1 ص250)؛ والذهبي في «ميزان الاعتدال» (برقم 8141 ج4 ص30)؛ وابن حجر في «لسان الميزان» (برقم 7368 ج7 ص482)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (رقم 511 ج1 ص110)؛ والعجلوني في «كشف الخفاء» (رقم 195 ج1 ص79)؛ والألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (برقم 1540 ص222)؛ وفي «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (برقم 2215 ج5 ص242).

(3) هذه الأبيات ذكرها: البيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 249 ج1 ص404 و405)؛ وابن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت543هـ) في «أحكام القرآن» (ج3 ص480) وعزاها لأبي الفضل الجوهري؛ وفي «مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر» لابن منظور =

ذكرها العلامة الدميري في كتابه «حياة الحيوان»[1]، ونسبها لأبي عمر الزاهد[2] هـ.

* رجوع: وردٌّ للعجز على الصدر[3] المتبوع:

• إن قلتَ: أليست حقيقته ﷺ هي الحقيقة الجامعة المسماة بحقيقة الحقائق، والنور الأول، والقلم الأعلى الذي لهُ وجه للحق، ووجه للخلق؟[4]

= (رقم 58 ج6 ص94) نسبت لجعفر بن محمد أبو عبد الله المعرّي المغربي؛ وذكرها العلامة الدميري الشافعي (ت808هـ) في كتابه «حياة الحيوان الكبرى» (ج4 ص174)؛ كما نسبها العجلوني في «كشف الخفاء» (رقم 195 ج1 ص80)؛ وابن قاسم جسوس (ت1182هـ) في «شرح توحيد الرسالة» (ج2 ص473)، إلى غلام ثعلب - وهو أبو عمرو الزاهد..

(1) ذكرها العلامة الدميري الشافعي (ت808هـ) في «حياة الحيوان الكبرى» (ج4 ص174).

(2) هو الإمام الأوحد العلّامة اللغوي المحدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، البغدادي الزاهد، المعروف بغلام ثعلب (ت345هـ): أحد أئمة اللغة، المكثرين من التصنيف؛ صحب ثعلبًا النحويّ زمانًا حتى لقب (غلام ثعلب) وتوفي ببغداد. «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (برقم 1073 ج6 ص2556)؛ و«إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (برقم 678 ج3 ص171)؛ و«طبقات الشافعية» للسبكي (برقم 155 ج3 ص189)؛ وفي «سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 288 ج15 ص508)؛ و«الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 1529 ج4 ص53)؛ و«بغية الوعاة» للسيوطي (برقم 279 ج1 ص164)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج4 ص241)؛ وفي «الأعلام» للزركلي (ج6 ص254).

(3) معنى (رد العجز على الصدر) هو: في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها: نحو: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [سورة الأحزاب الآية 37]. ونحو: (سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل). «التلخيص في علوم البلاغة» للخطيب القزويني (ت739هـ) (ص104) [وهو تلخيص كتاب «مفتاح العلوم» للسكاكي يوسف (ت626هـ)].

(4) «الفيض العرشي والفتح القدسي شرح ورد السحر» لعبد الله ابن حجازي الشرقاوي =

قلتُ: نعم؛ ولكن المخلوق لا يدرك كنه خالقه بحال، بل ذلك أمر محال لارتفاع المناسبة بينهما، ولا نقص في هذا أصلا، وإنما هو من العجز اللازم لكل مخلوق الذي منه قول الصديق الأكبر: (العجز عن درك الإدراك، إدراك)[1]. فيكون كمالا:

- بل قال الجيلي قدس الله سره: (العجز: هو نهاية أهل النهايات، وغاية الترقي إلى الغايات، ليس وراءه لكامل مرمى، ولا بعده لأكمل مرقى؛ فيه يقول سيد أهل هذا المقام، عليه أفضل الصلاة والسلام: «**لا أحصي ثناء عليك**»[2]. ويقول خليفته ذو التحقيق أبو بكر الصديق رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ: (العجز عن درك الإدراك إدراك)[2]. اعلم وفقك الله، أن هذا العجز ليس بالعجز المذموم الذي يسبق إلى فهوم المحجوبين، بل إنه عبارة عن غاية الكمال)[3].

- وفي «شرح الدلائل»، عند ذكر أوصاف الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وقوله: «**وخرقت لهم كنف حجبك**»، ما نصه: (يعني أن الله تعالى أزاح عنهم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ الحجب العدمية الوهمية التي تحجب غيرهم من العبيد عن حضرة القدس، وموارد الأنس، فكانوا عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بقربه متنعمين؛ وفي حضرته العليّة قاطنين؛ وبوصله فائزين؛ وبمشاهدته بهجين مسرورين؛ وبسماع وحيه فرحين محبورين؛ لذلك كانوا على طاعته مجبولين؛ وعن امتثال أمره غير منفكين.

= (ت1227هـ) (اللوحة 175).

(1) سبق الإشارة له في (ص746).

(2) سبق تخريجه في (ص499 ـ 500).

(3) «غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الاستماع» لعبد الكريم الجيلي (الكلمة التاسعة والثلاثون: العجز). مخطوط بالخزانة الوطنية بالرباط (برقم 370 د) (ضمن مجموع من ص. 155ـ201). ونقله المصنف عن «الفيض العرشي والفتح القدسي» لعبد الله ابن حجازي الشرقاوي (اللوحة 56).

- وبعد هذا، لا يفهم ها هنا عدم الحجب بالكلية، ومعرفة الكنه، والحقيقة، والإحاطة به على ما هو عليه عَزَّوَجَلَّ، إذ لا يعرف الله إلا الله[1]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[2]، وإنما يحصل لكل واحد رؤية، وسماع، وتعرف، بوجه من التعرف لا يكيف، كلٌّ على قدره، وقرب منزلته، ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾[3]، وإذا كان عين الوجود، والحجاب، والواسطة لكل موجود - سيدنا محمد ﷺ - لم يظفر بذلك، ولم يتطلع لما هنالك، وقد قال ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[4]؛ وقال له ربه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[5]، فكيف بغيره؟) هـ[6] منه بلفظه.

فقف على قوله: (وإن كان عين الوجود.. لخ).

فإن قلتَ: (قد حكى سبط ابن الفارض[7] في «عنوان الديوان» عن

---

(1) من الأبيات التي نُسبت للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، قوله:

لا يعرف اللّه إلا اللّه فاتّئدوا ... فالدين دينان ايمان وشراك
وللعقول حدود لا تجاوزها ... والعجز عن إدراك الإدراك إدراك

أوردها في كتاب «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ص214).

(2) سورة طه، الآية: 110.

(3) سورة الصافات، الآية: 164.

(4) سبق تخريجه في (ص499 - 500).

(5) سورة طه، الآية: 114.

(6) «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات» لمحمد المهدي الفاسي (ت1109هـ) (ص340 عند قوله: «وخرقت لهم كنف حجبك»).

(7) سبط ابن الفارض- علي - هو من نشر ديوان جده بعد وفاته بقرن تقريبا، وقد قيل أن عمل سبط ابن الفارض علي لم يعَد في ميزان الدراسات موضع ثقة، لا في ترجمته =

الشيخ برهان الدين الجعبري[1]، وكان قد حضر وفاة الشيخ ابن الفارض قال: (وكنتُ سألتُ جماعة من الأولياء عن مسألة، فلم يجبني أحد منهم عنها فسألته عنها، فقلت له: (يا سيدي هل أحاط أحد بالله علمًا؟) فنظر إليّ نظر معظم لي وقال: (نعمْ؛ إذا حيّطهم، يحيطون؛ وأنت منهم))[2].

قلتُ: هذا؛ إنما هو على سبيل الفرض والتقدير فقط. قال الشيخ الشعراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابه «كشف الران عن أسئلة الجان»: (وسألوا عن مقام المعرفة بالله عَزَّوَجَلَّ هل أحد يصل فيه إلى حد يصير يعرف الله تعالى كما يعرف الله نفسه؟ أم لا يصح ذلك لأحد؟ فأجبتهم: لا يصح ذلك ولو ارتفعت درجته، لا بدّ أن الحق تعالى يستأثر عن عباده بعلم آخر لا يذوقه ملك مقربٌ ولا نبيٌ مرسل، إذ لو علم العبد ربه كما يعلم تعالى لساوى ربه في العلم به ولا قائل به، فلابدّ من الجهل به تعالى بوجه من الوجوه. قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[3]، أي: من ذلك العلم المنكّر المشعر بالقلة. فغاية ما يعطيه لعباده من

= لسيرة جده ولا في روايته لأشعاره، إذ حوّلها لسردٍ مطّرد من الخوارق والكرامات لا تُصدّق، بهدف تكبير وتقديس ذِكر جده عند عامة الناس والرّد على طعن معارضيه. والله المستعان. «كشف الظنون لحاجي خليفة (ج1 ص767)؛ وفي «ديوان ابن الفارض، قراءات لنصه عبر التاريخ» تحقيق للمستشرق الإيطالي الأب د. جوزيبي سكاتولين (ص15).

(1) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق (640 ـ 732هـ). كان فقيها مقرئا متفننا، له التصانيف المفيدة في القراءات، والمعرفة بالحديث، وأسماء الرجال. «الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 159 ج6 ص49)؛ و«طبقات الشافعية» للسبكي (رقم 1341 ج9 ص398)؛ و«بغية الوعاة» للسيوطي (برقم 846 ج1 ص 420)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج6 ص97)؛ «الأعلام» للزركلي (ج1 ص55).

(2) «ديوان ابن الفارض، قراءات لنصه عبر التاريخ» للمستشرق جوزيبي سكاتولين (ص28).

(3) سورة البقرة، الآية: 255.

العلم به إنما هو جزء محصور.

وأما قول بعضهم: (إذا حيّط الحق تعالى عباده أحاطوا به)، فذلك على سبيل الفرض والتقدير، ولم يبلغنا حصول هذا المقام لأحد، ومن هنا قال العارفون: (سبحان من كان عين العلم به عين الجهل به، والجهل به عين العلم به، وسبحان من لا يعرف إلا بأنه لا يعرف)، أي: أنه يعرف المعرفة الممكنة للخلق فقط دون المعرفة الغير الممكنة، وإذا كان العلم ببعض خلقه لم يتيسر لأحد منهم، فكيف به تعالى؟ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1] هـ[2]، نقله الشيخ الفقيه العلامة سيدي عبد الله بن حجازي الشرقاوي المصري[3] في «شرحه» لـ«ورد السحر المسمى بالفتح القدسي»؛ ثم قال: (ومن ذلك يُعلم أنه ﷺ لم يحط بجميع ما علمه الله تعالى: كإحاطته تعالى، خلافًا لبعضهم، بل الذي نعتقده أن الله تعالى علّمه ما لم يعلم أحدًا من خلقه) هـ[4].

ففيه تصريح برد ما للتجموعتي، إذ هو المراد بالبعض في قوله: (خلافا لبعضهم)، وبه فسره بعض تلامذة الشيخ الشرقاوي المذكور، فكتب في الطرة: (وهو التجموعتي، اختلف في ذلك هو واليوسي، فأجاب سيدي عبد المالك

---

(1) سورة المدثر، الآية: 31.

(2) «كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان» للشعراني عبدالوهاب (السؤال الحادي عشر، ص32 ـ 33). قال عنه الكتاني في «فهرس الفهارس» (ج2 ص1081): (منها «كشف الران عن أسئلة الجان»، وقعت إلي منه نسخة مراكش بخط الحافظ الجهبذ أبي العباس ابن مبارك اللمطي قال عنه: (الأجوبة هذه في غاية الحسن ونهاية المعرفة وهي على طريق النظار أهل الأفكار غير مشكلة ولا تقرب من الإشكال رأسًا)).

(3) سبقت ترجمته في (ص726 ـ 727).

(4) «الفيض العرشي على الفتح القدسي شرح ورد السحر» لعبد الله بن حجازي الشرقاوي المصري (اللوحة 222).

بإمكان ذلك، بل بحصول ما هنالك لسيد الممالك، وقالوا: (لو لم يكن كذلك لزم نسبة الجهل لرسول ﷺ)، وأجاب سيدي حسن أحسن الله إليه بكل ماهو حسن وأحسن: (لا يصح ذلك)، وأرسل يقول له: (أردت أن تعمر ديارا، فهدمت أمصارا، بل الذي نعتقده...) لخ، وأطال في الجواب، الموافق للصواب؛ وحاشا سيد الأحباب أن يرضى من أمته أن يسوُّوا في العلم بينه وبين رب الأرباب؛ ومن المحال أن يلحق العبد مرتبة السيد على كل حال؛ فاحذر الغلط، وإياك من ركون التعاسيف والشطط؛ ونسأل الله التوفيق والإنابة، وسلوك أقوم طريق مع ملاحظة عيون الإعانة) هـ.

وقد اتضحت المسألة ولم يبق عليها غبار، حتى صارت كالشمس المجلوة في سلطان النهار.

• قلتُ: وها هنا نكتة دقيقة: وهي أن الرسول من البشر، إذا كان لا يجب أن يكون أعلم ممن أرسل إليهم إلا فيما بُعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقا، فكيف يسوغ أن يحكم بمساواته للمرسل في صفة العلم؟

• وبيان ذلك، أنهم حكموا بأن رسالة مُوسى -على نبينا وعليه الصلاة والسلام-، لا تنافي أن يتعلم من الخضِر ما لم يكن شرطًا في أبواب الدين، خلافا لما قاله نوف البَكَّالي[1]: (وقد بكّتَ الله سبحانهُ اليهودَ القائلين لكفّار قريش: (إن أخبركم محمد عن قصة أهل الكهف، فنبي وإلّا فمُتَقوّل)، فرد عليهم بأنه لا يلزمُ من عدم إخباره عن مسألة سئل عنها أن يكون مُتقوّلاً، إذ لا يلزم في النبي أن

(1) هو نوف بن فضالة الحميري البكالي، أبو زيد يكنى أبا عُبيد، وفي بعض الحديث يكنى أبا عامر، ابن امرأة كعب الأحبار. كان عالمًا قد قرأ الكتب وسمع من كعب علمًا كثيرًا. «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (برقم 326 ج6 ص48)؛ وفي «تاريخ دمشق» لابن عساكر (رقم 7937 ج62 ص303)؛ و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزي (برقم 6498 ج30 ص65).

يكون عالما بجميع القصص والأخبار، فإن نبيكم موسى جهل علوما رحل في طلبها إلى الخضر، وكانوا يقترحون الآيات ويسألون عن أمور خفية على جهة التعنت، فنبهوا على أن النبي لا يلزم أن يكون عالمـا بكل شيء.

وعلى هذا، فمن زعم اتصاف النبي ﷺ بعلم كل شيء، وأن عدم علمه بكل شيء نقص في حقه، فهو شبيه باليهود من هذه الحيثية، وفيه نزعة يهودية، ويلزمه ما يلزمهم من التبكيت والتشنيع. ومرشدك إلى هذا أنه لما ضلت ناقة المصطفى عليه الصلاة والسلام في غزوة تبوك، وقال المنافقون: (يزعم أنه يأتيه الوحيُ وهو لا يعلم أين ناقتُه)، قال: «**إني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلّني الله عليها؛ هي في مكان كذا حبستها شجرة بزمامها**»، فوُجدتْ كما قال)[1].

وكذا قضية فترة الوحي: رُويَ أن الوحيَ تأخر عن رسول الله ﷺ لتركه الإستثناء لمّا سأله المشركون عن بعض الأمور، فوعدهم ببيَانها ولم يستثنِ؛ أو لزجره سائلًا ملحاً، فقال المشركون: (إن محمدًا ودّعه ربه وقلاه)[2]، فنزلت سورة الضحى ردًّا عليهم وتبشيرًا له ﷺ بالكرامة الحاصلة والمترقبة، كما يشعر به اسم الرب المنبئُ عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره ﷺ: فقوله سبحانه: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾[3]:

الضحى: وقت ارتفاع الشمس.

وسجى: سكن وركد ظلامه.

---

(1) سبق تخريجه، (ص463).

(2) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب تفسير القرآن سورة والضحى: باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ برقم 4951 ج3 ص286)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الجهاد والسير: باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، برقم 1797 ج6 ص412).

(3) سورة الضحى، الآية 1.

وعن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق: (أن المراد بالضحى: هو الضحى الذي كلم الله فيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ)(1).

- والليل: ليلة المعراج.

وهذا التفسير من الحُسن بمكان، لأشدية مناسبته لما بعده، وتخصيص الوقتين بالذكر إشارة لما كان عليه من الحال الواضح الحكمة أولًا، ثم انتقاله إلى ذلك الحال الخفي الحكمة ثانيًا، وأنه لا بدّ أن ينتقل إلى ما كان عليه، إذ لا بد لكل ليل من صباح، ولكل ضيف من انشراح.

- وقيل: (أراد بالضحى النهار كله، كما في قوله تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾(2) في مقابلة قوله: ﴿بَيَاتًا﴾(3))(1).

وعليه، فقوله في «المواهب اللدنية»: (طابق المقسَم به المقسَم عليه، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد ظلمة احتباسه عنه، فإن الذي اقتضت رحمته أن لا يتركهم في ظلمة الليل سرمدًا، بل يهديهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم، لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي، بل يهديهم بنور الوحي والنبوءة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم)(4).

وقال العلامة المحقق سيدي محمد بن زكري رَحِمَهُ اللَّهُ: (يقال عليه مقتضاه تقديم ذكر الليل، وفيه أن فترة الوحي ليست بظلمة، بل ما تمّ إلا النّور، لأنها

---

(1) أخرجه الثعلبي في «تفسيره الكشف والبيان» (سورة الضحى ج29 ص472)؛ وذكره القرطبي في «تفسيره الجامع لأحكام القرآن» (ج20 ص91).

(2) سورة الأعراف، الآية: 98.

(3) سورة الأعراف، الآية: 97.

(4) «المواهب اللدنية» للقسطلاني (ت923هـ) (ج2 ص560)؛ ونقله العلامة ابن زكري (ت1144هـ) في «شرحه» على قصيدته «الهمزية» (اللوحة 24)، مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 2474 وبرقم 746). عند شرحه للبيت:

وعلى صدقكم وآلائكم ألى ... وأبطل ما ادعى الأعداء

لحكم ومصالح. والظاهر والله أعلم الشبيه على أن حكمة الله اقتضت اختلاف الأحوال، وكل حال بحكمتها: فكما جعل الليل والنهار يتعاقبان كذلك جعل الوحي يفتر ليشتدّ التشوق إليه ويتناهى التوجه إليه لعزته، إذ هُو من حضرة رب العزة، وفيه تنبيه على صدق نبينا محمد ﷺ، إذ لو كان ذلك من تلقاء نفسه واختياره كما ادعى الكفرة أنه سحر أو شعر أو أساطير أو كهانة أو كلام البشر، لم ينقطع عنه ولم يتحزن عليه حتى شقّ الأمر عليه غاية، ومن هذا المعنى قول الصوفية: (من علامة صدق الخواطر أن لا يذهب بحيلة ولا يأتي بسببٍ، وفيه إشارة إلى أن ما يردُ من حضرة القهار لا يتوصل إليه بحول ولا قوة، ولا يكون تحت يد العبد موكولًا إليه إذ لا يناسب ذلك عزته، ومن هذا المعنى قول «الحكم»: (قلّ ما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة)[1]) هـ[2].

فقف على قوله: (وفيه تنبيه على صدق نبينا...) لخ.

وقوله:

- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾[3]: جواب القسم، أي: ما قطعك قطع المودع. وقرئ بالتخفيف أي: ما تركك[4].

- ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾[3]: وما بغضك.

---

(1) «غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية» لابن عباد النفزي الفاسي الشاذلي (ت792هـ) (ص108)؛ و«شرح الحكم العطائية» لابن زروق الفاسي (ت899هـ) (ص115)؛ وفي «إبعاد الغمم عن ايقاظ الهمم في شرح الحكم» لابن عجيبة الحسيني (برقم 67 ج1 ص125)؛ وفي «شرح الحكم العطائية» لمحمد سعيد رمضان البوطي (الحكمة 67 ج2 ص401).

(2) «شرح» العلامة ابن زكري على قصيدته «الهمزية» (اللوحة 24). مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 2474 وبرقم 746).

(3) سورة الضحى، الآية: 3.

(4) تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (ج20 ص91).

وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلي، أنه تعالى مواصله بالوحي والكرامة في الدنيا، بشر ﷺ بأن ما يؤتاه في الآخرة أجل وأعظم من ذلك كله فقيل:

- ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ لخ[1]، قال في «الكشاف»: (حذف الضمير من (قلى) كحذفه من «الذكرات» في قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[2]: يريد «والذاكرات» ونحوه[3]).

- ﴿فَآوَىٰ﴾[4]، ﴿فَهَدَىٰ﴾[5]، ﴿فَأَغْنَىٰ﴾[6]، وهواختصار لفظي لضمور المحذوف.

ولما كان الحذف للاختصار ظاهراً لسائر الأنظار وتضمنه غيره من سائر دقائق الاعتبار:

- قال القزويني في «التلخيص»: (أنه للرعاية على الفاصلة)[7]، أي: مع الاختصار، إلا أنها من المحسنات البديعية، فذكرها في علم المعاني استطراداً.

---

(1) سورة الضحى، الآية: 4.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 35.

(3) تفسير الزمخشري «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» (ج4 ص 766)؛ وفي «الجامع لأحكام القرآن» (ج20 ص94).

(4) سورة الضحى، الآية: 6.

(5) سورة الضحى، الآية: 7.

(6) سورة الضحى، الآية: 8.

(7) «التلخيص في علوم البلاغة» للخطيب القزويني (ت739هـ) (ص35): وهو تلخيص كتاب «مفتاح العلوم» للسكاكي: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت626هـ)؛ ونقل النص العلامة ابن زكري (ت1144هـ) في «شرحه على قصيدته الهمزية» (اللوحة 24). مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 2474 وبرقم 746).

- وذكر صاحب «المواهب اللدنية»، والعلامة ابن زكري وغيرهما أنه: (تنزيه وإجلال لسيدنا محمد ﷺ أن يتصل به القلي ويتسلط عليه، ولو على جهة النفي، لأن النفي فرع الإثبات في العقل، وإنما ذكره أولًا ليعلم أنه المراد، فدعتِ الضرورةُ إلى ذكره. ولما انقضى الوطر من ذلك لم يُعد لمذكره من القلي كما تقول للأمير عند استشهادك هل سبه فلان؟ ما سُبَّ ؛إجلالاً لهُ) هـ[1].

تتمة: الأكثر على أن موسى هذا هو ابن عمران بن لاوي بن يهودا بن يعقوب. وزعم نوف البكالي وعليه أكثر اليهود أنه موسى بن ميسا بن يعقوب كان نبيًا قبل موسى بن عمران، استبعادًا أن يؤمر الكليم بأخذ العلم عن غير الله.

وأجيب: بأن ذلك كمال لا نقص، وتواضع؛ فإن الحكمة ضالة المؤمن[2]، وكفاك حديث: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علما، سهّل الله له طريقًا إلى الجنّة**»[3]. قال البخاري: (ورحل جابر بن عبد الله ميسرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحدٍ)[4].

على أن ما وقع في قضية الخضر وموسى عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، له حكمة وسبب،

---

(1) «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» للقسطلاني (ت923هـ) (ج2 ص560)؛ وفي «شرح» العلامة ابن زكري (ت1144هـ) على قصيدته «الهمزية» (اللوحة 24).

(2) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها». أخرجه ابن ماجه في «سننه» (كتاب الزهد: باب الحكمة برقك 4169 ج5 ص269) قال محققه: (إسناده ضعيف جدًا)؛ والترمذي في «سننه الجامع» (كتاب العلم: باب فضل الفقه على العبادة برقم 2687 ج4 ص417) وقال: (هذا حديث غريب).

(3) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء والتوبة: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم 2699 ج8 ص290)؛ وابن ماجه في «سننه» (رقم 223 ج1 ص150)؛ وأبو داود في «سننه» (برقم 3641 ج5 ص485)؛ والترمذي في «الجامع الكبير» (برقم 2646 ج4 ص385)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (برقم 300 ج1 ص165): (هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(4) «صحيح البخاري» (باب الخروج في طلب العلم ج1 ص33).

ومن اطلع على الحكمة في ذلك علم أن عدم علم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بتلك الأمور هو غاية الكمال في حقه، لا نقص فيه أصلًا، ويأتي ذكر الحكمة في ذلك إن شاء الله.

إذا علمت هذا كله، فلا موجب للطعن على الشيخ أبي علي اليوسي، ولا سبب للقدح فيه، ولا لقول خصمه فيما كتب له به: (فبادر يا مغرور بالتوبة، وأنب إلى الله أصدق أوبة، وإلا فأنت في أودية الضلالة تهيجُ وتشربُ منها شرب الهيم، إذ صرتَ تتحكم على الشارع، وتعمدُ إلى كليته عليه الصلاة والسلام، فتقلبها جزئية انتصارا لهواكَ) هـ[1].

إلى غير هذا مما هو غير مناسب لمقامه العلمي، ومنصبه الديني، فلذلك أضربتُ عنه صفحًا، وكلامه حملق بذلك، وذكر فيه أنه من تلامذة الشيخ ابن ناصر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]، وطعن على الشيخ أبي علي في انتسابه لهذا الشيخ، وفي تعرضه لتربية المريدين وقيامه فيهم مقام شيخ التربية، وقد انتصر له في هذا المعنى بخصوصه تلميذه الفقيه سيدي أحمد بن علي الشدادي الحسني[3]، وألف في ذلك تأليفا سماه «القوامعُ الرواسي فيمن طعن في شيخنا طريقة اليوسي».

---

(1) تقدم ذكره في «خلع الأطمار البوسية عن الأسطار اليوسية» للقاضي التجموعتي (ص657 ـ 658).

(2) تقدمت ترجمته في (ص137 ـ 138).

(3) أبو العباس أحمد بن علي بن محمد الفاسي، الشدادي (ت1163هـ)، من أهل الوثائق والحساب، ولي قضاء فاس وتوفي بها؛ من آثاره: «تقييد موجز عن انقراض دولة بني العباس وآخر ملوكهم» مخطوط بالخزانة الوطنية بالرباط (ضمن مجموع بالصفحة 164)، و«حاشية على شرح ميارة على لامية الزقاق»، مخطوط بالخزانة الوطنية بالرباط (برقم 1/ 2191 د / 873). «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة» للأزهري (ص52 ـ 53)؛ وفي «سلوة الأنفاس» للكتاني (برقم 1154 ج3 ص244)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 1463 ج1 ص197).

المقصد الثالث

في ذكر ما وقفت عليه من النصوص المصرحة
بعدم إطاقة ذوي الذوق والتميز
الإحاطة بشيء ما من معاني صفات الإله القوي العزيز
المنتجة للقول بعدم مساواة علم النبي عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ
لعلم مولانا الملك الخالق للأنام

فنقول:

قال في «جمع الجوامع»: (حقيقته تعالى مخالفةٌ لسائر الحقائق، قال المحققون: ليست معلومة الآن، واختلف هل يمكن علمها في الآخرة؟) هـ[1].

قال شارحه جلال الدين المحلي [2]: (قوله: الآن، أي: في الدنيا للناس، وقال

(1) «جمع الجوامع» لتاج الدين السبكي (مسألة: اختلف في التقليد في أصول الدين، ص124).

(2) هو جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (ت864هـ) الإمام العلامة؛ اشتغل وبرع في الفنون، فقهًا، وكلامًا، وأصولًا، ونحوًا، ومنطقًا، وغيرها... من آثاره: «البدر الطالع في حل جمع الجوامع»؛ و«شرح الورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني»؛ و«كنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين في فقه الشافعية للإمام النووي»؛ وغير ذلك. «الضوء اللامع» السخاوي (ج7 ص39)؛ و«حسن المحاضرة» =

كثير: (إنها معلومة لهم الآن، لأنهم مكلفون بالعلم بوحدانيته وهو متوقف على العلم بحقيقته)).

وأجيب بمنع التوقف على العلم به بالحقيقة، وإنما يتوقف على العلم بوجه ما، وهو تعالى يعلم بصفاته كما أجاب بها موسى عليه الصلاة والسلام فرعون السائل عنه تعالى، كما قصّ علينا ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لخ[1]. وقوله: (واختلفوا) - أي: المحققون ـ هل يمكن علمها في الآخرة؟ فقال بعضهم: نعم؛ لحصول الرؤية فيها. وبعضهم لا؛ والرؤية لا تفيد الحقيقة)هـ[2] كلامهما. ويأتي قريبًا عن «الذهب الأبريز» الاقتصار على القول بعدم معرفة الكنه والحقيقة مطلقًا، وضرب مثال يستفادُ منه ذلك بطريق الأولى.

• فإن قلت: هل يقدح قول الكثير فيما أسلفته، بحيث يكون حجة للخصم في دعواهُ عموم علم النبي ﷺ، وشموله للذات العلية، وصفاتها السنية؟ فيكون قولهم شبهة لما يرونه من الإطلاق[3]، والشمول، والاستغراق[4]، ولا يبقى هنالك ما ينفرد به علم الله سبحانه، لأن غاية ذلك هو هذا، ومعلوم له أيضًا؟

قلتُ: لا يقدحُ في شيء من ذلك:

= للسيوطي (برقم 200 ج1 ص443)؛ و«شذارت الذهب» لابن العماد (ج9 ص447)؛ و«البدر الطالع» للشوكاني (برقم 404 ج2 ص115)؛ «تذكرة المحسنين ضمن موسوعة أعلام المغرب» (ج2 ص768)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج5 ص333).

(1) من سورة الشعراء، الآية: 23.

(2) «البدر الطالع في حل جمع الجوامع» لمحمد بن أحمد المحلي الشافعي (ج2 ص413)؛ وفي «غاية الوصول في شرح لب الأصول» لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (ج1 ص161 – 162).

(3) سبق التعريف بمصطلح» الإطلاق» في (ص663).

(4) سبق التعريف بمصطلح «الاستغراق» في (ص578).

- أما أولا: فلما علمتَ مما بينه الجلال المحلّي من أن شُبهتهم التي استندوا إليها باطلة، ومهما بطلت شُبهَتُهم، بطل قولهم، فيكون كالعدم[1]، إذ المعدوم شرعًا، كالمعدُوم حسًّا.

- وأما ثانياً: فلأن الخلاف ـ والله أعلم ـ بين المحققين وغيرهم، إنما هو في الإمكان[2] وعدمه، لا في الوقوع والوجود في الخارج.

- وفرق بينهما إذ لا يلزم من الإمكان على القول به الوقوع، ولا يخفى أن كلامنا هُنا في هذا المعنى، فلم يتواردًا على محل واحدٍ.

- ومن تأمل فيما ذكرناه في هذا الكتاب، علم أن ذلك لم يقع لأحدٍ اتفاقًا، وأن عدم وقوعه من الأمُور المجمع عليها، وكفى دليلًا على هذا المعنى إخباره ﷺ عن نفسه بأنه لم يقع لهُ، فكيف بغيره؟

* وقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، يحتمل ثلاثة أوجه:

---

(1) العدم: عند الفلاسفة المسلمين يضاد الوجود، وكل منهما بخلف صاحبه، فإذا ارتفع عدم شيء ما خلفه وجوده. وإذا ارتفع وجوده خلفه عدمه. ولما كان نفس العدم ليس يمكن فيه أن ينقلب وجودا، ولا نفس الوجود يمكن أن ينقلب عدما، وجب أن يكون القابل لهما شيئًا ثالثًا غيرهما، وهو الذي يتصف بالإمكان والتكوّن، والانتقال من صفة العدم، إلى صفة الوجود؛ فإن العدم لا يتصف بالتكوّن والتغير، ولا الشيء الكائن بالفعل يتصف بذلك، لأن الكائن إذا صار بالفعل ارتفع عنه وصف التكوّن والتغير والإمكان، فلا بد ضرورةً من شيء يتصف بالتكوّن والتغير، والانتقال من العدم إلى الوجود، كالحال في انتقال الأضداد بعضها إلى بعض، أعني أنه يجب أن يكون لها موضوع تتعاقب عليه. «تهافت التهافت» لابن رشد (ص77)، وفي «موسوعة المصطلح» (ج2 ص1614).

(2) سبق التعريف بمصطلح» الإمكان» في (ص408).

(3) سورة الشعراء، الآية: 23.

- الأول: أنه سؤال عن الجنس، أي: أيّ جنسٍ هو من الأجناس التي شوهدت وعُرفت؟ لاعتقاد فرعون بجهله بالله تعالى أن لا موجود يستقل بنفسه سوى الأجسام، كما هو اعتقادُ الجهال الذين لا نظر لهم سديدٌ في معرفة الأشياء ولهذا أعرض عن جوابه موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ وأجاب بالوصف فقال: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[1]، فذكر وصفًا يدل على أن حقيقته ممتازة عن حقائق الممكنات، مشيرًا إلى أنّ اعتقادَ فرعون ليس من الإيقان، وتنفيراً لمن كانوا مسلمين لربوبيته، وحثّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بما ذكر على النظر[2] المؤدي إلى العلم اليقيني[3] بذاته، وصفاته، بأنه خالق هذه الأجرام الطويلة العريضة العظام،

ولا شك أن من نظر إلى جرْم السَّماءِ ممتدًا فوق المشارق، والمغارب، والسهل، والجبال، والعمران، والخلاء، مرفوعًا بغير عمدٍ، بلا اعوجاج، ولا

(1) سورة الشعراء، الآية: 24.

(2) النظر: قال ابن العربي المعافري في «المتوسط في الاعتقاد» (ص111): (الفكر المرتب في النفس على طريق يفضي إلى العلم، يطلب به من قام به، علمًا من العلميات، أو غلبة ظن من المظنونات)؛ قيل: (النظر هو الفكر)، قال أبو المظفر الإسفرايني: (هذا هو الذي عليه جمهور أصحابنا، وهو مطرد منعكس، وهذا الحد هو المعول عليه)، وذكر الغزالي في «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص19) عن بعضهم أن النظر هو طلب علم أو غلبة ظن؛ ولأبي المعالي الجويني في «الإرشاد» (ص3): (النظر في اصطلاح الموحدين هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن)؛ وقال الإمام فخر الدين الرازي في «معالم أصول الدين» (ص20): (النظر هو ترتيب تصديقات يُتوصل بها إلى تصديقات أخر، فإن من صدق بأن العالم متغير، وكل متغير حادث، لزمه التصديق بأن العالم ممكن، فلا معنى لفكره إلا ما حصل في ذهنه من التصديقين المستلزمين للتصديق الثالث). «المباحث العقلية في شرح العقيدة البرهانية» (ج1 ص431).

(3) سبق التعريف بـ«علم اليقين» في (ص636).

الشقاق، ولا شيء مذموم، يتزين في النهار بأنوار الشمس وفي الليل بأنوار القمر والنجوم، ونظر أيضًا إلى جرم الأرض وما احتوت عليه من الفيافي والقفار والقرى والأمصار، وما فيها من الأنهار والعيون والآبار، والنبات والأشجار والمعادن والبحار، وغير ذلك من كل دال مبيّن ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾[1]، عرف ما لمبدع ذلك من نعوت الجلال، وعلو القدر، وصفات الكمال، ولما لم يتنبه فرعون لجهالته لنكتة هذا الجواب، ولطاقته حيث لم يجبه عَلَيْهِ السَّلَامُ عن من كان السؤال عنه لفطانته، عجّبَ الحاضرينَ، ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾[2]، وتنبّهون لمقالته، فتأبى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن مناقشته، فلم يتعرض إلى مجادلته، بل عدل إلى وصفٍ أظهر في الدلالة على وجود الصانع فقال: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[3]، لأنه من الآيات المتعلقة بغيرها، إذ فيها دلائل لا تغيبُ عن العيون، فلو تنبهوا لأنفسهم، ما وسعهم الجهل بالله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[4].

ولما لم يتنبه أيضًا لما أعماه، وأصمه من حب الرياسة، طنز[5] بهم حيث سماه رسولهم فقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[6]، فأعرض عَلَيْهِ السَّلَامُ عن جدالته ثانيا، وعدل إلى وصفٍ ثالث أظهر من الأولين فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[7]، لأن هذه الأمور المتجددة، أدل على صانع

---

(1) سورة الذاريات، الآية: 20.

(2) سورة الشعراء، الآية: 25.

(3) سورة الشعراء، الآية: 26.

(4) سورة الذاريات، الآية: 21.

(5) طنز: يطنز طنزاً: كلمه باستهزاء فهو طنّاز. والطنز: السخرية. «لسان العرب (حرف الزاي: مادة طنز ج5 ص369).

(6) سورة الشعراء، الآية: 27.

(7) سورة الشعراء، الآية: 28.

يصنعها فيما له نوع استمرار، وعرّض بفرعون وأتباعه بأنهم أغبياء، حيث لم يتنبّهوا لما نبههم لهُ مرتين، من حكمة جوابه، وفساد مسألته الحمقى، فلما رآه فرعون مُصرًّا على ذلك، ولم يتزحزح عن سلوك تلك المسالك، نفخ الشيطان في خيشومه، فتمشدقَ وقال: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[1].

- **الثاني**: أنه سؤال عن الماهية والحقيقة، فيجري فيه ما جرى في تلك الطريقة، إذ الحقيقة محجوبة عن البشر لا يحيط بها غافل، وإنما السبيل إلى معرفته بصفاته، ولا يسأل عن الحقيقة إلا جاهل.

- **الثالث**: وقد اختاره الزمخشري: (أن اللائق بحال فرعون، أعني ما ادعاه أن يكون سؤاله هذا إنكارٌ أن لا يكون للعالمين رب سواه، فلما نسب موسى الألوهية لغيره تجبر وعجب، فلما عاد إلى مثله طنز به ونسب إليه ما نسب، فلما عاد ثالثًا مغلظًا التهَبَ وقال ما قال من قوله: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي﴾[1]، ولا يخفى على ذوي التحرير، متانةُ هذا الوجه الأخير)[2] هـ. من خط بعض شيوخنا[3].

وفي «الذهب الإبريز في مناقب الشيخ سيدي عبد العزيز»: (وسمعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يضرب مثلًا في كون العبد لا يطيق معرفة ربه سبحانه على ما هو عليه في كبريائه وعظمته، فيقول أن الآنية من الفخار، لو أمدها الله ـ تبارك وتعالى ـ بالإدراك،

(1) سورة الشعراء، الآية: 29.

(2) «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل تفسير الزمخشري» (تفسير سورة الشعراء، آية 23 ج3 ص307).

(3) لعلّه العلامة حمدون ابن عبد الرحمن ابن الحاج السلمي (ت1232هـ) صاحب «التقييد في قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾»: مخطوط بمؤسسة علال الفاسي بالرباط (برقم 795 ع 389) (في مجموع (ص56ـ55)). «الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي (ج2 ص71).

وسألها سائل عن صانعها، والمعلم الذي صنعها كيف هو؟ وكيف طوله؟ وكيف لونه؟ وكيف عقله؟ وكيف إدراكه؟ وكيف سمعه؟ وكيف بصره؟ وكم حياته في هذه الدار؟ وماهي الآلات التي صنعها بها؟ إلى غير ذلك من أوصاف المعلم صانعها، الظاهرة والباطنة، فإنها لا تطيق معرفة ذلك، ولا تطيق ذاتها حملَ تلك المعارف، ولا يطيق مصنوعٌ أبدًا حمل صانعه على ما هو عليه)[1].

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فإذا كان هذا العجز في حادث مع حادث، فما بالك بالصانع القديم سبحانهُ، فلا يطيق مخلوق أي مخلوق كان معرفته بالحقيقة، لا في هذه الدار ولا في تلك الدار أبد الآبدين، ودهر الداهرين) هـ[1].

وهذا كلامه في المعرفة بالكنه، والحقيقة، بيّن فيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنها لا تُضافُ كما هو مذهب المحققين، وإذا كانت مشاهدته تعالى ـ وهي دون معرفته ـ لا تُطاقُ، فكيف بمعرفته؟

قال في «الإبريز»: (وسمعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتكلم في المشاهدة، ويعظم أمرها، ويشير إلى عجز أكثر الخلق عنها، ويذكر الأسباب في عجزهم، إلى أن حكى لنا عن نفسه حكاية:

• فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لقيت بعض أوليائه تعالى سنة سبع وعشرين:

- فقلتُ: (ادع الله تعالى لي أن يرزقني مشاهدتَه).

- فقال لي: (دعْ عنك هذا ولا تطلبها منه تعالى حتى يكون هو الذي يعطيها لك من غير سؤال، فإنه إن أعطاها لك من غير سؤال أعانك عليها، وإذا جعلتَ تسألها منه سبحانه وتكثر منه فإنه لا يخيب سُؤلك، ولكن تخاف أن يكلك إلى نفسك فتعجز عنها).

---

(1) «الذهب الإبريز في مناقب الشيخ سيدي عبد العزيز» لأحمد بن المبارك السجلماسي المالكي (ت1155هـ) (ص378).

- قال: (فقلت: (اطلب الله لي، فإني أطيقها).

- فقال لي: (انظر إلى عالـم الإنس).

- فنظرت، فقال: (اجمعه كله بين عينيك حتى يكون مثل دور الخاتم).

- فقلت: (جمعته).

- فقال: (انظر إلى عالـم الجن وافعل كذلك).

- فقلت: (فعلتُ).

- فقال: (انظر إلى عالـم الملائكة: ملائكة الأرض والسموات والعرش، وافعل بهـم كذلك).

- فقلت: (فعلتُ).

- قال: (وجعل يعد العوالـم عالماً عالماً، حتى عدّ أنواعًا كثيرةً، وذكر عالم الجنة وجمع ما فيه، وعالـم الميزان وجمع ما فيه، ويأمر في أن نجمع ذلك بين عيني، وأقول: (فعلتُ).

- ثـم قال: (انظر إلى هذا الذي بين عينيك مجموعًا، وانظر إليه بنظرة واحدة واجتهد، هل تقدر على استحضار الجميع في تلك النظرة؟).

- ففعلتُ فلم أقدر.

- فقال لي: (أنـت لـم تقدر أن تشاهد هذه المخلوقات، وعجزتَ عن استحضارها في ذهنك، فكيف بمشاهدة الخالق سبحانه؟).

- فعلمتُ الحقّ وبكيتُ بدمـوع القلب على حرصي على شيء لا أطيقه.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (واستحضار هذه المخلوقات في نظر واحد لا يطيقه بشر ولا يقوى عليه إنسان).

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وكذا من يرى النبي ﷺ من أولياء الله في اليقظة، فإنه لا يراه حتى يرى هذه العوالـم كلها ولكن لا بنظر واحد.

قـال لي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرة في أول ما لقيته وتكلّمتُ معه في الروح، أنه (لا يحيط بها عاقل ولا يعرف حقيقتها إلا إذا كوشِفَ بالعوالم كلها قبل أن يعرفها، ومتى ما بقِيَ عليه بعضُها، ولـم يُكاشَفْ به ثـمّ كوشف بالروح، فإنه يفتتن).

قـال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ولو جلستُ مع أنجب عالم وجعل يسألني عن الروح وأنا أجيب عن سؤالاته، فإنه تمر عليه أربع سنين ولا تنقطع اعتراضاته فيها لكثرة إشكالاتها وخفاء أمرها) هـ[1].

• فإن قلـتَ: (إنما أثبت العجز عن المشاهدة لأكثر الخلق، فيُفهم منه أن أقل الخلق لا يعجزون عنها، فيكون هذا مناقضًا لجميع ما مرّ عن عجز الخلق كلهم عن الإحاطة بالله تعالى وصفاته، وعدم إدراكهم لذلك؟).

قلتُ: لا مناقضة[2]، لأن المُشـاهدة[3] التي أشار إليها هنا ليست هي معرفة الله

---

(1) «الذهب الإبريز» لابن المبارك السجلماسي المالكي (ص377 - 378).

(2) ناقضه في الشَّيْءِ مُناقَضةً ونِقـاضاً: خالَفَه. «لسـان العرب» لابن منظور (حرف الضاد: فصل النون ج7 ص242).

والمناقضة عند علماء الأصول: هي تخلف الحكم عن الوصف المدعى عليه، سواء كان لمانع أو لغير مانع، عند من لـم يجوز تخصيص العلة؛ إذ التخصيص مناقضة عندهم، وعند من جوز التخصيص هي تخلف الحكم عما ادعاه المعلل علة لا لمانع.

والمعارضة: هي طريقة صحيحة في إسقاط كلام الخصم، لأنه مساواة للخصم في مقصده على نقيض مراده، فصار كالمناقضة وغيرها من أنواع الأسئلة. غير أنها تصح بجنسها، وأن تكون في موضع دلالة الخصم على نقيض ما يدعيه.

وقالوا: المعارضة والمناقضة بينهما تناف، إذ المعارضة تستلزم دليل المعلل، وصحة دلالته على الحكم؛ والمناقضة تتضمن بطلان دليله وفساد دلالته على الحكم. «موسوعة المصطلح» للكتاني (ج3 ص1703).

(3) المشـاهدة: (هي رؤية الحق في كل ذرة من ذرات الوجود مع التنزيه له عما لا يليق =

سبحانه على ما هو عليه، بل هي دون ذلك، وإنما هي من جملة الألفاظ التي اصطلح عليها الصوفية لمعنًى من المعاني التي يقصدونها بكلامهم.

• فإن قلتَ: لعله أراد بها الرؤية وهي تفيد ذلك، فيبقى الإشكال؟

قلتُ: لا نسلم أنه أراد بها ذلك، وعلى تقدير تسليمه، فلا نسلم أن الرؤية تفيد الإطلاع على الكنه والحقيقة، بدليل ما تقدم في كلام الجلال المحلّي، والله أعلم.

ثم إن هذه المشاهدة ـ والله أعلم ـ هي المعبر عنها بالحضرة الربانية المشار إليها بقول الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صلواته النبوية: (واحملني على سبيله إلى حضرتك حملًا محفوفاً بنصرتك)[1].

قال شارحها الإمام الخروبي الطرابلسي[2] رَحِمَهُ اللهُ ما نصه: (هذا مطلب الصديقين القاصدين إلى حضرة مولاهم جَلَّ جَلَالُهُ، إذ غاية مقصودهم، وأقصى مرادهم، ومطلوبهم، الوصول إلى الحضرة الربانية على كاهل السنة المحمدية.

والحمل على السبيل: هو الجواذب الربانية التي تجذب السالك إلى الله

= بعظمته)، قاله ابن صلاح الدين الخاني في «السير والسلوك إلى ملك الملوك» (ص45)؛ (والمشاهدة تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد. وتطلق بإزائه على رؤية الحق في الأشياء. وذلك هو الوجه الذي له تعالى بحسب ظاهريته في كل شيء)، قاله الشريف الجرجاني (ت816هـ)؛ وقال الغزالي (ت505هـ): (المشاهدة ثلاثة: مشاهدة بالحق، وهي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد. ومشاهدة للحق، وهي رؤية الحق في الأشياء. ومشاهدة الحق، وهي حقيقة اليقين). «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج3 ص2474).

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص533).

(2) سبقت ترجمته في (ص33).

سبحانه جذبًا على سبيل السنة المحمدية، فإذا أراد الله سبحانه أن يبلغ السالك إلى حضرته الكريمة، حمله إليها على سبيل الاقتداء بالدليل الأعظم، والرسول الأكرم، نبينا، ومولانا محمد ﷺ، فيكون في سلوكه متبعا له ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أقواله، وأفعاله، وأحواله، وفي حركاته، وسكناته، محفوفًا في جميع ذلك بنصرة الله تعالى؛ فيكون في سلوكه بربه لا بنفسه، وهذا من علامات الوصلة، وأمارات القربة، والحضرة مأخوذة من المحاضرة، وكثيرًا ما يجري ذكرها على لسان القوم، وكثير من المتصوفة لا يعلمون لها حقيقة، وهي عبارة عن موطن من مواطن القرب، والمشاهدة، فإذا كان العبد على بساط الحق، مُشاهدا لصفاته، سمِيَ ذلك الموطن حضرة الأفعال) هـ[1].

وقد يقال[2]: إن العبد إذا كان مشاهداً أفعاله تعالى تسمي الحضرة التي هو فيها: حضرة الأفعال، وإذا كان مُشاهدًا أسماءه تعالى تسمى: حضرة الأسماء، أو صفاته تسمي: حضرة الصفات، وإذا كان مشاهدا الذات تسمى: حضرة الذات، وما دام العبد ملاحظاً أنه بين يدي الحق سبحانه فهو في حضرة الله، والجالسون فيها ليس للشيطانِ عليهم سبيل.

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في «مننه الوسطى»: (وسمعت سيدي عليًا الخواص[3] رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى يقول: (كلما قرب العبد من حضرة الله تعالى

---

(1) «شرح الصلاة المشيشية» لمحمد بن علي الخروبي الطرابلسي، ضمن كتاب «الإلمام والإعلام بنفثة من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام ابن مشيش» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص533).

(2) نقله المصنف عن الإمام مصطفى البكري (ت1162هـ) عن مؤلفه: «الروضات العرشية في الكلام على الصلوات البشيشية» مطبوع رفقة «شموس الأنوار ومعادن الأسرار على صلاة القطب الأكبر مولانا عبد السلام بن مشيش» لمحمد المرون (ص323ـ324).

(3) هو الإمام علي الخواص البرلسي (ت 939هـ)، من أعيان الصوفية بمصر خلال القرن =

كان إبليس أشد له ملازمة؛ لعلمه بكثرة إضلاله للناس عن الوصول لحضرة الله تعالى، وأن الجالسين في حضرة الله تعالى ليس له عليهم سبيل، فهو واقف على باب الحضرة ينتظر من يخرج منهم وهو غافل، فيركبه كما يركب الإنسان حمارته، ويتصرف فيه بما يشاء حسب الإرادة الإلهية. فإن حصل للعبد حضور مع الله تعالى نزل إبليس لوقته أسرع من لمح البصر خوف أن يحترق.

واعلم أن حضرة الله تعالى حيث أطلقت في لسان القوم، فالمراد بها شهود العبد أنه بين يدي الله، وأنه تعالى ناظر إليه، فما دام مستصحبًا لهذا الشهود فهو في الحضرة، فإذا احتجب عنه هذا المشهدُ، خرج في أسرع من لمح البصر.

والناس في ذلك متفاوتون بحسب القسمة: فمنهم من لا يدخل الحضرة كما ذكرنا إلا في صلاته؛ ومنهم من يدخلها في غير صلاته نحو درجة؛ ومنهم من يدخلها في النهار درجتين وهكذا؛ وأكملهم من يمن الله تعالى عليه بهذا الشهود ليلًا ونهارًا، إلا في أوقات يسامح الله تعالى فيها العبد.

ومن هنا قال العارفون: (إن مراقبة الله تعالى مع الأنفاس ليست من مقدور البشر).

وكان معروف الكرخي[1] يقول لي: (منذ ثلاثين سنة في حضرة الله تعالى

= العاشر الهجري، وهو من أجل الشيوخ الذين أخذ عنهم العارف بربه الإمام عبد الوهاب الشعراني، وله ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ مقالات سامية فيما يتعلق بالسلوك وآدابه ومتطلباته، إلى غير ذلك. وقد توسع العلامة الشعراني في ترجمته في «لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية» (رقم 63 ج2 ص 266 – 299)؛ كما ينظر «الكواكب الدرية» لعبد الرؤوف المناوي (رقم 807 ج3 ص417)؛ وفي «شذرات الذهب» لابن العماد (ج8 ص233).

(1) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف في القرن الثاني الهجري في بغداد (ت200هـ)، وهو من جملة المشايخ =

ما خرجت منها)، وكذلك كان يقول سيدي ابراهيم المتبولي[1]، ولكنه قال لي: (سبعة عشرة سنة في حضرة الله تعالى ما خرجت منها)، ومرادهما: ما عدا الأوقات التي يسامح الخلق بها، وإلى هذا المقام الإشارة بقوله ﷺ: «لي وقت لا يسعُني فيه غير ربي»[2].

فنكّر الوقت، وهو يصدُق بالوقت الطويل والقصير. وقد كان سهل بن عبد الله التستري[3] يقول: (منذ ثلاثين سنة وأنا أكلم الله، والناسُ يظنون أني أكلمهم)[4]، فإذا كان هذا حال بعض أفراد من خواص أمته ﷺ فكيف بصاحب

= المشهورين بالزهد والورع والتقوى، وصفه الذهبي بـ «علم الزهاد بركة العصر». «طبقات الصوفية» السلمي (رقم 10 ص80)؛ و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (ج8 ص360)؛ و«الرسالة القشيرية» لعبد الكريم بن هوازن (ص427رقم 62)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 111 ج9 ص339)؛ و«طبقات الأولياء» لابن الملقن (ص280ـ285).

(1) هو برهان الدين إبراهيم بن علي بن عمر الأنصارى المتبولي. من أصحاب الكشف والدوائر الكبرى في الولاية، وينسب الى متبول من قرى محافظة الغربية. توفى سنة 880هـ. ترجم له السخاوي في «الضوء اللامع» (ج1 ص85)؛ والشعرانى في «الطبقات الكبرى» (ج2 ص166 ـ 172)؛ وعبد الرؤوف المناوي في «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» (برقم 662 ج3 ص119).

(2) سبق تخريجه في (ص584).

(3) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري (ت 283هـ)، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري. له كتاب في «تفسير القرآن» وكتاب «رقائق المحبين» وغير ذلك. «طبقات الصوفية» للسلمي (رقم 30 ص166)؛ وفي «الرسالة القشيرية» (ص400 رقم 18)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 151 ج13 ص330)؛ و«طبقات الأولياء» لابن الملقن (ص232)؛ «الأعلام» للزركلي (ج2 ص84).

(4) «المنن الوسطى» لعبد الوهاب الشعراني (الباب الأول في جملة الأخلاق... ص231 ـ 232).

المقام الأكبر، وسيد أهل حضرة الله تعالى على الإطلاق) هـ[1].

وقال في «الجواهر»: (وسمعته يقول: حضرة الحق تعالى حضرة بهتٍ، فمن ادعى أنه حاضر فيها وعبث بيده أو ضحك أو فرح أو حزن، فليس هو فيها، إنما هو رجل ملبسٌ عليه حاله)[2].

فتلخّص مما ذكرته في هذا المقصد، والذي قبله، أن الذات العلية وصفاتها السنية، لا تحيط العقول مطلقًا بكيفيتها، ولا تلمح ساحل بحر كميتها:

• **أما الأول**: فلأنها معان غير محصورة ولا محدودة؛ فعلمه تعالى محيط بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات، ولا شك في عدم انحصارها. وقدرته تعالى متعلقة بجميع الكائنات التي لا انحصار لها، فهي صالحة؛ لأن ما يوجد بها ألوفُ ألوفِ ألوفٍ من أمثال هذا العالم، وزد ما شئت إلى غير نهاية مع علم خلقه بذلك أو عدم علمهم؛ قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

وهكذا سائر صفاته التي هي معاني أسمائه: كالخالق والرزاق والمعطي والمانع والمعز والمذل، كلها معان لا تعد ولا تنحصر. وعلى هذا، حمل الشيخ

---

(1) نقله المصنف عن «الروضات العرشية» للإمام مصطفى البكري مطبوع رفقة «شموس الأنوار» لمحمد المرون (ص323 – 324).

(2) نقله المصنف عن» الروضات العرشية» (ص323 – 324)؛ ولم أقف عليه في «الجواهر والدرر مما استفاد سيدي عبد الوهاب الشعراني من شيخه سيدي علي الخواص» لعبد الوهاب الشعراني (ت973هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت (2005)؛ والذي (ذكر فيه أنه التمس منه بعض الناس أن يذكر لهم ما تلقفه عن شيخه، سيدي: علي الخواص، مما فاوضه أو سمعه حال مجالسته له مدة عشر سنين) كما في «كشف الظنون» لحاجي خليفة (ج1 ص618)؛ وأرجح أنه نقله عنه بتصرف.

(3) سورة النحل، الآية: 8.

ابن زكري: قوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾[1]، وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾[2]، أي: تنزه، ونزهه عن الحدود والغايات، وإدراك العقول والأفهام، وإذا عجزت عن الاسم، فكيف بالمسمى؟ ويأتي تمام كلامه.

• **وأما الثاني:** فلأن القديم[3] لا يستحيل فيه عدم التناهي، وإذا صحّ التسلسل في الأعمار باعتبار المستقبل، صحّ في القديم، وإن لزم وجود ما لا نهاية له دفعةً،

---

(1) سورة الرحمن، الآية: 78.

(2) سورة الأعلى، الآية: 1.

(3) **القديم**: هو ما لا أول لوجوده. وهو الله، الذي لا ابتداء له في الزمان، ولذلك يوصف بـ«القديم» وحده، بمعنى أنه لم يسبقه العدم، ولم يفتقر إلى موجود قبله يوجده، ومن ثَمَّ يجب الاعتقاد بأنه تعالى قديم.

قال القاضي عبد الجبار (ت415هـ): (وقد اختلف قول شيخنا أبي علي الجبائي (ت303هـ) في حقيقة هذه اللفظة، فقال في بعض كتبه: (إنه يراد به أنه لا أزل لوجوده، وأن الذي يختص بهذه التسمية هو الله تعالى دون سائر الموجودات).

واختلفوا في معنى القديم، فقال الأشعري (ت324هـ): (إنه قديم لذاته. وأجمع أصحابنا على أنه باق ببقاء يقوم به)، إلا القاضي أبا بكر الباقلاني (ت403هـ) فإنه قال: (إنه تعالى باق لنفسه).

وقال ابن حزم (ت456هـ): (إن القديم من صفات المخلوقين؛ فلا يجوز أن يسمى الله تعالى بذلك. وإنما يعرف القديم في اللغة من القدمية الزمانية، أي أن هذا الشيء أقدم من هذا بمدة مخصوصة. وهذا منفي عن الله تعالى. وقد أغنى الله عَزَّوَجَلَّ عن هذه التسمية بلفظ «أول»؛ فهذا هو الاسم الذي لا يشاركه - سبحانه - فيه غيره) «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص1965).

وقال ابن العربي المعافري في «المتوسط في الاعتقاد» (ص126): (القديم هو الشيء الذي يجب له الوجود في حالة يستبد بها عن المحدث وينفصل فيها عنه، والمحدَث ما تعلق بمخصص أوجب حدوثه على أحد وصفي جوازه). وحول «القديم» أورد ابن العربي المعافري في «الأمد الأقصى» (ج1 ص480) أربع مسائل.

إلا أن هذا إنما يدل على الصحة لا الوقوع، فالأَوْلى الوقف.

نعم؛ عدم تناهي إفراد الكمال باعتبار إدراك العقول محقق قطعًا، وهذا هو المطلوب؛ إذ لا تبلغ حدًّا من الكمالات ليس وراءه شيء آخر، وإذا كان سيد الأولين والآخرين وسائر العارفين يقول: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1]، مع أنه أفنى عمره في الثناء عليه، وعلم كل مُثْنٍ ما أثنى به، وما يثني به عليه، ومُلئت التآليف بثنائه، بل الخزائن المملوءة بالتآليف، فكيف بغيره؟ وقد قال الصديق الأكبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (العجز عن الإدراكِ، إدراكٌ)[2] كما مرّ.

• وعقده من قال :

لا يعرف الله إلا الله فاتّئدوا — فالدين دينان إيمان وإشراك
وللعقول حدود لا تجاوزها — والعجز عن درك الإدراك إدراك[3]

وعقده أيضًا الإمام ابن عرفة[4] في أبياته المشهورة فقال:

إلَّا أنَّ إدراك الحقيقة معجزٌ — وإدراك نفس العجز عين الحقيقةِ
كما قاله الصدِّيق أول قائلٍ — بفكر سديد أو بحسن بديهةِ
لذا ثبت التكليف في متكرر — بالله أكبر فاستمع لمقالتي
فكل كمال بالحقيقة كائن — له انتفاء النقص قل باستحالة
وليس لأنواع الكمال نهاية — في الآثار إمكان التسلسل حجتي[5]

(1) سبق تخريجه في (ص499 ـ 500).

(2) سبق الإشارة له في (ص746)، و (ص762).

(3) سبق توثيق هذه الأبيات في (ص617) وفي (ص763).

(4) سبقت ترجمته في (ص622).

(5) الأبيات من بحر الطويل، وأورد البيتين الأوَّلَين محمد ابن قاسم جسوس (ت1182هـ) =

وقال الجنيد: (سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته، إلا بالعجز عن معرفته)[1].

- وقال الشاعر:

جل المهيمن عن إدراك مفتقر ولا يحيط به عقل فيدركه
كلت وضلت بحار العقل والفكر تاهت عقول ذوي الألباب فيه وقد[2]

وفي «محصل المقاصد»:

والعقل لا يحيط بالجلال وما لربنا من الكمال
يعلمه هو بلا نهاية لا العقل فالحد له والغاية[3]

وإذا لم يحط العبد بصفات نفسه فكيف بصفات بارئه تعالى، قال:

= في «شرح توحيد الرسالة» (ج2 ص387)؛ ومحمد نووي تناري الجاوي الشافعي (ت1316هـ) في «سلم المناجاة شرح سفينة الصلاة» (ص47-48).

(1) نسبه أبو القاسم القشيري (ت465هـ) لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في «الرسالة القشيرية» (ص300)؛ ونقله محمد ابن قاسم جسوس (ت1182هـ) في «شرح توحيد الرسالة» (ج2 ص387).

(2) ذكرهما في «مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن» أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت1052هـ) (ص 257).

(3) المنظومة الكبرى في علم الكلام الموسومة بـ «محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد» للإمام العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني (ت899هـ) (اللوحة 48 القسم الثاني فيما يجب لله عز وجل من الصفات الثبوتية). توجد بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 6941)، «كشاف المخطوطات» بخزانة القصر الملكي بالرباط (ص401). وبالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 377 د)؛ و(برقم 1066 د)؛ و(برقم 580 ق)؛ وفي «مختصر نظم الفرائد ومبدي الفوائد في شرح محصل المقاصد» لأبي العباس ابن منجور الفاسي (ت995هـ) تح: عبد الرزاق دحمون دار ابن حزم (ط2014م) (ج2 ص928 رقم الأبيات 834 و835).

حقيقـة المـرء ليـس المـرء يدركهـا فكيـف كيفيـة الجبـار بالقـدم[1]

* وفي الخبر: (من عرف نفسه عرف ربـه)[2]؛ قال الشيخ ابن زكري: (يحتمل أن يكون معناه: من عرف نفسه إجمالا، عرف ربه كذلك. ويحتمل أن يكون من باب تعليق المحال على المحال، والمعنى من عرف نفسه تفصيلا عرف ربه كذلك، لكن معرفة الإنسان لحقيقة نفسه متعذرة في حقه لا يمكنه الوصول إليها، فكيف يعرف خالقه؟

وقد قال القائل:

أيـن منك الـــروح فـي جوهرها هـل تراهـا هـل تـرى كيـف تجول
أيــن منــك القلــب فــي قالبه وهـو بيت الـرب حقًّـا إذ يقول
أيـن نـــور العقــل والعقــل إذا غـلب النـوم فقل لـي يـا جهول
هـــذه الأنفـــاس لا تعـرفهـا لا ولا تـــدري متـى عنك تـزول

(1) هـذا البيت نسب لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «ديوان علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ» (ص185 قافية الميم)؛ ونسب للصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ في «شرح مختصر الروضة» لأبي الربيع سليمان بن سعيد الطوسي (ت716هـ) (ج2 ص58)؛ وأورده السفيري (ت956هـ) في «شرح البخاري»: «المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية» (ج1 ص458)؛ وابن العماد (ت1089هـ) في «شذرات الذهب» (ج4 ص32؛ عند ذكر سنة ست وثلاثمائة)؛ ومحمد ابن قاسم جسوس (ت1182هـ) في «شرح توحيد الرسالة» (ج2 ص389).

(2) أورده عبد الجليل القصري في «شعب الإيمان» (ج1 ص47)؛ وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (برقم 1149 ص198): (قال أبو المظفر بن السمعاني في الكلام على التحسين والتقبيح العقلي من القواطع إنه لا يعرف مرفوعًا، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي ـ يعني من قوله ـ، وكذا قال النووي: إنه ليس بثابت)؛ وتحدث عنه السفيري الشافعي في «شرح البخاري» (ج1 ص458)؛ والملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة» (رقم 506 ص351)؛ والعجلوني في «كشف الخفاء» (ج2 ص312 رقم 2532)؛ وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (رقم 66 ج1 ص165): (لا أصل له).

أنت لا تـدري صفـاتٍ رُكبت ... فيك صارت في خفاياها العقول
فـإذا كـانت خفـايـاك التي ... بيـن جنبيك بهـا أنـت ضلول
كيف تدري من على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف تحكي أم تـرى كيف ترى ... عـمـري لـيـس ذا إلا فـضـول
إن تـقـل كـيـف فـقـد مثلته ... أو تقل أيـن فقد رمت الحلول
وهـو لا أيـن؟ ولا كـيـف له ... وهو رب الكيف والكيف يحول
وهـو رب الـفـوق ولا فـوق له ... وهـو في كـل الـنـواحي لا يـزول
جـل ذاتـا وصـفـاتٍ وسـنـا ... وتـعـالـى وصـفـه عـمـا أقـول[1]

قوله: (إذ يقول)، أي: (لـم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)[2]؛ فمقول القول مقدور، ويحتمل أن يكون من باب قولـهِ:

---

(1) هذه القصيدة للشيخ عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي (ت678هـ) [ترجمته في «الأعلام» للزركلي (ج3 ص355)، و«البداية والنهاية» لابن كثير ج13 ص266)]. «ديوان عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي (ت678هـ)» (ص27)؛ ونقلها العلامة زروق الفاسي في «شرح الرسالة» (ج1 ص24)؛ والعلامة المواق الغرناطي المالكي (ت 897هـ) في «سنن المهتدين في مقامات الدين» (ص292)؛ وجلال الدين السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (ج2 ص240).

(2) عن هذا الحديث: ذهب العراقي (ت806هـ) مخرج أحاديث «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، بأنه لا أصل له، وقال ابن تيمية: هو مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ. «اللآلئ المنثورة» للزركشي (الحديث18 ص135)؛ وفي «المغني عن حمل الأسفار» زين الدين العراقي (ج3 ص20)؛ وفي «الدرر المنتثرة» للسيوطي (برقم 363 ص175)؛ وفي «تنزية الشريعة» لعلي الكناني (برقم 45 ج1 ص148)؛ وفي «تذكرة الموضوعات» للفتني (ص30)؛ وفي «الأسرار المرفوعة» للملا علي القاري (برقم 423 ص301)؛ وفي «الفوائد الموضوعة» للمقدسي (برقم 85 ص102)؛ و«مختصر الزرقاني على المقاصد الحسنة» (برقم 916 ص200)؛ و«كشف الخفاء» للعجلوني (برقم 2256 ج2 ص195).

وفــي كــل شــيءٍ لــه آيــة تــدل علــى أنــه الــواحـدُ[1]

أي من نظر إلى دقائق صنع نفسه وحقائق أحكامها مما هو مبسوط في محله، عرف ربه بالوجود والقدرة والعلم والحيوة والتنزه عن النقائص، إذ لا يقدر على ذلك إلا المتصف بهذه الصفات، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[2]، وهو توحيد آخر في المعرفة الإجمالية، ويحتمل غير ذلك.

ثـم هو ليس بحديث، وإنما هو من كلام يحي بن معاذ الرازي[3]:

---

(1) ذُكر هـذا البيت من قصيدة «فيا عجبًا كيف يعصى الإله» للبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري (ت41هـ): أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ، يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. ينظر «ديوان لبيد بن ربيعة» (ص232). قال محققه: (لم ينسبه للبيد إلا صاحب «محاضرات الأدباء»، ونسبت في بعض المصادر لأبي نواس)؛ كما جاء هذا البيت في شعر أبي العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، أبو إسحاق (ت211هـ): «أبو العتاهية أشعاره وأخباره» لشكري فيصل (ص104 قافية الدال). وذكره ابن عربي في «الفتوحات المكية» (ج1 ص410)؛ والغزالي في «إحياء علوم الدين» (ج1 ص123)؛ ومحمد المهدي الفاسي (ت1109) في «مطالع المسرات» (ص186)؛ وابن قاسم جسوس في «شرح توحيد الرسالة» (ص147) و(ص370)؛ وعمر الشبراوي في «شرح ورد السحر العارف البكري» (ص120).

(2) سورة الذاريات، الآية: 21.

(3) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، وصفه الذهبي بأنه «من كبار المشايخ له كلام جيد ومواعظ مشهورة». توفي يوم 16 جمادى الأولى سنة 258هـ. «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (رقم 14 ص98)؛ «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (ج10 ص51)؛ و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ج6 ص307)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج6 ص167-165)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (ج13 ص15)؛ و«طبقات الأولياء» لابن الملقن (ص321)؛ و«الكواكب الدرية» =

قال السيوطي في «الدرر المنترة في الأحاديث المشتهرة»: (حديث: (من عرف نفسه عرف ربه)، قال النووي: (غير ثابت)، وقال الإمام ابن السمعاني: (هو من كلام يحيى بن معاذ الرازي))[1].

- وقد ألف فيه بعض شيوخ أبي العباس المقري[2] تأليفا سماه: «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه عرف ربه»[3].

- وتكلم عليه المقدسي في «حل الرموز»[4]؛ ونقل كلامه الشيخ اليوسي في «حواشي الكبرى»[5].

- وتكلم عليه صاحب «القوت»[6].

= المناوي (ج1قسم1رقم 287 ص726)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (ج3 ص260)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج8 ص172).

(1) «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» لجلال الدين السيوطي (رقم 393 ص185).

(2) سبقت ترجمته في (ص698).

(3) كتاب «القول الأشبه في حديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)» هو لجلال الدين السيوطي (ت911هـ)، ذكره في «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» حاجي خليفة (ج2 ص1362).

(4) «حل الرموز وكشف الكنوز» لعبد السلام بن محمد بن غانم المقدسي، الشافعي (ت 678هـ) (ص39).

(5) «حواشي» اليوسي (ت1102هـ) على «شرح كبرى السنوسي» (فصل في أقرب الأشياء المخرجة عن التقليد في العقائد ج2 ص8).

(6) قال أبو طالب المكي (ت386هـ) في «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد»: (معناه إذا عرفت صفات نفسك في معاملة الخلق، وأنك تكره الاعتراض عليك في أفعالك، وأن يعاب عليك ما تصنعه، عرفت منها صفات خالقك، وأنه يكره ذلك، فارض بقضائه، وعامله بما تحب أن تعامل به)، ونقله السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (ج2 ص239).

- وصاحب «لطائف المنن» في مقدمته[1]. وأول الأبيات المذكورة قبلُ[2]:

قل لمن يفهم عني ما أقول ... قصِّر القول فذا شرحٌ يطول
ثم سرٌّ غامض من دونه ... قصرت واللّه أعناق الفحول

وبعد هذه الأبيات الثلاثة الأولى:

أين أصل النور في أبصارنا ... ودموع العين إذ تجري سيول
أين أصل الشيب في شعورنا ... وأصول الشعر في الرأس الكحول
أين أصل المسمع والشم إذا ... فقد المجموع قل لي يا نكول
أين يذهب علمًا كنت تعلمه ... حين تنساه فقل لي يا ضلول
أين كان الجسم في نُطفنا ... فشعور وعروق وأصول
وحديث النفس من يسمعهُ ... ومَر الشخصُ الذي فيها يقول
إذ يكون الأخذ في وسويها ... ومجال الرد منها والقبُول
أين من يبصر كل ما تعمل ... ويسمع منك أخفى ما تقول
أين نور الشمس لما أن دجا ... غيهبُ الليل وناءت الأفول
أين صار الليل لما أن أتى ... بضياء الصبح رب لا يحول
أين كان التمر في نواته ... وكذا الأشجار طرا والبقول

---

(1) «لطائف المنن» لابن عطاء الله السكندري (ص52).

(2) بداية قصيدة الإمام عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي (ت 678هـ). سبقت في (ص832 ـ 833). ونقلها أيضًا ابن مغيزيل الشاذلي في «الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة» (ص178)؛ وعمر الشبراوي في «شرح ورد السحر للعارف مصطفى البكري الصديقي (ت1162هـ)» (ص100).

أبـــن أكـــل الـخـبـــز لا تـعـرفــه كيف يجري فيك أم كيف تبول
هـــذه الأنـفـــاس لا تـعـرفـهـــا .... لـــــــخ[1]

هـذا، وفي «أجوبة» الشيخ أبي المحاسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قول[2]: (من زعم أن قولهم: (انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة وهل هو حديث؟)[3]، وقول أبي بكر البطائحي[4]: (إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد، تناهت إلى الحيرة))[5]؛ مانصه:

(الحيرة والتحير لغةً: الهيمان وتفرقُ النظر في شيء وامتناعه، بحيث لا يجد له سبيلًا، وأما ما يقتضيه المقام التوحيدي فهو: هيمان ينزل بالناظر لعجزه عن معرفة كنه الجلال ونعوت الكمال، فلا يجد لإدراك الكنه سبيلًا لامتناع

---

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) «مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن» لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري (ت1052هـ) (ص253-257).

(3) ذكره أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (ج9 ص374) من حديث أحمد بن عبد الله بن ميمون، قال: (سمعت ذا النون، يقول، وقد سئل عن أول درجة يلقاها العارف؟ قال: (التحير ثم الافتقار، ثم الاتصال، ثم انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة).

(4) هو أبو بكر بن هوار البطائحي: الهوار: نسبة إلى طائفة من الأكراد، كان عظيم القدر كبير الشأن وإليه ينتمي أعيان مشايخ العراق وهو أول من أسس المشيخة بالعراق، كان حيًّا في القرن السادس الهجري. «الطبقات الكبرى» للشعراني (ت937هـ) (برقم 249 ج1 ص237)؛ وفي «قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر الجيلاني» لجلال الدِّين أبو البركات محمد الرِّبعي التَّادفي (ت963هـ) (ص78 - 79)؛ وفي «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» لعبد الرؤف المناوي (ت1031هـ) (برقم 469 ج2 ص352).

(5) ذكره أبو نعيم الأصبهاني (ت430هـ) في «حلية الأولياء» (ج10 ص267)؛ ونسبه أبو القاسم القشيري (ت465هـ) في «الرسالة القشيرية في علم التصوف» إلى الجنيد البغدادي (ت 297هـ) (الفصل الثاني: شرح المقامات: التوحيد رقم 43 ص299).

إدراك الحقيقة على الصحيح وامتناع الإحاطة بها. قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1].

والناس في مواردهم على حسب مشاربهم مواجد مختلفات، وفي توحيدهم معارج متعددات: إيماني وبرهاني وإحساني، وعلى ترتيب العوالم الثلاثة: فعل وصفة وذات. فمشرب العبد على حسب وسعه وسلامة ذهنه، كما سبق في العلم الأزلي: عامة وخاصة وخاصةَ الخاصة، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[2]، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾[3]:

• فالعـامة: وقفوا مع الدليل خلف الباب، فأعطوا نصيبهم من وراء حجاب، فحيرتهم: عجزهم عن الإحاطة الممنوعة شرعًا، إذ العقول معقولة مهما رامت أو طلبت ما ليس لها طلبه؛ زجرها زاجر الشرع واكتنفها وارد المنع، فرجعت القهقرى ونكصت الى ورا؛ فانحطت عن مدارك الوصول، فهي مترددة بين الرد والقبول، متفاوتة الفقد والحصول، فحظها ونصيبهـــا:

قف بالديار فهذه آثارهم ... وابك الأحبّة حسرةً وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبراً ... عن أهلها أو داعيًا أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى مسرعًا ... فارقت من تهوى فعز الملتقا[4]

(1) سورة طه، الآية: 110.

(2) سورة البقرة، الآية: 60.

(3) سورة الإسراء، الآية: 20.

(4) هذه الأبيات أوردها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج10 ص348) عند ترجمة أبي محمد الجريري؛ ونسبت لأبي محمد الجريري في «المنازل والديار» لأسامة بن منقذ (ت584هـ) (ص72)؛ كما ذكرت في «المستطرف في كل فن مستطرف» لمحمد بن أحمد الأبشيهي (ت852هـ) (ج2 ص381)؛ وفي «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض =

وتوحيد الخاصة: يقين في القلب عن علم ضروري يرد عن مكاشفات، ولها ثمرات ومنازلات تدرك بالتحلّي والمصافاة؛ فحيرتهم من بساط مقامهم منازلة هيمان ينزل عن بديهة يرددهم بين اليأس والطمع في الوصول إلى مطلوبهم وكمال مرغوبهم:

ويطمعني فيه عذوبة وصله ... وتقطعني عنه سيوفٌ قواطعُ
وأعلم أن النجم دون وصاله ... ولكن لي قلباً دَهَتْهُ المطامع[1]

لا يطمعُهم في الوصل فيربحون، ولا يؤيسهم عن الطلب فيستريحون؛ قد كشف لهم تعالى عن أوصاف جماله، ونعوت كماله؛ فهم سكارى، متحيرون، ما بين طيش وعيش ولهُون؛ فإن تجلى لهم طاشوا، وإن حجبهم عاشوا؛ قد أخذهم عنهم فهُم بِلا هُم، فأفناهم عنهم به له فيه فهّمهم، وأشهدهم منه إليه عليه، فأحياهم؛ قد نظروا به إليه، فتحققوا أن لا دليل عليه تعالى سواه، واعترفوا أن لا وصول لشيء من معارفهم، إلا بتأييد، وتخصيص من موجدهم[2]:

تحيّرت فيك فخذ بيدي ... دليلًا لمن قد تحيّر فيك
ورمتُ الوصول فلم أهتد ... وأنت الدليل لمن يرتجيك[3]

= أبي العباس التجاني» للعلامة علي حرازم برادة الفاسي (ت1214هـ) (ج1 ص240)؛ وفي «البحر المديد» لابن عجيبة الحسيني (عندالآيات 126إلى128من سورة النحل ج3 ص177).

(1) «مرآة المحاسن» (ص254).

(2) ذكر البيت الأول منه ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (ج11 ص219)؛ وعبد الله بن حجازي الشرقاوي المصري في «الفيض العرشي على الفتح القدسي شرح ورد السحر» (اللوحة 235).

(3) «مرآة المحاسن» (ص 255).

وتوحيد خاصة الخاصة: عن مشاهدة ووجدان قد منحوا حق اليقين، وأعلا مراتب العارفين؛ فحيرتهم كما يليق بهم وعلى قدر مواجدهم هو هيمان من تحقيق نظرهم في مشاهدة كمال محبوبهم كما يتحيّر البصرُ من مشاهدة نور الشمس تقريبًا، وهذه الحيرة هي مصادمات الحب ومواجد القرب، يتوالى شربهم؛ فهم عليهم في حضرة الجمع ناطقون، وبه إليه ناظرون، وبه فيه ذاهبون؛ قد غابوا عن التوحيد في التوحيد بالتوحيد؛ لاستهلاكهم في مشهدهم، وبقائهم لمحبوبهم على ساق التجريد، وقدم التفريد، قد أهلهم الله لحضرته، وحلاهم بمعرفته، وأقامهم مقام قربه ومشاهدته؛ تحفهم أحوال سنية، وآداب سمية؛ فعندها يعترفون أنهم عن مداركها قاصرون، فيتحقق العبد أنه ـ وإن بلغ أقصا الغايات، وأنهى المنازل ـ فهو عن ذروة أعلاها، وغاية أقصاها؛ منحط نازل، لأن جميع الطاعات وأنواع القربات، في مقابلة حقوق الهيبة جنايات، وكل أنواع المعارف الحاصلة للخلق في مقابلة كبريائه وعظيم جلاله، نقص وتقصير ومنّة منه تعالى وفضل بالنسبة لكماله وعلو جلاله قصور وجهل، فالعبد في أي مقام كان من المقامات ـ وإن كان عاليًا جدًّا ـ إذا قوبل بجلاله صار عين التقصير ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1]:

ولما تجلى لي من أحب تكرمًا — وأشهدني ذاك الجناب المعظما
تعـرف لـي حتـى تيقنت أنني — أراه بعيني جهـرة لا توهما
وما هو في وصلي بمتّصل ولا — بمنفصل عني وحاشـاه منهما
ومـا قـدر مثلي أن يحيط بقدره — فأين الثرى من رفعة البدر إنما
أشاهده في صفو سرّي فأجتلي — جمالًا تعالى عزه أن يُقسّما[2]

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 91. وفي سورة الزمر، الآية: 67.

(2) «مرآة المحاسن» (ص 255)، وذكرها ابن عجيبة الحسيني في «الفتوحات الإلهية في المباحث الأصلية» (ص32)؛ وأبو الفتح عبد العزيز الجعفي في «الاستبشار بشرح ما...

فتوحيدهم هو التوحيد الذاتي؛ انكشفت لهم أسرار الذات ومعاني الصفات، حيث كانت معراجًا لهم بقدر ما تسعه عقولهم، وتحمله أرواحهم رحمة من الله تعالى بهم، وهم في نيل هذه الأسرار على مراتب:

- منهم من تنكشف له جملة.

- ومنهم من تنكشف له تفصيلًا.

- ومنهم من تنكشف له جملة وتفصيلًا: وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

- وأعظمهم كشفًا، وأعلاهم رتبة، وأوسعهم معرفة: سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

فكانت هذه الأسرار التوحيدية، والأسرار الغيبية قبل بعثه ﷺ بحرًا طامسًا، وسماءً عابسًا؛ فبنوره ظهرت، وبسره أشرقت ﷺ، فجميع الحقائق ارتقت، وتجلت في باطنه ﷺ، حتى صار قلبه معدنا لها، وباطنه مرساها. فقلبه ﷺ معدن الحقائق والأسرار، وباطنه مهبط العلوم والأنوار، خصّ بذلك ﷺ لاتّساعه، فما وسعه لا يسعه غيره. فأرواح العلماء، وقلوب العارفين، وسائر النبيئين والمرسلين، وعباد الله الصالحين، تتلقى من روحه ﷺ العلم، والحكمة، والمعارف الربانية، والأسرار الملكوتية؛ فكل علم وحكمةٍ نقطة من بحره ﷺ، فكانت حيرته ﷺ حسب معرفته، كما يليق بمقامه وعلو منزلته، وحقيقة ذلك لم يدركها أحد بفهمه، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [1] من ظواهر الأمور دون بواطنها، وجليّها دون خفيّها، فالفهوم كلّت، والعقول وقفت، وتضاءلت عن إدراك خفي سره، والوقوف على حقيقة أمره، وما يعلم ذلك إلا الذي خصه به:

---

* خفي في زنار من لطائف المعاني والأفكار ورقائق الحكم والأسرار» (ص4).

(1) سورة البقرة، الآية: 255.

فهو الحبيب الذي جلت مواهبه على الدوام فلا تخفى بواديه
أفاض من عرفات الفضل باديةً من الجمال فكل تائهٍ فيه
واسبل الستر كي يبقى الحجاب له ولو تكاشف مات الكل في التيه
قد طاب فيه لقلب الصّبّ قتلته لذّ فيه غرام ما يُلاقيه
ألقى شواهده في قلب شاهده وأين شاهده فيما يحاكيه
هذا الجمال الذي......... ....[1]

فهذا الرسول الكريم بعثه الله دليلًا عليه، وعرّف الخلق الطريق إليه، ورد بهم إلى بابه الكريم، ونهج بهم الصراط المستقيم، فدل على الله بأقواله وأفعاله وأيقظ الأرواح إلى مشاهدة جلاله وجماله، فلم يخرق حجاب العظمة والوقار ورفع عن بصائر العارفين حجب الأغيار، وظلم سحائب الأثار، فحجر القلوب عن النظر في ماهية الذات وحقائق الصفات، وعقلها بعقال شرعه المستقيم فأودع الله سبحانه نبيه هذا السرّ العظيم، ليكون رحمة ونعمة للوجود، وحياة للأرواح، حيث حجبها عما فيه استهلاكها وفناؤها؛ إذ لا قوة لها على كشف الحقيقة. ولو كشف لها ذلك في هذه الدار لتفرقت الموجودات، وتمزقت وتدَكْدكت كما تدكدك الجبل عند التّجـلّي:

فلا يحيط به عقل فيدركه جل المهيمن عن إدراك مفتكر
تاهت عقول ذوي الألباب فيه وقد كلّت وضلّت مجاري العقل والفكر[2]

---

(1) نقل هذه الأبيات العلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) في (اللوحة 251) من شرح «همزيته»، المخطوطة بخزانة القصر الملكي بالرباط تحت (رقم 2474) وتتمة البيت الأخير:

هذا الجمال الذي في حسنه ذهبوا أهو تجلى به أم هي تجليه؟

(2) «مرآة المحاسن» لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري (ت1052هـ) (ص257).

وكما قصرت العقول عن كنه جلاله وجماله وكماله، ولو بلغت الغاية القصوى في الرجحان، قصرت الألسنة عن وصف ذلك الجلال والكمال، ولو كانت ألْسِنَةُ العالم كله كلسان حسّان وسحبان؛ وحسبك أن أرجح الناس عقلا، وأوسعهم علمًا، وأبلغهم في الفصاحة والبلاغة، وأحرزهم للمنزلة العظمى، من أوتي جوامع الكلم، وخُصّ ببدائع الحكم: ﷺ قال مفصحاً عن حق المقام، منبها لذوي النهى والأحلام: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1]، عليه من ربنا أزكى صلاة وأطيب سلام) هـ من «المرآة»[2].

* **لطيفة:**

أول ما أنشده الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الفتوحات»، بيتين ذكرهما في خطبة الكتاب وهما له ونصهما:

الرب رب والعبد عبد ... يا ليت شعري من المكلَّفْ

إن قلت عبد فذاك ميتٌ ... إن قلت ربٌ أنى يكلف[3]

قلتُ: وهذا ـ والله أعلم ـ من نمط ما قبله من عدم معرفة الإنسان لحقيقة نفسه، فما بالك بربه جَلَّ وَعَلَا.

وقال الشيخ أبو سالم العياشي رَحِمَهُ اللَّهُ[4]، بعد ذكر البيتين المذكورين

---

(1) سبق تخريجه في (ص499 ـ 500).

(2) «مرآة المحاسن» (ص253 – 257).

(3) «الفتوحات المكية «لمحي الدين بن عربي الحاتمي (ج1 ص15)؛ وفي «شرح توحيد الرسالة لابن قاسم جسوس (ص482)؛ وأورده ابن عجيبة الحسني في «الفتوحات الإلهية» (ص260).

(4) هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (ولد في شعبان 1037هـ وتوفي سنة =

في «رحلته» ما نصه[1]: (قلت: ويمكن أن يقال ـ بحسب مدرك عقولنا معشر القاصرين، وإلا فإشارته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما لا تبلغه عقولنا بعدُ ـ:

المكلف: هو العبد بعد ما أفاض الله عليه الرب نور وجوده، فصار مظهرًا له، فليس بميت على هذا؛ فلولا نور الوجود الحق المفاض على العبد ما صح تكليفه؛ إذ هو ميت كما قال، بل هو عدم محض. ولولا العبودية التي هي مظهر من مجالي ذلك الوجود، ما صح التكليف أيضًا؛ إذ الوجود الحق لا يكلف.

فمن أيده الله بنور الهداية، أدرك الحقيقة المكلفة ذات النسبتين، بحيث لا يصح التكليف من دون أحدهما؛ ومن طلب تمييز النسبة المكلفة من تلك، لم يتضح له ذلك، ووقع في الحيرة. بل لا يصح ذلك التمييزُ أصلًا؛ لأن النسب أمور اعتبارية، والأمور الاعتبارية لا يمكن تمييزها بدون ما اعتبرت به أو له؛ إذ لو تميزت

= 1090هـ) رحالة وفقيه مغربي، هو صاحب الرحلة الشهيرة «ماء الموائد»، يعتبر من أبرز أعلام المغرب والمشرق خلال القرن الحادي عشر الهجري. من آثاره: «فهرسة كبرى» سماها: «اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر»، وصغرى بعنوان «إتحاف الأخلاء بأسانيد الأجلاء» و«هالة البدر في نظم أسماء أهل بدر»، و«معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب»، وهو رجز نظم فيه بيوع ابن جماعة التونسي، وشرحها في «إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب»، وإجازات وقصائد في المدح، إلى غير ذلك. «صفوة من انتشر» للإفراني (رقم 241 ص325)؛ و«نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج4 ص1622)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (رقم 1242 ج1 ص454)؛ وفي «فهرس الفهارس» للكتاني (رقم 472 ج2 ص832)؛ وفي «مجلة دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (العدد 308 شوال 1415هـ ـ مارس1995م)، بعنوان: «أبو سالم العياشي المتصوف الأديب» لعبد الله بنصر علوي.

(1) «الرحلة العياشية إلى الديار النورانية. أو: ماء الموائد» للعلامة أبي سالم عبد الله العياشي المغربي (ج1 ص523 – 524).

صارت قائمة بنفسها في الوجود الخارجي أو الذهني، والنسب والإضافات أمور اعتبارية لا تحقق لها في حد ذاتها.

وأستغفر الله من الخوض فيما لم يبلغه فهمي وغاض دونه علمي، فإني أعلم أن إشارة العارف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إنما هي لأمر فوق هذا، ولكن لما جرى في البيتين ذكر الرب تنزه وتقدس بما لا يليق بكماله من ممازجة الحوادث وملابستها، أردت أن أذكر للبيتين معنى يقرب من أفهام العقول الضعيفة، حتى لا يقذف الشيطان فيها شيئًا مما يشين عقائد أصحابها، أو يحملها على إساءة الظن باعتقاد العارف.

ووزانُ ذلك السؤال مع تجنب لفظ: (الرب)، تنزيهًا له عن نسبة التكليف إليه، ولو ترديدًا مع سلبه آخرًا عنه بـ«أنى» الاستبعادية أن يقال:

الروح روح والجسم جسم ... يا ليت شعري من المكلَّفْ

إن قلت جسم فذاك ميتٌ ... أو قلت روحٌ أنى يكلف[1]

ويأتي فيه ما تقدم؛ إذ الجسم بلا روح: ميت حقيقة لا يصح تكليفه، والروح بلا جسم: لا يكلف أيضًا، إذ التكليف إنما هو بالأعمال المزاولة بالأبدان لمن يصحّ منه الفعل والترك؛ فأما ما لا يصح منه الفعل أصلًا -كالجسم بلا روح- فلا يكلف، ومن لا يصح منه الترك أصلا -كالروح قبل ملابسة الجسم-، فلا يكلف أيضًا؛ لأنه من عالم الأمر، وقد قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[2]، فهو كالملائكة الذين لهم أرواح مجردة، لا يصح وقوع المخالفة منهم، فـ﴿لَّا

(1) «الرحلة العياشية» للعلامة أبي سالم عبد الله العياشي المغربي (ج1 ص523).

(2) سورة الإسراء، الآية: 85.

يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1].

وكذلك كانت الأرواح قبل ملابسة الأجسام، لا يصح وقوع المخالفة منها، بل هي منقادة للأمر؛ بدليل إقرارها بالربوبية كلها في عالم الذّر دون تأب ودون [تَلكٌّ][2]، وكذلك أيضًا قبل استحكام ملابستها للأجساد دون وقوع الألفة المتطاولة بينه وبينها، وذلك قرب الولادة، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة»[3] الحديث.

فإذا فهمت ذلك علمتَ أن المكلف: الحقيقة الإنسانية الملاحظ في حقيقتها النسبة الروحانية، والنسبة الجسمانية. وإن ذهبتَ لتحقيق إحدى النسبتين عن الأخرى، ذهبت الحقيقة الإنسانية المكلفةُ رأسًا؛ إذ الجسد بلا روح: ليس بإنسان مكلف، والروح بلا جسد كذلك، فالحقيقة المكلفة تحدث عند ازدواجهما وتنتفي عند افتراقهما، ولذلك قال أهل الحق: (إن التنعيم والتعذيب في الأخرة، إنما هو للجسم والروح معًا، إذ بهما توجد الحقيقةُ المكلفة المتوعدة بالعذاب، الموعودة بالتنعيم، لا للروح وحده كما قال الملحدة.

فإذا فهمتَ معنى الترديد في التكليف، هل هو للروح؟ أو للجسم؟ أوهما معًا محدثان؟ وأن التكليف في الحقيقة: إنما هو لأمر يوجد عند تمازج الحقيقتين

(1) سورة التحريم، الآية: 6.

(2) فراغ في هذا الموضع من المتن بمقدار كلمة، وفي الأصل: (ولا تلك). «الرحلة العياشية» للعلامة أبي سالم العياشي (ج1 ص524).

(3) رواه الإمام مالك: في «الموطأ» (كتاب الجنائز: باب جامع الجنائز، برقم 52 ص128)؛ والبخاري في «صحيحه» (كتاب الجنائز: باب إذا أسلم الصبي فمات، برقم 1358 ج2 ص294)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم 2658 ج8 ص253).

لم يبعُد عليك أن نوّر الله بصيرتك، ولم يسرع إلى خيالك اعتقاد **الحلول والاتحاد** في جانب الربوبية، أن تفهم ذلك أيضًا فيما بين الربوبية والعبودية: فالربوبية قديمة والعبودية حادثة، والتكليف إنما هو لحقيقةٍ توجد عند ملاحظة نسبة العبودية الحادثة للربوبية القديمة، والنسبة بينهما: نسبة الأثر إلى المؤثر؛ فلولا فيضان نور الوجود المؤثر على الأثر، لما وُجد الأثر، ولولا الأثر لما ظهر سلطان قدرة المؤثر لغيره، إذ لا غير، بدليل: «**كنت كنزًا لم أُعرف، فأحببت أن أعرف فخلقتُ الخلق ليعرفوني**»[1]، يعني: كنزًا لم يعرفني غيري، فبعد وجود الأثر منسوبًا للمؤثر، فثبتت هناك حقيقة يصح نسبة التكليف إليها لا وجود لها بدون الأثر والمؤثر، وإن شئت قلتَ: هي الأثر ملحوظا نسبتُه إلى المؤثّر، ولا تقول: هي المؤثّر ملحوظا ظهور وجوده في الأثر، لما في ذلك من إيهام وقوع التكليف على الرب تبارك وتعالى عن ذلك.

---

(1) قال في «كشف الخفاء»: (قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف. وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في «اللآلئ»، والسيوطي وغيرهم. وقال القاري: (لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، أي: ليعرفوني، كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما. والمشهور على الألسنة: «**كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فبي عرفوني**». وهو واقع كثيرًا في كلام الصوفية، واعتمدوه وبنوا عليه أصولًا لهم). ينظر «التذكرة في الأحاديث» للزركشي (ج1 ص136الحديث العشرون)؛ و«الدرر المنتثرة» للسيوطي (برقم 330 ص163)؛ و«تنزية الشريعة المرفوعة» لابن عراق (برقم 44 ج1 ص148)؛ وفي «تذكرة الموضوعات» للفتني (ص11)؛ و«الأسرار المرفوعة» للملّا علي القاري (رقم 353 ص269)؛ و«مختصر الزرقاني على المقاصد الحسنة» (رقم 777 ص178)؛ «كشف الخفاء» للعجلوني (رقم 2016 ج2 ص132)؛ و«سلسلة الأحاديث الضعيفة» للألباني (رقم 6023 ج13 ص50).

وأما المثال الأخير في الحدثين، فيصح ذلك من الجانبين والله أعلم)[1] هـ فتأمله فإنه حسن.

والمحدثان بالتثنية: الروح والجسم، المذكوران ببيتيه اللذان وازن بهما بيتي الشيخ ابن عربي.

ووجدتُ بخط شيخ شيوخنا العلامة ابن الحسن البناني[2] ما نصه: (من خط الشيخ أبي سالم ـ يعني العياشي صاحب «الرحلة» رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ما نصه: (وكتب سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي[3] نفعنا الله به على بيتي الشيخ محيي الدين ما نصه: (ذيلهما شيخ شيوخنا العارف بالله أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي[4] بقولِهِ:

نعم بحق إثبات عبدٍ　　لنعت فرق معه يكلف
والعبد ميت بغير ربٍّ　　لسر عون منه مكلف[5]

ومن خط أبي سالم أيضًا ما نصه: (وكتب ـ أي سيدي محمد بن عبد القادر ـ على قولنا: (ومن طلب تمييز النسبة)، ما نصه: (لعل المراد النسبة التي وقع التكليف من جهتها ومن حيثيتها، لا أنها نفسها المكلفة؛ إذ لا وجود

(1) «الرحلة العياشية إلى الديار النورانية أو ماء الموائد» للعلامة أبي سالم عبد الله العياشي المغربي (ج1 ص523 – 524).

(2) سبقت ترجمته في (ص73).

(3) سبقت ترجمته في (ص248).

(4) سبقت ترجمته في (ص94 ـ 109).

(5) «الرحلة العياشية» لأبي سالم العياشي (ج1 ص522)؛ و«صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر» للأفراني (ص90)؛ وفي «شرح توحيد الرسالة لابن قاسم جسوس (ج2 ص482)؛ وفي «الفتوحات الإلهية» لأحمد ابن عجيبة الحسني (ص260).

لها؛ ففي العبارة تجوُّز والله أعلم. لكن التعليل بقوله: (لأن النسبة) لخ، يبعد هذا الاحتمال، وفي هذا التعليل نظر) هـ. فكتب على قوله: (وفي هـذا التعليل نظر): (لا نظر، لأن النسبة التي وقع التكليف من جهتها: هي المطلوب تمييزها، وهي لا تميز بدون ما نسبت إليه، إذ لا وجود لها بدونه، فأي بعد في هذا، وأي نظر، فليتأمل، ويوضح هذا قولنا: (فإذا فهمت...) لخ) هـ. ما نقله الشيخ البناني في «كناشه».

وقال الشيخ العلامة الصوفي سيدي محمد جسوس رَحِمَهُ اللَّهُ[1] -في «شرحه على الرسالة»- ما نصه: (وجدت بخط شيخنا الإمام العارف المحقق المحدث الصوفي الشهيد أبي محمد عبد السلام بن حمدون جسوس[2] نفعنا الله به ما نصه: (من «الفتوحات المكية» لابن العربي الحاتمي في خطبته ما نصه: (إن خاطب عبده فهو المسمع السميع، وإن فعل ما أمر به، فهو المطاع المطيعُ، ولما حيرتني هذه الحقيقة أنشدت على حكم الطريقة للخليقة: (الربُّ ربٌّ... البيتين، وذكرهما، فهو سبحانه يطبع نفسه إذا شاء بخلقه، وينصف نفسه مما يتعين من واجب حقه، فالأشباح خاوية على عروشها خالية، وفي ترجيع الصدى سر ما أشرنا إليه لمن اهتدى) هـ[3]. وقال شيخنا العلامة العارف بالله

(1) سبقت ترجمته في (ص71).

(2) هو أبو محمد عبد السلام بن أحمد جسوس الفاسي، من جلة فقهاء القرويين في عصره، توفي شهيدًا في خَبر طويل سنة 1121هـ، وهو ابن عم الشيخ العلامة الصوفي محمد جسوس (ت1182هـ)، دفن داخل ضريح المولى إدريس الأزهر بفاس، له تآليف في الأدعية النبوية. «نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج5 ص1941)؛ و«طبقات الحضيكي» (رقم 684 ص525)؛ وفي «سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 421 ج2 ص16)؛ وفي «شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 1312 ج1 ص477).

(3) «الفتوحات المكية» لابن عربي الحاتمي (ج1 ص15).

أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي[1] قدس الله سره تتميمًا لمرام كلام ابن العربي المتقدم وحلًّا لإشكاله: (نعم، بحق البيتين السابقين) هـ[2]. من خط شيخنا سيدي عبد القادر كان الله له) خط الشيخ جسوس[3].

* تنبيه:

قال العارف البكي[4] في «شرح الحاجبية»[5] ـ بعد كلام طويل في معنى الحلول والاتحاد المنسوب القول به إلى بعض الكُمّل من الصوفية ـ ما نصه: (ومراد الشيخ ابن الفارض بالاتحاد: هو شهود الموجود الحق الواحد، المطلق

---

(1) سبقت ترجمته في (ص94 ـ 109).

(2) ذكره أحمد ابن عجيبة الحسني في «الفتوحات الإلهية» (ص260).

(3) «شرح توحيد الرسالة» لمحمد بن قاسم جسوس (ت1182هـ) (ج2 ص482).

(4) هو محمد بن أبي الفضل قاسم البكي الكومي، أبو عبد الله، اشتهر بالفقه وتولى قضاء الجماعة بتونس على عهد الأمير أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي (ت916هـ). «كشف الظنون» لحاجي خليفة (ج2 ص1157)؛ وفي «مسامرات الظريف بحسن التعريف» لمحمد بن عثمان السنوسي (برقم 30 ج3 ص60)؛ و«هدية العارفين» للبغدادي (ج2 ص205).

(5) ابن الحاجب: هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي، الدويني الإسنائي المصري الدمشقي الإسكندري المالكي (ت646هـ)، ويعرف بابن الحاجب، فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. من آثاره: «مختصر الفقه» استخرجه من ستين كتابًا، في فقه المالكية، ويسمى «جامع الأمهات»؛ و«منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل» في أصول الفقه؛ وغير ذلك. ينظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان (برقم 413 ج3 ص248)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 175 ج23 ص264)؛ و«الديباج المذهب» لابن فرحون (برقم 375 ج2 ص68)؛ وفي «الوفيات» لابن قنفذ القسنطيني (برقم 647 ص319)؛ و«بغية الوعاة» للسيوطي (برقم 1632 ج2 ص135)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج7 ص405)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 561 ج1 ص241).

الذي الكل به موجود، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودا به معدوما بنفسه، لا من حيث أن له وجودًا خاصًا اتحد به، فإنه محال. وبالجملة فمعناه: شهود اتحاد تعلق الموجودات كلها به جَلَّ وَعَلَا، إذ هي به موجودة لا بها، وهذا هو مراد الغزالي[1] من حيث كلامه في التصوف، وكل من له نسبة في هذا الشأن، وهو المسمى عندهم بالفناء في التوحيد)[2].

وقال الشيخ الإمام أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي في «حواشيه» على «شرح الكبرى» للشيخ أبي عبد الله السنوسي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: (وقد أكثر الناس في نسبة الاتحاد إلى الصوفية، والعاقل لا يتوهم أن يستحيل أهل الله الاتحاد المحال. كيف؟ ومن اعتقده ليس له من الإسلام نصيب، فضلًا عن أن يصل درجة التصوف. ولكن لما كان لفظ الاتحاد مشتركًا بين معان، أطلقه كل واحد على ما أراد؛ فإذا أطلقه الصوفية على مقصودهم من الفناء الكلي والتوحيد الصرف، ظن فهم الجاهل ما تقشعر منه الجلود، وهم برءاءُ منه، كما قال سيدي علي بن وفا[3]:

---

(1) كما صرح به الغزالي في كتاب الصبر من «إحياء علوم الدين» (ج4 ص84 – 85).

(2) «تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب» العلامة محمد بن قاسم البكي الكومي التونسي (ص113).

(3) هو علي بن محمد بن محمد بن وفا بن النجم محمد، أبو الحسن السكندري الأصل المصري الشاذلي الصوفي المالكي، اشتهر بابن وفا؛ أحد رجال الطريقة الشاذلية، ولد في القاهرة سنة 759 وتوفي سنة 807هـ، وله من المؤلفات: «الباعث على الخلاص في أحوال الخواص»، و«الكوثر المترع في الأبحر الأربع»، و«الواردات الإلهية المسمى بالوصايا». «إنباء الغمر» لابن حجر العسقلاني (رقم 16 ج2 ص308)؛ و«الضوء اللامع» للسخاوي (ج6 ص25)؛ و«الطبقات الكبرى» للشعراني (برقم 315 ج2 ص45)؛ و«الكواكب الدرية» للمناوي (ج3 ص201رقم 710)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (برقم 423 ص330 – 332)؛ و«كفاية المحتاج» التنبكتي (برقم 360 ج1 ص352)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج9 ص106)؛ و«طبقات الشاذلية» للكوهن الفاسي (ص101)؛

يظنوا بي حلولًا واتحادًا وقلبي من سوى التوحيد خالي[1]

فتبرّأ من الحدوث والاتحاد المحالين)[2].

وقوله: (يظنوا بي...) لخ: ممّن ظنه به عَصْرِيّه: الحافظ ابن حجر، كما صرح به في ترجمته من كتابه «إنباء الغمر» ونصه: (وشعره ينعق بالاتحاد المفضي إلى الإلحاد، وكذا نظم والده)[3]، يعني: الشيخ محمد وفا. قال المنوي في «طبقاته»: (دأب الحافظ ابن حجر إذا ذكر أحدًا من الطائفة، أن لا يبقي ولا يذر، والله يغفر لنا وله) هـ. نقله الشيخ المسناوي في «النصرة»[4].

وقال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني في «اليواقيت»: (إن الحافظ ابن حجر أذعن لأهل الطريق، وصحب الشيخ سيدي[5] بومدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى

و«شجرة النور» لابن مخلوف (رقم 888 ج1 ص345)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (ج2 ص525).

(1) أورده السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (ج2 ص135).

(2) «حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي» لأبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي (ت1102هـ) (ج2 ص170 ـ 171).

(3) «إنباء الغمر بأبناء العمر» لابن حجر العسقلاني (ج2 ص308 ـ 309).

(4) «جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر» للإمام محمد بن أحمد الدلائي المسناوي المالكي (ت1136هـ) (اللوحة 42وجه): كتاب مخطوط في الذب عن الشيخ عبد القادر الجيلاني الحنبلي صاحب «الغنية». يوجد بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 1733 و10905)؛ وبالمكتبة الوطنية بالرباط (ضمن مجموع من13 إلى75)؛ وبمؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء (برقم 342/ 1).

(5) أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري، والمعروف باسم سيدي بومدين أو أبو مدين التلمساني، ويلقب بشيخ الشيوخ، ولقبه ابن عربي بمعلم المعلمين، ولد في509هـ في قطنيانة، وكانت وفاته سنة 594هـ في تلمسان. وهو فقيه ومتصوف وشاعر أندلسي، يعد =

مات، وذلك لما شرح بعض أبيات من «تائية» ابن الفارض، وقدم نسخته إلى الشيخ المذكور ليكتب له على ذلك إجازة، فكتب له على ظهرها: ما أحسن ما قال بعضهم:

سارت مشرِّقة وسرتَ مغرِّبًا شتان بين مشرِّقٍ ومُغرِّب[1]

ثم أرسلها إلى الحافظ، فتنبه لأمر كان عنه غافلًا وأذعن له وصحبه) هـ[2].

وقال الشيخ زروق بعد أن ذكر جماعة نسبوا للحلول الذي هو كفر، وذكر منهم الشُشتري[3]، ....

= مؤسس أحد أهم مدارس التصوف في المغرب العربي والأندلس. له مؤلفات كثيرة من بينها: «أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد». «التشوف إلى رجال التصوف» لابن الزيات التادلي (برقم 162 ص319)؛ و«عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» لأحمد الغبريني الجزائري (ص 22 - 32)؛ و«أنس الفقير وعز الحقير» لابن قنفذ (ص47)؛ و«الطبقات الكبرى» للشعراني (برقم 275 ج1 ص274)؛ و«جذوة الاقتباس» لابن القاضي (برقم 609 ج2 ص530)؛ و«البستان في ذكر الأولياء بتلمسان» لابن مريم (ص108)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (رقم 204 ص193)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج6 ص495)؛ «تذكرة المحسنين» في موسوعة أعلام المغرب» (ج1 ص385)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (برقم 381 ج1 ص416)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 511 ج1 ص225)؛ و«تعريف الخلف برجال السلف» للحفناوي الجزائري (ج2 ص172)؛ و«الإعلام بمن حل بمراكش» للسملالي (رقم 1556 ج10 ص165).

(1) أورده شهاب الدين أحمد ابن حجلة المغربي (ت776هـ) في خاتمة «ديوان الصبابة» (ص218)، والخفاجي المصري (ت1039هـ) في «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي»: «عناية القاضي وكفاية الراضي» (ج7 ص289).

(2) «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر» للإمام عبد الوهاب الشعراني (ج1 ص32).

(3) أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري الأندلسي (610هـ - 668هـ). شاعر زجال =

وابن سبعين(1) ما نصه: (والظن بهم براءتُهم من ذلك، ولكن ضاقت عليهم العبارات عن حقائق العلم، فأتوا بعبارات موهمة. هذا معتقدنا فيهم، وعند الله الموعد) هـ(2).

وقال الشيخ المسناوي: (ولا التفات إلى كلام أبي حيان في «نهره» والبرهان البقاعي في تأليفه في ابن الفارض، وأشباههما من أهل علم الظاهر الصرف، فإنهم لم يشموا لطريق القوم رائحة، حتى يعرفوا أحوالهم ويفهموا

= ومتصوف أندلسي، ولد في سنة 610هـ. برع في فنون النظم المختلفة الشائعة على زمانه من القصيد والموشح والزجل، واشتهر شاعرًا وشاحًا زجالًا على طريقة القوم وذاع صيته في الشرق والغرب. «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» لأبي العباس الغبريني (ت714هـ) (رقم 66 ص237)؛ و«الإحاطة في أخبار غرناطة» لابن الخطيب (ج4 ص205)؛ وفي «نيل الابتهاج» للتنبكتي (رقم 409 ص321)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (رقم 696 ج1 ص281)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج4 ص305).

(1) هو عبد الحق بن سبعين (614هـ ـ 9 شوال669هـ) فيلسوف متصوف أندلسي. اشتهر برسالته «المسائل الصقلية»، والتي كانت عبارة عن أجوبة لأسئلة أرسلها الإمبراطور فريدريك الثاني إلى الدولة الموحدية. انتشر صيته في أوروبا في عصره، فذكره البابا وتحدث عنه حيث قال: (إنه ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه). تعتبر فلسفته أحد المنعطفات الفكرية والإضافات التي عمَّقت طريق البحث الفلسفي ضمن إطار الدين. «عنوان الدراية» الغبريني (رقم 66 ص237)؛ وفي «ابن سبعين وفلسفته الصوفية» لأبي الوفا التفتازاني (ص22-24).

(2) ذكره في «عدة المريد الصادق» أحمد زروق البرنسي الفاسي (ت899هـ) (ص246) ونحوه في «قواعد التصوف» لزروق الفاسي (القاعدة 215 ص216 وص130)؛ وذكره أيضًا المسناوي (ت1136هـ) في «جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر» (اللوحة 45 ظهر)؛ وكذا صاحب «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» (رقم 696 ج1 ص281).

مقاصدهم، وإنما يرجع في كل صناعة إلى أهلها وذوي الخبرة بها)[1].

ويرحم الله الشيخ أبا الحسن علي بن أبي القاسم الدكالي[2]، دفين داخل مراكش بقرب جامع الكتبيين منها المعروف بأبي سجدة، لأنه كان يقطع الليل كله بسجدة واحدة، بمعنى أنه إذا صلى فيه نافلة فسجد، غاب فلم يرفع رأسه ولم يزد عليها لاستغراقه، إذ قال لمن قال له من إخوانه: (إنك لتفسد الصلاة) ـ يعني: بما ذُكر من اقتصاره على سجدة ـ: (فأريد أن أستفتي وأسأل عن أمرك، من تستفتي؟ قال له: (الفقهاء). فقال له: (أنا لا أمشي بحلتي للبردعيين. وقد رُفعت بعده بزمان إلى بعض حاكة الديباج ولبسة السندس، وهو العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي فقال فيها ما نصه:

(وأما سجدة سيدي علي المذكور، فكانت حالة غالبة عليه، لأنه كان يذهب في الله وتستغرقه مادة الله كالغريق الذي لا يستطيع السبح في البحر، ولذلك تخلى عن ذلك لما تكمل وتقوّى بمادة التمكين، فصار بعد ذلك برزخا بين بحرين

---

(1) «جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر» للشيخ محمد بن أحمد الدلائي المسناوي المالكي (ت1136هـ) (اللوحة 45 ظهر واللوحة 46 وجه): مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 1733 و10905)؛ وبالخزانة الوطنية بالرباط (ضمن مجموع من 13 إلى 75)؛ وبمؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء (برقم 342/ 1).

(2) هو أبو الحسن علي بن أبي القاسم الدكالي (ت951هـ)، المعروف بأبي سجدة لأنه كان يقطع الليل كله بسجدة واحدة. سلك - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - طريق القوم، وكان جزولي الطريقة والسند، وبلغ مقام الأولياء الكبار. «دوحة الناشر «لمحمد بن عسكر الشفشاوني (رقم 99 ص101)؛ و«الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام» لابن إبراهيم (برقم 1410 ج9 ص183)؛ وفي «ممتع الأسماع» لمحمد المهدي الفاسي (ت1109هـ) (برقم 20 ص71)؛ و«السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية» لابن الموقت المراكشي (ت1369هـ) (ص171)؛ وفي «معلمة المغرب» (ج14 ص4881).

لا يبغيان لرسوخه، فلا يشغله شأن عن شأن كما هو شأن أهل الكمال)) هـ الخ[1].



(1) «جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبدالقادر» للشيخ محمد بن أحمد الدلائي المسناوي المالكي (ت1136هـ) (اللوحة 45 ظهر واللوحة 46 وجه).

المقصد الرّابع

في ذكر استنباطنا لدليل قوي لهذا الأمر اللازم المحتوم
من نفس ذات من له تضاءلت الفهوم
وحجت لكعبة قلبه غرائب العلوم
صلّى الله وسلّم وشرّف وكرّم
ومجّد وعظّم وبارك و أنعم

وبيان ذلك أن نقول:

إذا كان سيدنا رسول الله ﷺ لا يقدر أحد من المخلوقين أن يقدر قدره، لما خصه الله سبحانه به من الكمالات التي لم ينلها مخلوق؛ أعلا الله شأنه وأمره؛ فما بالك بحقيقة الإله ـ الذي يصغر عند ذكر عظمته كل ما سواه ـ.

وقد أشار إلى هذا المعنى، الشيخ القطب الكامل أبو محمد مولانا عبد السلام بن مشيش أفاض الله علينا من بركاته، في صلواته النبوية المشهورة بقوله: (وله ـ أي لسيدنا محمد ﷺ ـ تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق، ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره مُتَدَفِّقَةٌ، ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة ـ كما قيل ـ الموسوط)[1]:

(فقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وله تضاءلت الفهوم)، معناه: تصاغرت عن إدراكه ولم

(1) كتاب «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص165 ـ 167).

تحط بحقيقته، لقوله ﷺ: «**يا أبا بكر، والذي بعثني بالحق، لم يعلمني حقيقة غير ربي**»[(1)]:

• فاللام في «له» بمعنى: عن.

• ويحتمل أن تكون بمعنى «في»، وشبه ﷺ ببحر عظيم سبحت فيه الفهوم، فخفيت، ودقت كناية، ودل على ذلك بالحرف، ومقابلة احتمال الحقيقة، باحتمال المجاز كثير في كلامهم، ونظير ما نحن بصدده: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[(2)]. فـ «في»: إما بمعنى: «على»، ولا استعارة، أو للظرفية، فتثبت الاستعارة.

• ويحتمل أن تكون للتعليل. والمعنى: تصاغرت الفهوم لأجله: خضوعا، وأذعنت واعترفت بالقصور.

ولا يخفى أن المعاني الثلاثة مقصورة عليه، فلذلك قدم الشيخ رضي الله عنه المعمول.

واعلم أن نبينا ﷺ، لما كان مستوعبًا سائر الكمالات الظاهرة والباطنة، وكان هيكله الظاهرُ لنا أصلَ كل كمال حسي ظاهر، ومعناه الباطن أصل كل كمال غيبي باطن، وكان الكمال الظاهر عن فيض صورته الظاهرة، والباطن عن فيض معانيه الباطنية: عجز الواصفون عن وصف صفة من صفاته على الكمال، وأقروا بعدم المعرفة له حق معرفته بما هو عليه من الجلال والجمال، ولأنه جامع لمحاسن الأخلاق لا على وصف التقييد، بل على وصف الإطلاق ولم تكن أخلاقه كسبية، بل جبلية ضرورية:

---

(1) لم أقف عليه في كتب الأحاديث؛ وذكره أبو حامد محمد العربي (ت1052هـ) في «مرآة المحاسن» (ص251).

(2) سورة طه، الآية: 71.

* رُوي عن أويس القرني[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لأصحاب رسول الله ﷺ: (ما رأيتم من رسول ﷺ إلا ظله)، قالوا: (ولا ابن أبي قحافة؟)، قال: (ولا ابن أبي قحافة)[2]. ولما ذكر هذا عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] قال: (صدق أويس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مقامه إدراك نفس رسول الله ﷺ،

---

(1) أويس القرني المرادي التابعي الجليل، أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره، وقد شهد له النبي ﷺ بالصلاح والإيمان وبره بوالديه. ولد وعاش مع قومه بني مراد في اليمن، وانتقل إلى الكوفة، فناصر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفين وبها استشهد سنة (37هـ). «الطبقات الكبرى» لابن سعد (رقم 2903 ج8 ص281)؛ و«التاريخ الكبير» للبخاري (رقم 1666 ج2 ص55)؛ و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (برقم 162 ج2 ص79)؛ «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (رقم 331 ص91)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 5 ج4 ص19)؛ و«تاريخ الإسلام» للذهبي (ج1 ص716)؛ و«الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 2068 ج9 ص257)؛ وفي «الطبقات الكبرى» للشعراني (رقم 25 ج1 ص53)؛ و«الكواكب الدرية» للمناوي (برقم 44 ج1 ص210).

(2) «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني» العلامة سيدي علي حرازم الفاسي (ت1214هـ) (ص334).

(3) هو الشيخ القدوة العارف بالله تاج الأقطاب الشيخ الأواب أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي الغماري (591-656هـ)، الزاهد، الصوفي. مؤسس الطريقة الشاذلية، وُلد في بلاد غمارة بريف المغرب، ونشأ في بني زرويل قرب شفشاون. صاحب الأوراد المسماة «حزب الشاذلي»، وله «رسالة الأمين في آداب التصوف» وغير ذلك. ولأحمد بن محمد ابن عياد كتاب «المفاخر العلية في المآثر الشاذلية» في سيرته وطريقته. «الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 139 ج21 ص141)؛ و«حسن المحاضرة» للسيوطي (برقم 41 ج1 ص520)؛ و«الطبقات الكبرى» للشعراني (برقم 309 ج2 ص8)؛ و«الكواكب الدرية» للمناوي (رقم 538 ج2 ص470)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج7 ص483)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 3 ج1 ص86)؛ و«طبقات الشاذلية» للكوهن الفاسي (رقم 1 ص19)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (رقم 654 ج1 ص267)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج4 ص305).

وعثمان رضي الله عنه إدراك قلبه، وعمر رضي الله عنه إدراك عقله، وأبو بكر رضي الله عنه إدراك روحه؛ وحقيقة رسول الله ﷺ السر المكنون لا يطلع عليه إلا الله تعالى)[1].

- قال الإمام الخروبي الطرابلسي[2]: (حقيقة رسول الله ﷺ سر لطيف من أسرار الحق تعالى، لا يطلع عليه في هذه الدار سوى الرب جَلَّ جَلَالُهُ، ولا يكشفه أحد غيره تعالى: لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، إذ حقيقته المحمدية[3] من السر المكنون، والأمر المصون الذي انفرد به تعالى، وما أدرك المؤمنون منه إلا ظاهر صورته المحمدية: وهو الذي عبر عنه أويس القرني بـ: (الظل). ثم إن المؤمنين متفاوتون في إدراكهم، فكل إدراك من ذلك بحسب قربه منه، وأعظم الناس إدراكًا: الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، كما هم أشد الناس قربًا منه ﷺ؛ لكن، لما اختلفت مقاماتهم اختلف إدراكهم، فكل ذي مقام إدراك منه ﷺ حقيقة توافق مقامه، وإلى هذا أشار الشيخ أبو الحسن الشاذلي.

• **فإن قيل**: ما السر في كون كل واحد من الخلفاء أدركَ حقيقة من هذه دون غيرها؟

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص165).

(2) سبقت ترجمته في (ص32).

(3) **الحقيقة المحمدية**: قيل: (هي الذات مع التعيين الأول، فله الأسماء الحسنى كلها، وهو الاسم الأعظم)؛ وقيل: (هي صورة لحقيقة الحقائق، لأن الحقيقة المحمدية ثبوتها في حق الوسطية والبرزخية والعدالة، بحيث لم يغلب عليه ﷺ حكم اسم أو صفة أصلًا). وقيل: (هي النبوة، ومحمد ﷺ: حقيقته نبوته، وهذه النبوة في علم الله منذ الأزل، قدرها الله سبحانه وتعالى بحكمته قبل خلق الكون، وقبل وجود العالم). كتاب «التعريفات» للجرجاني (برقم 757 ص95)؛ «معجم اصطلاحات الصوفية» عبد الرزاق الكاشاني (ص82)؛ «لطائف المنن» لابن عطاء الله (الهامش 13 ص24)؛ «السير والسلوك إلى ملك الملوك» لابن صلاح الدين الخاني (ص113)؛ «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج1 ص866).

• **فالجواب**: أن كل واحد أدرك من الحقائق ما يقتضيه مقامه وحاله:

- فعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما غلب عليه علم الشرائع، وكان حاله الانبساطُ بها، كان حاله يقتضي إدراك نفس من ورث العلوم منه: وهو سيدنا ومولانا محمد ﷺ، لأن الانبساط من شأن النفس، ولهذا قيل: لو حاولت النفس كل المحاول على أن تصمت لما صمتت.

- وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما كان حاله التفكر في العلوم، كان حاله يقتضي إدراك قلب رسول الله ﷺ، لأن القلب شأنه التفكر.

- وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما كان حاله التدبر في العلوم، كان حاله يقتضي إدراك عقل رسول الله ﷺ، لأن العقل شأنه التدبر.

- وأبوبكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما كان الغالب عليه علم الحقائق، وكان حاله يقتضي الانقباض عليها، كان حاله يقتضي إدراك روح رسول ﷺ، لأن الروح من شأنها الانقباض على العلوم الحقيقية. ولهذا قيل: إن الروح من شأنها الصمت، فلو حاولت كل المحاولة على أن تنطق لما نطقت.

وكل من الخلفاء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، وإن غلب عليهم علم أو حال أو كان مقامه معلومًا من المقامات، فهو في غير العلم الغالب عليه إمام، وفي غير حاله ومقامه الغالب عليه صاحب حال أو مقام، وإنما اشتهر حاله بما هو غالب عليه) هـ. نقله العلامة ابن زكري[1] ثم قال عقبه: (وهذا كلام حسن عجيب تشهد له أحوال الخلفاء الأربعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ)، ويأتي ذلك إن شاء الله.

* **وفي «الذهب الإبريز» ما يؤيد ذلك، ونصه**[2]:

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص165 ـ 167).

(2) «الإبريز في كلام سيدي عبد العزيز الدباغ» للحافظ أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت1155هـ) (ص261).

• أمـا الخصلة التي في أبي بكر فهي خصلة الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، فإن الإيمان بالله كان في النبي ﷺ على كيفية خاصة، لو طرحت على أهل الأرض -صحابة وغيرهم- لذابوا، وورث أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من تلك الخصلة شيئًا قليلًا على قدر ما تطيقه ذاته، ومع ذلك لـم يكن في أمة النبي ﷺ من يطيق أبا بكر في ذلك، ولا من يدانيه، لا من الصحابة ولا من غيرهم من أهل الفتح الكبير، لأن النبي ﷺ بلغ في أسرار الألوهية وحقائق الربوبية ودقائق العرفان مبلغًا لا يكيف ولا يطاق، وكان يتكلم مع أبي بكر في البحور التي كان يخوضها عَلَيْهِ السَّلَامُ، فارتقى أبو بكر المرتقى المذكور؛ ومع ذلك، فكان أبو بكر في الثلاث سنين الأخيرة لا يتكلم معه في تلك الحقائق خيفة أن يذوب.

* قـال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

• (وأمـا الخصلة التي في عمر: فهي خصلة النصيحة للمؤمنين والنظر لهم وإيثارهم على نفسه وتدبير جيوشهم وما يُصلح عامتهم وخاصتهم، وهذه خصلة من خصاله ﷺ، وقد ورث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منها القدر الذي يطيقه.

• وأمـا الخصلة التي في عثمان: فهي خصلة الرأفة والحنان وصلة الرحم، وهذه خصلة من خصاله ﷺ، وقد ورث عثمان منها ما يطيقه.

• وأمـا الخصلة التي في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فهي خصلة الشجاعة، وهي إحدى خصاله ﷺ، وقد ورث منها علي ما يطيقه.

• وكـذا سائر الصحابة، كل واحد منهم ورث من النبي ﷺ.

* قـال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: (وكما اختلف مشرب الصحابة من النبي ﷺ، كذلك

---

(1) «الإبـريز في كلام سيدي عبد العزيـز الدباغ» للحافظ أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت1155هـ) (ص391).

اختلف مشارب الأنبياء منه ﷺ أجمعين، وهم وإن سقوا من نوره فلم يشربوه بتمامه، كل واحد منهم شرب منه ما يناسبه وكتب له، فإن النور المكرم ذو ألوان كثيرة وأقسام عديدة، فكل واحد شرب لونًا خاصًا ونوعًا خاصًا:

• فسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم، فحصل له مقام الغربة، وهو مقام يحمل صاحبه السياحة وعدم القرار في موضع واحدٍ.

• وسيدنا إبراهيم شرب من النور المكرم، فحصل له مقام الرحمة والتواضع مع المشاهدة الكاملة، فتراه إذا تكلم مع مخاطبه يخاطبه بلين ويكلمه بتواضع عظيم، فيظن المتكلم أنه يتواضع له، وهو إنما يتواضع لله عَزَّوَجَلَّ، لقوة مشاهدته.

• وسيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ شرب من النور المكرم، فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه في نعمه وخيراته وعطاياه التي لا يقدر قدرها.

وهكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة الكرام) هـ[1].

قلتُ: ومما يشهد لذلك المعنى أيضًا ما ثبت من إجماع السلف، والخلف على صحة قولنا: (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك، وعدّ كماله)[1]، على رواية كسر الدال من عدِ، فإنه حينئذ يكون معطوفًا على كمالك المجرور باللام، والمعنى حينئذ: لا نهاية لكمال الله، ولا نهاية لكمال النبي ﷺ، فيقتضي عدم نهاية كمالات النبي ﷺ، وهو المطلوب.

---

(1) «النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى» ـ المسماة بـ«المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب» لأبي عيسى سيدي المهدي الوزاني (ت1342هـ) - تح: عمر بن عباد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى (1417هـ) (ج2 ص10 ـ 12)؛ وفي «أفضل الصلوات على سيد السادات» ليوسف النبهاني (الصلاة الرابعة والخمسون، المشهورة بالكمالية ـ ص55).

نعم؛ هـذا لا يصح إلا بتأويل:

- إمـا لا نهـاية لها بالنسبة للعلم الحادث، إذ لا يحيط بها سوى الله تعـالى.

- وإمـا لا نهـاية لازديادها في المستقبل، إذ لا يزال النبي ﷺ يترقى في كمالات المعرفة بالله تعالى.

- وإمـا في الحال فهي متناهية، فإن لها أوّلًا وآخرًا؛ إذ هي من جملة الحوادث والأكوان، غير أنه دُرّتها والواسطة في كل مددٍ يصل إليها ﷺ.

واختـار بعض الشيوخ فتح الدّال قائلًا: (إنه لا يحتاج لتأويل، إذ وجهه أنه معطوف على محذوف يقتضيه المعنى قبل قوله: (كما لا نهاية لكمالك)، منصوب على المفعولية المطلقة، وتقدير الكلام: (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة لا نهـاية لها كما لا نهـاية لكمالك، وعدّ كماله)، أي: وصل عليه عدّ كماله، فلا يقتضي عدم نهاية كمال النبي ﷺ، وهو صحيح أيضًا) هـ.

وكـذا قـول «البردة»:

لـو نـاسبت قـدره آيـاتـه عِظما   أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم[1]

أي لو ناسبت آيـات النبي ﷺ، ومعجزاته: قدره، وجاهه عند الله عَزَّوَجَلَّ كانت العظام البالية تحيي بذكر اسمه ﷺ عندها؛ فدل هذا على أنا لـم ندرك حقيقة أسمائه، وصفاته، فضلًا عن ذاته الشريفة ﷺ وشرّف وكرّم. وهو ﷺ له صورة وحقيقة: فصورته محمد، وحقيقته أحمدية تعجز العقول عنها[2]:

---

(1) من قصيـدة البردة، «ديـوان الإمام البوصيري» (البيت 48 ص11).

(2) ينظـر هذا التنبيـه في كتاب «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص180 ـ 189).

- قال السهيلي[1]: (ثم إنه لم يكن محمّدًا حتى كان أحمد، حمد ربه فنبأه وشرفه، فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد، فذكره عيسى فقال: (اسمه أحمد)، وذكره موسى حين قال له ربه: (تلك أمة أحمد)، فقال: (اللَّهُم اجعلني من أمة أحمد)[2]؛ فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد، لأن حمده لربه كان

---

(1) أبو القاسم السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب بن أصبغ السهيلي، ولد سنة 508هـ. من شيوخه: ابن العربي. ومن تلامذته ابن عربي الحاتمي. ومن آثاره: «التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن من الأسماء الأعلام»؛ «الروض الأنف». (ت581هـ في مراكش). «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» لأحمد الضبي (ت599هـ) (رقم 1028 ج2 ص477)؛ وفي «المغرب في حلى المغرب» لابن سعيد (ت685هـ) (رقم 323 ج1 ص448)؛ و«العبر» للذهبي (ج3 ص82)؛ و«الديباج المذهب» لابن فرحون (برقم 16 ج1 ص411)؛ و«شرف الطالب» في موسوعة أعلام المغرب (ج1 ص377)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج6 ص445)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 680 ج2 ص254)؛ و«الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام» (رقم 1082 ج8 ص62).

(2) من حديث رسول الله ﷺ قال: «قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أي ربي؛ إني أجد في الألواح أمة هي خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، رب اجعلهم أمتي؛ قال رب العزة: تلك أمة أحمد..» الحديث، قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخره: «اللَّهُمَّ اجعلني من أمة محمد ﷺ». أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» (عند الآية 152 من سورة الأعراف، برقم 939 ج2 ص91)؛ وابن جرير (ت312هـ) في «تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (عند الآية 150 من سورة الأعراف ج10 ص454)؛ وابن أبي حاتم (ت327هـ) في «تفسيره» (برقم 8967 ج5 ص1564)؛ وقال ابن كثير (ت774هـ) في «تفسيره» (ج3 ص479): (ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضبًا على قومه، وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا؛ وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولًا غريبًا، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة)؛ والسيوطي في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (ج6 ص574 عند الآية 145 من سورة الأعراف).

قبل حمد الناس له هو، فلما وُجد وبُعث كان محمّدًا بالفعل. وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الحامدين لربه، ثم يشفع فيحمد على شفاعته؛ فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الآخر في الذكر والوجود في الدنيا والآخرة، تلحْ لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين)[1] هـ.

وبه يظهر لك كون حقيقته ﷺ أحمدية، وليس المراد الحقيقة الإنسانية، بل الخاصية التي امتازت بها، فللحامِديّة خُلق، أي: بذلك تعلقت الإرادة فكان الأحمد الأكبر والمعرف الأعظم، ولذلك وُصف ب: (أفعل)، والحامدون كلهم نوابه، إذ هو الذي عرفهم الحمد وأوصل إليهم العلم بمنشئه من الكمالات، وأوصل إليهم نفس منشأه الذي هو النعم، فهو المثني على الإطلاق والحامد في جميع الأوقات والآفاق.

وبه يتضح لك عجز الخلق كلهم عن معرفة حقيقته الأحمدية، وأنه لايحيط بها إلا الله.

وأيضًا: فإن حمده وثناءه على حسب معرفته، ولم يصلها ولا وصلها أحد، فإذاً لا يعرف أحد حقيقة أحمديته.

وأيضًا: هو السابق في الخلق والمعرفة والسجود والحمد، والأصل في ذلك وغيره فروعه وجداوله، وكيف يحيط الفرع بالأصل.

وبه أيضًا: يظهر لك أن المحمدية بمثابة الصورة، وظاهرها الذي أدرك

(1) «الروض الأنف» للسهيلي (ج1 ص280)؛ ونقله في «الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي»، تفسير سورة الصف، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾ (ج19 ص441)؛ وفي «المواهب اللدنية» للقسطلاني (ج2 ص23)؛ وفي «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج4 ص233)؛ وكذا في «الإلمام والإعلام» لابن زكري (ص180).

المؤمنون بمثابة الظل، لأنه مشيرٌ إلى عظمة الأحمدية وفخامتها؛ إذ المحمدية مرتبة عليها؛ فهي حاكية لها ومنبئة عنها بوجه إجمالي، وكانت صورة لظهوره وشهرتها وشدة وضوحها، ومن ثمّ ـ والله أعلم ـ اشتهر بمحمد أكثر من أحمد.

قال بعضهم: (محمد أشهر أسمائه بين العالمين، وأشوقها إلى الصلوة والسلام على سيد المرسلين، وألذها سماعًا عند المسلمين، ولتلك الأشهرية ـ والله أعلم ـ مع ما لهُ من مقام المحبوبية، خصّ بكلمة التوحيد وإن كان أحمد هو السابق)[1].

ومعنى المحبوبية: ما في معناه من المكافآت لأحمديته بثنائه عليه بنفسه في كتبه وبألسنة خلقه، إذ ألسنة الخلق: أقلام الحق؛ فالمحبوبية فيه أظهر وإن كانت في أحمد أيضًا من حيث اجتذابهُ إليه واستعماله في حمده ومعرفته، ومعنى المحبوبية فيه أظهرُ؛ لظهور المحبوبية في محمد كان ألذ سماعا عند جميع المسلمين.

ولسبقية الأحمدية سُمّي في السماء أحمد، لأن معرفة أهل السماء له قبل معرفة أهل الأرض.

ولعظمة أحمديته وكمالها خص بخصائص من معناها، فأنزلت عليه «سورة الحمد» من بين سائر الأنبياء، لأنه أكمل الحامدين، وخص بلواء الحمد الذي يستظل تحته كل حامد، وخصّ بالمقام المحمود، وشرع لأمته ـ سُنّة وقُرءان ـ أن تقول عند اختتام الأفعال وانقضاء الأمور: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

– قال الله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3].

---

(1) «الإلمام والإعلام» لابن زكري (ت1144هـ) (ص181).

(2) سورة الأنعام، الآية: 45.

(3) سورة الزمر، الآية: 75.

– وقال أيضا: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، تنبيها لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور.

– وسنّ عليه الصلاة والسلام الحمد عند الأكل والشرب.

– وقال عند انقضاء السفر: «**آيبون تائبون لربنا حامدون**»[2].

وكذا عند ابتدائها.

وفيه إشارة إلى أن نبينا هو الفاتح الخاتم، فأحمديته سابقة على جميع الأحمديات، ومحمديته فيها انتهت جميع المحمديات.

ولعدم وصول الخلق إلى معرفة حقيقته الأحمدية -حتى الأنبياء والمرسلون والملائكة كما تقدم في كلام الإمام الخروبي، وصرح به غيره وهو صريح الحصر في قوله: «**لا يعلمُني حقيقةً غير ربي**»[3]، ومعرفة الرسل والأنبياء بمحمديته-: أشير إلى ذلك بتضمين اسم محمد دون أحمد لعدتهم. قال بعض العلماء[4]: (في اسم محمد ثلاث ميمات، إذا بسطت كلًّا منها قلت: ميم، وعدتها

---

(1) من سورة يونس، الآية: 10.

(2) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (باب جامع الحج، برقم 243 ص224)؛ والبخاري في «صحيحه»: (كتاب العمرة: باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو، برقم 1797 ج1 ص392)؛ و (كتاب الجهاد والسير: باب التكبير إذا علا شرفًا، برقم 2995 ج2 ص237)؛ ومسلم في «صحيحه»: (كتاب الحج: باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج أو غيره، برقم 1344 وبرقم 1342 ج5 ص242)

(3) سبق الإشارة له في (ص506 ـ 507)، وفي (ص857).

(4) يقصد المصنف بـ (بعض العلماء): العلامة سليمان بن محمد البجيرمي الشافعي (ت1221هـ) الذي نقل النص عن بعض شراح البسملة. حاشية سليمان بن محمد البجيرمي الشافعي (ت1221هـ) المسماة «تحفة الحبيب على شرح الخطيب»، =

بحساب الجمل: تسعون؛ فيحصل من الميمات الثلاث: مائتان وسبعون؛ وإذا بسطت الحاء والدال قلت: دال بخمسة وثلاثين، وحاء بتسعة، فالجملة: ثلاثمائة وأربعة عشر، فذلك عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام)[1].

وقال الشيخ سيدي عبد الجليل القصري[2] في «شعبه»: (فروح محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما نفخ في الجسد، أدرجت في ذاته جميع النبوءات، وطبع عليها وامتزج الجسد مع الروح بالطبع مدة بقاء الجسد في البطن، فإذا أردت أن تفهم

= والمعروف «بالإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع» لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت977هـ) (ج1 ص56).

(1) «روح البيان» إسماعيل حقي الاستانبولي الحنفي الخلوتي (ت1127هـ) (عند الآية 40 من سورة الأحزاب ج7 ص184)؛ وفي «لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية الإمام البوصيري» محمد بن أحمد بنيس الفاسي المالكي (ت1213هـ) (الوجه 15 مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 170 د) و (برقم 1436 ك)؛ وبجامعة الملك سعود، برقم 5175)؛ وفي (ص30ـ31) من النسخة المطبوعة رفقة «الفوائد الجلية البهية على الشمائل المحمدية» لمحمد بن قاسم جسوس

(2) الإمام عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي القرطبي أبو محمد القصري (ت608هـ): باحث متصوف، زاهد، من المفسرين، كان متقدمًا في الكلام، مشاركًا في الفنون، من آثاره: «شعب الإيمان» و«التفسير» و«شرح الأسماء الحسنى». «التشوف إلى رجال التصوف» لابن الزيات (رقم 241 ص416)؛ و«عنوان الدراية» الغبريني الجزائري (ص192)؛ و«تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (برقم 394 ج13 ص191)؛ وفي «سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 215 ج21 ص420)؛ و(برقم 5 ج22 ص11)؛ و«الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 6606 ج18 ص31)؛ و«نزهة الألباب» لابن حجر العسقلاني (ج2 ص306)؛ و«طبقات المفسرين» للسيوطي (برقم 48 ص60)؛ و«طبقات المفسرين» للداودي (برقم 250 ج1 ص265)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (رقم 335 ص278)؛ و«طبقات المفسرين» لأحمد الأدنه وي (برقم 260 ص217)؛ و «الإعلام بمن حل بمراكش» للسملالي (رقم 1059 ج8 ص33).

ذلك فاعلم أنه رأس الرسل، والرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولًا، والأنبياء كلهم في ضمن الرسل، يفهم ذلك من فهم انفصال النبوءة من الرسالة؛ والولاية من النبوءة، وهذا العدد من الرسل على عدد حروف اسمه الكريم، عجنت فيه بالنشأ المطبوع جميع شرائع الرسل، وأخلاقهم، وطبائعهم الكريمة، مع طبعه الكريم، فكان يغشوبهم). قال: (والواحد الباقي هو لمقام الولاية المعرف على جميع الأولياء التابعين للأنبياء، ولعدم معرفة الخلق بأحمديته، وبحمده تعالى القديم، ومعرفتهم بالمحمودية في الجانبين؛ قال ﷺ «**يا عمر بن الخطاب أتدري من أنا؟ أنا الذي اشتق الله تعالى اسمي من اسمه، فالله محمود، وأنا محمد ولا فخر**»[1]) هـ[2].

ولم يحكم بمثل ذلك لأحد، إذ الخلق لا يعرفون معنى الأصل، ولا معنى الفرع، وأيضًا فلا افتراق الحامدتين بالقدم والحدوث، وأما المحمودية من حيث عموم الحامد: فصفة فعل؛ وما أحسن قول سيدنا حسان في هذا المعنى، ومعنى ضم اسمه إلى اسم الله تعالى في التشهد:

أغر عليه للنبوءة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهدُ

---

(1) أورده محمد الرصاع التلمساني التونسي (ت894هـ) في «تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النبي المختار» من حديث ابن عباس وابن عمر، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، ومحمد بن أحمد بنيس الفاسي المالكي (ت1213هـ) في «لوامع أنوار الكواكب الدري في شرح همزية الإمام البوصيري» (الوجه8) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 170 د) و (برقم 1436 ك))؛ وبجامعة الملك سعود، برقم 5175)، و (ص13) من النسخة المطبوعة رفقة «الفوائد الجلية البهية على الشمائل المحمدية» لمحمد بن قاسم جسوس، وحكى وضعه عبد الله بن الصديق الغماري في رسالته الموسومة بـ«إرشاد الطالب النجيب إلى ما في المولد النبوي من الأكاذيب».

(2) نقله العلامة ابن زكري في «الإلمام والإعلام» (ص182).

ضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذنُ أشهدُ
وشق له من اسمه ليجلّهُ فذو العرش محمود وهذا محمّدُ(1)

وفي الحكم بالاشتقاق إشارة إلى أن في الفرع -وهو محمد- ما في الأصل -(وهو محمود)- وزيادة، إذ حمده ﷺ متضمن حمد الله تعالى. والمقصود من الثناء على الواسطة: التوسل إلى من وصله، بخلاف العكس؛ إذ لا يشهد مرتبة الرسالة عند ذكر الله تعالى إلا العارفون من حيث وساطته لهم في ذلك. ومن أثنى على عبد الملك؛ لأنه عبد الملك، كان ذلك منه أدل على محبته للملك من ثنائه على الملك، لأن من الناس من قد يخضع للملك، ولا يخضع لعبده؛ ومن هنا قال الشيخ زروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وغيره: أن الصلاة على النبي ﷺ أعظم العبادات وأشرفها، لقوة دلالتها على قوة الامتثال، فإن الملك إذا أمر كبراء دولته بالخضوع له والتذلل بين يديه، لم يتأخر أحد منهم عن ذلك، ولم يتوقف فيه، بخلاف ما إذا أمرهم بالخضوع لبعض عبيده، فإنه لا يبادر لذلك إلا من عظم أمر الملك في قلبه. وانظر قضية إبليس في السجود بعد عظيم تعبده)(2).

والاشتقاق هنا بمعنى الموافقة في المادة، والتأخر في الرتبة والوجود، إذ محموديته تعالى بنفسه، وبحمده ﷺ سابقة، والزيادة في الفرع كما سبق. وأيضًا للحكم باشتقاق محمد دون أحمد نكتة أخرى؛ إذ حامدية العبد لسيده لا تتوقف على حامدية السيد لنفسه، إذ لا يراعى ذلك فيها؛ إذ من شأن العبد: الخدمة، بخلاف محمودية العبد، لا ينبغي أن تكون إلا تابعة لمحمودية سيده.

---

(1) من قصيدة «أتانا بعد يأس «لحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مدح النبي ﷺ [من الطويل]، «ديوان» حسان بن ثابت، قافية الدال (ص54). كما أورده القسطلاني في «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (ج2 ص25).

(2) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص183 ـ 184).

فإن قلت: لـم بُولغ في حمده دون حمد الله، فقيل فيه محمود؟

قلت: لما مرّ أن حمده متضمن حمد الله، ولأن محموديته لما كانت بجعل الله، احتيج للتنبيه على كمالها.

قال الإمام الخروبي: (المصلي عليه ﷺ، ممتثل لأمر الله، والقيام بالأمر: ذِكْـرٌ؛ وأيضًا المصلي عليه يناجي ربه، والمناجاة: ذِكْـرٌ. وأيضًا الصلاة على النبي ﷺ، لا بدّ أن تكون مقرونة باسم من أسماء الله تعالى، أو صفة من صفاته، وإمرار ذلك على اللسان: ذِكْـرٌ. وهـذه الأوجه الثلاثة تصح لكل مصل عليه ﷺ من العموم، والخصوص. ووجه رابع يصح لخواص المصلين عليه ﷺ، وذلك أن الخواص إذا مر على ألسنتهم ذكر النبوءة والرسالة، استحضروا مع ذلك أسماء المرسل، وصفاته العظيمة، ومعاني الأمور المرسل بها: من أمر، ونهي، ووعد ووعيد، إلى غير ذلك. وسلسل بهم الأمر إلى استحضار أمور كثيرة ومعان عديدة تهديهم إلى تعظيم أمر المرسَل والمرسِل والمرسَل به، وهذا ذكر يطلق عليه اسم الذكر من وجوه) هـ[1].

وفي كلام السهيلي أنه لما كان الأول في الخلق والسابق في الأحمدية شرع الابتداء بالحمد، وجاء بالفاتحة مفتتحة به، وتوسط فيها أسماء الرحمة بين ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ و﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، كما أنه ﷺ رحمة للعَالمين، ظهور رحمته عند مالكه، وافتتحت بالبسملة كذلك باسمي الرحمة متصلة بالحمد، وبنقطة الباء التي هي أول ما خطه القلم، وهي مددُ العوالـم، كما أنه ﷺ مبدأ العوالـم، ولهذا سُميَ بداية النقطةِ؛ وقد أشـار الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه إلى ذلك.

وفي «نـوادر الأصول» للحكيم الترمذي[2] رضي الله عنه على حديث: «إن الله

(1) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص183 ـ 184).

(2) الحكيم الترمذي: هـو أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت320هـ) عالـم =

أعطاني خصالًا لم يعطها أحد قبلي: سميتُ أحمد، ونصرتُ بالرعب»[1] الحديث: (قولهُ: «سميتُ أحمد»: فمنه نال لواء الحمد، لأنه هو الذي وصل إلى عُشّ الحمد من بين الرسل، وكانت الرسل تحمد ربها من جو الآلاء، ومحمد ﷺ من جو الرحمة العظمى الذي بدا منه الآلاء، فلذلك جعل أحق الرسل بلواء الحمد، لأن حمده أخلصُ وأوفر) هـ[2].

ولعدم معرفة الخلق بأحمديته ومعرفتهم بمحمديته، أشير إلى ذلك بخلق الإنس على صورة اسمه: محمد دون أحمد، ففي «الشعب» و«المواهب» وغيرهما أن: (آدم وولده أجمعين خُلقوا على صورة حروف اسمه ﷺ، وشكل محبته)[3].

وقدّره أيضًا الإمام البكّي[4] بما في الحديث الطويل الذي أخرجه أبو مروان

= بالحديث وأصول الدين. «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (برقم 32 ص173)؛ و«الرسالة القشيرية» لعبد الكريم القشيري (برقم 17 ص400)؛ و«تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار (رقم 65 ص530)؛ وفي «سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 216 ج13 ص439)؛ «طبقات الشافعية» للسبكي (رقم 59 ج2 ص245)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 14648 ج3 ص502).

(1) رواه أحمد في «مسنده» (رقم 763 ج2 ص156)؛ و(برقم 1361 ج2 ص461) قال محققه: (إسناده حسن، من أجل عبد الله بن عقيل، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (رقم 31647 ج6 ص304)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (رقم 17715 ج9 ص8)؛ ونحوه البزار في «مسنده» (رقم 656 ج2 ص251).

(2) «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» الحكيم الترمذي (ت320هـ) (برقم 1261 ج2 ص950).

(3) «المواهب اللدنية» للقسطلاني (ج2 ص25).

(4) في المتن: البكي: لعله أبو عبد الله محمد بن قاسم البكي الكومي التونسي (ت916هـ) سبقت ترجمته (ص850).

وفي الأصل: «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ص187): البكري: لعله =

الطبني[1] في «فوائده» التي خطها بيده وأخذها عن شيوخه بمكة ـ زادها الله شرفًا ـ بسنده عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: **«يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله آدم وذريته على حروف هجاء اسمي: محمد»**[2]: (فالرأسُ والوجه بمنزلة الميم، واليدان إذا مددتهما بمنزلة الحاء، والبطن بمنزلة الميم الأخرى، فهو محمد ولا فخر) هـ. ذكره بطوله جبر[3] والعزفي[4].

وقال بعضهم:

= عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت487هـ)، سبقت ترجمته (ص691).

(1) هو المحدث الحافظ الرحلة الفقيه، إمام اللغة الأديب الشاعر أبو مروان الطُّبْني (ت457هـ): عبد الملك بن زيادة الله بن علي بن حسين ابن محمد بن أسد التميمي ثم الحماني، كان أديبًا، لغويًّا، شاعرًا»، له رواية وسماع بالأندلس، رحل إلى المشرق غير ما مرة. وجد مقتولًا في داره. «جذوة المقتبس» محمد بن فتوح الأزدي الميورقي الحُميدي (ت488هـ) (برقم 630 ص409)؛ و«مطمح الأنفس» لابن خاقان القيسي الإشبيلي (ص268)؛ و«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام (ج1 ص537)؛ و«الصلة» لابن بشكوال (رقم 730 ج2 ص10)؛ و«المغرب في حلى المغرب» لابن سعيد (برقم 26 ج1 ص92)؛ و«تاريخ الاسلام» للذهبي (برقم 186 ج10 ص92)؛ و«الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 7275 ج19 ص110)؛ و«بغية الوعاة» للسيوطي (برقم 1566 ج2 ص109).

(2) سبقت الإشارة له في (ص870).

(3) هو أبو محمد القرطبي جبر بن محمد بن جبير بن هشام (ت615هـ)، من فقهاء المالكية ومتصوفيها، له «مطالع الأنوار ومسالك الأبرار في فضائل الصلاة على النبي المختار». «الإعلام» للزركلي (ج2 ص108)؛ و«هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي (ج1 ص249).

(4) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد العزفي اللخمي (ت717هـ). كان من المشتغلين بالحديث، له كتاب «الإشادة بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإفادة». «جذوة الاقتباس» لابن القاضي (رقم 403 ج2 ص397)؛ وفي «تذكرة المحسنين» ضمن موسوعة أعلام المغرب (ج2 ص29)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج3 ص313).

لـه اسم صـوَّر الرحمـان ربي خـلائقـه عليـه كـمـا تـراه
لـه رجـل وفـوق الرجـل ظهـرٌ وتحـت الـرأس قـد خُلقـت يـداهُ[1]

[سبب اشتهاره باسم «محمد» أكثر من أحمد]:

• ولعدم معرفة الخلق بأحمديته ومعرفتهم بمحمديته، كثر تصرفهم في حروف محمد دون أحمد:

- فقال البكي: (الميم الأولى: إشارة للملكوت الأعلى، والحاء: للحياة والحفظ الذي به وفيه كتب القلم الأسمى، والميم المشددة: للملكوت الباطن والملك الظاهر، ودال: الدّوام والاتّصال الماحية لوهمي الانقطاع والانفصال)[2].

- وقال بعض العلماء: (الميم الأولى: المعرفة، أعطاه الله معرفة بعلم الأولين والآخرين. والحاء: أحيى الله العبادَ على يديه من الكفر بالإسلام، حيث قال: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾[3]؛ والميم الثانية: أعطاه الله مملكة لم يعط الله أحدًا مثل ذلك، وذلك أن شهَر اسمه مع اسمه في المشرق والمغرب؛ والدال: هو الدال لجميع الخلائق إلى الفردوس)[4].

- وقيل: (الميم الأولى، والحاء: مأخوذان من (محّ يمحّ مُحًّا): إذا أهلك؛ والميم الثانية، والدال: من مدّ: إذا بسط، فمعناه: أنه ﷺ أهلك الكفر، وبدّه، ومدّ

---

(1) «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي (ج1 ص502)؛ وفي «شرح» الزرقاني على «المواهب اللدنية» للقسطلاني (ج4 ص236).

(2) في المتن: (البكي): سبقت ترجمته (ص850). وفي كتاب «الإلمام والإعلام» (ص187): (البكري): سبقت ترجمته (ص691).

(3) سورة البقرة، الآية: 28.

(4) «مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى» لأبي سعد عبد الملك النيسابوري (ت406) (ج2 ص72).

الإسلام أي: بسطه في الأرض بسطًا، فعُبد الله في أقطارها[1]. قال الشاعر:

محمدنا محا الإلهُ بدينه عبادًا طغوا[أ] في الأرض دينهم الكفر
ومدّ لنا الاسلام طرًّا فلم يزل به النصر والتمكين[ب] والظفر والبِشْر

• وقيل: (الميم: محو الكفر بالإسلام، ومحو سيئات من اتبعه)[3].

• وقيل: (الميم: منّ الله على المؤمنين بمحمد ﷺ، دلّ عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية[4]).

• وقيل: (الميمُ منذر ومبشر)؛ وقيل: (ملك أمّته).

• وقيل: (المقام المحمود، والحاء: حكمه بين الخلق بحكم الله، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾[5] الآية.

• وقيل: حياة أمّته به، والثانية مغفرة الله لأمته؛ وقيل: منادي الموحدين.

• وقيل: ملك أمته به، والدال: هو الداعي إلى الله قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾[6]، فهو دليلهم في الدنيا، ودليلهم في الآخرة إلى الجنة.

(أ) في الأصل: (طغوا) ساقطة.

(ب) في الأصل: (والإمكان).

---

(1) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص188).

(2) المصدر السابق.

(3) «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» للصالحي الشامي (ج1 ص409).

(4) سورة آل عمران، الآية: 164.

(5) سورة النساء، الآية: 65.

(6) سورة الأحزاب، الآية: 46.

• وقيل: الميم الأولى: للملك الأول، والثانية: للثاني الأخروي الأبدي، ولذا ضعفت. والحاء: للرحمة، توسطت بينهما إشارة إلى الملكين يتجاذبانه، ويستمدان منه. والدال: إشارة لدوام الملك الثاني)[1].

ولتقدم أحمديته على محمديته كما مر عن السهيلي، يشير ما ورد من أنه لما خُلق نوره ﷺ، وهو أول ما خلق الله سبحانه، سجد لله وبقي في سجوده سبعمائة عام، ولا شك أن ذلك حمدٌ منه لربه، ثم بعد ذلك عرف به خاصته، فحمدوه.

وكذا لما ظهرت ذاته وقع على الأرض ساجدًا رافعًا أصبعه كالمبتهل، وذلك حمدٌ منه، ثم جاء بالهدى والحق فحمده أتباعه، وكذا في الآخرة يسجد تحت العرش ويحمد ربه بمحامد يلهمه إياها، فيشفعه، فيحمده أهل الموقف؛ فأحمديته سابقة في الدارين.

والحاصل: أن أحمديته ﷺ لما تقاصرت عنها العقول، لأن معناها ترقيه في حمد ربه، والثناء عليه، قولًا، وفعلًا، واعتقادًا إلى حد لا يبلغه أحد، لأن ثناء كل أحد على قدر معرفته بالله، وهو ﷺ أعرف العارفين كما قال: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله، أنا**»[2]، فإذًا لا يصل أحد إلى حقيقة حمده تلبسًا ولا تصوّرًا.

وأيضًا هو المثني في الحقيقة بكل ثناء، لأن الحامدين كلهم نوابه، إذ هو الذي عرفهم الحمد وأوصل إليهم العلم بمنشئه من الكمالات، وأوصل إليهم نفس منشئه من النعم، فهو المثني على الإطلاق الحامد في كل الأوقات والآفاق.

ثم إن مقتضى كلام الإمام الخروبي المتقدم في قوله: (حقيقة أحمديته

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ص187 ـ 189).

(2) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ أنا أعلمكم بالله...، برقم 20 ج1 ص18).

من السر المكنون، والأمر المصون، وما أدرك المؤمنون منه إلا ظاهر صورته المحمدية)[1]: يقتضي أن الخلق أدركوا محمديته دون أحمديته؛ أما عجزهم عن إدراك أحمديته، فلما ذكرنا آنفًا. وأما علمهم بمحمديته؛ فلأن معناها حمدُ الخلق له لما أدركوه من خصاله الحميدة؛ فهم إنما يثنون عليه بما أدركوا من خصاله، وإمّا يحمدونه بما فهموه من كماله ونواله.

• فإن قلت: هم معترفون بالعجز عن الإحاطة بكمالاته التي يحمد عليها.

- قال قائلهم:

كملت محاسنه فلو أهدى السّنا ... للبدر عند تمامه لم يخسف

وعلى تفنن واصفيه بمدحه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يُوصف[2]

وحينئذ فلم يدركوا محمديته أيضا؟

قلنا: ما لم يدركوه من كمالاته، لا يدخل تحت محمديته.

نعم؛ يدخل تحت محمديته ثناؤهم عليه؛ فإنهم لم يحيطوا بكمالاته، وهي صفة واحدة من كمالاته كما قال في «الهمزية»:

إن من معجزاتك العجز عن مـ ... ـدحك إذ لا يحده الإحصاء[3]

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص167)؛ وقد سبق في (ص860).

(2) من قصيدة في مدح النبي ﷺ، لعمر بن علي، المعروف بابن الفارض. «ديوان ابن الفارض» (ص91)؛ وفي «معجم أعلام شعراء المدح النبوي» لمحمد درنيقة (رقم 271 ص276)؛ وفي «ديوان ابن الفارض قراءات لنصه عبر التاريخ» لجوزي سيكاتولين (ص18).

(3) «ديوان» البوصيري (قافية الهمزة البيت 445 ص85)، للإمام شرف الدين البوصيري. وفي «المنح المكية بشرح الهمزية» لابن حجر الهيثمي (البيت رقم 444 ص673).

وهـذه الصفة تضمنت أن هناك كمالات لـم يدركوها، لأن المحمود عليه تلك الكمالات التي لـم يدركوها إلا من هذا الوجه الإجمالي، وهو حصولهـا لهُ. وكونهـا غير مدركة لنـا لا من حيث تفـاصيلهـا، فـلا يندرج من هـذه الحيثية.

والسر في ذلك أن واضع هذا الاسم: وهو عبد المطلب المسمي لـه بـه، لـم يضعه إلا بإزاء حمد الخلق له بمـا يدركونه من خصاله الحميدة كما أفصح به لمـا قيل له: (لـمَ سميت ابنك محمد؟ أوَ لَـمْ يكن من أسمـاء قـومـك؟). فقـال: (رجوتُ أن يحمـده أهـل السمـاء والأرض)[1].

• فـإن قلت: (واضـع هـذا الاسم هو الله المحيط علمه بجميع كمالاته تفصيلًا ما عَلمْناهُ منها، وما لـم نعلم؛ فوُضـع الاسم بازائهـا بدليـل مـا ورد من تسميته له بهـذا الاسـم على عهد آدم وقبله).

- قلنـــا: يجوز أن تكون تسميته تعـالى لـه لمـا علم أنه إذا وُجدت ذاته المقدسة، سمـاه به جده عبد المطلب، وواضع الأعلام حقيقة هو من يسمي بها بعد وجود المسمّى خارج العيان، وقد استثنوا من الخلاف في واضـع اللغات الأعلام، فإن الاتفاق على أن واضعَها هو المسمي بها من العباد، والمسمي هنا عبد المطلب، وهو لـم يعمد في تسميته على توقيف من الله، بل على الرجاء الذي

(1) ذكـره ابن دريـد (ت321هـ) في «الاشتقاق» (ج1 ص6)؛ والبيهقي في «دلائـل النبوة» (ج1 ص113)؛ والسهيلي في «الروض الأنف» (ج1 ص280)؛ وابن كثير في «البداية والنهاية» (ج3 ص389)؛ والنجم عمر بن فهد (ت885هـ) في «اتحاف الورى بأخبار أم القرى» (ج1 ص56)؛ والعلامة القسطلاني في «المواهب اللدنية» (ج2 ص11)؛ والصالحي الشامي في «سبل الهدى والرشاد» (ج1 ص506)؛ وعزاه الديار بكري في «تاريخ الخميس» (ج1 ص204) إلى «المنتقى» لابن الجارود)؛ وفي «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج4 ص161)؛ وفي «مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار» لأبي مدين الفاسي (ت بعد 1132هـ) (ص26)

ذكره، بخلاف اسم أحمد: فإنه لا يعرف أن مخلوقًا وضعه له ﷺ، فوجب أن يكون مسميه به هو الله سبحانه. وقد علم تعالى كمال معرفته به ﷺ، وغاية ثنائه عليه التي لـم يبلغها أحد غيره، فانطبق اسمه أحمد على ذلك الحمد والثناء منه ﷺ على ربه الذي استأثر تعالى بعلمه، فعجزت العقـول عن فهم حقيقة أحمديته.

وأما على ما ذكره الأبـي[1] من انـدراج ثنائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على نبيه تحت مفهوم محمديته، فالعقول عاجزة أيضًا عن إدراك حقيقة محمديته. وتخيّل عليه ما أصّلُوهُ من سبقيّة أحمديته على محمّديته في الدارين، لأن ثناءه عليه تعالى بكلامه القـديـم، فهو سابق على ثنائه هو على ربه الذي هو أحمـديته.

• **فإن قيــل:** (ما ذكرته من اختصاص اسمه محمد بما أثنى عليه الخلق من كمالاته ينافي ما ذكروه أن اسمه محمد: هو الاسم الجامع لمعاني اسمائه كلها كما أن اسم الجـلالة: اسم جامع لمعاني الأسماء الحسنى؟

ـ **قلنــــا:** مرادهم: أن اسم محمد جامع لما علمه الخلق من معاني أسمائه ﷺ، لأن كل اسم سواه إنما يدل على فضيلة أو فاضلةٍ خاصّةٍ، نحو: طاهر، مطهر، فاتح، خاتم، مصطفى، مختار، أمين، مأمون، ومحمد شامل لكل ذلك إذ معناه: محمود بالطهارة، محمود بالفتح، محمود بالختم، محمود بالاصطفاء

---

(1) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني الأبي المالكي (ت828هـ): محدث فقيه حافظ مفسر ناظم تولى قضاء الجزيرة، وتلقى العلم عن ابن عرفة. من تلاميذه: عمر القلشاني، وأبو القاسم ابن ناجي، والثعالبي، والمجدولي، وغيرهم. من كتبه: «شرح المدونة»؛ «إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم» جمع فيه بين شروح المازري، وعياض، والقرطبي، والنووي. «توشيح الديباج وحلية الابتهاج» للقرافي (برقم 192 ص189)؛ و«درة الحجال» لابن القاضي المكناسي (برقم 804 ج2 ص285)؛ «نيل الابتهاج» للتنبكتي (رقم 598 ص487)؛ و«البدر الطالع» للشوكاني (برقم 442 ج2 ص169)؛ «شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (رقم 902 ج1 ص351).

محمود بالأمانة، إلى غير ذلك من الأسماء المعلومة للخلق. بخلاف اسم الجلالة: فإنه جامع شامل لمعـاني **الأسماء الحسنى** كلها، ما علم الخلق منها وما لـم يعلموه.

والمحبّة في اسم أحمد، أظهر من المحبوبية، وفي اسم محمد عكس ذلك؛ لأن مفهوم أحمد المبالغ في الثناء على ربه، والتعظيم له، فهو محب له، لكن يلزم من ذلك أن ربه أحبه حيث استعمله في حمده ومعرفته واجتذبه إليه بذلك.

ومفهوم محمد: الذي بولغ في الثناء عليه، ولا مثني في الحقيقة إلا الله: لأن ألسنة الخلق أقلام الحق، فهو محبوب ويلزم أن يكون محبًّا للمثني، لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، وكل إحسان منه تعالى على الحقيقة، ولظهور المحبوبية في محمد، كان ألذَّ سماعًا وأشوق للصلاة والسلام عليه كما تقدمت الإشارة إليه، وجعل اسمه محمد مشتملًا على المبالغة بخلاف اسمه تعالى: **الحميد**؛ لأن الثناء عليه ﷺ يستلزم الثناء على الله تعالى دون العكس، لأن من أثنى على عبد الملك من حيث هو عبده، كان مثنيًا على الملك، بل هو أبلغ في الثناء عليه كما تقدم. ومن هنا قيل: (إن الصلاة على النبي ﷺ أدخلُ العبادات في العبودية وأقواها في الامتثـال).

وتذكّر سجود المـلائكة لآدم (إلا إبليس؛ فإنه أبى)[1]، مع عظيم عبادته لله قبل ذلك حتى كشف الله تعالى عن نقص امتثاله -عن امتثالهم- بالأمر بالسجود لآدمَ، ولأنه تعالى يستحق الحمد لذاته وبطريق الأصالة، فلا تظهر فيه مبالغة وإن بلغ الغاية.

---

(1) هذه الجملة مقتبسة من قولـه: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾ مـن سورة البقرة، الآية: 34.

والمصطفى مستحق للحمد بطريق الفيض[1] الإلهي، وكمال إنعام الله عليه وتمام إحسانه إليه، فظهرت فيه المبالغة وإن كان حميد في وصفه تعالى بمعنى حامد، فهو صفة مبالغة أيضًا تنبيها على كمال إحسانه وجزائه لأهل طاعته.

وفي جعل اسم محمد مشتملًا على المبالغة أيضًا مناسبة لجمعه لخصال الخير الحميدة المفترقة في سائر الكمل؛ قال تعالى بعد ذكر جماعة من الرسل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[2]، وقد امتثل لا محالة لهذا.

وقد بنى السهيلي وغيره على سبقية أحمديته لمحمديته مناسبة هي: مجيء اسمه أحمد في الكتب السالفة وعلى ألسنة الرسل السابقة؛ لقول موسى: (اللهم اجعلني من أمة أحمد)[3]، لما قال الله له في خصال عددها لهذه الأمة: (تلك أمة أحمد)؛ وقول عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[4]؛ ومجيء محمد في القرآن: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[5]؛ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[6]؛ ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾[7]. وسُمّي في السماء أحمد وفي الأرض محمدا، لأن معرفة أهل السماء به ﷺ، سابقة على معرفة أهل الأرض. وكأنهم أرادوا أن اسم أحمد أشهر عند الأمم السالفة، كما أن اسم محمد أشهر عند هذه الأمة اللاحقة، وإلا فاسم محمد معروف أيضًا على عهد آدم وقبله وبعده. كيف، وكنيةُ آدم أبو محمد

(1) سبق التعريف بمصطلح «الفيض» في (ص350).

(2) سورة الأنعام، الآية: 90.

(3) سبق تخريجه في (ص635)؛ وفي (ص865).

(4) سورة الصف، الآية: 6.

(5) سورة آل عمران، الآية: 144.

(6) سورة الفتح، الآية: 29.

(7) سورة محمد، الآية: 2.

ذكر ابن ظفر بك[1] أنه ورد أن الله تعالى لما خلق آدم قال: (يارب، لمَ كنيتني أبا محمد؟)، قال: (ارفع رأسك)، فرفعه فرأى نورا في سرادق العرش، قال: (يارب، ما هذا النور؟)، قال: (نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا))[2].

وإلى هذا يشير قول بعضهم في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وكان لدى الفردوس في زمن الصفا وأثواب شمل الأنس محكمة السّدى
يشاهد في عرشٍ ضياء مشعشعًا يزيد على الأنوار في الضوء والهدى

---

(1) في المتن: ابن ظفر بك، وهو العلامة البارع، حجة الدين أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي (ت565)، صاحب كتاب «خير البشر»، وكتاب «سلوان المطاع في عدوان الأتباع»، وكتاب «شرح المقامات» وغيرها. ترجمته في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (رقم 1113 ج6 ص2643)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 336 ج20 ص522)؛ و«هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي (ج2 ص96)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 14358 ج3 ص456)]؛ وفي «المواهب اللدنية» للعلامة القسطلاني (ج 1 ص69)، وكذا «شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج1 ص85): (ابن طغرو بك في كتابه المولد الشريف المسمى: «الدر النظيم في مولد النبي الكريم»). وابن طغرو بك: هو لقب الإمام العلامة المحدث سيف الدين أبي جعفر، عمر بن أيوب بن عمر الحميري التركماني الدمشقي الحنفي (ت670هـ)، ترجمته في «هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي (ج1 ص717)' و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة، (برقم 10335 ج2 ص555).

(2) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم 6502 ج6 ص313)؛ والحاكم في «المستدرك» (رقم 4228 ج2 ص672)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد)؛ وضعفه البيهقي في «دلائل النبوة» (ج5 ص489)؛ وذكره القسطلاني في «المواهب اللدنية» (ج1 ص70)؛ والصالحي الشامي في «سبل الهدى والرشاد» (الباب الثاني في تشريف الله تعالى له ﷺ بكونه أول الأنبياء خلقًا، ج1 ص94).

فقال: إلهي ما الضياء الذي أرى جنود السما تأتي إليه ترددا
فقال: نبي خير من وطئ الثرى وأفضل من في الخير راح أو اعتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدًا وألبسته قبل النبيين سُؤددا(1)

وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال: (إن الله تعالى أنزل على آدم عِصيًا بعدد الأنبياء والمرسلين، ثم أقبل [آدم] على ابنه شيث، فقال: أي بني، أنت خليفتي من بعدي، فخذها بعمارة التقوى والعُروة الوثقى، وكلما ذكرتَ الله، فاذكر إلى جنبه اسم محمد، فإني رأيتُ اسمه مكتوبًا على ساق العرش، وأنا بين الروح والطين، ثم طُفْتُ السموات، فلم أر في السموات موضعا إلا رأيت اسم محمد مكتوبًا عليه، وإن ربي أسكنني الجنة، فلم أر قصرًا في الجنة ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوبًا عليه، ولقد رأيت اسم محمد مكتوبًا على نحور الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة(2)، وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب، وبين أعين الملائكة؛ فأكثر ذكره، فإن الملائكة

---

(1) ذُكرت هذه القصيدة بتمامها في «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام» لأبي عبد الله محمد المزالي المراكشي (ت683هـ) (ص31)؛ كما جاءت هذه الأبيات في «المواهب اللدنية» للعلامة القسطلاني (ج1 ص70)؛ وفي «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي (ج1 ص91) من قصيدة لابن خيران: أبو علي الحسين بن صالح البغدادي الشافعي (ت320هـ) الإمام شيخ الشافعية، «تاريخ بغداد» للخطيب (برقم 4071 ج8 ص593)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 27 ج15 ص58)؛ «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (برقم 176 ج3 ص271)؛ و«العقد المذهب» لابن الملقن (برقم 43 ص32)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج4 ص103).

(2) آجام: جمع أجمة: الشجر الملتف على أغصان شجر الجنة. «لسان العرب» (حرف الميم: فصل الألف، ج12 ص8)؛ ونقله في «شرحه» العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني (ج4 ص238).

تذكره في كل ساعاتها)[1].

وفي «شرح الهمزية» لابن حجر[2]: (صحّ عن ابن عباس وله حكم المرفوع فذكر حديثًا منه: (ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسكن)[3].

وفي «المواهب»: (وُجد على حجر بالخط العبراني: (باسمك اللهم؛ جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا إله إلا الله محمد رسول الله: وكتبه موسى بن عمران، ذكره ابن ظفر في «البشر» عن معمر عن الزهري)[4].

وفي كتابة اسمه في أماكن من العالم العلوي وخلق الإنس على صورة كتابته كما سبق، تنبيهٌ على أن العوالم كلها مخلوقة لأجله. وفي حديث عند ابن عساكر: (ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفُهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا)[5].

---

(1) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (حرف السين، ذكر من اسمه شيث ج23 ص281)؛ ونقله في «الخصائص الكبرى» السيوطي (ج1 ص12)؛ وفي «شرح» العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني (ج4 ص238).

(2) «المنح المكية بشرح الهمزية» لابن حجر الهيتمي (شرح البيت 1 ص79).

(3) رواه أبو بكر الخلال (ت311هـ) في «السنة» (برقم 316 ج1 ص261)؛ والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (برقم 4227 ج2 ص682)؛ وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (برقم 280 ج1 ص448): (لا أصل له، وقال الذهبي في «الميزان»: وأظنه موضوعا، ووافقه الحافظ ابن حجر في «اللسان» فأقره).

(4) «المواهب اللدنية» للقسطلاني (ج2 ص27). وفي «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي (ج1 ص508).

(5) ذكره في «تاريخ دمشق» ابن عساكر (ج3 ص518)؛ وقال ابن الجوزي في «الموضوعات الكبرى» (ج1 ص288): (موضوع لا شك فيه)؛ والقسطلاني القتيبي في «المواهب اللدنية» (ج1 ص83)؛ وقال الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (ج1 ص94): (رواه =

وشواهد هذا المعنى كثيرة؛ ونظمه ابن الفارض في قوله:

لولاك يا أحمد المحمود ما طلعت شمس ولم تخرج الدنيا من العدم[1]

فقول الأليري[2] على قول «البردة»: (لولاه لم تخرج الدنيا من العدم)[3]: (انظر، هل يوجد هذا المعنى في الحديث؟ ومن أين أخذه؟) غاية القصور، ولم تجعل صور الحيوانات العجم أيضًا على شكل كتابة اسمه، لأنها خلقت لتسخر وتذلل للإنس؛ ولا يمتهنُ اسم الحبيب[4].

نعم؛ وُجدت كتابةُ اسمه على سبيل خرق العادة في أجسام، زيادة في التنويه والتنبيه المذكور:

- قال في «الشفا»: (وُجد على الحجارة القديمة مكتوبًا «محمد مصلح

= ابن عساكر وسنده واه جدًا)؛ وأورده ابن عراق الكتاني في «تنزيه الشريعة المرفوعة» (برقم 6 ج1 ص325).

(1) لم أقف على هذا البيت في «ديوان ابن الفارض»؛ ولا في «ديوان ابن الفارض قراءات لنصه عبر التاريخ» لجوزيي سيكاتولين.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن خلف القرطبي المالكي، الإلبيري، سكن قرطبة وبها توفي سنة 537هـ، من علماء الكلام، ومن أبرز العلماء الذين نشروا العقيدة الأشعرية بالمغرب، وهو صاحب «الأصول إلى معرفة الله والرسول» و«الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء». من آثاره: «النكت والأمالي»، و«شرح مشكل ما وقع في الموطأ»؛ «بغية الملتمس في رجال الأندلس» للضبي (رقم 105 ج1 ص102)؛ و«الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 940 ج3 ص38)؛ و«الديباج المذهب» لابن فرحون (برقم 106 ج2 ص238)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج6 ص115)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 13168 ج3 ص276)؛ و«إيضاح المكنون» للباباني البغدادي (ج1 ص462).

(3) «ديوان الإمام شرف الدين البوصيري» (قافية الميم، قصيدة البردة، البيت 33 ص423).

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

(4) «الإلمام والإعلام» لابن زكري (ص237).

أمين»، قال: وشوهد في بعض بلاد خراسان مولود ولد على أحد جنبيه مكتوب: «لا إله إلا الله»، وعلى الآخر: «محمد رسول الله»[1].

- وفي «روض الرياحين» لليافعي[2] عن بعضهم: (وُجد ببعض بلاد الهند ثمر كاللوز له قشران؛ إذا كُسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب فيها: فالحمد «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، كتابة جلية وهم يتبركون بها؛ قال فحدّثتُ بذلك أبا يعقوب الصياد فقال: (ما أستعظم هذا، كنتُ على نهر الأيلةِ، فاصطدت سمكة على جنبها الأيمن: «لا إله إلا الله»، وعلى الآخر: «محمد رسول الله»؛ فقذفتها في الماء احترامًا لها)[3].

- وذكر ابن مرزوق في «شرح البردة»: (أنه أتي بسمكة فرأى في إحدى شحمتي أذنها: «لا إله إلا الله»؛ وفي الأخرى: «محمد رسول الله»[4].

---

(1) «الشفا» للقاضي عياض (ج1 ص175).

(2) هو أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (698 ـ 768هـ = 1298 ـ 1367م) مؤرخ، باحث، متصوف، من شافعية اليمن. من كتبه: «مرآة الجنان، وعبرة اليقظان، في معرفة حوادث الزمان»؛ و«نشر المحاسن الغالية، في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية» وغير ذلك. «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني (برقم 2120 ج2 ص247)؛ «النجوم الزاهرة» ابن تغري بردي (ج11 ص93)؛ شذرات الذهب» لابن العماد (ج8 ص362)؛ «البدر الطالع» للشوكاني (برقم 255 ج1 ص378)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج4 ص72)؛ «معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 7833 ج2 ص229).

(3) «المواهب اللدنية» للقتيبي القسطلاني (ج2 ص28)؛ و«شرح الزرقاني على «المواهب اللدنية» (ج4 ص242).

(4) «المواهب اللدنية» (ج2 ص28)؛ وفي «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي (ج1 ص509).

- وعـن جماعة: أنهم وجدوا بطيخة فيها خطوط بيضاء خلقيةً، من جملتها «في جنب الله»؛ وفي الآخر: «عن أحمد». ووجدوا أوائل المائة التاسعة حبة عنب بيضاء فيها بالأسود بخط بارع «محمد»[1].

- وذكـر ابن ظفر بك[2] عن بعضهم[3]: (أنه رأى بالهند شجرة عظيمة لها ورق كبير أخضر زكي الرائحة، مكتوب فيه بالبياض والحمرة خلقة ثلاثة أسطر: الأول: «لا إله إلا الله»؛ والثاني: «محمد رسـول الله»؛ والثالث: «إن الدين عند الله الإسلام». انظـر «المواهب»، فإنه ذكر أكثر من هذا[3].

[ما ورد في مدحه ﷺ والغلوّ فيه]:

ثم المادحون له ﷺ وإن بالغوا وأكثروا، معترفون بأنهم قد قصدوا وقصروا، وكيف لا وقد أفصحت آيات الكتاب العزيز في تعظيمه بما يبهر العقول، وصرحت من عظيم صفاته بما لا يستطاع إليه الوصول، ولا اتصف متصف بصفة كمال على الكمال كاتصافه، ولا اغترف مغترف من بحر المعرفة كاغترافه؛ فكل صفة من صفاته خصها الحق بالوسع إلا لا هي وسع العلمين خَلْقًا وخُلُقًا، فما وصف واصف صفة من صفاته فبلغ ثلثي عشرها ولا أنصف، ولا مدحه مادح وبالغ إلا وقيل فيه ما أنصف، ولو اعترف بالعجز والقصور عن ارتقاء هذه المعالي والقصور كان في فعله مصيبا، ونال من معرفة ذلك نصيبًا.

---

(1) «المواهب اللدنية» (ج2 ص28)؛ وفي «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي (ج1 ص509).

(2) فـي المتن: (ابن طفر بك). سبقت ترجمته في (ص883)؛ وفي كتاب «سبل الهدى والرشاد» (ج1 ص508): (ابن طغربك: في كتابه «النطق المفهوم»)؛ وفي كتاب «المواهب اللدنية» (ج2 ص28): (ابن طغر بك السياف في كتابه» النطق المفهوم»)؛ وقد سبقت ترجمته في (ص883).

(3) «المواهب اللدنية» للعلامة القسطلاني (ج2 ص28 ـ 29).

قال الشيخ سيدي محمد البكري[1] نفعنا الله به في بعض ما له من الصلوات:

من غاية المجد المجيد في الثناء عليه ... الاعتراف بالعجز عن اكتناه صفاته
ونهاية البليغ المبالغ أن لا يصل إلى ... بالغ الحمد على مكارمه وهباته[2]

وفي «البردة»:

أعيا الورى فهم معناه فليس يُرى ... للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعُدٍ ... صغيرة وتكل الطرف من أمم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقتَهُ ... قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم[3]

أي: غاية علم الخلق فيه ما ذكر، وثم ما لا تصل إليه أفهامهم ولا تتعلق به أوهامهم. لأن العقول قاصرة غير باصرة بل معقولة. وعن التحقيق في هذا المقام غير مشدودة بل محلولة. وعند التحقيق إذا اعتبرت جميع الأمداح التي فيها غلو بالنسبة إلى من فُرضت له، وجدتها صادقة في حق رسول الله ﷺ حتى إن الشعراء على صفاته عَلَيْهِ السَّلَامُ، كانوا يعتمدون، وإلى امتداحه كانوا يقصدون، وأنه الخليقُ بقول القائل:

فما بلغت كف امرئ متناول ... من المجد إلا والذي نال أطولُ
ولا بلغ المهْدون في القول مدحه ... ولو صدقوا إلا الذي فيه أفضلُ[4]

---

(1) سبق ذكره في (ص551).

(2) نقله في «أفضل الصلوات على سيد السادات» النبهاني (ص45)، الصلاة السابعة والأربعون للإمام محمد ابن أبي الحسن البكري.

(3) «ديوان الإمام شرف الدين البوصيري» (قافية الميم، قصيدة البردة، الأبيات48ـ51، ص425).

(4) من شِعر الخنساء في أخيها صخر بن الشريد. «ديوان الخنساء (ت25أو46هـ)» =

وبقول آخر:

وعلى تفنن واصفيه بمدحه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف[1]

قال سبط ابن الفارض: في «عنوان الديوان»: (قال لي ولده، أي: الشيخ ابن الفارض: رأيت الشيخ: نهض ورقص زمانًا طويلًا، وتواجد وجْدًا عظيمًا، وتحدر منه عرق كثير حتى سال تحت قدميه، وخرّ إلى الأرض واضطرب اضطرابًا شديدًا، ولم يكن عنده غيري، ثم سكن حالُه وسجد إلى الله تعالى، فسألته عن ذلك فقال: يا ولدي، فتح علي؛ بمعنى في بيت لم يفتح علي بمثله، ثم ذكر هذا البيت)[2].

وقال سيدي محمد بن وفا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]:

ما شئت قل فيه فأنت مصدّق فالحب يقضي والمحاسن تشهدُ[4]

وفي «البردة»:

= (ص91)؛ وفي «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ) (ج3 ص225)؛ و«شرح المشكاة» للطيبي «الكاشف عن حقائق السنن» (رقم 202 ج2 ص 663)؛ و«تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر» لابن أبي الأصبع (ص593). وقد جاءت على النحو التالي:

فما أدركت كف امرئ متناول من المجد إلا والذي نلتَ أطولُ

وما بلغ المهْدون للمدح غاية ولا جهدوا إلا الذي فيك أفضلُ

(1) تقدم توثيق والحديث عن هذا البيت في (ص630).

(2) «ديوان ابن الفارض، قراءات لنصه عبر التاريخ» تح: للمستشرق الإيطالي الأب د. جوزيبي سكاتولين (ص18).

(3) سبقت ترجمته في (ص851).

(4) «المواهب اللدنية» للعلامة القتيبي القسطلاني (ج2 ص518)؛ وفي «شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج6 ص462).

فإن فضل رسول الله ليس لهُ حدّ فيعرب عنه ناطق بفَمِ[1]

وفيها:

دع ما ادّعته النصارى في نبيهمُ احكم بما شيئت مدحا فيه واحتكم[2]

ويرحم الله القائل:

أرومُ امتداحَ المصطفى فيردّني قصوريَ عن إدراك تلك المناقبِ

فمن لي بحصر البحر والبحر زاخرٌ ومن لي بإحصاء الحصى والكواكبِ[3]

وفي المعنى:

محمد المصطفى المختار من مضر نبي صدقٍ له قدرٌ وتبجيلُ

---

(1) «ديوان الإمام شرف الدين البوصيري» (قافية الميم، قصيدة البردة، البيت 45 ص425).

(2) «المصدر السابق (قافية الميم، قصيدة البردة، البيت 43 ص424).

(3) هذه الأبيات نُسبت لابن جزي الكلبي: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت741هـ) فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، من كتبه «القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية»، و«تقريب الوصول إلى علم الأصول». «الكتيبة الكامنة «للسان الدين بن الخطيب (ص48)؛ و«الإحاطة في أخبار غرناطة» لسان الدين بن الخطيب (ص302)؛ «الديباج المذهب» لابن فرحون (برقم 88 ج2 ص216)؛ و«لقط الفرائد» ضمن موسوعة أعلام المغرب (ج2 ص633)؛ «درة الحجال» لابن القاضي (رقم 548 ج2 ص107)؛ و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (برقم 525 ص398)؛ كما ذكرت هذه الأبيات في «نفح الطيب» المقري التلمساني (برقم 26 ج5 ص515)؛ و«أزهار الرياض «للمقري (ج3 ص186)؛ و«الإلمام والإعلام» لابن زكري (ص190)؛ وفي «الأنوار القدسية» لأحمد ابن عجيبة (ص9)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 778 ج1 ص306)؛ «الفكر السامي» للحجوي (برقم 631 ج2 ص573)؛ و«فهرس الفهارس» للكتاني (رقم 126 ج1 ص306)؛ وفي «الأعلام» للزركلي (ج5 ص325).

ماذا عسى مادح يثني عليه به ... وجاء في مدحه كتْب وتنزيلُ[1]
وفي الزبور أتى مدحٌ يصَدِّقُه ... ووافق المدحَ توفيقٌ وتنزيل
يا مادحينَ حبيب اللّه دونكمُ ... ما شئتم في معاني حُسنه قولوا[2]

وفي المعنى قيل:

إذا رمت مدح المصطفى شغفًا به ... تبلد ذهني هيبة لمقامه
فأقطعُ ليلي سامرًا لحين مطرقًا ... هوى فيه أعلا من لذيذ منامه
إذا قال الله فيه جل جلاله ... رؤوف رحيمٌ في سياق كلامه
فمن ذا يجاري الوحيَ والوحيُ معجزٌ ... لمختلفيه نثره ونظامه[3]

وفي المعنى:

مقامك يا إمام المرسلينا ... تحير فيه مدحُ المادحينا
فغاية ما نقول إذا اختصرنا ... فإنك أنت خير العَالمينا[4]

وقال ابن الخطيب السليماني[5] في هذا المعنى:

---

(1) في الهامش: توراة وإنجيلُ.

(2) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص191).

(3) من شعر أبي بكر التطيلي الغرناطي (ت629هـ): وهو يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي. أديب زمانه، سيال القريحة، بارع الأدب، رائق الشعر، علم في النحو واللغة والتاريخ والعروض وأخبار الأمم. «الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب (ج4 ص415)؛ ونقل هذه الأبيات القسطلاني في «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (ج3 ص167)؛ والعلامة ابن زكري في «الإلمام والإعلام» (ص191)؛ و أحمد ابن عجيبة الحسني في «الأنوار القدسية في شرح الهمزية للبوصيري» (ص8).

(4) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص191).

(5) ابن الخطيب السليماني أبو عبد الله محمد الغرناطي (ت 776هـ)، اشتهر بلسان الدين =

يـا مصطفى مـن قبـل نشـأة آدم   والكـون لـم تفتح لـه الأغـلاق
أيــروم مخلــوق ثنــاءك بعدما   أثنى على أخلاقك الخـلاق[1]

رُوي أنه رئيَ بعد موته فسئل عن حاله، فأخبر أنه غُفر له بسبب هذين البيتين[2].

ولابن الخطيب الأندلسي أيضًا:

مدحتك آيـات الكتاب فما عسى   يثني على علياك نظم مديحي
وإذا كتـــاب الله أثنـى مفصحًا   كـان القصـور قُصارى كل فصيح[3]

وفي «المـواهب»: (ولهـذا لـم يتعـاط فحول الشعراء المتقدمين:كأبي تمام والبحتري وابن الرومي، مدحه ﷺ، وكان مدحه عليهم من أصعب ما يحاولونه، فإن المعاني دون مرتبته، والأوصاف وإن كملت دون وصفه، وكل غلو في حقه تقصير، فيضيق على البليغ مجال النظم.

= مؤرخ وأديب وشاعر. لقي ابن خلدون ومات بفاس. من آثاره: «الإحاطة في أخبار غرناطة»؛ «روضة التعريف بالحب الشريف». «جذوة الاقتباس» لابن القاضي (رقم 316 ج1 ص308)؛ و«كفاية المحتاج» للتنبكتي (رقم 478 ج2 ص83)؛ و«فهرس الفهارس» للكتاني (رقم 179 ج1 ص379).

(1) «تحفة الأخيار في الصلاة على النبي المختار» لابن قاسم الرصاع (ت894هـ) (ص56)؛ وفي «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص191).

(2) حكى غير واحد أن ابن الخطيب السليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى رُئي بعد موته في المنام، فقال له الرائي: (ما فعل الله بك؟)؛ فقال: (غفر لي بهذين بيتين قلتهما). «نفح الطيب» لأحمد المقري التلمساني (برقم 26 ج5 ص515)؛ و«الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص189)؛ وفي «الفيض العرشي شرح ورد السحر العارف مصطفى البكري» لعبد الله الشرقاوي (اللوحة 58).

(3) «نفح الطيب» للمقري (ج5 ص515)؛ وفي «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (ج8 ص274).

وعند التحقيق، إذا اعتبرتَ جميع الأمداح التي فيها غلوٌ بالنسبة إلى من فُرضت له وجدتها صادقة في حق النبي ﷺ)[1]. إلخ ما مرّ.

وقال بعضهم:

ما إن مدحتُ محمدا بمقالتي ... لكن مدحتُ مقالتي بمحمد[2]

وقال العلامة ابن زكري في المعنى:

محمد مذحه مدحٌ لمادحهِ ... إذ خدمةُ الجاه الأعلى غاية الشرف

فمدحُه شرف وحمدُه شرفٌ ... وذكرهُ شرف كُن فيه ذا شغفِ[3]

وفي المعنى:

بمدح رسول اللّه ينشرح الصّدر ... ويعلو لمن قد زاد في حُبّه قدرُ

فبالغ هداك اللّه إن كنت صَادقًا ... يكونُ لك العلياء والعِزُّ والفخر[4]

قال المناوي[5]: (وقد جرت العادة إذا سمعوا بذكر وصْفه قامُوا، ولا

---

(1) من قول الإمام بدر الدين الزركشي الشافعي (ت794هـ). ينظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (ج2 ص518)؛ و«شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج6 ص463)؛ وفي «الأنوار القدسية شرح همزية البوصيري» لابن عجيبة (ص9).

(2) تقدم في (ص576). وينظر: «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 191).

(3) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص191).

(4) السابق نفسه.

(5) هو محمد عبد الرؤوف بن علي المناوي القاهري (ت1031هـ)، من كبار العلماء والمؤلفين، له شروح على الحديث منها: «الجامع الصغير» و«شرح الشمائل» و«الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية»، وغيرها. «خلاصة الأثر» للمحبي (ج2 ص193)؛ و«فهرس الفهارس» لعبد الحي الكتاني (رقم 319 ج2 ص560)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج6 ص204).

أصل له، إنما أصله أن الصرصري[1] الشاعر[2] أنشد في ختم درس السبكي قصيدة منهـا:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب على فضة من خط أحسن من كتبْ
وإن تنهض الأشرافُ عند سمَاعه قياما صفُوفا أو جُثيا على الركبْ
[أمـا الله تعظيما لـه كتب اسمه على عرشه يا رتبـة سمت الرتب][3]

فلما سمعه الشيخ، قام فقام الحاضرون فدرج الناس عليه) هـ[4].

وفي «الـوتريّات»[5]:

---

(1) هو الصرصري أبو زكرياء يحيى بن يوسف الأنصاري الحنبلي البغدادي (ت656هـ)، كان ضريرا وشاعرا مجيدا، له شعر في مدح رسول الله ﷺ مشهور، وله» المنتقى في مدح الرسول»؛ و«الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة». «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم الجوزية (ص480)؛ و«البـداية والنهـاية» لابن كثير (ج17 ص377)؛ و«النجـوم الزاهرة» لابن تغري بردي (ج7 ص66)؛ وفي مقدمة تحقيق «الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة» (ص17).

(2) في النسخة الأم (اللوحة 74): (الحنبلي الشاعر).

(3) في النسخة الأم (اللوحة 74): زيادة البيت الذي بين معقوفتين.

(4) حكـاه محمد الشامي في «سبل الهدى والرشـاد في سيرة خير العبـاد" (ج1 ص415 ـ 416)؛ والعلامة ابن زكري الفاسي في «الإلمام والإعلام» (ص192)؛ والحجوي الثعالبي في «الفكر السامي» (ج1 ص93).

(5) هي القصائد الوترية في مدح خير البرية، وهي 29 قصيدة مرتبة قوافيها على حروف المعجم. تبدأ بحرف، وتنتهي بنفس الحرف للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي الشافعي (ت662هـ/ 1264م)، واعظ شافعي من شعراء بغداد، وبها وفاته. أنشأها في مدح النبي محمد ﷺ. توجد نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 492 د)، وبخزانة القصر الملكي بالرباط كما في «كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية» (ص341). «تخميس القصائد الوترية» لمحمد الوراق الأندلسي (ت757هـ) =

صفيّ إذا تُحدى المطايا بوصفه رأيت له الأكوار تهتز بالرقص
صفا وقتنا طاب الزمانُ بمدحه فقوموا على ذكر الحبيب إلى الرقْصِ

وقضية أبي نواس[1]: أنه ليمَ في تركه مدح مولانا علي الرضا[2]، ابن مولانا موسى الكاظم[3]، ....

= (ص63)؛ و«معجم المطبوعات» ليوسف سريكس (ج2 ص1912)؛ وفي «معجم أعلام شعراء المدح النبوي» لمحمد أحمد درنيقة (برقم 301 ص326).

(1) هو أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي (ت199هـ)، شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي. يكنى بأبي علي وأبي نواس والنؤاسي، قال الإمام الشافعي: (لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم). نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره «خمرياته». له: «ديوان شعر»؛ وديوان آخر سمي «الفكاهة والائتناس في مجون أبي نواس»؛ ولابن منظور كتاب سماه «أخبار أبي نواس»، ولعبد الرحمن صدقي «ألحان الحان في حياة أبي نواس». «طبقات الشعراء» لابن المعتز (ص193)؛ و«الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني (ج20 ص61)؛ و«تاريخ بغداد» للخطيب (رقم 3970 ج8 ص475)؛ و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (رقم 1476 ج13 ص407)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (رقم 170 ج2 ص95)؛ و«العبر» للذهبي (ج1 ص250)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 77 ج9 ص279)؛ و«الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 3508 ج12 ص176)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج2 ص451)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج2 ص225).

(2) هو علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت203هـ). «الثقات» لابن حبان (ج8 ص456)؛ و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ج5 ص448)؛ و«تهذيب الكمال» للمزي (رقم 4141 ج21 ص148)؛ و«سير أعلام النبلاء»للذهبي (برقم 125 ج9 ص387)؛و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ج3 ص194)؛ و«الكواكب الدرية» لعبد الرؤف المناوى (رقم 264 ج1 ص681).

(3) هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت183هـ)، سُميَ بذلك لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفًا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه، ومن أكابر العلماء الأسخياء. «تاريخ بغداد» للخطيب (برقم 6939 ج15 ص14)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (برقم 746 ج5 ص308)؛ و«تهذيب الكمال» للمزي (رقم 6247 ج29 =

ابن مولانا جعفر الصادق[1]، ابن مولانا محمد الباقر[2]، ابن مولانا علي زين العابدين[3]، ابن مولانا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونفعنا بهم فقال:

= ص43)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 118 ج6 ص270)؛ و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ج4 ص173)؛ و«الطبقات الكبرى» الشعراني (برقم 58 ج1 ص72)؛ و«الكواكب الدرية» للمناوي (رقم 185 ج1 ص461)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج2 ص377).

(1) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كان إماما نبيلا. توفي سنة ثمان وأربعين ومائة. «التاريخ الكبير» للبخاري (برقم 2183 ج2 ص198)؛ و«الثقات» لابن حبان (ج6 ص131)؛ و«تهذيب الكمال» للمزي (برقم 950 ج5 ص74)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 117 ج6 ص255)؛ و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ج1 ص310)؛ و«الطبقات الكبرى» الشعراني (برقم 39 ج1 ص62)؛ «الكواكب الدرية» للمناوي (رقم 77 ج1 ص249)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج2 ص216).

(2) هو محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، سُمِّيَ به لأنه بَقَرَ العِلمَ، أي شقه فعرف أصله وخفيه، وأثارَ مُخبَّآته ومكامنه، من كلامه: (اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبكَ). توفي بالمدينة سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل سنة أربع عشرة ومائة. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (برقم 1810 ج7 ص315)؛ و«التاريخ الكبير» للبخاري (برقم 564 ج1 ص183)؛ و«المعرفة والتاريخ» ليعقوب الفسوي (ج1 ص360)؛ و«حلية الأولياء» لأبي نُعيم (برقم 235 ج3 ص180)؛ و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (برقم 6781 ج54 ص268)؛ و«تهذيب الكمال» للمزي (رقم 5478 ج26 ص136)؛ و«سير أعلام النبلاء «للذهبي (برقم 158 ج4 ص401)؛ وتهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ج3 ص650)؛ و«الطبقات الكبرى» للشعراني (رقم 38 ج1 ص61)؛ و«الكواكب الدرية» للمناوي (رقم 171 ج1 ص440).

(3) هو علي الأصغر، أما الأكبر فقتل مع أبيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ توفي بالبقيع سنة (99هـ)، وهو ابن ثمان وخمسين سنة. «التاريخ الكبير» للبخاري (برقم 2364 ج6 ص266)؛ و«الثقات» لابن حبان (ج5 ص159)؛ و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (برقم 229 ج3 ص133)؛ و«صفة =

قيل لي أنت أحسن الناس طرًّا ... في فنون من المديح النزيه
لك من جيد القريض مديحٌ ... يتمر الدرّ في يديْ مجتنيه
فعلى مَا تركت مدح ابن مُوسى ... والخصال التي تجْمعنَّ فيه
قلت لا أستطيع مدح إمَام ... كان جبْريل خادمًا لأبيه[1]

وإذا كان لا يستطيعُ مدح الولد لعظمة الوالد، فما بالك بالوالِد نفسه؟

وقال القاضي عبد الله بن طاهر[2]:

يقولون لمْ لا تمدح سيد الورى ... وتطنب في تعظيمه وامتداحه
فقلتُ لهم جبريل جاء بمدحه ... وليس مديحي ريشة من جناحه

وجزم الحاء قال بعضهم: (وهو لحن توهم أنْ «لم» حرف جزم، وإنما هي» لما» التي يستتبعهم بها، والعادة حذف الألف منها). وقال أيضًا:

يا أحمد المبعوث فينا ... لقد بلغك المجد إلى منتهاهْ

= الصفوة» لابن الجوزي (برقم 165 ج2 ص93)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (برقم 422 ج3 ص266)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 157 ج4 ص388)؛ و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ج3 ص154)؛ «الطبقات الكبرى» للشعراني (رقم 37 ج1 ص60 ـ 61)؛ و«الكواكب الدرية» للمناوي (رقم 142 ج1 ص372).

(1) ذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» (ج3 ص270)؛ وابن تيمية في «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» (ج4 ص59)؛ والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (ج9 ص389)؛ وكذا في «تاريخ الإسلام» (ج5 ص129).

(2) لعله عبد الله قاضي الخلافة الموحدية بمراكش ابن طاهر بن الحسين بن موهوب بن أحمد بن محمد بن طاهر بن الحسين بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن أمير المؤمنين الحسين بن علي بن أبي طالب. «الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام» للعباس بن إبراهيم السملالي (ت1378هـ) (رقم 1157 ج8 ص202).

كم رمت أمدك لو أن لي   لفظًا يوفي ذا المثني ثناهُ
إني لا أحصي ثناء على   ذي خلُقٍ أثنى عليه الإلهُ

وعلي الرضى هذا: هو الذي دخل نيسابور وعليه مظلة لا يُرى من ورائها، فتعرض له الحافظان: أبو زرعة الرازي[1]، ومحمد بن أسلم الطوسي[2]، ومعهما من طلبة العلم، والحديث ما لا يحصى، فتضرعا إليه أن يريهم وجهه، ويروي لهم حديثًا عن أبيه، فاستوقف البغلة، وأمر غلمانه بكشف المظلة، وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة، فكانت له ذؤبتان مرقيتان على عاتقه، والناس بين صارخ، وبارك، ومتمرغ في التراب، ومقبل لحافر بغلته. فصاحت العلماء: معاشر الناس؛ أنصتوا. فأنصتوا؛ واستملى منه الحافظان المذكوران؛ فقال: (حدثني

---

(1) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، أبو زرعة الرازي (200 ـ 264هـ)، روى عنه الإمام مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وإسحاق بن موسى الأنصاري وغيرهم. «تاريخ بغداد» للخطيب (رقم 5422 ج12 ص33)؛ «العبر في خبر من غبر» للذهبي (ج1 ص379)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 48 ج13 ص65)؛ و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (رقم 579 ج2 ص557)؛ و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ج3 ص18)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج3 ص278)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 8773 ج2 ص351).

(2) هو محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد، أبو الحسن الكندي، مولاهم، الطوسي: من حفاظ الحديث. اشتهر بالصلاح، ونعته الذهبي بشيخ المشرق، مولده في حدود الثمانين ومائة، (ت242هـ) من آثاره: «المسند»، «الرد على الجهمية»، «الأربعون» وغيرها. «حلية الأولياء» لأبي نعيم (برقم 447 ج9 ص238)؛ و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (رقم 690 ص764)؛ و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (برقم 550 ج2 ص532)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 70 ج12 ص195)؛ و«العبر في خبر من غبر» للذهبي (ج1 ص344)؛ و«الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 585 ج2 ص146)؛ و«البداية والنهاية» لابن كثير (ج14 ص432)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج3 ص192).

أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حدثني حبيبي، وقرة عيني رسـول الله ﷺ قال: «حدثني جبريل قال: سمعت رب العزة يقول: (لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي»)؛ ثـم أرخى الستر وسار، فعُدّ أهل المحابر الذين كانوا يكتبون: فزادوا على عشرين ألفا[1]. وفـي رواية أن الحديث المروي: «**الإيمـان معرفة بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالأركان**»[2]: قال ابن حجر: (ولعلهمـا واقعتـان)[3] قـال أحمد: (لو قرأت هذا السند على مجنون لبرئ من حينئذ)[4] هـ. وللتبرك به ذكرة

---

(1) أورده في «تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم» الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ). ونقله أبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج3 ص192)؛ والقضاعي في «مسند الشهاب» (برقم 1454 ج2 ص323)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج... ص366)؛ وأبو طاهر السلفي في «معجم السفر» (رقم 433 ص141)؛ وابن حجر الهيثمي في «الصواعق المحرقة» (ج2 ص594)؛ والمناوي في «فيض القدير» (ج4 ص490)؛ والألوسي محمود في «السيوف المشرقة» (ص669)

(2) رواه ابن ماجه في «سننه» (رقم 65 ج1 ص45 ـ 46) قال محققه: (خبر باطل موضوع)؛ والعقيلي في «الضعفـاء» (برقم 1726 ج4 ص156)؛ والطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم 6254 ج6 ص226)؛ والآجري في «الشريعة» (برقم 256 ج2 ص636)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 16 ج1 ص106)؛ وابن الجوزي في «الموضوعات» (كتاب الإيمان ج1 ص128)؛ والعجلوني في «كشف الخفاء» (رقم 24 ج1 ص22) والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (رقم 1 ص452)؛ ووضعه الألباني «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (رقم 2271 ج5 ص295).

(3) «الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة» لابن حجر الهيثمي (ج2 ص295).

(4) «أخبار أصبهان» لأبي نعيم (ج1 ص138). ولفظه: (حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله المعدّل، حدثنا أبو علي أحمد بن علي الأنصاري، حدثنا أبو الصلت عبد السلام بن صالح

هذا هنا)[1].

ورئي ابن الفارض في النوم فقيل له: (لِمَ لَمْ تمتدح النبي ﷺ)، أي: بالتصريح، وإلا فنظمُهُ في الحقيقة، إما في الحضرة الإلهية، أو فيه ﷺ، فقال:

أرى كل مدح في النبي مقصِّرًا ... وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما يمدح الورا[2]

وقال آخر:

الأمر أعظم من مقالة قائل ... إنْ وُفِّق البلغاءُ وإن أُفْحِمُواْ
ماذا يقول المادحون ومدحه ... حقًّا به نطق الكتاب المحكمُ[3]

وقال الإمام شرف الدين البوصيري:

إن من معجزاتك العجز عن وصـ ... ـفك إذ لا يعده الإحصاء

= الهروي قال: كنت مع علي بن موسى الرضا... قال: حدثني أبي العدل الصالح موسى بن جعفر -إلى- حدثني أبي عليٌّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم قال: سألت رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ قال: «معرفةٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالأركان»)، وقال أبو علي: قال لي أحمد بن حنبل: (إن قرأت هذا الإسناد على مجنونٍ بَرِيء من جنونه، وما عيب هذا الحديث إلاّ جودة إسناده).

(1) «الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة» لابن حجر الهيثمي (ج2 ص295)؛ وفي «الإلمام والإعلام» (ص193).

(2) «المواهب اللدنية» للقسطلاني (ج2 ص518)؛ و«جمع الوسائل» الملا على القاري (ج2 ص130)؛ و«شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج6 ص463)؛ و«الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص190).

(3) من قصيدة من «ديوان الإمام ابن حجر العسقلاني» تح: فردوس نور علي الحسين (ص101-102)، مطلعها:

لو أن عُذّالي لوجهك أسلموا ... لرجوت أني في المحبة أسلم

كيف يستوعب الكلام سجايا ... كَ وهل تنزحُ البحارَ الركاءُ

ليس من غاية لوصفِ أبغيـ ... ـها وللعقول غايةٌ وانتهاءُ[1]

وقال أيضا:

أفذكر الآياتِ أوفيك مدحًا ... أين مني وأين منها الوفاءُ[2]

وقال لسان الدين ابن الخطيب المتقدم الذكر من قصيدة:

عن وصفك الشعراء يا مدثر عجـ ... ـزوا وكلّوا عن صفات عُلاكا

ماذا يقول المادحون وما عسى ... أن تجمع الكتاب من معناكا

واللهِ لو أن البحار مدادهم ... والعُشب أقلامًا جُعِلنَ لذاكا

لم تقدر الثقلان تجمعُ نزرهُ ... أبدًا وما استطاعوا له إدراكا[3]

وقال صاحب «فخر الثرى بسيد الورى»[4]:

---

(1) «المنح المكية بشرح همزية الإمام البوصيري رَحِمَهُ اللهُ» لابن حجر الهيتمي (البيت 444، 445 و446 ص64).

(2) «ديوان الإمام البوصيري» (قافية الهمزة البيت 439 ص84)؛ و«المنح المكية بشرح الهمزية» لابن حجر الهيتمي (البيت 438 ص64).

(3) من قصيدة مطلعها: (يا سيد السادات جئتك قاصدًا أرجو رضاك و أحتمي بحماكا)؛ غير واردة في «ديوان لسان الدين ابن الخطيب»، تح: د. محمد مفتاح بلغزواني. وأوردها شهاب الدين أحمد الأبشيهي (ت852هـ) في «المستطرف في كل فن مستطرف» (ج2 ص328). ومحمد الوراق في «تخميس القصائد الوترية لابن رشيد البغدادي» (ص13).

(4) منظومة «فخر الثرى بسيد الورى»: منظومة في موضوع السيرة النبوية، مخطوطة بمؤسسة علال الفاسي بالرباط (برقم 110 – ع151) لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن محمد بن عبد الرحمن الدلائي المغربي المالكي المتوفى حاجاً بمكة سنة 1141هـ: مؤرخ، من خطباء المالكية. كان خطيب المدرسة العنانية بفاس. له تآليف، منها: «زهر الحدائق وخلاصة الحقائق من سيرة سيد الخلائق، وما يتبع ذلك من النكت والدقائق»، =

يا سائلًا عن وصف أحمد في الورى أعيا حديث مدحه من ينشدُ
وصفوا فما وصلوا لحد كمالهِ وتحيّرت أذهانهم وتبلدوا
فضل النبي وجاهه وكمالهُ لا ينتهي والبحر بحر مُزْبِدُ
وإذا الورودَ تزيلُ من سلساله[1] يرويك منه مسلسل أو مسند
حدث عن البحر المحيط بما تشا ففضائل المختار لا تتحدّدُ
عين الحقيقة والشريعة والهُدى سر الديانة قطبها المتوحّدُ
فيه العلوم تنزلت وبه انجلتْ حتى استضاء به السّبيل الأرشدُ
فيه حقائقها التقتْ وبه ارتقتْ حتى استقت منها العُطاش الوِرْدُ
وإذا التقى موسى الشريعة عنده خضر الحقيقة فالرسولُ مؤيدُ
هو مجمعُ البحرين عين الملتقى علم الحقائق والشرائع أحمدُ[2]

= «الزهر الندي في الخلق المحمدي»، «درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان»؛ و«المعارج المرتقاة إلى معاني الورقات» مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 2784 د). «نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج5 ص2015)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 517 ج2 ص112عند ترجمة أبيه)؛ و«هدية العارفين»لإسماعيل البغدادي (ج2 ص320)؛ و«إيضاح المكنون» لإسماعيل الباباني (ج2 ص180)؛ وكذا «الأعلام» للزركلي (ج7 ص66، قال محققه: وهم صاحب شجرة النور، الترجمة 1219 فنسب هذه التصانيف لأبيه المتوفى سنة 1088)؛ وفي مجلة «دعوة الحق» [العدد 258 ذو الحجة 1406هـ ـ غشت1986م: «تاريخ الحركة الثقافية في عهد المولى إسماعيل» لعبد الجواد السقاط.

(1) جاء في «لسان العرب» لابن منظور (حرف اللام: فصل السين ج11 ص343): (السلسل والسلسال والسلاسل: الماء العذب السلس السهل في الحلق. وقيل: هو البارد أيضا. وماء سلسل وسلسال: سهل الدخول في الحلق، لعذوبته، وصفائه).

(2) منظومة «فخر الثرى بسيد الورى»، مخطوطة بمؤسسة علال الفاسي بالرباط (برقم 110- ع151) لأبي عبد الله الدلائي (ت1141هـ).

وقال أيضًا فيها يخاطب المصطفى:

بهرت محاسنك العقول ومن يُرى　　أعيا الورى ذاك الجمال الأوحدُ
قصُر الكلام عن الكمال وما وفى　　بعظيم مدحك في الكلامُ مجودُ
ملأ المسامع منك طيب حديثها　　ملأ النواظر حسنك المتفرد
ملأت جلالتك القلوب فخامةً　　أبصارها لك لا تكاد تُصعدُ
فمن الجلال على الجمال مهابةٌ　　تاج الفخار على المفارق معقدُ
نور على نور سرًا ملكوته　　بعوالم الملكوت سرك مشهدُ
فرياضها تزهى بزهر جمالكم　　وحياضها دفقى بنورك تمدُّ
ولأنت سر الله في ملكوته　　وعلى لسان الكل أنت محمّد
ولو أن نورك يا محمّد قد جرا　　في مقلتيْ أعمى لأصبح يشهدُ[1]

وقال الشيخ سيدي مصطفى البكري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشيرًا أيضًا إلى أن المكثر في المدح مقل، وإن أسهب قاصر اليد عن الوفاء بما يستحقه الجناب العجيب الأعجب:

وصف الذي قد أطنب الايجاز　　إذ وصفكم لا يعتريه انجازُ
ولأنكم مجد الجمال وغيركم　　لما نقابلهم بكم أقوازُ[2]
حزتم جميع الحسن غير مُقسّمٍ　　من أصله والكل منكن حازو
أحرزتم قصب السبق فحزتم　　كل الجمال وتُمِّمَ الإحرازُ

(1) منظومة «فخر الثرى بسيد الورى»، مخطوطة بمؤسسة علال الفاسي بالرباط (برقم 110-ع151) لأبي عبد الله الدلائي (ت1141هـ).

(2) جاء في «لسان العرب» لابن منظور (حرف الزاي: فصل القاف ج5 ص398): (القوز بالفتح: العالي من الرمل كأنه جبل، ومنه حديث أم زرع: زوجي لحم جمل غث على رأس قوز وعث»: أرادت شدة الصعود فيه، لأن المشي في الرمل شاق، فكيف الصعود فيه؟ لا سيما وهو وعث؟ ابن سيده: القوز: نقا مستدير منعطف، والجمع أقواز وأقاوز).

أعجزتم كل الورى عن درككم ... فتحيرت إذ جاءها الإعجازُ
فزتم بكل حقيقة ودقيقةٍ ... ورقيقة والغير فيكم فازو
وتميزت أتباعكم بتحجل ... وبغرة حتى بذاك امتازو
يا سيدًا ملك الجمال بأسره ... أنجز وُعودي شأنك الإنجازُ
أنت الأصيل وما عداك قبائبٌ ... أنت الحقيقة والسواءُ مجازُ
من أمكم أضحى غنيًّا موسرًا ... ما مسه في قربكم أعوازُ
وفقيدكم ذا مصطفى يرجوا بأن ... تأتيه منكم حلة وطرازُ[1]

وقال أيضًا:

منكم قد انشقت لنا الأسرار ... وبكم قد انفلقت لنا الأنوار
حتى حقائقنا ارتقت وتنزلت ... أسماء آدم فيضها مدرارُ
وبها لقد أعجزتم كل الورى ... لما غدت كاساته مدرارُ
ما مثلها مسك تضوّع[2] نشره ... ما مثلها في العالمين عقارُ
ولكم تضاءلت الفهوم فليس ... يدرك شأوها أحد له مقدارُ
من سابق أو لاحقٍ إذ أنتم ... أصل الجميع وحسنهم لمعارُ
من مثلكم ملك الوجود بأسره ... وهو الحما والحي وهو الدارُ
من مثلكم جمع المحاسن كلها ... وبما حوى كل البرية حارو[3]

---

(1) «الروضات العرشية في الكلام على الصلاة المشيشة» للإمام مصطفى البكري (ت1162هـ) ضمن «شموس الأنوار ومعادن الأسرار على صلاة القطب الأكبر مولانا عبد السلام بن مشيش» لمحمد المرون تح: د التمسماني (ص291).

(2) جاء في «لسان العرب» لابن منظور (حرف العين: فصل الضاد، ج8 ص228): (ضوع: ضاعَه يَضُوعُه ضَوْعاً وضَوَّعَه، كلاهما: حَرّكه وراعَه، وقيل: حَرّكه وهَيّجه. وتضوعت الريح أي تحرّكت).

(3) «الروضات العرشية «للإمام مصطفى البكري ضمن» شموس الأنوار ومعادن لمحمد المرون (ص287).

إلى أن قال:

أوصافكم عزت لعز جنابكم ... ما شق في الغبرا لهن غبار[1]

وقال العلامة ابن زكري في صدر «همزيته»:

أصل مدحكم اعتراف بعجزٍ ... فإذا ما اعترفتُ طاب الثناءُ
كيف نحسن مدح من مُلئ الـ ... ـوحي بمدحه آية الغراء
كُتب اللّٰه بالغت في مزايا ... هُ بما ليس يبلغ البلغاءُ
صحف الرسل أفصحت بصفاتٍ ... قصرت عن بيانها الفُصحاء[1]

وقال في عجزها:

قصّر القولَ فالجنابُ رفيعٌ ... مَن يُطاوله أعجزتْهُ السماءُ
وارْضَ بالعجز غايةً فقديمًا ... عجزت عن وصوله الشعراء
إنما آلهُ البُدُورُ وهُو الشمـ ... ـس والطرف عيّه الأضواء
إن تكن قاصر المديح ففي أهـ ... ـل الكمال القصور هو الوفاء
لو تتبعت مالهم من مزايا ... لاعتراك تسلسل وعناء[2]

قال في «الشرح»: (هذا خطاب على لسان الواقف على هذا النظم المنبه لناظمه حيث ذهب به المديح كل مذهب، وأتى منه بما يستطاب ويستعذب، وجمع من أنواعه ما يتعجب منه ويستغرب، على أن محاسن هذا الجناب الأرفع لا تتناهى، وأن عقول البشر معقولة عن بلوغ كنهها، وإنما إلى ربنا جَلَّ وَعَلَا

---

(1) «همزية» العلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ). مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 1070 د) (الأبيات 2 ـ 5).

(2) «همزية» العلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ). (الأبيات 523 ـ 527 اللوحة 87 ـ 88).

منتهاها)[1] هـ.

وفيها أيضًا إلى أن قال:

بشر خارج عن الجنس كاليا قوت في جنسه له الأضواء

طابق الخلق خلقه ولمضمو مِ المعاني مفتوحها سيماء[2]

إلى أن قال:

حمد كل بقدر عرفانه أنى يحيط بحمدك الأذكياء[3]

وقال تلميذه الأديب: سيدي عبد المجيد الشريف المنالي الحسني:[4]:

فلو أن أبحر الأكوان جرًّا وما بها من العشب أقلامًا مدًّا الدهر في كتب

---

(1) شرح «همزية» العلامة ابن زكري الفاسي النسخة المخطوطة بخزانة القصر الملكي بالرباط تحت (رقم 2474) (اللوحة 250).

(2) «همزية» العلامة ابن زكري الفاسي مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 1070 د) (الأبيات 128 – 129 اللوحة 22 ـ 23).

(3) السابق نفسه (البيت 272 اللوحة 46).

(4) هو عبد المجيد بن علي بن محمد – فتحا ـ بن علي المنالي (ت1163هـ)، الشهير بالزيادي الحسني الفاسي الفقيه العلامة الصوفي اللغوي الأديب من آثاره: «إفادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عباد»؛ و«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام». «نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج6 ص2162)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 626 ج2 ص244)؛ «شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (رقم 1421 ج1 ص508)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج5 ص299)؛ «معجم المؤلفين» لكحالة (برقم 8463 ج2 ص309)؛ وفي مجلة «دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف: (العدد 90=العدد 8 السنة 9 صفر 1386هـ يونيو 1966م)، مقال: «عبد المجيد الزبادي» لعبد القادر التكاري (ص103)؛ و (العدد 91ـ92 = العدد 9ـ10السنة 9ربيع الأول والثاني1396هـ/ غشت 1966م)، تتمة المقال السابق (ص119).

لضاعت ولم يبلغ من المدح والثنا إلى عشر المعشار من قدره المربي

وقال بعض البلغاء في آخر قصيدته المسماة: بـ«فخر الثرى بسيد الورى»:

زفت إليك خريدة في خدرها غارت لطلعتها الحساد الخرّد
عذراء تعثر في مروط حيائها لقصور صيغ الجمال تورّد
وافت وما وفّت وحقّ علا بكم معشار عشر من كمالك تحمدُ[1]

إلى أن قال:

وأتتك بحرًا كاملًا من ناقص وبفضل بحر كمالكم يتغمّدُ
ما شانها نقصي ولا تقصيرها إن زانها منك القبول محمد
فلقد يجوز لذا الكمال مزيف ويروج بالإسعاد من لا يسعد
وإذا الزيوف مع الجياد تواردًا يد فاضل حاشا الكريم ينقد
ويجر سابقة الذيول تكرمًا من فضله فيعد كل جيّدُ[2]

وقال البغدادي في «حرف الهمزة»:

أخلائي من يحصي مديح محمد وفي مدحه كتْب من اللّه تُقرا
أيمدح من أثنى الإله بنفسه عليه فكيف المدح من بعد يطرا[3]

وقال في «حرف الميم»:

---

(1) منظومة «فخر الثرى بسيد الورى»، مخطوطة بمؤسسة علال الفاسي بالرباط (برقم 110-ع151) لأبي عبد الله الدلائي (ت1141هـ).

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) «القصائد الوترية في مدح خير البرية» لأبي بكر البغدادي (ت662هـ) (حرف الهمزة)، وفي «تخميس القصيدة الوترية في مدح خير البرية ابن رشد البغدادي»، نظم الوراق الأندلسي (ت757هـ) (ص17)؛ و«معجم أعلام شعراء المدح النبوي» محمد أحمد درنيقة (ص326).

مدحتك لا أني بمدحك قائم ومن ذا بإحصاء الرمال يقوم(1)

وقال ابن حجر شارح «الهمزية» في أول «شرحه» لها ما نصه: (فممّا يتعين على كل مكلف أن يعتقد أن كمالات نبينا ﷺ لا تحصى، وأن أحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى، وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط في مخلوق، وأن حقه على الكمّل - فضلًا عن غيرهم - من أعظم الحقوق، وأنه لا يقوم ببعض ذلك إلا من بذل وسعه في إجلاله وتوقيره وإعظامه واستحلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه، وأن المادحين لجنابه العلي، والواصفين لكماله الجلي، لم يصلوا إلى قُل من كُل لا حد لنهايته، وغيض من فيض لا وصول إلى غايته) إلى أن قال: (فهم مقصرون عما هنالك، قاصرون عن أداء كل ما يتعين من ذلك)(2) هـ.

فعُلم من هذا كله، أنه لو بالغ الأولون، والآخرون، في إحصاء مناقبه، لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه من مواهبه، ولكان الملّم بساحل بحرها، مقصّرًا عن بعض فخرها، وحينئذ فلم يبق إلا العجز معتمدًا، وإلا الإقرار مستندًا؛ ويرحم الله القائل:

صحابته لم تحص ما خصه به إله البرايا ليت شعري من يحصي(3)

والقائل:

ليس تحصي صفات أحمد بالعـ ـدّ كما لم تحط به الأوهام
ولو أن البحار حبر وما في الأرض من كل نابتٍ أقلام

(1) «القصائد الوترية» لأبي بكر البغدادي (حرف الميم)؛ وفي «تخميس القصيدة الوترية» نظم الوراق الأندلسي (ت757هـ) (ص96).

(2) «المنح المكية شرح الهمزية» لابن حجر الهيثمي (ص68).

(3) «تخميس القصيدة الوترية في مدح خير البرية ابن رشد البغدادي» نظم الوراق الأندلسي (ت757هـ) (ص62).

فطويل المديح فيه قصير ... وحسام ماض لديه كهام
ولسان البليغ للعي ينمي ... وكذا صيب الفصيح جهام[1]

فالحمد لله الذي جعل في خلقه من يعجز جميع الخلق عن معرفته، ليعرفوا بذلك أنهم عن معرفته تعالى أعجز، وهو ﷺ الدال على الله تعالى بأقواله، وأفعاله، فكأنه يقول: إذا عجزتم عن معرفتي، وحجبتم عن إدراك كنهي وحقيقتي، فكيف تطيقون معرفة ربي؟ وكيف تقدرون إلى الوصول إلى عُلى جلاله؟ والإحاطة ببديع جماله؟ وهذا من تعريفه ﷺ بربنا تعالى، فإن معرفة العجز عن المعرفة هي عين المعرفة.

[تقاصر الفهم عن إدراكه ﷺ وإدراك صفاته]:

هذا[2]؛ (ويندرج في عموم لفظ الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أ ـ تقاصر الفهوم عن إدراك جماله ﷺ، ولولا أن الله تعالى ستر جمال صورته كما قيل: بالهيبة والوقار، وأعمى عنه آخرين، لمَا استطاع أحد النظر إليه بهذه الأبصار الدنيوية الضعيفة، قال الخروبي[3]: (ما أدرك الناس من حقيقة أمره وخفي سره الأعلى قدر عقولهم البشرية، فما ظهر من ذلك فهو نعمة عليهم، ليعرفوا قدره ويعظموا أمره، وما خفي عليهم من أمره فهو رحمة من الله بهم، إذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم، والله تعالى أرسله رحمة

---

(1) من شعر الإمام أحمد بن محمد الشهير بالمقري، المغربي المالكي الأشعري (ت1041هـ) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» (ج1 ص56).

(2) نقله المصنف عن «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص194 ـ 195).

(3) سبقت ترجمته في (ص33).

للعالمين، فكانت النعمة فيما ظهر، والرحمة فيما استتر)[1].

وإلى هذا المعنى يشير العلامة ابن زكري في «همزيته»:

يا جليلا وجميلا لكل ... من جلاله والجمال رداء
سترت عنا كنهه رحمة إذ ... لو بدا لتلاشت العقلاء
كنهك الأحمديُ سر مصون ... عن علاه تقاصر العلماء
حمد كل بقدر عرفانه ... . لخ البيت[2]

تنبيه[3]:

من أهم ما ينبه عليه في هذا المقام: (التنبيه على حيازة باطنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنواع الكمال، وظاهره لصنوف الجمال، وكل منهما كمال، إذ الجمال كالكمال: حسي معنوي، وظاهر وباطن:

- قال الفقيه الصوفي الأديب سيدي أحمد المرابي[4] في «تحفة الإخوان في مناقب سيدي رضوان»[5]: (دخلت عليه يوما فوجدته في حالة البسط، كأن

---

(1) ينظر «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص194).

(2) ينظر «همزية» ابن زكري الفاسي [مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 1070د)] (الأبيات 269 ـ 272 ـ اللوحة 46)؛ وفي «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص194).

(3) هذا التنبيه نقله المصنف عن «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص201 ـ 202).

(4) هو أحمد بن موسى المرابي، الأندلسي، أبو العباس (ت 1034هـ) صوفي من أهل فاس له موشحات وازجال، وكتاب سماه «تحفة الإخوان في سيرة شيخه رضوان الجنوي» بمجلدين. «الأعلام» للزركلي (ج1 ص247)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 3215 ج1 ص316)؛ وفي «الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية» لعبد العزيز بنعبد الله (ج3 ص166).

(5) كتاب «تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان» ترجم فيه أحمد بن موسى المرابي، الأندلسي (ت 1034هـ) لشيخه الإمام الجليل: أبو النعيم رضوان ابن عبد الله الجنوي ثم الفاسي (ت991هـ): سبقت ترجمته في (ص45) و (ص97)، =

وجهه قطعة من نور، فسلمتُ عليه فردّ عليّ السلام، وهو كالمسرور، فقال لي من جملة كلامه: (وجدتني يا أحمد وأنا أفكر في هذا النبي الكريم(أ)، وما أعطاه الله من الحسن والجمال، وما اختص به محامد الصفات وسني الحالات)(1).

– ثم قال: (لو كان يا أحمد يتزن لي بعض الأبيات فيه تتضمن أن باطنه حاز المعالي كلها، وظاهره في الحسن أبهى من الشمس والقمر، لقلتها؛ ولكن حاول أنت(ب)، هل تجد في ذلك شيئًا؟ فقلت له: خاطرك معي يا سيدي فلما خرجتُ عنه

(أ) في الأصل: (هذا النبي الكريم ﷺ).

(ب) في الأصل: (ولكن أنت).

---

* وقد كان هذا الكتاب عنوان أطروحة جامعية لنيل الدكتوراه، احتضنت مناقشتها كل من: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمرتيل – تطوان – يوم الخميس 23 أبريل 2015 ضمن وحدة التكوين والبحث في النص الأدبي العربي القديم، أشرف عليها الدكتور «محمد كنون الحسني» وأنجزتها الطالبة الباحثة «فريدة طابش». وهذا الكتاب هو الذي اعتمدته في المقابلة والتحقيق؛ وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة – يوم الاثنين 07مارس –2016 أعدها الطالب الباحث محمد علي بلقاسم عبد الرحمن محمد تحت إشراف الدكتورعبد العزيز بل الفايدة والدكتور محمد الغرايب ضمن تكوين: «التاريخ والمجتمع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط»؛ علما أن النسخة المخطوطة توجد بالمكتبة الوطنية – الرباط تحت رقم (154ك)؛ كما ينظر مجلة «دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف (العدد 260 ربيع النبوي –1407 نونبر1986مقال: «مخطوطات السيرة النبوية والتراجم وملحقاتها بالخزانة العامة حرف (ك)» لمحمد المنوني) (ص44).

(1) «تحفة الإخوان ومواهب الإمتنان في مناقب سيدي رضوان» لأحمد بن موسى المرابي الأندلسي (القسم الثاني ج2 ص341)؛ ونقله المصنف عن العلامة ابن زكري الفاسي في «الإلمام والإعلام» (ص201 – 202).

وجئت المنزل أجرى الله على لساني من بركته هذين البيتين فقلتُ:

ولـي حبـة تهوى مـن النـاس واحدًا سليل قُصَيّ مُنيةُ القلب والنفسِ[أ]
فـباطـنـه حـاز الـمـعـالي كلهـا وظـاهـره أبهـى مـن البدر والشـمس

ثُـم أجرى الله على قلبي بعقبيهما بيتين آخرين تتضمن مدحه ﷺ وهمـا[ب]:

ولـي رشـا مـن آل فـهر بن مالكٍ حوى شرفا في العالمين وسُؤددا
عروسٌ لـذا صفوة الخلق كلهم[ت] وذاك ابن عبـد اللّـه أعنـي محمـدا

فلما كان من الغد، أتيتُ بهمـا إليه[ث]، فأخبرته، فتبسّم وقـال لي: هـات؛ فعرضتها عليه، فبكى لسماعها، وقال: أحسنت، أحسن الله إليك؛ وكنت لا أزال أنشـدها بين يديه يوم[ج] الجمعة بأثناء البردة، فيستحسنها وتقع منه موقعا، حتى أنه نظم في معناها ثلاثة أبيات وهي هذه:

فللّه مـن حـاز الفضائل كلها وسـاد جميع الناس في البدو والحضر
لـه باطـن منه المحاسن أظهرت وظـاهره أبهى من الشمـس والقمر
عليـه صـلاة اللّـه ثـم سلامه ورضـوانه كالرمل والنبت والمطر

(أ) في الأصل: (ولـي حبه تهـوى من القوم واحـدا)، [من الطويل]، وعجز البيت ساقط الوزن.

(ب) في الأصل: (تتضمن مدحـه ﷺ وهـي هـذه).

(ت) في الأصل: (عـروس لـؤي صفـوة الخلق كلهـم). [من الطويل].

(ث) في الأصل: (أتيتُ بهـا إليـه).

(ج) في الأصل: (بين يديـه لـه يـوم).

انتهى[1].

وقد نظم العلامة ابن زكري هذا المعنى فقال:

محمد تقاسم المحاسن بأسرها ظاهرة والباطن
ظاهره حاز الجمال جملة من ذاك كل حسن أجَلّه
فلا جميل إلا وهو خاضعٌ لحُسْنه إذ هو فيه الساطعْ
منه استعاروا حلل الجمال فاعترفوا بأنهم مجال
فالشمس والقمر يأتيان ضريحه فيه يسلمان
عند الطلوع والغروب يخضعان ويشهدان نوره فيسطعان
وباطن الرسول بالفضائل ملأه الله وبالفواضِلْ
فنال منه الفضل كل فاضل ومنه أفضلية الأفاضل
فاعترفوا بأنهم مظاهر وخضعوا للمتجلي الظاهر
قد ناسب الظاهر منه الباطن وأبدت المحاسنَ المحاسنْ[2]

قال: ثم بعد ما كتبتُ هذا؛ رأيت في المعنى بيتين يناسبان لأم المؤمنين سيدتنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهما:

وأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خُلقت مُبرءًا من كل عيبٍ كأنك قد خُلقت كما تشاء

انتهى[3].

---

(1) «تحفة الإخوان ومواهب الإمتنان في مناقب سيدي رضوان» لأحمد بن موسى المرابي الأندلسي (القسم الثاني ج2 ص341)؛ ونقله المصنف عن العلامة ابن زكري الفاسي في «الإلمام والإعلام» (ص201 ـ 202).

(2) «الإلمام والإعلام» العلامة ابن زكري الفاسي (ص202).

(3) من شعر حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، [من الوافر]. «ديوان» حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ =

وله رَحِمَهُ اللَّهُ في «همزيته» :

من جمالك أشرق البدر والشـ ـمس فعم الوجود منك الضياء
فهما مظهران منك تجلى فيهما النور واستبان البهاء
والفروع لها حنين إلى الأصـ ـل فإن الأصول منها النماء
فاعزروا النيّرين حين إذا ما بالضريح الخضوع فهو انتماء
يهديان السلام عند طلوع وغروب وللحقوق أداءُ[1]

ب - ويندرج أيضًا: (في عموم لفظ الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه تقاصر الفهوم عن إدراك كنه جلاله ﷺ ومع ذلك فلولا أنه كان يباسطهم ويتواضع لهم ويؤنسهم، لما قدر واحد منهم أن يقعد معه ولا أن يسمع كلامه ﷺ لما رزقه الله تعالى من الجلالة والمهابة؛ وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص: (صحبت رسول ﷺ ما ملأت عيني قط منه حياء منه وتعظيمًا له، ولو قيل لي صفهُ لما قدرتُ)[2]، أو كما قال[3].

= (ص21)؛ «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ص202)؛ و«معجم أعلام شعراء المدح النبوي» لمحمد درنيقة (ص118)؛ وفي «إبعاد الغمم عن إيقاظ الهمم في شرح الحكم» لابن عجيبة (ص369).

(1) «همزية» العلامة ابن زكري الفاسي: مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 1070 د): (البيت 273 - 277 اللوحة 46 - 47).

(2) هو جزء من حديث طويل عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، برقم 121 ج2 ص201)؛ وأحمد في «مسنده» (ج29) (برقم 17813 ص349)؛ و(برقم 17780 ص318)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (برقم 801 ج2 ص101)؛ وابن خزيمة في «صحيحه» (برقم 2515 ج2 ص1203)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (برقم 18190 ج9 ص167)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (رقم 247 و299 ج1 ص75).

(3) «الإلمام والإعلام» لابن زكري (ص194 - 195).

ت - ويندرج أيضـا:

1 - **تقاصرهـا عن إدراك كنه عقله؛** وكيف لا؟ وعقول العوالـم بالنسبة لعقله، كحبة رمل من بين رمال الدنيا).

قال وهب بن مُنَبِّهٍ: (قرأت في أحد وسبعين كتابًا، فوجدت في جميعها أن الله تعالى لـم يعط من جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ، إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا)[1]. فالعقول كلها منه تستمد وقد قـال بعض العارفين: (الجسم بالإضافة إلى القلب اللطيف، كنقطة الدائرة، والقلب والجسمُ بالإضافة إلى النفس، كخردلة مُلقاة في اليـم، والنفس والقلبُ والجسمُ بالإضافة إلى العقل كذرة من ذرات الوجود المطلق) هـ[2].

2 - **وتقاصرهـا عن قدره وجاهه؛** إذ هـو صاحبُ الجاه الأعظم، والمقام الأكبر الذي يقول عند تبري ذوي الجاه العظيم: (أنا لـهَا)[3]، فلا تضيقُ سعةُ جاهه عن أحد، ولا يفي بوجوه عظمته حساب، ولا عدد[4].

3 - **وتقاصرُها عن إدراك علومه لما يأتي،** من جمعه علم الأولين والآخرين، وما زاد على ذلك ممـا انفرد به عن الجميع.

4 - **وتقاصُرها عن إدراك حقيقة حلمه،** وحسبك قضية أُحُدٍ والطـائف[5].

---

(1) أورده في «حلية الأولياء» أبو نعيم (ج4 ص26)؛ وفي «الشفـا» القاضي عياض (ج1 ص52)؛ و«المواهب اللدنية» القسطلاني (ج2 ص331)؛ وفي «شرح الزرقاني على «المواهب اللدنية» (ج6 ص17).

(2) «الإلمـام والإعـلام» لابن زكري (ص195).

(3) سبق تخريجه ضمن حديث الشفاعة الطويل. (ص543 ـ 544).

(4) «الإلمـام والإعـلام» لابن زكري الفاسي (ص195 ـ 196).

(5) ينظـر قضية أُحُد - لمـا كُسرت رباعيته ﷺ وشـج وجهه - في «الشفـا» للقاضي عياض (ج 1 ص75)؛ وفي «السيرة النبوية» لابن هشام (ج3 ص42)؛ وفي «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء» للكلاعي الأندلسي (ت634هـ) (المجلد1 ج2 ص74).

5 - **وتقاصرُها عن معرفة خوفه، والذي جزم به إمام أهل السنة: الأشعري:**

- قال الشهابُ[1]: (وهو الحق أن الأنبياء خصوصًا نبيّنا ﷺ لا يخشى أحدٌ عليهم العقابَ، ولا يجوز تجويزُه عليهم، أمّا هم فلعظمة الله ومهابته عندهم، وعلمهم بأنه غني عن خلقه له أن يفعل بهم ما أراد، فيخافونه خوفا شديدا، ويستعيذون من عقابه وإن لم نجوزه نحن، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] إيماءٌ لذلك دقيق)[3].

- ولك أن تقول إنه لشدة خوفه ﷺ من الله تعالى قد يذهل عن تأمين الله له، لا سيما مع ما مرّ نظير ما قال السيوطي في قول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾[4]: (وهو يعلم أن كل نبي لا يموت إلا مسلمًا أنه دعا بذلك في حال غلبة الخوف عليه حتى أذهله عن علمه ساعة الدعاء أو ذلك إظهار للعبودية والإفتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليمها للأمة)[5].

- هذا لُبابُ ما للقوم في المسألة، وهو غير كاف في دفع استشكال مُجامعة

---

(1) لعله شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ)، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، حنفي المذهب، «شرح الشفا»، و«شرح درة الغواص»، و«عنايه القاضي وكفاية الراضي»، وهو«حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي». ترجمته في «خلاصة الأثر» للمحبي (ج1 ص331)؛ و«صفوة من انتشر» للأفراني (رقم 165 ص231)؛ «نشر المثاني» ضمن موسوعة أعلام المغرب (ج4 ص1474)؛ و«فهرس الفهارس» للكتاني (رقم 175 ج1 ص377)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج1 ص238).

(2) سورة البقرة: الآية 62.

(3) «الإلمام والإعلام» لابن زكري (ص195 ـ 196).

(4) سورة يوسف، الآية 101.

(5) «الدر المنثور» للسيوطي (ج8 ص345).

التأمين والجزم به لخوف العقاب لقوله: (إنهم يخافون في أنفسهم ونحن لا نخافه عليهم). وادعاءُ غلبة الحال للأنبياء، خلاف ما صرّح به محققوا الصوفية.

– وفي «الصحيح»: «**أنا أعلمكم بالله وأشد له خشية**»[1]؛ وكان لصدره أزيزٌ كأزيز المرجل من الخوف[2]. وصرّح الأئمة بأن الخوف على قدر المعرفة، وأن العارفين إذا خوفوا رجوا، وإذا رجوا خافوا، لأنهم يشهدون: الجمال والجلال[3]، وأن الأكمل هو استواءُ الخوف والرجاء، وأن يكون المؤمن بينهما كالطائر بين جناحيه.

– وأيضًا الخوف من أرفع مقامات اليقين، فلا يفوتهم حصوله، فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن نقول: (حسنات الأبرار سيئات المقربين)[4]، فهي وإن كانت كمالا

---

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأدب: باب من لم يواجه الناس بالعتاب، برقم 6101 ج4 ص91). ومسلم في صحيحه» (كتاب الفضائل: باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته، برقم 2356 ج7 ص443).

(2) «الشفا» للقاضي عياض (ج 1 ص98).

(3) الجلال – عند الصوفية – هو احتجاب الذات الإلهية عن البصائر والأبصار، وهو من صفات الله تعالى، التي لا يشهدها على حقيقتها إلا الله سبحانه، والجمال هو تجليه بوجهه لذاته، فلجماله المطلق جلال. وقيل: يطلق الجمال على الصفات الظاهرة، وقيل: إن كل صفات الله تعالى ترجع إلى الجمال والجلال والكمال، وأن صفة الجلال معناها تجلي الذات بصفات العز والقهر والسطوة والجبروت، وهي توجب بالنسبة للعبد الفناء والمحو، بينما صفات الجمال توجب الانبساط والمحبة. «مشارق أنوار القلوب» لابن الدباغ القيرواني (ت696هـ) (ص39)؛ و«إصطلاحات الصوفية» للكاشاني (ت730هـ) (ص66)؛ و«كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (ج1 ص569)؛ وفي «موسوعة المصطلح» للكتاني (ج1 ص761).

(4) حسنات الأبرار سيئات المقربين: ذكر الفتني في كتابه «تذكرة الموضوعات» (ص188) أن هذه المقولة هي من كلام أبي سعيد الخراز وقال: (رواه ابن عساكر في ترجمته)؛ وقال=

لكن لرؤية الكمال يخافون رؤية غيره منهم الذي هو كالنقص من غيرهم وإن كان عدم الأكملية في الكامل مغفورا لهم كما نزّل عليه المحققون: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]، فإن رؤيتهُ كافية في الخجل والانقباض.

- ومن هذا المعنى قول بعض العارفين[2]: (وأسوتاه منك، وإن غفرتَ لي)[3]؛ ثم نقول: من تمام عصمة الله إياهم ملازمةُ خوفه له، إذ الركونُ للأمن وعدم الخوف، هو عين القصور وسوء الأدب، فليس المرادُ من خوفهم أن يتزجروا وينكفّوا عن المخالفات، بل أن يكونوا في مقام العبودية والأدب على أكمل الحالات.

- وأيضًا فلكمال علمهم بالإنقلابات، واطلاعهم على ضروب التصرفات، يرد عليهم من الخشية ما يرد: فإن من ورد على ملك، وهو آمن منه قاطع بأنه

= العجلوني في «كشف الخفاء» (برقم 1137 ج1 ص357): (هو من كلام أبي سعيد الخراز كما رواه ابن عساكر في ترجمته، وهو من كبار الصوفية مات سنة مائتين وثمانين، وعَدَّه بعضهم حديثا وليس كذلك، وقال النجم: رواه ابن عساكر عن أبي سعيد من قوله، وحكى عن ذي النون، وعزاه الزركشي للجنيد).

(1) من سورة الفتح، الآية: 2.

(2) يُقصد بـ «بعض العارفين»: الفضيل بن عياض، أحد أعلام التصوف في القرن الثاني الهجري، لقب بـ «عابد الحرمين» (ت187هـ) ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (برقم 550 ج7 ص123)؛ و«طبقات الصوفية» للسلمي (ص27ـ22)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (برقم 531 ج4 ص47)؛ وفي «تذكرة الحفاظ» للذهبي (برقم 232 ج1 ص245)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 114 ج8 ص421)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج2 ص399).

(3) عندما شهد ـ الفضيل بن عياض ـ الموقف الأشرف في عرفات، رفع رأسه إلى السماء وقد قبض لحيته، وهو يبكي بكاء الثكلى ويقول: (واسوأتاه منك وإن عفوت)). أورده أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (ج8 ص88). وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج48 ص420 ـ 421).

لا يصدر منه إلا الإحسان والبر لأماراتٍ ودلائل قامت عنده على ذلك، إذ رآه في حضرته يعزل ويضع ويطرد ويعاقب بأنواع العقوبات التي لا تنحصر، يدخله من هيبته وخوفه ما يضطرب من أجله قلبه وجوارحه، وترتعد فرائصه، ويصفر لونه، ويصير ذلك في حضرة الملك ضروريًا له، لا يستطيع دفعه عن نفسه مع استحضاره لأمارات الأمن، وهذا تقريب ينبئك عما فوقه.

- وإلى هذا -والله أعلم- يشير قوله ﷺ: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعُدات تجئرون إلى الله تعالى)[1] هـ.

وكذا حديث الأنبياء: (نفسي نفسي)[2])[3]. قال الشيخ ابن زكري رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقلت في هذا المعنى:

محمد أخوفنا لله ... لأنه أعرفنا بالله
يخاف من رؤية غير الأكمل ... مع أنه الكمال عند الكمل
وخوفه الله تمام العصمة ... والخوف في الحضرة عين الرحمة)[3]

6 - وتقاصـرُها عن رجائه، لأن الله أطلعه من سعة رحمته وعظيم فضله وفيضان كرمه وجوده على ما لم يطلع أحداً من خلقه.

- وأيضًا كما أنه أعرف الخلق بجلال الله فهو أعرفهم بجماله، فكما أنه أخشاهم فهو أرجاهم، ورجاء الكمل على قدر خوفهم، إذ هما متساويان متقابلان.

- وأيضًا كما أنه النذير فهو البشير.

---

(1) سبق تخريجه في (ص503)؛ من حديثه ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط..».

(2) سبق تخريجه ضمن حديث الشفاعة الطويل في (ص543 _ 544).

(3) «الإلمام والإعلام» لابن زكري (ص197 _ 199).

- وأيضًا هو رئيسُ المحبين الله إلى خلقه، وأحاديثه في الرجاء مما لا يأتي عليها الحصر.

7 - **وتقاصرُها عن كمال عبوديته**، والعبودية هي شهود الربوبية وعدم الغفلة عنها، والنبي ﷺ أكمل الخلق في هذا الوصف، فكان أكمل الكمل على الإطلاق، وعبوديته أكمل كل كمال.

8 - **وتقاصرُها** عن أوجه خصوصيته وأنواعها؛ وقد ألف العلماء فيها، وما لم يعرفوه أكثر مما عرفوه.

9 - **وتقاصرُها عن معرفة زهده ورفع همته**، ومن أسمائه الزاهد، وحيث كان أعلم الخلق بالله، فهو أعلاهم همة وأرفعهم زهدًا، فهو رأس الزاهدين؛ وبحسب رفع همته ارتفع مقامه، فكان سيد العالمين، وزهد في كل ما سوى الله تعالى من الكونين، وما فيهما من محسوسات ومعقولات، فلا قرار له إلا مع الله، ولا التفات منه إلى غير ما به تولاه، ومقامه في ذلك لا يدرك ولا يكيف ولا يعلمه إلا الذي خصه به سبحانه[1].

10 - وتقاصرُها عن تواضعه:

- قال عبد الله الرازي[2]: (التواضع هو ترك التمييز في الخدمة)[3].

---

(1) «الإلمام والإعلام» لابن زكري (ص197 ـ 199).

(2) هو عبد الله الرازي (ت382هـ) المعمر الزاهد، شيخ الصوفية، مسند الوقت أبو سعيد، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصير بن عبد الوهاب بن عطاء بن واصل القرشي الرازي، نزيل نيسابور. ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 316 ج16 ص427)؛ وفي «العبر في خبر من غبر» للذهبي (ج2 ص161)؛ وفي «شذرات الذهب» لابن العماد (ج4 ص432).

(3) «الرسالة القشيرية» لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت465هـ) (المكتبة العصرية 2014م (ص149)).

- قال أبو سُليمان[1]: (من رأى لنفسه قيمة، لم يذق حلاوة الخدمة)[2].
وكان ﷺ أشدّ المتواضعين تواضعا لقوة علمه بجلال الله وعظمته.

11 - **وتقاصرُها عن شفقته ورحمته**، وذلك أن الله تعالى لما فضله تفضيلًا، لم يعطه لغيره، جعله عين الرحمة، لا يصدر منه إلا ما هو رحمة: قال ابن عباس: (من آمن، تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة؛ ومن لم يُؤمن عُوفيَ مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الخسف والمسخ وغيرهما)[3]. والحصر في قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنما أنا رحمةٌ مهداة**»[4]: يبينُ أنه لا يصدر منه إلا الرحمة. وأخرج أحمد وأبو داوود

(1) هو أبو سُليمان الداراني (ت215هـ)، الإمام الكبير، زاهد عصره أبو سليمان، عبد الرحمن بن أحمد، وقيل: عبد الرحمن بن عطية. وقيل: ابن عسكر العنسي الداراني. ولد في حدود الأربعين ومائة. ترجمته في «طبقات الصوفية» للسلمي (رقم 9 ص74)؛ و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (برقم 448 ج9 ص254)؛ و«تاريخ بغداد» للخطيب (رقم 5320 ج11 ص523)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (رقم 363 ج3 ص131)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 34 ج10 ص182)؛ و«الكواكب الدرية» للمناوي (رقم 259 ج1 ص669).

(2) «الرسالة القشيرية» لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت465هـ) (المكتبة العصرية 2014م (ص149)).

(3) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾. أورده ابن جرير الطبري في «تفسيره» «جامع البيان في تأويل آي القرآن» (عند الآية 107سورة الأنبياء ج16 ص440)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (برقم 12358 ج12 ص23)؛ والبيهقي في «دلائل النبوة» (برقم ج5 ص486)؛ والقرطبي في «تفسيره» «الجامع لأحكام القرآن» (ج14 ص302)؛ وذكره ابن كثير في «تفسيره» (ج5 ص387)؛ وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (ج10 ص405) إلى ابن مردويه.

(4) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم 31782 ج6 ص325)؛ الطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم 2981 ج3 ص223)؛ والطبراني في «المعجم الصغير» (رقم 264 ج1 ص168)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (رقم 100 ج1 ص91): (هذا حديث صحيح =

والطبراني عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «**أيما رجل سببته من أمتي سبة في غضبي أو لعنته لعنة، فإنما أنا رجل من ولد آدم، أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فأجعلها عليه صلاة يوم القيامة**»[1].

12 - **وتقاصـــرُها عن إدراك جوده الحسي**: وهو عطاياه التي يعجز عنها عظماء الملوك؛ والمعنوي: وهو هدايته وشفاعته الموصلة إلى الفوز العظيم الأبدي، بل إفاضته الفضل والكمال على أهله من النبيثين والمرسلين والملائكة والشهداء والصالحين، وهو المُراد بالمدد[2] الصديقي والملكي والنبوي)[3].

= على شرطهما)؛ والبيهقي في «دلائل النبوة» (ج1 ص157)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج5 ص401)؛ وأورده ابن كثير في «تفسيره» (للآية 107 سورة الأنبياء ج5 ص386)؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (رقم 2345 ج1 ص463).

(1) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم 234 ص68)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب البر والصلة: باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه... برقم 2601 ج8 ص203)؛ وأحمد في «مسنده» (رقم 23706 ج39 ص110)؛ وابن أبي شيبة في «المسند» (برقم 451 ج1 ص300)؛ وابن أبي شيبة في «المصنف» (برقم 29549 ج6 ص71)؛ وأبو داود في «سننه» (برقم 4659 ج7 ص54)؛ والبزار في «مسنده» (برقم 2532 ج6 ص496)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 6156 ج6 ص259).

(2) المدد الوجودي هو كل ما يحتاج إليه الكائن في وجوده على الولاء حتى يبقى. فإن الحق يمده من النفس الرحماني بالوجود، حتى يترجح وجوده على عدمه، الذي هو مقتضى ذاته بدون موجده، وذلك في التحلل؛ وبدله من الغذاء والنفس، ومدده من الهواء ظاهر محسوس. «إصطلاحات الصوفية» للعلامة كمال الدين الكاشانى (ص101)؛ و«كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (ج2 ص1501)؛ وفي «موسوعة المصطلح» للكتاني (ج3 ص2382).

(3) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص197 - 201).

هـذا، وإنمـا تضاءلت له ﷺ الفهوم، وتصاغرت لأن روحه الشريفة: روحٌ قدسية، والروحُ القدسية عندها فهم الأمور الكلية الخفية: كالأمور الجزئية الجلية، فتتصاغر الفُهومُ عند هذه الروح الزكية، وإن كانت عويصة آبية.

وقد تلخص مما سبق[1]: (أنه ﷺ حاز نهاية الجمال الظاهر، وغاية الكمال الباطن، فمن جماله ظهر كل جمال، فهو إذا أجملُ من كل جميل، ولذا أظهر الخضوعَ لهُ أجملُ ما في الوجود: أعني النيرين، فناغاه البدرُ في مهده، وكان يميل بإشارته وانشقّ لهُ نصفين، ورجعت لدعْوته الشمس بعد غُروبها، وصارت بعد نقلته للدار الآخرة تأتي ضريحه عند الطلوع والغروب إجلالًا وإعظامًا تسلم عليه.

ويرحـم الله القـائل:

فـلـولا أنـه حـيٌّ طـريٌّ ... بـإدراك كـمـا نـقـل الـفـحـول
لـمـا سـعـت الـشـمـس إلـيـه حـقًّـا ... تـسـلـم حـيـن تـطـلـعُ أو تـزول[2]

وسعت لدعوته الأشجار، وسجدت له وتعلقت به الغزالة، وتضرعت له ورجعت لوعده، وتأتي تتمة هذا المعنى عند قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة).

ومن كماله تكوّن كل كمال، فهو إذن أكمل من كل أكمل، ولذا عرف بالتلذذ بالخضوع له كل أكمل، فكان خضوع الأكمل لهُ أشد من خضوع الكامل، وخضوعُ الكامل أشد من خضوع الناقص، لأن الخضوع له على قدر المعرفة بكماله.

---

(1) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص197 - 201).

(2) من قصيدة للامام ابن حجر الهيتمي، مطلعها: (تواترت الأدلة والنقول فما يحصي المصنف ما يقول). أوردها في «شرح همزيته العلامة ابن زكري الفاسي» (اللوحة 161) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 2474)؛ وفي «الذخائر المحمدية» للسيد محمد بن علوي المالكي (ص66).

وحسبُك في هذا ما في «لطائف المنن»، قال: (أخبرني الشيخ مكين الدين الأسمر[1]، وهو الذي شهد له الشيخ أبو الحسن[2] بالخصوصية، قال:

- (دخلت مسجد نبي بالاسكندرية، فوجدت النبي المدفون هنالك قائمًا يصلي وعليه عباءة مخططة، فقال لي: تقدّم فصل.

- فقلتُ لهُ: تقدّم أنت فصلّ.

- قال: تقدّم أنت فصلّ، فإنكم من أمة محمد، النبي الذي لا ينبغي لنا التقدم عليه.

- فقال: فقلتُ له: بحق هذا النبي إلا ما تقدّمتَ فصليتَ.

- قال: فأنا أقول بحق هذا النبي إلا وهو قد وضع فمه على فمي إجلالا للفظة النبي كي لا تبرز في الهواء.

- قال: فتقدمتُ فصليتُ) هـ[3].

فانظره وتأمل واعتبر هذا التعظيم العظيم من عظماء خواص الخلق.

وانظر أيضًا حال أعرف الناس بعد الأنبياء بكماله: وهمُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حيث كان (لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءهُ، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصُقُ بصاقًا،

---

(1) هو العارف بالله الفقيه المحدث عبد الله بن منصور الأسكندري المالكي الشاذلي المقرىء الشهير بمكين الدين الأسمر (610 - 692هـ). «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري الشافعي (ج1 ص25).

(2) الشيخ القدوة العارف بالله أبو الحسن الشاذلي (656هـ). سبقت ترجمته في (ص859).

(3) «لطائف المنن» لابن عطاء الله السكندري الشاذلي المالكي الأشعري (ت709هـ) (ص122)؛ ونقله السيوطي في «معترك الأقران في إعجاز القرآن» (ج1 ص13)؛ والعلامة ابن زكري الفاسي في كتاب «الإلمام والإعلام» (ص200).

ولا يتنخم نخامةً، إلا تلقوها بأكفهم، فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عندهُ، وما يحدق إليه النظر تعظيما لهُ)[1]، وهذا من أهم ما ينبه عليه في مدحه ﷺ، وهو التنبيه على حيازة باطنه لأنواع الكمال، وظاهره لصنوف الجمال)[2] كما تقدّمت الإشارة إليه.

واعلم، أنه لما تقاصرت الفهوم، وتصاغرت لحقها العجز، فلهذا، لم يدركه - أي النبي ﷺ - على وجه الإحاطة ولو بصفة من صفاته منا سابق ولاحق، لأنا لم ندرك منه إلا على قدر وُسعنا، وأين وَسعَهُ ﷺ ووسعنا؟، ولهذا كان يخاطب الناس على قدر عقولهم، ويظهر لهم من جماله على قدر ما يطيقون شهوده كما تقدم التنبيه عليه: قال في «شرح دلائل الخيرات»: (وفي «شفاء»[3] ابن سبُع أنه ﷺ كان يضيء البيت المظلم من نوره، ولكن لم يظهر لنا تمام حسنه، لأنه لو

---

(1) أورده القاضي عياض في «الشفا» (ج2 ص250).

(2) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص199 - 201).

(3) هو كتاب «شفاء الصدور في ايضاح البيان عن كشف حقائق البرهان واعلام نبوة الرسول عليه الصلاه والسلام»، للإمام الخطيب أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي، توفي في نحو (520هـ - 1126م)، وهو موسوعة في الحديث والسير، جمع صنوفا من العلم، وألوانا من الأدب، قضى مؤلفه في جمعه قرابة ثلاثين عامًا، يقع في خمسة عشر مجلدًا؛ توجد قطعة من الجزء الأول في المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (1383 ك)، ترجمته والتعريف بالكتاب في «كشف الظنون» لحاجي خليفة (ج2 ص1050)؛ وفي «مجلة دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف بالمغرب. مقال: «أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه» للأستاذ سعيد أعراب:

+ (العدد 200 = العدد 8 السنة 20 رمضان1399هـ/ غشت1979م) (ج1 ص17 - 22).
+ (والعدد 201 = العدد 9 السنة 20 شوال1399هـ/ شتنبر1979م) (ج2 ص19 - 26).
+ (والعدد 202 = العدد 10 السنة 20محرم1400هـ/ دجنبر1979م) (ج3 ص39 - 42).

ظهر لنا حقيقةُ حسنه، لما طاقت أعيننا رؤيتهُ، وكذلك لم يظهر لنا عقله لأنه لا تحمل قلوبنا ذلك؛ وقد قال ﷺ: «**إني لا أتكلم إلا على قدر عقولكم**»[1] هـ[2]؛ وأشار إليه القرطبي والقرافي.

وقال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري في «شعب الإيمان»: (وحسنُ يوسف وغيره، جزء من حُسْنه، لأنه على صورة اسمه خُلِقَ، ولولا أنه تبارك وتعالى ستر جمال صورة محمد ﷺ بالهيبة والوقار، وأعمى عنه آخرين، لما استطاع أحد النظر إليه بهذه الأبصار الدنيوية الضعيفة. وقد وقعت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إبرة في ظلمة بيتها، فرأتها وأبصرتها بنور وضياء وجه محمد ﷺ)[3]؛ وفي «الصحيح»: (أن وجهه كمثل الشمس، ومثل البدر على قدر ما يستطيع كل أحد أن ينظر إليه ﷺ ومنهم من لم يكن يملأ عينه منه)[4] هـ.

---

(1) أورده عبد الملك النيسابوري الخركوشي (ت407هـ) في «مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى» (رقم 315 ج2 ص105)؛ والزركشي في «التذكرة في الأحاديث» (حديث41 ص107)؛ وتحدث عنه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (برقم 180 ص93) وقال: (سنده ضعيف)؛ وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (برقم 592 ج1 ص196): (رواه الديلمي بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعًا)؛ والألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (ج13 ص315).

(2) ذكره في «شرف المصطفى» لعبد الملك النيسابوري (ج2 ص104)؛ وفي «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي (ج2 ص13)؛ وفي «شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج5 ص241)؛ «الروضات العرشية» للبكري ضمن «شموس الأنوار» لمحمد المرون (ص286).

(3) نقله المصنف عن «الروضات العرشية في الكلام على الصلوات المشيشية» لمصطفى البكري ضمن «شموس الأنوار ومعادن الأسرار على صلاة القطب الأكبر مولانا عبد السلام بن مشيش» لمحمد المرون تح: د التمسماني (ص286 ـ 287).

(4) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب المناقب: باب صفة النبي ﷺ، برقم 3552 ج2 =

وتقدم قول البوصيري:

أعيا الورى فهم معناه ....البيتين[1].

ومثله، قوله في «الهمزية»:

إنما مثلوا صفاتك للنا س كما مثل النجوم الماءُ[2]

ولقد أشار لهذا المقام: سيدي محمد البكري الهمام في «صلواته النبوية» بقوله: (من لا تدرك العقول الكاملة منه: إلا مقدار ما تقوم عليها به حجّتُهُ الباهرة، ولا تعرف النفوس العرشيّة من حقيقته إلا ما يتعرف لها به من لوامع أنواره الزاهرة) هـ[3].

وقال الإمام سيدي محمد بن علي الخروبي الطرابلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: في «شرحه»: قوله: (وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق): أشار: إلى خفي سر روحانيته الأحمدية، ورفيع قدر صورته المحمدية، إذ حقيقة ذلك لم

= ص371)؛ وفي «التاريخ الكبير» (ج1 ص10)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفضائل: باب شيبه ﷺ، برقم 2344 ج7 ص434)؛ وأحمد في «مسنده» (رقم 18478 ج30 ص429).

(1) «ديوان» البوصيري (قافية الميم البيت 48 و49 ص425)؛ وفي «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج5 ص242)؛ وتتمته:

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من أمم

(2) «المنح المكية شرح الهمزية» لابن حجر الهيثمي (البيت 3 ص41).

(3) نقله المصنف عن «الروضات العرشية» لمصطفى البكري (ت1162هـ) ضمن «شموس الأنوار ومعادن الأسرار» لمحمد المرون (ص287)؛ وأورده في «أفضل الصلوات» النبهاني (الصلاة السابعة والأربعون، لمحمد ابن أبي الحسن البكري، ص43).

(4) سبقت ترجمته في (ص33).

يدركها أحد بفهمه، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1] من ظواهر الأمور دون بواطنها، وجليها دون خفيها، فالفهوم كلّتْ، والعقول وقفت عندما طلبت الاستشراق، وتضاءلت عن درك خفي سره، والوقوف على حقيقة أمره، وما يعلم ذلك إلا الذي خصه به سبحانه.

وإذا كان الولي لا تدرك حقيقته في هذه المدارك، فكيف بالرسل عليهم الصلاة والسلام؟ فكيف بسيدهم وإمامهم ﷺ؟ وما أدرك الناس من حقيقة أمره، وخفي سره إلا على قدر عقولهم البشرية، فما ظهر من ذلك نعمةً عليهم، ليعرفوا قدره ويعظموا أمره، وما خفي عنهم منه فرحمة من الله بهم، إذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة، والله تعالى أرسله رحمة للعالمين، فكانت النعمة فيما ظهر، والرحمة فيما استتر.

ثم إن الناس في اطلاعهم على سر نبوته وخصوصية رسالته بحسب مقاماتهم ومنازلهم، فكل واحد كُشف له من ذلك بحسب مقامه وعلى قدر قرب روحه من روحه ﷺ، وأعظم الناس كشفا لذلك وأكثرهم اطلاعا عليه الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأن ما كشف له من خصوصية الرسالة المحمدية، وحقيقة الأسرار الأحمدية، لم يكشف لأحد غيره، ولهذا كان أشد الناس قربًا منه ﷺ، وأعظمهم خلة، وأكثرهم تعظيمًا واحترامًا، وكان أول المؤمنين بنبوءته، والمصدقين برسالته من غير طلب دليل، ولم يعتره توقف ولا تأويل) هـ[2]. وقد تقدمت الإشارة إلى بعضه.

[معرفته ﷺ تمنع الجهل وتمنح الفضل]:

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في قول الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وعرفني إياه معرفةً أسلم بها من

---

(1) سورة البقرة، الآية: 255.

(2) «شرح» الإمام محمد بن علي الخروبي الطرابلسي على الصلاة النبوية للقطب ابن مشيش ضمن كتاب «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص527).

موارد الجهل، وأكْرَعُ بها من مواهب الفضل)، ما نصه[1]: (المعرفة الحقيقية لله ولرسوله ﷺ، وهي ما أثمرت ثمرة وأنتجت نتيجة، وكلُّ معرفة لا ثمرة لها ولا نتيجة فليست بمعرفة على الحقيقة، فالشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلب من الله تعالى أن يعَرِّفهُ برسول الله ﷺ معرفة تثمر له ثمرة، وتنتج له نتيجة، وذكر ذلك فقال: (أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من مواهب الفضل).

ولا شك أن من عرف رسول الله ﷺ حق المعرفة، أثمرت له معرفته ﷺ ثمرات، وأنتجت له نتائج حق أن يسلم من موارد الجهل ويكرع من مواهب الفضل، وحق لمن تحقق في معرفته ﷺ أن يكرع بهاتين الخصلتين العظيمتين، لأن معرفتَه ﷺ تقتضي ذلك، وكيف وقد قرب العارف من سر معروفه، وتآلفت روحه مع روحه، والقرب والائتلاف يقضيان بالمتابعة والاقتداء، وذلك سبب لأن يرد التابع موارد متبوعه، فينكشف لسر العارف وروحه من العلوم اللدنية، والأسرار العرفانية ما يزحزحه عن موارد الجهل، ويتصف بمقتضى العلم، فيصير القلب عارفًا، والروح حاكمًا، ويرد هذا العارف موارد الصفا التي وردها المقربون، ويشمل المناهل التي شرب منها العارفون.

والكرع: عبارة عن شرب المتعطش اللهفان الشائق إلى الورود، والراغب في الازدياد، وموارد الفضل هي مشارب أرواح المقربين، وموارد أسرارهم التي لا تدرك بطلب، ولا تنال بسبب، بل بمجرد الفضل الإلهي والعناية الربانية)[2].

وقال الشيخ سيدي مصطفى البكري نفعنا الله به[3]: (معناه: اجعَلني عارفًا

---

(1) «شرح» الإمام محمد بن علي الخروبي الطرابلسي على الصلاة النبوية للقطب ابن مشيش ضمن كتاب «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص532).

(2) المرجع السابق (ص527).

(3) نقله المصنف عن «الروضات العرشية» لمصطفى البكري ضمن «شموس الأنوار ومعادن الأسرار» لمحمد المرون (ص318 ـ 319).

به ﷺ معرفة أنجو بها من موارد الجهل بجنابه الرفيع العالي، إذ الجهل داءٌ ودواؤه المعرفة بالتعرف من أهل المعاني: قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وإذا عرفك الحق بشرف مقامه الأمجد. وتفرده في كل مقام أوحد، لزمت طريق الأدب معه في كل حال، وسلكتَ منهاجهُ القديم في الإقامة والترحال، واتبعتَ أثر قدمه الشريف، وتمسكت بالعروة الوثقى من حبه المنيف؛ فأفضى بك الحب إلى منازل القرب، وأشرفت بصدق الاتباع على رفعة مقام الأتباع، وهنالك بعد هذا العروج: أن اسمك قد خط في تلك البروج. وتدرك بالكشف اليقيني البدءَ والنهاية فيزول عنك الجهل والشك، وهذه هي العلامة والآية، وترفع عن عين قلبك غواشي الأستار، وتتحلى بصفة الكتم لتخلقك باسمه الستار.

ويجب عليك في هذا المقام أن لا تأمن المكر الإلهي. ولا تزهوا بعلمك ولا تفتخر ولا تباهي؛ فإن في غيب الذات الذي لا يدركُ ما يوجب الخوف والخشية.

ولو كشف ما كشف، وأدرك ما أدرك فإن المدرك عند أهل الكشوفات العلية، هو ما تعين في المرتبة العلمية، وأما ما بطن في غيب الذات الأقدسية، فلا يعثر عليه ولا يصل إليه أحدٌ ولو بلغ أقصا المراتب السنية؛ ومن هنا قال السيد الأكمل ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك**»[2]. قال القونوي[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «شرح الفاتحة»: (أي لا

---

(1) من سورة النحل، الآية: 43.

(2) سبق تخريجه في (ص499 ـ 500).

(3) هو إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي الحنفي أبو المفدي عصام الدين الشيخ الامام الكبير العالم العلامة المحقق الفهامة المتجر الاصولي المنطقي المفسر، من فقهاء الحنفية، وأحد الأفراد بالعلوم العقلية والنقلية ولد بقونية، وتوفي بدمشق سنة 1195هـ. من آثاره: «حاشية على تفسير البيضاوي». ترجمته في «سلك الدرر» للمرادي (ج1 ص258)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج1 ص325).

أبلغ كل ما فيك، فاعترف بالعجز عن الإطلاع على كل أمره»[1]. وقال سبحانه منبها على ذلك: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[2]، والقليل هذا شأنه، فما ظنك بما ليس بعلم عند العقلاء كلهم. ولهذا نهى الناس عن الخوض في ذات الله وحرّضوا على حسن الظن به، ولا سيما في أواخر الأنفاس.

ولما صحّ أن أقرب الأشياء نسبة إلى حقيقة الشيء روحه، وكان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ روح الله ومن المقربين أيضا، بإخبار الله وإخبار أكبر رسله عنه، ومع ذلك قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[3]، علمنا بهذا وسواه من الدلائل التي لا تحصى كثرةً مما أومأنا إليه وسكتنا عنه لوضوح الأمر وكونه بينا في نفسه، أن الإطلاع على ما في نفس الحق متعذرٌ.

فالحاصل عندنا من المعرفة المستفادة من إخباره سبحانه لنا عن نفسه: هو بتقليدٍ منا له، وكذا ما نشهده ونذكره بقوة من قوانا الظاهرة والباطنة، أو بالمجموع؛ إنما نحن مقلدون في ذلك لقوانا ومشاعرنا.

وقصارى الأمر: أي غايته وآخره: أن يكون الحق سمعنا وبصرنا وعقلنا، فإن ذلك أيضًا لا يقضي بحصول المقصود، لأن كينونته معنا وقيامه بنا بدلًا عن أوصافنا، إنما ذلك بحسبنا لا بحسبه كما بينا، ولو لم يكن الأمر كذلك لزم أن يكون كينونة الحق سمْع عبده وبصَره وعقلَه باطنًا وظاهرًا على ماهو الحق عليه في نفسه، فيرى العبد إذن كل مبصر ويسمع كل مسموع سمعه الحق وأبصره.

---

(1) «حاشية القونوي على تفسير البيضاوي» للقونوي (ت1195هـ) (ج1 ص155)؛ وفي «الروضات العرشية» لمصطفى البكري ضمن «شموس الأنوار ومعادن الأسرار» لمحمد المرون (ص318 ـ 319).

(2) سورة آل عمران، الآية: 28.

(3) سورة المائدة، الآية: 116.

ولزمه أيضًا أن يعقل كل ما عقله الحق وعلى نحو ما عقله، ومن جملة ذلك بل لا أجل من ذلك عقله سبحانه ذاته على ما هي عليه، ورؤيته لها كذلك وسماعه كلامها وكلام سواها أيضًا كذلك، وهذا غير واقع لمن صحّ له على ما ذكرنا، ولمن تحقق أعلا المراتب، وأشرف الدرجات، فما الظن بمن دونه؟ فالكل من الحيرة في الله، وفيما شاء نصيب.

وتذكر:

- قوله[1]: (خمسٌ من الغيب لا يعلمهن إلا الله).
- وقولُه[2]: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.
- وقوله[3]: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾.
- وقوله[4]: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.
- وقوله[5]: ﴿ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾.

وغير ذلك مما يطول ذكره، ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾[6].

ومن عرف ما تقدّر فهم منشأ خوف أهل الكمال. وفرط خشية أهل الجلال والجمال الذين كوشفوا بحقائق الأمور، بعد رفع الستور؛ إذ لا يدرك الحق على ما هو عليه. وما استحق إلا الحق، ومن أدرك أن تمّ ما لا يدرك فقد أدرك.

---

(1) سبق تخريجه في (ص379).

(2) سورة النمل، الآية: 65.

(3) سورة الأعراف، الآية: 188.

(4) سورة الأنعام، الآية: 35.

(5) سورة الأحقاف، الآية: 9.

(6) سورة الأحزاب، الآية: 4.

ومن هنا قال جدنا الأعلى الصديق الأكبر قدّس الله سره: (العجز عن درك الإدراك إدراك)[1].

وقد ضمت مقالة هذا الهمام تبعا لسيدي محي الدين الإمام. والجبلي المقدام. فقلتُ سابقًا:

العجز عن درك الإدراك إدراك ... فما لمن رام غير العجز إدراكُ
العبد يعجز عن إدراك جملته ... فكيف يُدرك من للكل ملّاكُ
من ذاته قد تعالت أن يحاط بها ... والعقل حار وأملاك وأفلاكُ
وكيف يدرُك من بالحدث متّصفاً ... من قد تقدّس أن يدركه درّاكُ
فدع وساوس أوهام الصدور وقل ... العجز عن درك الإدراك إدراكُ[2]

وإذا كانت حقيقة النبي ﷺ لا تُدرك ولا تُعرف حق المعرفة، فكيف بحقيقة الحق؟ فما عرف أحد الحق الأعلى قدر ما تعرف له من المعرفة به، فعرف الحق بالحق على قدر العارف لا المعروف، وإلى هذا الإشارة بقوله: (فتعرفتُ إليهم، فبي عرفُوني)[3].

* فقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(معرفة أسلم بها من موارد الجهل)**، أي: (ولو من بعض وجوهه المحمدية التي من عثر على وجه منها سلك المسالك، وسلم من المهالك الفردية، فإن الإحاطة بكل وجوهه على الكمال. متعذرة صعبة الإرتقاء عسيرة المنال. بل هي لا محالة غير المحال. عند من عرف سعة ذلك المجال)[1] هـ كلام سيدي مصطفى البكري نفعنا الله به آمين.

---

(1) سبق تخريجه في (ص788).

(2) «الروضات العرشية» لمصطفى البكري ضمن «شموس الأنوار ومعادن الأسرار» لمحمد المرون (ص320).

(3) سبق الإشارة له في (ص847).

وهـذا كله شاهد جلي لمسألتنا، فلا حيف في شيء مما ذكرناه، ولا شائبة نقص تلحق ما بينّاه وسطرناه.

* **هـذا؛ وفي قول الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فلم يدركه منا سابق ولا لاحق)، إشكالان:**

- **أولهما: اتحاد النتيجة مع منتجها السابق: فإن تصاغر الفهوم عنه هو عين انتفاء إدراكها له.**

- **ثانيهما: أن لم فعل صيغة مختصة بالماضي، فلا يصح اسنادها إلى اللاحق الآتي.**

- **وجواب الأول:** أنا لا نسلّم اتحاد المفهوم، وإنما الثابت التلازم بين المعنيين، إذ تقاصر الفهوم عجزها وهو معنى ثبوتي، وانتفاء الإدراك عنه عَدمي بناء على أن تقابل العجز والقدرة تقابل الأضداد، مع إفادة هذه النتيجة أن الاستغراق المستفاد من «أن» الدّاخلة على المفهوم حقيقي لا مبالغة فيه، لتكرير التعميم فيها مع التفصيل. وفيها أيضًا التنبيه والإيقاظ إلى أن كبراء الخلق من الأنبياء والمرسلين والملائكة لم يدركوا بالإحاطة، وقد سبق الحديث، وقول الخروبي وغيره: (إن حقيقته لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب)[1].

• **وجواب الثاني:** أن هذا من قبيل ما يقدّر فيه العامل بعد الواو، فهو من عطفها عاملًا أُزيلَ قد يعني معموله دفعًا لِوَهْمِ اتُّقي. وهو ما يلزم على ظاهر العطف من أن المراد باللاحِق: اللاحقُ باعتبار من سبقهُ وهو في الحقيقة سابق لاختصاص الصيغة بنفي الماضي؛ فيكون نفيُ الإدراك قاصرًا على غير المستقبل، وذلك لا يصح.

(1) نقله المصنف عن «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ص204 ـ 212).

والتقدير: فلم يدركه منا سابق، ولا يدركه لاحق؛ وأرشد إلى هذا: (ال الاستغراقية) في الفهوم، فإن ذلك الاستغراق كما يستلزم نفي الإدراك في الماضي، يستلزم نفيه في الآتي.

* **وفي السبقية واللحوق احتمالان:**

- **أحدهما**: أن تكون السّبقية عليه، واللحوقُ له، وذلك في عالم الأجسام، وباعتبار الخلقة الطينية، أي: فلم يدركه سابق عليه في الزمان، ولا يدركه لاحق له في الوجود بعد أول مبعثه، فيندرج في اللاحق المعاصرون.

- **ثانيهما**: أن يكون باعتبارنا، وتقدم بعضنا على بعض، وذلك باعتبار أصالة نوره، وخلق الأشياء منه، وأنه أصل الموجودات، وأسّ الخليقة، وآدم الأكبر، وأبو الأرواح، فلا سابق عليه أصلا.

* **وفي مرجع «ضمير المتكلم» المشترك احتمالات:**

- **أحدها**: أن يكون الخليقة بأسرها والموجودات كلها، فيعم الجن والملائكة، وهو عموم صحيح مستقيم.

- **ثانيهما**: أن يكون خصوص بني آدم، لا لاختصاص الحكم بهم، بل لأنه لا يتبادر إدراك غيرهم له بالكنه للمباينة في الجنسية، والاختلاف في العوارض واللواحق، وإنما نفينا التبادر لأن أصل الإمكان ثابت، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[1]، أي: في صورته، وإلا لما أطاقوا النظر إليه، والسماع منه، وذلك مستلزم للجهل به. والحكاية المشهورة: أن بعض الصالحين ألح على نبي أن يريه صورة حقيقته؛ فلما نظر إليه مات.

- **ثالثها**: أن يكون خصوص الأمة للعلة المتقدمة، وهي: أنه لا يتبادر إدراك

(1) سورة الأنعام، الآية: 9.

غيرهم له بالكنه لتأخر خلق جسده عن زمانهم بما له من الصفات الشريفة وليس المنفي أيضًا أصل الإمكان فلا ينتقص بإخبار الأنبياء به واطلاعهم على صفاته ولأنه من خصوصياتهم وليس على سبيل الإحاطة.

• **وها هنا إشكال:** وهو أن مقتضى أحكام العبارة وإتقان تنزيلها على المعنى أن يقال: (فلم يدركه منا سابق فضلًا عن لاحق)؛ لأن السابق على تقدير حجة الإدراك أولى به من اللاحق. أما على الوجهين الأولين في مرجع الضمير فلعدم استواء معرفة الأنبياء والمرسلين مع غيرهم، وأما على الأخير فلعدم استواء الصحابة مع غيرهم.

- **وجوابه:** أن المعنى على الجميع لم يدركه السابق إلى العلم به بسبب سبقيته، ولا متأخر في العلم به فالتعبير بالسابق واللاحق بفيد الأولوية المذكورة لما عند السابق وتقادم العلم وتطاول أمره[1].

وقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة لعالم الملك والملكوت والجبروت)**[2]:

تفسيران: أحدهما أن:

- **عالم الملك**[3]: هو حضرة الأجسام، وهي مظهر الأفعال المشار إلى

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ت1144هـ) (ص204 ـ 212).

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ص204 ـ 212).

(3) الملك: عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية، كالعرش والكرسي، وكل جسم يتميز بتصرف الخيال المنفصل من مجموع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة التنزيهية والعنصرية، وهي كل جسم يتركب من الأسطقسات. «التعريفات» للجرجاني (ت877هـ) (رقم 1826 ص226)؛ و«كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» لمحمد علي التهانوي (ج2 ص1640)؛ و«موسوعة المصطلح في التراث العربي» للدكتور محمد الكتاني (ج3 ص2677).

بعضها بقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ الآية[1]، أي: وتغني من تشاء، وتقوي من تشاء، وتضعف من تشاء، وتقدر من تشاء، وتعجز من تشاء، وتقرب لحضرتك من تشاء، وتبعد من تشاء، وتهدي من تشاء، وتضل من تشاء، وتعلم من تشاء، وتجهل من تشاء، وتسهل الأمور على من تشاء، وتعسرها على من تشاء، إلى غير ذلك من التصرفات التي لا يعلمها إلا أنت، فمظهر هذه الأمور: حضرة الأجسام، وكلما كثرت الأجسام في محل، كثر ظهور التصرفات فيه، ومن ثَمّ اختارَ الأئمة الكبار سكنى المدن، والأمصار، لما فيها من أنواع الاعتبار، والاستبصار.

- **وعالم الملكوت**[2]: حضرة الأرواح، وهي مظهر الصفات.

- **وعالم الجبروت**[3]: حضرة الأسرار، وهي مظهر أسرار الذات.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 26.

(2) **الملكوت**: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس. وفي اصطلاح الصوفية تطلق على الصفات مطلقًا وقد تختص بالإطلاق على الصفات الإلهية. «التعريفات» للجرجاني (ت877هـ) (رقم 1823 ص225)؛ و«كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» لمحمد علي التهانوي (ج2 ص1642)؛ و«موسوعة المصطلح في التراث العربي» للدكتور محمد الكتاني (ج3 ص2679).

(3) **الجبروت**: عند أبي طالب المكي (ت386) ـ ترجمته في «تاريخ بغداد» للخطيب (ج3 ص89) و«الأعلام» للزركلي (ج6 ص274) ـ عالم العظمة، يريد به عالم الأسماء والصفات الإلهية، وعند الأكثرين عالم الأوسط، وهو البرزخ المحيط بالأمريات الجمة. والجبروت صيغة المبالغة بمعنى الجبر. والجبر إما بمعنى الإجبار، من قولهم: جبرته على الأمر جبرًا، أو أجبرته: أكرهته عليه، أو بمعنى الاستعلاء، من قولهم: نخلة جبارة إذا فاتتها الأيدي. والجبار الملك تعالى كبرياؤه، متفرد بالجبروت؛ لأنه يجري الأمور مجاري أحكامه، ويجبر الخلق على مقتضيات إلزامه، أو لأنه يستعلي عن درك العقول. قال الإمام مصطفى البكري (ت1162هـ):

والبرزخ المحيط جبروت ... وعالم الغيوب ملكوت

والمُلك هذا عالم الشهاده ... ينال من يكشفه مراده =

• **وثانيهما:**

أن[1] **عالم الملك:** هو ما يدرك بالحس والوهم.

وعالم الملكوت: هو ما شأنه أن يدرك بالعقل والفهم.

وعالم الجبروت: هو ما شأنه أن يدرك بالحسّ وما معه؛ أو بالعقل وما معه لكن لا في الحال، بل في ثاني حال، كما في الدنيا مما لم نصل إليه وهْمًا، ولا فهمًا؛ كتعلق الجسم بالروح وهي به، وما في الجنة إذ هو: «**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[2]، وستراه العيون، وتسمعه الآذان، وتعرفه القلوب.

ويقال: **الملك:** ما ظهر؛ **والملكوت:** ما بطن. **والجبروت:** جامع بينهما؛ كالإنسان ظاهره ملك، وباطنه ملكوت، وحيث جمع بينهما كان جبروتًا، فيدرك بالبصر والبصيرة.

فعلى الأول: النبي ﷺ هو روح العوالم الثلاثة؛ إذ به أشرقت واستشارت؛ فإنه: مرآةٌ لتجلي الذات للأسرار، والصّفاتُ للأرواح، والأفعالُ للأجسام، أي لطرق الإدراك منها ـ التي هي السمع والبصر وما معهما ـ إذ هو المعرف بها،

= «التعريفات» للجرجاني (ت877هـ) (رقم 615 ص78)؛ و«كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» لمحمد علي التهانوي (ج1 ص549)؛ و«موسوعة المصطلح في التراث العربي» للدكتور محمد الكتاني (ج1 ص739).

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ت1144هـ) (ص204 ـ 212)؛ ونقله عبد الله الشرقاوي في «الفيض العرشي» (اللوحة 262)، ونسبه لمحمد المهدي الفاسي شارح «دلائل الخيرات».

(2) سبق تخريجه في (ص413).

فسمعتها منه الآذان، حيث أخبر بأنه تعالى المنفرد بالتأثير، وبين أفعاله في الموت، وما بعده، والحشر، والمعاد، وفي الأمم الماضية، وبلغ السّامعُ ذلك لغيره، فسمعت منه الآذان بالمباشرة، أو الواسطة، وأدت ذلك للقلوب، فاعتقدت فبه شاهدت القلوب الأفعال من الله، وبه تجلت الأرواح بشهود صفات الله، وبه شاهدت الأسرار والذات العلية.

فنقول: شبّه الملكوتَ بمزهر بالمتنزهات، أي الأماكن المرتفعة المتسعة ودلّ على ذالك بإضافة الرياض إليه على حد أظفار المنية، وشبّه جماله ﷺ بغروس تلك الرياض، ودلّ على ذلك بإضافة الزهر له. ومعنى مونقة: معجبة. وحاصل المعنى أن عالم الملكوت متزينٌ ومستنيرٌ بالنبي ﷺ، إذ لو لا هو ما وُجد، وبه تشاهد الصفات التي هوَ -أي عالم الملكوت- مظهرها.

وأيضًا فإن عالم الملكوت الذي هو مسرح الأرواح من أنواع الجمال ما لا يعلمه إلا الله، وكلها مقتبسة منه ﷺ، ففيه النَّيِّران: الشمسُ، والقمر؛ وهما من نوره؛ وفيه النجوم وهي من نوره؛ وفيه البيت المعمورُ، وهو من نوره وسدرة المنتهى. وقد قال في الحديث: «**فغشيها من أمر الله ما غشيها، فتغيرت وصارت زمردا وياقوتا فما أحد يستطيعُ أن ينظرها من شدة حسنها**»[1]، وهي من نوره وفيه العرش والكرسي واللوح والقلم وهي من نوره.

وقد قال الإمام أبو حامد في «الإحياء» في كتاب «كشف علم الآخرة» (للعرش ثمانون ألفًا من السرادقات، ولكل سُرادقٍ ثمانون ألف شرافة، وعلى

---

(1) من الحديث الطويل حول الإسراء والمعراج، رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، برقم 3207 ج2 ص292)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، برقم 162 ج2 ص261).

كل شرَّافة ثمانون ألف قمر يهلل الله تعالى ويسبحه ويقدسه، لو برز منها قمر واحدٌ إلى الدنيا لعُبد من دون الله ولأحرقها نورا)[1] هـ.

وفيه الملائكة: وهم جواهر نورانية بسيطة قدسية مقدسة عن ظلمات الشهوات طعامهم التسبيحُ وشرابهم التقديس أنسُهُم بالله وبذكره، وفرحهم بالله وبطاعتِهِ، ومقرهم حضرة قربه ومشاهَدته، وهم مخلوقون من نوره ﷺ.

وفيه الجنة: وناهيكَ بما فيها من أنواع الجمال من القباب والقصور من اللؤلؤ والياقوت والزمرد وغير ذلك والأنهار؛ من العسل والخمر وغيرهما، وأنواع اللباس والطعام والحور العين والولدان والأكواب والأباريق والأرائك والعبقري والرفارف إلى ما لا يعلمه إلا الله، وكل ذلك أيضًا من نوره ﷺ.

* **ثم نقول:** شبه الجبروتَ المنير به ببحر على حافتيه رياض تسقى من حياضه، ودل على ذلك بإضافة الحياض ـ جمعُ حوض ـ وهو ما يجمع فيه الماء ليغرف للسقي: كالصهريج، وشبهت أنواره ﷺ بالماء الساقي ودلّ على ذلك بإضافة الفيض لها؛ فالجبروت بحر وأنوار النبي ﷺ ماؤه، والحياض الساقية تستمد منه.

وحاصل المعنى: أن عالم الجبروت مبتهج ومشرق بالنبي ﷺ إذ لولا هو ما وُجد، وبه تشاهدُ أسرار الذات التي هوَ أي عالم الجبروت مظهرها. ويحتمل أن كلا من الجبروت والملكوت مستعمل في معناه، وفي الرياض والحياض استعارة تصريحيَّةٌ شبهت أرواح العارفين التي حضرتها الملكوت بالرياض، وصرح بالمستعار وشبهت أسرارهم التي حضرتها الجبروت بالحياض، وصرح أيضًا بالمستعار «مونقه ومتدفقه» ترشيح الإستعارتين.

---

(1) ينظر «الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة» لأبي حامد الغزالي (ت505هـ) (ص26)؛ ونقله القرطبي في «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» (باب في شأن الروح ص240).

وظهر من هذا أن «رياض الملكوت» تسقى من «حياض الجبروت»، ووجهه أن شهود الصفات الذي مظهره الأول إنما يكمل بشهود الذات الذي مظهره الثاني؛ إذ به يحصل الفناء الأكبر ويقوى القربُ فإن مراتب الفناء[1] ثلاثة: فناء في الأفعال، بأن يشهد أن لا فاعل إلا الله. وفناء في الصفات، بأن يشهد أن لا عالم ولا قادر إلا الله، وهكذا. وفناء في الذات بأن يشهد أن لا موجود إلا الله تعالى.

وهو معنى قول القائل:

---

(1) الفناء - عند الصوفية - هو عبارة عن حال تعتري الصوفي خلال مجاهداته، فيفقد شعوره بذاته، ولكل ما هو من لوازمها، وذلك باستهلاكه في معبوده الحق، إذ كلما ارتفعت صفة البشرية حلت محلها الصفة الإلهية، من غير اتحاد ولا حلول، وإنما بمعنى أن يصبح الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سمعه وبصره حسب الحديث المروي في ذلك؛ بحيث لا يرى الصوفي شيئًا غير الله.

فالفناء هو أن يفنى عنه الحظوظ، فلا يكون له في شيء، ويسقط عنه التمييز، فناء عن الأشياء كلها وشغلًا بما فني به. والحق يتولى تصريفه، فيصرفه في وظائفه وموافقاته، فيكون محفوظًا فيما لله عليه مأخوذًا عما له وعن جميع المخالفات، فلا يكون له إليها سبيل، وهو العصمة.

وقال أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان (ت465هـ) في «الرسالة القشيرية» (ص67): (أشار قوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف الذميمة، وأشاروا بالبقاء إلى بروز الأوصاف المحمودة..) قال ابن عجيبة في «معراج التشوف إلى حقائق التصوف» (ص59): (إذا أطلق الفناء فإنما ينصرف للفناء في الذات، وحقيقته: محو الرسوم والأشكال بشهود الكبير المتعال؛ أو استهلاك الحس في ظهور المعنى، قال بعض الصوفية: هو أن تبدو العظمة والجلال للعبد فتنسيه الدنيا والآخرة، فيفنى عن كل شيء؛ لأنه يغرق في العظيم، حين تتجلى له عظمة الذات الإلهية، فيفنيه ذلك عن رؤية الأشياء، ومن جملتها نفسه، فيغرق في بحر الأحدية، وقد يطلق الفناء في الأفعال فلا يرى فاعلًا إلا الله؛ وعلى الفناء في الصفات، فلا قدير ولا سميع ولا بصير إلا الله، وبعد هذا يقع الفناء في الذات. «التعريفات» للجرجاني (برقم 1377 ص171)؛ وفي «كشاف اصطلاحات الفنون» لمحمد بن علي التهانوي (ج2 ص 1291)؛ وفي «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للدكتور محمد الكتاني (ج2 ص1889).

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين البقاء[1]

فتكميل شهود الصفات إنما يكون في عالم الجبروت؛ فلذلك جُعل ساقيًا لعالم الملكوت.

ويحتمل أن يكون الكلام من باب الإحتباك: وهو أن يحذف من كل ما أثبت نظيره في الآخر. والمعنى: فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياضه بفيض أنواره متدفقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة، ورياضه بزهر جماله مونقة؛ فلكل من العالمين رياض وحياض. وخصّ عالم الجبروت بذكر الحياض والملكوت بذكر الرياض لما مرّ.

وعلى التفسير الثاني بالعوالم الثلاثة بالنبي ﷺ أشرقت وتهيأت للإدراك فبمدده المبارك صار الحس والوهم مُدركين لمدركاتهما، وكذا العقل، والفهم، وخصّ عالم الجبروت بالحياض، والفيض، لأن كمال السقي والري إنما يكون فيه؛ إذ فيه يوقف على حقائق الأشياء، وكنهُها.

وأيضًا فيه تحصل الرؤية التي هي أقصى المطالب، ونهاية الآمال، والمآرب، وما سواها لها مقدمات ووسائل؛ ثم هذا الكلام كالدليل لما قبله، أي إذا كانت:

---

(1) هذا البيت ذكره ابن عطاء الله في «لطائف المنن» (ص45)؛ والقشيري في «الرسالة القشيرية» (ص69)؛ والنفزي الرندي في «غيث المواهب العلية» (ج1 ص99)؛ والملا علي القاري في «شرح الشفاء» (ج1 ص407)؛ و ابن عجيبة الحسيني في «معراج التشوف» (ص59)؛ وفي «شرح صلاة ابن مشيش» (ص17)؛ وفي «البحر المديد» (ج3 ص454 عند الآية 25من سورة الأنبياء)؛ والعلامة مصطفى العروسي في «نتائج الأفكار القدسية في بيان شرح معاني الرسالة القشيرية لزكريا الأنصاري» (ج2 ص100)؛ ومحمد الكتاني في «موسوعة المصطلح في التراث العربي» (ج2 ص1890). وقد جاء عند بعضهم على النحو التالي:

فأفنوا ثُمَّ أفنوا ثُمَّ أفنوا وأبقوا بالبقا من قرب قربه

(رياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة)، فكيف لا تتصاغر الفهوم عنه، وتقصر عن الإحاطة به؟ وذلك أن العقول قاصرة عن الإحاطة بالملكوت والجبروت، فإذا كانت أنواره هي المبثوثة هناك، وهي المشرقة المتبرجة، المزينة لذينك العالمين، وإذا امتلئا بها، اتضح غاية الاتضاح عجزها عن إدراكه، فافهم[1].

* قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: **(ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوطُ)**:

لما مدح النبي ﷺ وأثنى عليه باستمداد عالمي الملكوت والجبروت من زهر جماله، وفيض أنواره، زاد في التبجيل، والتعظيم، وترقى من مقام التخصيص إلى مقام التعميم فقال: (ولا شيء...) إلخ، أي: لا شيء من الأشياء إلا وهو مرتبط به ﷺ من كل جهة، من حيث الوجود، والاستقلال، والاستمداد، وفي التعبير بالشيء إشارة إلى أن توسطه، والتوقف عليه ليس مقيدًا بوصف مخصوص، بل هو دائر مع مطلق شيئيّة الحوادث، فلا يختص بالإنسان الكامل، بل ولا بمطلق الإنسان، بل ولا بمطلق الحيوان، بل ولا بمطلق النامي، بل ولا بمطلق الجسم، فيعم الخلائق: جنّها وإنسها، وملكها ـ حيّها وجمادها، سفليها وعلويها، محسوسها ومعقولها ـ فسبحان من أهله لذلك ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾[2].

وبالجملة: (فنعمتان ما خلا موجودٌ عنهما ولا بد لكل موجود منهما: نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد) كما في «الحِكَم»[3]، وهو ﷺ الواسطة فيهما، إذ

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ت1144هـ) (ص204 ـ 212).

(2) سورة البقرة، الآية: 259.

(3) «غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية» لابن عباد النفزي الفاسي (ص132)؛ =

لولا سبقية وجوده، ما وجد موجود. ولولا وجود نوره في ضمائر الكون إلى أن برز، لتهدمت دعائم الوجود، فهو الذي وُجد أوّلًا، وله تبع الوجود وصار مرتبطا به لا استغناء لهُ عنه).

وناهيك أن العقول (مع عظم أمرها، وعلو شأنها كما تقدمت الإشارة إليه منه تستمد. وناهيك أيضًا أن العالم كله مرحوم بشهادة قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، ومن جملة العالمين العرش وما حوى، والملائكة والسمواتُ والأرض وما فيهما وما بينهما)[2].

ورُوِيَ أنه ﷺ (قال لجبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «هل أصابك من هذه الرحمة شيء»؟ قال: نعم، كنت أخشى العاقبة ثم آمنت بها بثناء الله عليّ بقوله: ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾[3])[4].

• وقوله: (هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟): أي: حظ مخصوص. وأما

= وفي «شرح زروق الفاسي على الحكم العطائية» (ص141)؛ و«إيعاد الغمم عن إيقاظ الهمم في شرح الحكم» لأحمد بن عجيبة الحسني (برقم 94 الباب العاشر، ص162)؛ وفي «شرح الحكم العطائية» لمحمد سعيد رمضان البوطي (الحكمة 95 ج3 ص158).

(1) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(2) «الإلمام والإعلام» (ص214 ـ 215).

(3) سورة التكوير، الآية: 20 – 21.

(4) ذكره السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد (ت375هـ) في تفسيره «بحر العلوم» (ج2 ص382 عند الآية 107من سورة الأنبياء)؛ والقاضي عياض في «الشفا» (ج1 ص23)؛ وبرهان الدين البقاعي (ت885هـ) في «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (عند الآية 19من سورة الأنعام ج7 ص66)؛ وقال العلامة الزرقاني في «شرحه على المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني» (ج8 ص392): (نقل عياض: قال السيوطي: ولم أجده مخرجًا في شيء من كتب الحديث).

أصل الإيجاد والإمداد فشامل له ولغيره، ولذلك أجابه بالحظّ المخصوص واقتصر على هذا، لأنه أسنى المطالب، وإلا فقد ناله من الحظوظ المخصوصة كثير. قال الشيخ أبو العباس المرسي[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة، ونبينا هو عين الرحمة، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2] هـ)[3].

قلت: قولهم: (رحمته للكفرين)، باعتبار عدم تعجيل العقوبة فيه أن رحمته لا تنحصر في ذلك، وكأنهم فهموا رحمته باعتبار ما يتقرر في الوجود. والظاهر أن المراد ما هو أعم، فيندرج ما هو باعتبار قصده وسعيه واجتهاده واعتنائه وقد كان

---

(1) أبو العباس المرسي: هو شهاب الدين أحمد بن عمر بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي البلنسي (ت686هـ). كان من أكابر العارفين، ولم يضع شيئاً من الكتب، وهو فقيه متصوف وأحد العارفين. تتلمذ على يديه ابن عطاء الله السكندري والإمام البوصيري وجماعة. «الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 884 ج7 ص173)؛ و«طبقات الأولياء» لابن الملقن (برقم 118 ص418)؛ و«النجوم الزاهرة» لابن تغرى بردي (ج7 ص371)؛ و«حسن المحاضرة» للسيوطي (برقم 52 ج1 ص523)؛ و«الطبقات الكبرى» للشعراني (رقم 310 ج2 ص26)؛ و«الكواكب الدرية «للمناوي (برقم 462 ج2 ص338)؛ «نيل الابتهاج» للتنبكتي (برقم 48 ص81)؛ و«كفاية المحتاج» للتنبكتي (رقم 12 ج1 ص80)؛ و«تذكرة المحسنين» في «موسوعة أعلام المغرب» (ج1 ص432)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (رقم 658 ج1 ص269)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج1 ص186).

(2) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(3) «لطائف المنن» لابن عطاء الله السكندري (ص 32)؛ ونقله الشعراني في «الطبقات الكبرى» (عند ترجمة أبي العباس المرسي، برقم 310 ج2 ص26)؛ ومصطفى البكري في «الروضات العرشية» ضمن «شموس الأنوار ومعادن الأسرار» لمحمد المرون (ص270)؛ وكذا ابن قاسم جسوس (ت1182هـ) في «شرح توحيد الرسالة» (ج1 ص123).

حريصا على هداهم حتى قيل له: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ ﴾ لخ[1]؛ ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ ﴾ لخ[2].

وإذا كان عين الرحمة: فهو أصل الرحمات وينبوعُها، ولا رحمة خارجة عنه، وكل مرحوم مسهوم منه. وفي اسمه «محمد» إشارة إلى ذلك، فإن الحاء مشار بها للرحمة، والميم الأولى للملْك الأول وهو الدنيا، والثانية للملك الثاني وهو الآخرة، ووسطت حاء الرحمة بينهما إشارة إلى أن الملكين يتجاذبانها، فيستمدان منها مشاربها للدوام جاءت بعد ميم الملك الثاني إشارة إلى تأييده.

- وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله بعثني رحمة مهداة بُعثت برفع قوم وخفض آخرين»**[3].

- وقال عليه الصلاة والسلام: **«أنا نبي الرحمة»**[4].

- قال في «المشارق»: (لأنه به تيب على الناس وآمنوا ورُحموا وقد يكون معناه: ما سماه الله به في قوله: ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[5]، بعطفه وإحسانه

---

(1) سورة الكهف، الآية: 6.

(2) سورة النحل، الآية: 37.

(3) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم 2981 ج3 ص223)؛ وفي «المعجم الصغير» له (رقم 264 ج1 ص168)؛ وأورده ابن كثير في «تفسيره» (للآية 107 سورة الأنبياء ج5 ص386)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (رقم 31985 ج11 ص423).

(4) رواه البخاري في «التاريخ الأوسط» (ج20 ص262)؛ وفي «التاريخ الصغير» (ص37)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفضائل: باب في أسمائه ﷺ، برقم 2355 ج7 ص442)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 23443 ج38 ص434)؛ والترمذي في «الشمائل المحمدية» (برقم 368 ص306)؛ والبزار في «مسنده» (رقم 2887 ج7 ص294)؛ والحاكم في «المستدرك» (برقم 4185 ج2 ص660).

(5) من سورة التوبة، الآية: 128.

لهـم. وقد يكون لرحمة الله العالمين بشفاعته الأولى بالموقف من شدته وتعجيل حسابهم ورحمة المؤمنين بعلو درجاتهم بشفاعته الثانية) هـ. وقال في أمته أنها أمةٌ مرحومة، فلها الحظ الأوفر من رحمته ﷺ)[1].

* **ثم الناس في شهود وساطته ﷺ[2]: (على أربع مقامات،** كما قال الشيخ عبد الرزاق العثماني[3]:

- **الأول**: موقف أهله شهود شريعته، وهو لعامة المؤمنين.
- **الثاني**: موقف أهله شهود ذاته، وهو للأولياء والصالحين.
- **الثالث**: موقف أهله شهود روحه ﷺ، وهو للشهداء والصديقين.
- **الرابع**: موقف أهله شهود سره ﷺ، وهو للأنبياء والمرسلين.

---

(1) «مشارق الأنوار في انتقاء صحيح الآثار» للإمام القاضي عياض (ت544هـ) (ج1 ص285 – 286).

(2) من «شرح» العلامة ابن زكري الفاسي على «الصلوات النبوية» للقطب ابن امشيش، «الإلمام والإعلام» (ص227 ـ 235).

(3) لعل العلامة ابن زكري الفاسي كان يقصد: عبد الله بن عبد الرزاق المغربي المكناسي العثماني (العثمانية بطن من مختار حوز مكناسة الزيتون) الصوفي المالكي، ولد سنة 945 وتوفي سنة 1027. من آثاره: «الأشباه في هدى عبودية العبد إلى مولاه.» بداية السلوك إلى بساط مالك الملوك»، و«سلاح أهل الإيمان في محاربة الشيطان بالصلاة وتلاوة القرآن». «نشر المثاني» ضمن «موسوعة أعلام المغرب» (ج3 ص1237)؛ و«طبقات الحضيكي» (رقم 642 ص494)؛ و«اليواقيت الثمينة» للأزهري (ص187)؛ و«سلوة الأنفاس» للكتاني (رقم 785 ج2 ص370)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج4 ص97)؛ و«هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي (ج1 ص474)؛ و«إيضاح المكنون» للبغدادي (ج1 ص86وص167) وفي (ج2 ص19)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 8028 ج6 ص253).

وكل صاحب مقام واقف فيه عند حده متحقق بقصوره عن إدراك ما خصّ به من مواهب ربه:

1 ـ فمن كان مشهده شريعته ﷺ: فهو واقف مع شهود التكليف، وعلى القطع أنه لـم يطق الاحتواء على جميع لوازمها، ولا القيام بجميع شروط قاعدة من قواعدها، كما قال ﷺ: «**إن هـذا الدين متين خذوا منه ما استطعتم**»[1]؛ و«**لن يشادّ الدين أحد إلا غلبه**»[2]، ولـم يقم فيه بجميع حقوق ربه إلا هو ﷺ، فهو كنخلة اجتمعت فيها أقوات الخلق، أصلها في الأرض، وفرعها في السماء، وهي مثمرة من أرضها إلى منتهى فرعها، وكل واحد من الخلق في أخذ قوتهم منها على حسب قوّته، ونهاية طاقته، ورأسها ممتنع من الجميع، لامتناع وصول البشر إلى السماء، فافهمْ.

فاستغراق همة صاحب هذا المقام في متابعة أقواله، وأفعاله، وفي ذلك لذة مشربه. وهذا المقام أصل، وما بعده نتائج، وأحوال ناشئة في طريقة السالكين، وإليه مرجع المجدوبين. **ووجه مشهد شريعته**: أنها حجاب بين العبد وسخط ربه، لكونها تورث العاملَ بها ظهورَ وصف جمال الله الذي هو بساط رحمته،

(1) رواه أحمد في «مسنده» (رقم 13052 ج20 ص346) بلفظ: «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق**»، وقال محققه: (حسن بشواهده، وهذا إسناد ضعيف)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (رقم 287 ج1 ص102)؛ وقال الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (برقم 221 ص315): (هذا حديث غريب الإسناد والمتن)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 3602 ج5 ص394) قال محققه: (إسناده ضعيف)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (برقم 5350 ج3 ص36).

(2) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب الدين يسر، رقم 39 ج1 ص22)؛ والنسائي في «سننه: المجتبى» (برقم 5034 ص516)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (رقم 5305 ج3 ص29).

وتستره عن وصف جلاله الذي هو بساط نقمته، وفناؤه في الله هو تركه لحظ نفسه عند مطالبته بحق من حقوق ربه، وأداء ما افترضه عليه. ففناء[1] هذا غيبة[2]، لا سكر[3].

2 - ومن كان مشهده ذاته ﷺ: فهو واقف في مقام هيبة الجمال، ولا سبيل له إلى إدراك حقيقتها برؤية البصر، فأحرى بالبصيرة؛ لمانع قوة نوره ﷺ كما امتنعت الأبصار من إدراك حقيقة الشمس، يشهدُ لذلك قول حسان رضي الله عنه في وصفه لما قدم عليه، ورجع إلى قومه، وهم كفار قريش، فقالوا: (صف لنا ما رأيت)، وبذلوا له مالًا على أن يهجوه بما يناسبُ بغضهم فيه، فقال:

لما نظرت إلى أنواره سطعتْ   وضعتُ من خيفتي كفي على بصري
خوفًا على بصري من حسن صورته   فلستُ أنظره إلا على قدرِ
الأنوار من نوره في نوره غرقت   والوجه مثل طلوع الشمس والقمرِ

---

(1) الفناء: سبق التعريف بهذا المصطلح صوفيا في (ص942).

(2) الغيبة: هي غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخَلق، لاشتغال الحس بما ورد عليه، ثم يغيب إحساسه بنفسه وبغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب. «الرسالة القشيرية» لأبي القاسم ابن هوزان (ص69).

(3) السكر: هو غيبة بوارد قوي، وهو زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطا إذا لم يكن مستوفيًا في سكره، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره، وتلك حال المتساكر - المتظاهر بالسكر - الذي لم يستوفه الوارد فيكون للإحساس فيه مساغ، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوي سكره، وربما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر إذا كان متساكرًا غير مستوف. والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة، ومقتضيات الخوف والرجاء. والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد، فإذا كوشف العبد بصفة الجمال حصل السكر وطربت الروح وهام القلب. «الرسالة القشيرية» لأبي القاسم ابن هوزان (ص71).

روح مــن النــور في جســم مــن القمر   كحلة نسجت في الأنجــم الزهُرِ[1]

فقالوا لـه: (ما هـذا؟)، فقـال: (هـذا الـذي رأيتُ)، وعـارٌ على الرجل يصف الكذبَ.

فصاحبُ مشهد ذاته ﷺ، هو بين محو وإثبات؛ لأنه إذا نظر إلى صورة بشريته جملة، شاهدَ بشرًا سويًّا، وإذا رام حصْر أوصاف بشريته، تمنع عليه حصرها، فلا يمكنه عند ذلك أن يقول إلا أنه بشر، وليس كالبشر، كما يقال في حجر الياقوت: (حجر وليس كالحجر)، واستغراقُ مهمة صاحب هذا المقام في وصف الأول، ويزيد عليه بأن مكارم أخلاقه جبلة لا تعلم، وإلا فالأول لا يخلو أمن وصف تعلمها. وفي هذا الوصف غرقت الهممُ العالية، وغرقت دونه الهمم الدنيّة.

ووجه مشهد ذاته ﷺ أنه حجاب رحمة بين العبد وهيبة ربه، لأنه بوجود ذاته الكريمة ظهر الإسلام، وذهبت عبادة الأصنام؛ ومن حُكمه شرعت الأحكام، ومن لسانه عُرف الحلال والحرام؛ فلولا واسطة بشريته ﷺ لـم يستطع أحد تلقي أمر الله، ونهيه من واسطة الملك، فأحرى من خطاب الملك. قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2]، فانظر إلى عظيم مقاماته في تلقي القرآن من جبريل، مع ما أودع الله فيه من القوّة والاستعداد لذلك، مما هو خارج عن طوق البشر، ومع ذلك يقول: «زملوني»[3]، ....

(1) هـذه القصيدة نسبت لحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أوردهـا العلامة ابن زكري في «شرح همزيته» مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 2474) (اللوحة 151)؛ وابن عجيبة الحسني في «الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري» (ص182).

(2) مـن سـورة آل عمران، الآية: 164.

(3) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق: باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء.. برقم 3238 ج2 ص298)؛ و (كتاب تفسير القرآن: باب قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، =

وتارة: «دثروني»[1]. وتارة: يبنى له «غطيط[2]، وعرق[3]» والجاري من أحواله، أنه يغيب عن حسه حين تلقي الوحي، والصحابةُ لما تلقوه من بشريته، لم يصعب عليهم ذلك، ومن بعدهم كذلك.

ووجه فنائه في الله: تركه لدواعي الهوى، واستقامته ظاهرًا، وباطنًا على بساط التقوى، فهو وإن كان عاملًا على أمر الله، لكن بواسطة المبلغ عن الله، وفناء هذا غيبة لا سكر[4].

3 ـ ومن كان مشهده روحه ﷺ: فهو واقف في مقام هيبة الجلال، وفناؤه

= برقم 4925؛ ورقم 4926 ج3 ص275)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم 160؛ ورقم 161 ج2 ص254 وص259).

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب تفسير القرآن: باب قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ برقم 4922 وبرقم 4924 ج3 ص275)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم 161 ج2 ص259).

(2) **الغطيط**: قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ج3 ص372): الصوت الذي يخرج مع نَفَس النائم، وهو ترديده حيث لا يجد مَساغاً. وكان ﷺ يُسمع له أثناء نزول الوحي عليه غطيط كغطيط البَكر، وهو الفتي من الإبل. رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب العمرة: باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج، برقم 1789 ج1 ص391)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الحج: باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة، برقم 1180 ج5 ص15).

(3) قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقًا). رواه الإمام مالك في «الموطأ» (كتاب القرآن، برقم 7 ص109)؛ والبخاري في «صحيحه» (كتاب بدء الوحي: باب منه، برقم 2 ج1 ص11)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفضائل: باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، برقم 2333 ج7 ص425).

(4) من «شرح» العلامة ابن زكري الفاسي على «الصلوات النبوية» للقطب ابن امشيش، «الإلمام والإعلام» (ص227 ـ 235).

حقيقي، لأن سره فارق الخلق، واستوطن عالم الأمر[1]، تبعاً لمشهوده، وهو روحه ﷺ، فليس له مع غير الله قرار، ولا عن ما سواه أخبار. واستغراق مهمة صاحب هذا المقام المعبر عنه بـ« مركز البصيرة في وصف المقامين السابقين»، ويزيد عليهما بالخروج في جميع تلقيّاته عن العادة، إلى صون الحكمة، وبث الإفادة تبعا لمشهوده، لأن الروح[2] لا حكم للعادة عليها، ....

(1) **عالم الأمر وعالم الملكوت وعالم الغيب**: هو عالم الأرواح والروحانيات: لأنها وجدت بأمر الحق بلا واسطة مادة ومدة. «اصطلاحات الصوفية» لعبد الرزاق الكاشاني (ص124).

(2) **الروح**: قال القشيري في الرسالة القشيرية» (رقم 26 ص88): (اختلف أهل التحقيق من أهل السنة في الأرواح، فمنهم من يقول: إنها الحياة، ومنهم من يقول: إنها أعيان مودعة في هذه القوالب، لطيفة، أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ما دامت الأرواح في الأبدان).

وقال ابن عجيبة في «معراج التشوف لحقائق التصوف» (ص51): (والروح عبارة عن محل التجليات الإلهية، وكشف الأنوار الملكوتية).

وذهب الإمام الغزالي (ت505هـ) إلى أن: (الروح ليس بجسم يحل بالبدن حلول الماء في الإناء، ولا عرض يحل بالقلب والدماغ حلول العلم في العالم؛ بل هو جوهر، لأنه يعرف نفسه وخالقه، ويدرك المعقولات، فلا هو داخل في الجسم، ولا هو خارج عنه، ولا هو منفصل، ولا هو متصل، بل هو منزه عن الحلول في المحال، والاتصال بالأجسام، والاختصاص بالجهات. والأرواح عندنا أجسام لطيفة غير مادية خلافا للفلاسفة)؛

ويصنف الغزالي الروح بالنسبة للبشر إلى خمسة أصناف، لكل منها مستوى يعلو ما قبله. فالمستويات الأول والثاني والثالث تتعلق بالمدارك الحسية، والخيالية؛ والمستوى الرابع: هو الروح العقلي كما عند ابن سينا، وهو العقل المستفاد، والمستوى الخامس: هو الروح القدسي الذي يختص به الأنبياء وبعض الأولياء، وهو الذي تتجلى فيه معارف ملكوت السماوات والأرض. «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص1135).

والنفس[1] لا خروج لها عن ذلك، فهو يقوم بالحجتين، ويشتمل على الطرفين كل على حسب مطلبه، فيكون عند ذلك بشرا سويا.

وبالجملة: ففي كل واحد من هذه المقامات بداية، وواسطة، ونهاية، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[2]، وذلك لقوة الوارد وضعفه، وهما يظهران في طرف مكاسبه، وهي كثرة العمل وقلتُه، فعلًا كان أو ذِكرًا أو فكرًا، لأنه قيل: (بقدر ما يدخل القلب من التعظيم والحرمة، تنبعثُ الجوارح بالمسارعة في الخدمة، وبقدر المتابعة تكون المواجهة، وبقدر المواجهة تكون المشاهدة[3]، وبقدرها يكون الكشف، وبقدره تكون غيبة المشاهد في المشهود، وبقدرها يكون الفناء،

---

(1) **النفس**: عند الصوفية عبارة عما يُذم من أفعال العبد وأخلاقه؛ فالأول ما كان من كسب العبد كمعاصيه ومخالفته؛ والثاني ما كان من جبلته وطبيعته، كالكبر والحسد والغضب، وسوء الخلق وقلة الاحتمال، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة. **والروح**: عبارة عن محل التجليات الإلهية، وكشف الأنوار الملكوتية.

وذكر التهانوي (ت1158هـ) أن للنفس في اصطلاح الصوفية خمسة معان: (حيوانية، وأمارة، وملهمة، ولوامة، ومطمئنة، وكلها أسماء للروح، إذ ليس حقيقة النفس إلا الروح، وليس حقيقة الروح إلا الحق، فالنفس الحيوانية تسمى الروح، باعتبار تدبيرها للبدن فقط، ثم النفس الأمارة تسمى بها باعتبار ما يأتيها من المقتضيات، الطبيعية الشهوانية، وعدم المبالاة بالأوامر والنواهي. ثم النفس الملهمة، تسمى كذلك باعتبار ما يلهمها الله من الخير. ثم النفس اللوامة سميت كذلك باعتبار أخذها في الرجوع والإقلاع؛ ثم النفس المطمئنة باعتبار سكونها إلى الحق واطمئنانها به، ثم إذا ظهر على جسدها الآثار الروحية من علم الغيب وأمثال ذلك فليس لها إلا اسم الروح. «كشاف اصطلاحات العلوم والفنون» للتهانوي (ج2 ص1718)؛ و«معراج التشوف إلى حقائق التصوف» لابن عجيبة (ص51).

(2) من سورة البقرة، الآية: 60.

(3) سبق التعريف بمصطلح «المشاهدة» في (ص 823).

وبقدرها يبلغ العبد غاية المُنَا).

فمشاهدة جمال الحق وجلاله، إنما تظهر في مرآة ذاته ﷺ، وحقيقة ذلك لم يدركها أحد بفهمه، ولا يعلم ذلك إلا الذي خصه به[1].

4 ـ ومن كان مشهده سره ﷺ، فغاية إدراكنا من العلم فيما بينه وبينهم ما قال البوصيري: رَحِمَهُ اللَّهُ

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهمِ
وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهمِ
فإنه شمسُ فضل هم كواكبها ... يظهْرن أنوارها للناس في الظلمِ[2]

أي يظهرهم الله لخلقه بأنوار توحيده في ظلمة الشرك به، ليهدي الله بنورهم من شاء من خلقه، وتحق كلمة العذاب على الكافرين، وذلك على وجه النيابة عن نوره الأعظم قبل ظهور ذاته الكريمة، وكذا ورثته من أمته بعد غيبة ذاته، يدعون إلى الله تعالى تبعًا لدعوته، وتثبيتًا لشريعته، كما أشار إلى ذلك بقوله: **«علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»**[3]، أي: في النيابةِ عنه في دعوى الخلق إلى الله.

---

(1) من «شرح» العلامة ابن زكري الفاسي على «الصلوات النبوية» للقطب ابن امشيش، «الإلمام والإعلام» (ص227 ـ 235).

(2) «ديوان الإمام البوصيري» (قافية الميم، الأبيات 51 ـ 53 ص425).

(3) تحدث عنه الزركشي في «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» (الحديث الثامن ـ ص166) وقال: (لا يعرف له أصل)؛ والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (رقم 702 ص286)؛ والسيوطي في «الدرر المنتثرة» (برقم 294 ص148)؛ والفتني في «تذكرة الموضوعات» (ص20)؛ والملا علي «الأسرار المرفوعة» (برقم 298 ص247)؛ والكرمي المقدسي في «الفوائد الموضوعة» (برقم 81 ص101)؛ والعجلوني في «كشف الخفاء» (رقم 1744 ج2 ص64)؛ والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (رقم 47 ص286)؛ والألباني في «السلسلة الضعيفة» (برقم 466 ج1 ص679).

وأما وجه المناسبة في المادة منه، وإن وقع مطلقُ الإشتراك فيها، فلا قائل بالإشتراك في القدر بين حظ الأنبياء، وحظ الأولياء.

وقد كشف ذلك أبو يزيد[1] في قوله: (حظ النبي زق من عسل، وما رشح هو حظ الولي)[2].

وحاصل الأمر: إن أسرار الأنبياء والأولياء كلها مطوية في حشو لمحة من مواهب سره، ونقطة من فيض بحره، كما قال البوصيري:

وكلهم من رسول اللّه ملتمسٌ ... غرفًا من البحر أو رشفًا من الديمِ

وواقفون لديه عند حدهمُ ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكمِ[3]

وقد استبان من هذا، أنه لا غنى لأحد عن واسطته، وإلا فلا طاقةَ لسائر الخلق على شهود وصف الحق. ووجه ذلك أنه يكون مشهد العبد أوّلًا واسطة النبي ﷺ، فإذا تجلت لسره شمس الأحديّة[4]، ....

(1) أبو زيد البسطامي هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي (ت261هـ)، صوفي مسلم من أهل القرن الثالث الهجري، قال ابن خلكان: وله مقامات ومجاهدات مشهورة، وكرامات ظاهرة. «طبقات الصوفية» للسلمي (ت412هـ) (رقم 8 ص67)؛ «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار (رقم 14 ص167)؛ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (برقم 312 ج2 ص531)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 49 ج13 ص86)؛ و«الكواكب الدرية» للمناوي (رقم 257 ج1 ص651)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج3 ص269)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج3 ص235).

(2) «الرسالة القشيرية» لعبد الكريم بن هوازن القشيري (ت465هـ) (كرامات الأولياء ص356)؛ وفي «لطائف المنن» لابن عطاء الله (ص177).

(3) «ديوان الإمام البوصيري» (قافية الميم، الأبيات 39 ـ 40 ص424).

(4) الأحدية: مبالغة في الوحدة، وهي فوق التفريد، قاله ابن عجيبة في «معراج التشوف لحقائق التصوف» (ص57)؛ وقال عبد الرزاق الكاشاني في «معجم اصطلاحات =

استغرق نورها قمر المحمدية[1]، فغاب نور قمر المحمدية في غلبة شمس الأحديّة، لقرب البعض من البعض، كما يغيب ضوء القمر الحسي، في ضوء الشمس عادة عند تقارب منازلهمـا:

• ودليـل التقـارب على ما يليق ببساط التوحيد ما أومـأت إليه آية النجم: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[2].

فهـذه المنزلة ثابتة للنبي ﷺ، وهي له ذاتية ليلة الإسراء، وفيما بعدها روحية سرية، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**»[3]، مع أنه لا قائل بإسرائه في غير ما أخبر الله به.

وهذه المنزلة، وإن نـالها ﷺ في عالـم العزة، في مقام لـم يصل إليه غيره من سائر البشر، فلم يزل قربه من ربه على نحو ذلك في عالـم الملك، للاستواء في عدم حلول الحق في المكان، وثبوت إحاطة علمه بعلوي الموجودات وسفليها، ومحل الدنو على معنى ما يليق بمقام الألوهية في عالـم الملك قلبُ المومن، حيث خُلق برزخا جامعا وسع الكـون والمكوّنُ: وسع الكون في اتقانِ كل حكمةٍ، وقبول كل نعمة؛ ووسع المكون علمًا، ومعرفة، ووقف عندما حدّ له.

• **ودليـل الوسع حديث: «لا يسعُني أرضي، ولا سمائي، ووسعني قلبُ عبدي المؤمن»**[4].

= التصوف» (ص51): الأحدية: اسم الذات باعتبارها مع إسقاط الجمع. وينظر «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيلي (الفصل الحاس في الأحدية، ص47).

(1) سبق التعريـف بـ «الحقيقة المحمدية» في (ص860).

(2) سـورة النجـم، الآية: 8 – 9.

(3) سبـق تخريجه فـي (ص619).

(4) سبـق تخريجه فـي (ص833).

• ولما ثبت لقلب المؤمن أنه محل تجلي الحق سبحانه، وأن العبد لا يطيقُ شهود الحق لضعفه، جعل للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الاستعدادَ لذلك، وأعظمهم في ذلك نبينا محمد ﷺ، إذ هو واسطة الجميع. وبيان وصف القضية: أن أرباب الفناء، إذا غشيهم وارد المشاهدة، يكون إذ ذاك من كنز نظر بصيرة العبد قمر المحمدية، لأن ذلك غاية ما تطيق بصيرته، والنظر فيه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[1]، أي: في صورة رجل للإستئناس بالجنس، والرجوع إلى عالـم الحس.

ولما كانت البشرية لا تطيق مباشرة الملك، بعث الله لنا رسولًا من أنفسنا رحمة منه عنا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] الآية، فالمشاهد يشهد المشهود في مرآة سر الوجود، ولولا واسطته ﷺ لـم يطق العبد وصف المشاهدة لقوله ﷺ: (حجابه النور ولو بدت سبحات وجهه لاحترق ما أدركه بصره من خلقه)[3]، فهو ﷺ حجاب النور الحاجز بينه وبين خلقه كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[4] هـ[5].

وفي «حاشية الحزب الكبير» لسيدي عبد الرحمن الفاسي نفعنا الله به: (وقد نبه الحاتمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على نكتة فينبغي الاحتفاظُ بها، حيث قال: (اعلم أن كل ولي لله تعالى، فإنه يأخذ ما يأخذ بواسطة روحانية النبي ﷺ، فمنهم من يعرف

---

(1) مـن سـورة الأنعام، الآية: 9.

(2) مـن سـورة آل عمران، الآية: 164.

(3) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (برقم 493 ج1 ص396)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 19632 ج32 ص404)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب في قوله ﷺ: «إن الله لا ينام» برقم 195 ج1 ص135)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (رقم 627 ج1 ص420)؛ وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (برقم 7262 ج13 ص245).

(4) سـورة المائدة، الآية: 15.

(5) من شرح العلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ.) «الإلمام والإعلام» (ص232 ـ 233).

ذلك، ومنهم من لا يعرفه)، ويقول: (قال لي الله، وليس غير تلك الروحانية)) هـ.

وهو موافق لما أشار إليه سيدي أبو العباس المرسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: (إن الولي إنما يكاشف بالمثال، يعني كما يرى، مثل البدر في الماء وبواسطته، وكذلك الحقائق الغيبية، والأمور الإشهادية، مجلوة وظاهرة في بصيرة النبي ﷺ، وله عيانًا لا مثالًا، والولي لقربه منه، ومناسبته له لهديه بهديه، ومتابعته له يكاشف بمثال ذلك فيه. فظهر الفرق وثبتت مزية النبي ﷺ، وانتفى اللبس بين النبوءة والولاية، وصح ما أطبق عليه الأولياء من المحادثة، والمكالمة، وقولهم: «قيل لي»، ونوديت في سري» هـ[1].

وبه تفهم ما ذكرناه من أن الولي قد لا يستحضر وساطته ﷺ إذا استولى عليه الفناء[2]، واستغرقه الشهود[3]. فتدبره مع ما تقدم من غيبة نور قمر المحمدية في نور شمس الأحدية).

* وقوله: **((لذهب كما قيل الموسوط))**: أي: لفُقد ولم يوجد باعتبار وساطته في نعمة الإيجاد، ولاضمحل وتلاشى وهلك باعتبار وساطته في نعمة الإمداد. والظاهر أنه أرادهما معًا لصحة استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه من

---

(1) «شرح حزب البر المعروف بالحزب الكبير للإمام أبي الحسن الشاذلي» لعبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت1036هـ) تح: محمد عطيه خميس (ص123)؛ ونقله العلامة ابن زكري (ت1144هـ) في «الإلمام والإعلام» (ص235)؛ وذكره ابن عجيبة الحسني في «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» (عند الآية 6 من سورة الأحزاب ج4 ص409).

(2) سبق التعريف بمصطلح «الفناء» في (ص 942).

(3) **الشهود** – عند الصوفية – هو: ما يبلغه الصوفي من مقام الإحسان، أو مقام الجمع، حيث يرى الله في كل نفس من أنفاسه. قيل: الشهود هو رؤية الحق بالحق. ينظر «التعريفات» للجرجاني (برقم 1047 ص132)؛ «اصطلاحات الصوفية» للكاشاني (ص171)؛ و«كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (ج1 ص 1044)؛ وفي «موسوعة المصطلح في التراث العربي» الكتاني (ج2 ص1390).

ذلك أمْدَحُ) هـ[1].

وإلى هذا كله مع مزيد عليه، يشير الشارح العلامة ابن زكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه» الذي عبر عنه بالإشجاع الكاشفة عن كلام مشروحه القناع بقوله[2]:

• اللّهُمّ صَلِّ على من له تضاءلت الفهوم.

• اللّهُمّ صَلِّ على من عن الإحاطة بحقيقته تصاغرت إدراكات الخصوص والعموم.

• اللّهُمّ صَلِّ على من عجز أكابر العلماء عن كمال العلم به وإنما كان لهم منه القدر النسبي.

• اللّهُمّ صَلِّ على من لم يصل إلى الإحاطة بحقيقته نبي مرسل ولا ملك مقرب فضلًا عن عالِم متبحر ولا شيخ مُربي.

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال: (**يا أبا بكر، والذي بعثني بالحق لم يعلمني حقيقة غير ربي**)[3].

• اللّهُمّ صَلِّ على من دل هذا الحصر في حديثه على صدق أويس في قوله لأصحابه: (ما رأيتم من رسول الله ﷺ إلا ظله)[4].

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال أصحابه لأويس: (ولا ابن قحافة؟)، فقال: (ولا لابن قحافة)[2]، وعمم قوله.

• اللّهُمّ صَلِّ على من سئل على قول أويس فيه الشاذلي فقال: (هو صحيح، لما في الواقع مطابق).

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص238).

(2) المرجع نفسه (ص431 _ 437).

(3) سبق الإشارة له في (ص506 _ 507) و (ص858).

(4) سبق الإشارة له في (ص859).

• اللّهُمّ صَلّ على من قال فيه الشاذلي: (مقام علي إدراك نفسه، ومقام عثمان إدراك قلبه، ومقام عمر إدراك عقله، ومقام أبي بكر إدراك روحه؛ وأما حقيقته: فلم يعلمها إلا الخالق).

• اللّهُمّ صَلّ على من لما اختلفت مقامات الخلفاء اختلف ما أدركوه منه من الحقائق.

• اللّهُمّ صَلّ على من قال الخروبي: (لما غلب على علي علمُ الشرائع، وكان حاله الانبساط بها، أدرك نفسه الشريفة).

• اللّهُمّ صَلّ على من لما كان شأن النفس ألا تصمت وكل إلى نفسه بتبليغ علوم الشرائع المنيفة.

• اللّهُمّ صَلّ على من لما غلب على عثمان التفكر في العلوم أدرك قلبه الدائم الفكر.

• اللّهُمّ صَلّ على من لما غلب على عمر التدبر في العلوم أدرك عقله الصحيح التدبر المخلص الذكر.

• اللّهُمّ صَلّ على من لما غلب على أبي بكر علم الحقائق وكان حاله الانقباض عليها أدرك روحه القدسية.

• اللّهُمّ صَلّ على من لما كان شأن الروح الصمت وكل إلى روحه الشريفة علم أهل الخصوصية.

• اللّهُمّ صَلّ على من قال فيه بعض العلماء: (كل صاحب مقام من الأنبياء والأولياء ممتد منه وواقف عند حد قربه).

• اللّهُمّ صَلّ على من كلُّ صاحب مقام متحقق بقصوره عن إدراك ما خصّ به الرسول من ربه.

• اللّهُمّ صَلّ على من قيل في تمثيل وساطته هو: (كنخلة أصلها في الأرض وفرعها في السماء مثمرة من أصلها إلى أعلاها).

• اللّهُمّ صَلّ على من [منه] أخذ الخلق قوتهم منه[1] كل على حسب قوته وغاية طاقته ومنتهاها.

• اللّهُمّ صَلّ على من رأس نخلته ممتنع عن الجميع لامتناع وصول البشر إلى السماء فلا يدركون علاها.

• اللّهُمّ صَلّ على من لما لم يعرف الخلق حقيقته عجزوا عن الإتيان بما يستحقه من الثناء.

• اللّهُمّ صَلّ على من كلّت القدائحُ وتقاصرت السجايا عن بيان ماله من المجد والسّنا[2].

• اللّهُمّ صَلّ على من اعترف فحول الشعراء عن كمال مدحه بالعجز والقصور.

• اللّهُمّ صَلّ على من كان مدحه عندهم أصعب ما يحاولونه من الأمور.

• اللّهُمّ صَلّ على من صعب مدحه على البلغاء من أجل أن كل مبالغةٍ في حقه تقصيرٌ.

• اللّهُمّ صَلّ على من كل نظم بديع وسجع محكم رفيع في مدحه قليل قصير.

• اللّهُمّ صَلّ على من قيل في شأن ولده علي الرضى لأبي نواس: (ما لك لم تمدحه ولم تبين الخصال التي فيه).

---

(1) في الأصل: اللّهمّ صلّ على من الخلق في أخذ قوّتهم منه.

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص431 ـ 437).

• اللّهُمّ صَلّ على من لاحظ أبو نواس نسبته فقال:

لا أستطيع مدح إمام   كان جبريل خادما لأبيه[1]

* تفصيل لبعض ما شمله هذا الوجه:

• اللّهُمّ صَلّ على من تقاصرت الفهوم عن إدراك جلاله رحمة منك ولطفا.

• اللّهُمّ صَلّ على من لو ظهر كنه جلاله لتلاشت أفئدة الناظرين إليه مهابة وخوفًا.

• اللّهُمّ صَلّ على من تقاصرت الفهوم عن إدراك جماله وضاقت العبارات على الواصفين.

• اللّهُمّ صَلّ على من كان الفصحاء إذا راموا مدحه تبلّدت أذهانهم وصاروا متوقفين.

• اللّهُمّ صَلّ على من تقاصرت الفهوم عن إدراك جماله منة على الخلائق وفضلًا.

• اللّهُمّ صَلّ على من لو ظهرت حقيقة جماله لم يبق لناظر إليه عقلا[2].

* وجه آخر في التفصيل:

• اللّهُمّ صَلّ على من تقاصرت الفهوم عن إدراك عقله.

---

(1) البيت ذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» (ج3 ص270)؛ والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (عند ترجمة علي الرضا، برقم 125 ج9 ص389)، وفي «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» (ج5 ص129)؛ وابن تيمية الحراني في «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» (ج4 ص59).

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص431 ـ 437).

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من لم تصل الإدراكات للإحاطة بعُلى قدره وفضله.

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من تقاصرت الفهوم عن إدراك علمه.

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من عجزت العقول عن الإطلاع على كمال حلمه.

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من تقاصرت الفهوم عن إدراك خوفه وخشيته.

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من تقاصرت العقول عن حقيقة رجائه لفضل الله ورحمته.

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من تقاصرت الفهوم عن إدراك كمال عبوديته.

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من عجزت العقول عن استقصاء أوجه خصوصيته.

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من تقاصرت الفهوم عن معرفة زُهده ورفع همّته.

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من عجزت العقول عن إدراك تواضعه وتركه التميز في خدمته.

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من عجزت العقول عن إدراك شفقته ورحمته.

• وجه آخر: اللّهُمّ صَلّ على من تقاصرت الفهوم عن إدراك جوده الحسي والمعنوي.

• اللّهُمّ صَلّ على من عجزت العقول عن الإحاطة بأوجه مدده ونوره

الصديقي والملكي والنبوي[1].

*** وجه آخر يقابل الوجه الأول:**

• اللّهُمّ صَلّ على من شبه ببحرٍ عظيم سجت فيه الفهوم.

• اللّهُمّ صَلّ على من خفيت فيه ودقت فلم تظهر لها آثار ولا رسوم.

وجه آخر:

• اللّهُمّ صَلّ على من من له خضعت الفهوم وأذعنت واعترفت بالقصور.

• اللّهُمّ صَلّ على من كل معنى مما احتمله هذا النص عليه مقصور[1].

* قوله: **(فلم يدركه منا سابق ولا لاحق)**:

• اللّهُمّ صَلّ على من هو باعتبار ذاته النورانية على كل مخلوق سابق.

• اللّهُمّ صَلّ على من لم يدركه منا معشر الخليقة سابق عليه في الخليقة الطينية ولا لاحق[2].

*** وجه آخر:**

• اللّهُمّ صَلّ على من يقال على اعتبار أصالة نوره وخلق الأشياء منه هو الأول وهو السابق.

• اللّهُمّ صَلّ على من لم يدركه منا معشر الخليقة سابق باعتبارنا ولا لاحق[3].

---

(1) نقله المصنف عن «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص431 ـ 437).

(2) المصدر السابق. (ص438 ـ 441).

(3) المصدر السابق.

*** وجه آخر باعتبار مرجع الضمير:**

• اللّهُمّ صَلّ على من لا يتبادر إدراك غيرنا له بالكنه للمباينة له في الجنسية والاختلاف في العوارض واللواحق.

• اللّهُمّ صَلّ على من لم يدركه منا معشر الآدميين سابق ولا لاحق.

• اللّهُمّ صَلّ على من لا ينتقض هذا بإدراكه كحقائق الأجناس لأنه من خصوصياته.

• اللّهُمّ صَلّ على من لا ينتقض هذا بإدراكنا لما أدركناه منها لأن اعتمادنا فيه على توقيفاته.

• اللّهُمّ صَلّ على من المنفيّ تبادر إدراك غيرنا له لا أصل الإمكان.

• اللّهُمّ صَلّ على من يكفي انتفاء تبادر إدراك الغير له في تخصيص الضمير بجنس الإنسان.

• اللّهُمّ صَلّ على من لا يلزم من إحاطة عدم علم الملائكة بما خص به مستحيل.

• اللّهُمّ صَلّ على من انفراده عن جبريل في الإسراء بخرق الحجب وما بعده على هذا دليل[1].

*** وجه آخر:**

• اللّهُمّ صَلّ على من لا يتبادر إدراك غيرنا له بالكنه لتأخر خلق جسده عن زمانهم بما له من الصفات الشريفة واللواحق.

---

(1) نقله المصنف عن «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص438 ـ 441).

• اللّهُـمّ صَـلّ على من لـم يدركه منا معشر الأمة سابق ولا لاحق.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من لا يعارض هذا أخبار الأنبياء به وإطلاعهم على صفاته الماجدة.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من اطلاع الأنبياء عليه قبل وجوده من غير إحاطة من خصوصياتهم التي لا تشملها قاعدة.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من المقول فيهم: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[1]، كانوا معاصرين له وقت وجوده.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من شبهت معرفتهم به بمعرفة الأنبياء لتنزيلهم ما كان معروفًا عندهم من المشخصات على شخصه حال شهوده.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من لما كان الإدراك بالفهوم كان عدم إدراك كنهه ناشئًا عن قصورها.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من ظهرت في مدحه المذكور مغايرة النتيجة لمنتجها وجريان السببية على أسلوبها.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من أشير في هذه العبارة المادحة له إلى أنه لا مبالغة في استغراق الفهوم.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من نبّه في مدحه هذا على أن الواقع في نفس الأمر[2]، والثابت في الخارج هو ذلك العموم.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من جاءت هذه العبارة في مدحه محكمة وعلى المعنى المراد مطبقة.

---

(1) من سورة البقرة، الآية: 146.

(2) سبق التعريف بـ «الواقع» و«نفس الأمر» في (ص 696).

• اللّهُمّ صَلِّ على من لا يقدح في إفادتها لمدحه اختصاص لم يكن بالماضي، وكون اللاحق حينئذ لاحقًا باعتبار من سبقه.

• اللّهُمّ صَلِّ على من مدحه بهذا من قبيل ما لا يقدر فيه العامل بعد الواو دفعا للوهم.

• اللّهُمّ صَلِّ على من معنى مدحه هذا أنه لم يدركه سابق ولا يدركه لاحق فاستقام في الفهم.

• اللّهُمّ صَلِّ على من أرشدت لهذا المعنى في حقه أيضًا قرينة التعميم في الفهوم.

• اللّهُمّ صَلِّ على من كما استلزم عموم الفهوم في مدحه نفى الماضي فهو لنفي الآتي ملزوم.

• اللّهُمّ صَلِّ على من لا يعارض أحكام هذه العبارة في مدحه ما يتبادر من أنّ الأولى فلم يدركه سابق فضلا عن لاحق.

• اللّهُمّ صَلِّ على من سبب تبادر هذا في مدحه عدم استواء معرفة الأنبياء وغيرهم على الوجهين السابقين والصحابة وغيرهم على الأخير اللاحق.

• اللّهُمّ صَلِّ على من يجوز الأولوية في مدحه على الوجوه كلها التعبير بالسابق واللاحق[1].

*** قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة):**

• اللّهُمّ صَلِّ على من به استنار عالم الملك وهو حضرة الأجسام التي هي مظهر الأفعال.

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص438 ـ 441).

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من به أضاء عالم الملكوت وهو حضرة الأرواح التي هي مظهر صفات الجمال والجلال.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من به أشرق عالم الجبروت وهو حضرة الأسرار التي هي مظهر الذات المنزهة عن كل ما هو للمخلوقات كمال.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من معنى هذا أنه مرآة تجلي الذات والصفات والأفعال.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من لا يستغني عن وساطته ذو حظ من الشهود في حال من الأحوال.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من به صارت القلوب بشهود الفعل متحققة.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من به صارت الأرواح بشهود الفعل منك متحققة.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من به صارت الأوراح بشهود الصفات متحلية ولشهود الذات متشوقة.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من به صارت الأسرار بشهود الذات متنعمة ولأوقاتها فيه مستغرقة.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من رياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من فُهم من هذا أن أرض الملك ببذر نواله متفتقة.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من شبه الملكوت المزهَر به بالمتنزهات ودلّ على ذلك باسم الرياض.

• اللَّهُمَّ صَلِّ على من شبه الجبروت المنير به بالبحر الذي على حافتيه الرياض ودلّ على ذلك باسم الحياض.

• اللّهُمّ صَلّ على من شبه جماله بغروس الرياض ودلّ على ذلك بإضافة الزهر إليه.

• اللّهُمّ صَلّ على من شبهت أنواره بالماء الساقي ودلّ باسم الفيض عليه[1].

*** وجه آخر في تفسير العوالم:**

• اللّهُمّ صَلّ على من به استنار عالم الملك وهو ما يدرك بالحس والوهم.

• اللّهُمّ صَلّ على من به أضاء عالم الملكوت وهو ما يدرك بالعقل والفهم.

• اللّهُمّ صَلّ على من به أشرق عالم الجبروت وهو ما يدرك بالأول أو بالثاني في ثاني حال كما في الجنة فللطريقين فيه حظ وسهم.

• اللّهُمّ صَلّ على من بسريان أنواره صارت مدركات الحس والوهم واضحة مشرقة.

• اللّهُمّ صَلّ على من بمدده صارت العقول والأفهام في خزائن دخائر المعاني من سعتها منفقة.

• اللّهُمّ صَلّ على من به يصير الحس وما معه لما كان محجوبًا عنها من غرائب المدركات محققة[2].

*** وجه تخصيصُ الجبروت بالاستعارتين الأوليين والملكوت بالأخيرتين:**

• اللّهُمّ صَلّ على من بتجلي أسرار الذات فيه يحصل للعبد الفناء الأكبر.

• اللّهُمّ صَلّ على من بتجليها فيه يفنى العبد عن نفسه وعن فنائه ويصير بما كان أعلم أجهل وبما كان أجهل أخبر.

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص442 ـ 445).

(2) المصدر السابق (ص442 ـ 445).

• اللّهُمّ صَلّ على من بتجليها فيه يكمل شهود الصفات الذي هو ملتقى البحرين ووسط المنبر.

• اللّهُمّ صَلّ على من في تجلي الصفات فيه يلتقي السالك في ترقيه، والمجذوب في تدليه، لكن الأول بك، والثاني بك، فكماله أظهر.

• اللّهُمّ صَلّ على من لأجل ذلك التكميل كانت حضرة الجبروت ساقية بنوره لحضرة الملكوت وكان القرب فيها أكثر.

• اللّهُمّ صَلّ على من لأجل ذلك جعلت للجبروت المنير به الحياض وما يناسبها من الفيض والإنصباب.

• اللّهُمّ صَلّ على من لأجل ذلك جعلت للملكوت المزهر به الرياض وما يشاكلها من الزهر والإعجاب[1].

*** وجه آخر في معنى السقي من الجبروت:**

• اللّهُمّ صَلّ على من شبه الجبروت المنير به بالمشارب للأسرار.

• اللّهُمّ صَلّ على من استعمل للجبروت المنير به من أجل ذلك الحياض وفيض الأنوار[2].

*** وجه آخر في بيان ذلك على الشرح الثاني للعوالم:**

• اللّهُمّ صَلّ على من الإطلاع على حقائق الأشياء والوقوف على كنهها إنما يكون في حضرة الجبروت التي هي به مشرقة.

• اللّهُمّ صَلّ على من كمال السقي والري من نوره إنما يكون فيها فلذلك

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص442 ـ 445).

(2) المصدر السابق.

أثبت لها الحياض التي هي بفيض أنواره متدفقة[1].

* **قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوطُ)**[2]:

• اللّهُمّ صَلِّ على من لا موجود من الممكنات إلا وإليه استناده.

• اللّهُمّ صَلِّ على من لا شيء من العوالم إلا ومن مدده استمداده.

• اللّهُمّ صَلِّ على من هو الواسطة في نعمة الإيجاد، فلولا أصل وجوده ما وُجِدَ موجودٌ.

• اللّهُمّ صَلِّ على من هو الواسطة في نعمة الإمداد فلولا ثبوت وجوده لتهدمت دعائم الوجود.

• اللّهُمّ صَلِّ على من عالم إلا ومن علمه اقتباسه.

• اللّهُمّ صَلِّ على من لا عارف إلا ومن بحر معرفته إغترافه والتماسه.

• اللّهُمّ صَلِّ على من لا متخلق بخلق رباني إلا وخلقه الكريم عمدته وأساسه.

• اللّهُمّ صَلِّ على من العالم من العرش إلى الثرى إليه محتاج وبوجوده مربوط.

• اللّهُمّ صَلِّ على من لا شيء من الأشياء إلا وهو به متعلق ومنوط.

• اللّهُمّ صَلِّ على من بساط إحسانه بجميع الموجودات في جميع الأوقات مبسوط.

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص446 ـ 451).

(2) المصدر السابق.

• اللّهُمّ صَلّ على من أظهر في موضع الإضمار مدحا بمعنى التوسط حيث قيل: (إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوطُ).

• اللّهُمّ صَلّ على من الذّهاب المرتبُ على فقد توسطه هو عدم الكون بالنسبة إلى نعمة الإيجاد.

• اللّهُمّ صَلّ على من الذهاب المرتب على فقد توسطه هو الاضمحلال والتلاشي بالنسبة إلى نعمة الإمداد.

• اللّهُمّ صَلّ على من دلّ قولك: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، على أنه الواسطة في كل نعمةٍ.

• اللّهُمّ صَلّ على من قيل لجبريل: (هل نالك من هذه الرحمة شيء؟ فقال: نعم؛ أمنت بالثناء عليّ بسببك من النقمة)[2].

• اللّهُمّ صَلّ على من قال فيه المرسي: (جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا هو عين الرحمة)[3].

• اللّهُمّ صَلّ على من دلّ جعله عين الرحمة على أن أنواعها وأفرادها مكتسبة منه.

• اللّهُمّ صَلّ على من دلّ عموم العالمين على أن العالم من العرش إلى الفرش بوجوده مرحوم.

• اللّهُمّ صَلّ على من الملَك الذي لا يملأ العالم ونصفه وثلثه والذي يقوم مقام جميع الملائكة من روحه مسهوم.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(2) سبق توثيقه في (ص946).

(3) سبق توثيق القول في (ص945).

• اللّهُمّ صَلِّ على من ناداه العرش في أسرابه بلسان حاله: (جعلني أعظم خلقه فكان خوفي منه أعظم من خوف غيري).

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال له العرش: (كتب على قائمتي «لا إله إلا الله» فازداد لهيبة اسمه خوفي وعيل صبري).

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال له العرش: (كتب على قائمتي «محمد رسول الله» فسكنت وكان اسمك لقاحا لقلبي وطُمأنينة لسري).

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال له العرش: (أنت المرسل رحمة للعلمين ولا بدّ لي من هذه الرحمة من نصيب يشفي الغليل).

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال له العرش: (نصيبي منك أن تشهد لي بالبراءة مما نسب إليّ من الاستقرار المستحيل).

• اللّهُمّ صَلِّ على من أعرض عنه وجعل المراجعة في التخفيف عن أمته أهم شغله.

• اللّهُمّ صَلِّ على من كثر المفروض على أمته أولًا ليبقى لهم ثواب جملته بعد إسقاط جُله.

• اللّهُمّ صَلِّ على من جمعت لنا في الباقي ببركته أنواع العبادة تشريفًا وتكريما.

• اللّهُمّ صَلِّ على من هذه اللطائف من نتائج كونه بنا رؤوفًا رحيمًا.

• اللّهُمّ صَلِّ على من الناسُ في مشاهدة وساطته على أربع مقامات منحصرين.

• اللّهُمّ صَلِّ على من أولها موقف أهله شهودَ شريعته وهو لعامة المؤمنين.

• اللّهُمّ صَلِّ على من ثانيها موقف أهله شهود ذاته وهو للأولياء والصالحين.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن ثالثها موقف أهله شهود سره وهو للأنبياء والمرسلين.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن مُشاهدُ شريعته واقف مع شهود التكليف.

• اللّهـمّ صَـلّ على من وجه كون شريعته مشهدًا أنها حجاب بين العبد وسخطك وباب للتعريف.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن مُشاهدُ ذاته واقف في مقام هيبة الجمال.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن لا سبيل لمشاهد ذاته إلى إدراك حقيقتها بالبصر ولا بالبصيرة في حال من الأحوال.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن مشاهدُ ذاته بين إثبات ومحو.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن إذا رام مشاهد ذاته حصر أوصافها تعذّر عليه فغاب وإذا شاهد صورته البشرية على الإجمال عاد إلى الصحو

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن تخلّق مشاهدُ ذاته بأخلاقه جبلّة لا تكلف فيه.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن تخلّق مشاهد شريعته بأخلاقه لا يخلوا عن تعمل حتى في ذكره فقيه.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن وجه كون ذاته مشهدًا أنها حجاب بين العبد وما لا يطيقه من هيبة جنابك[1].

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن لولا وساطة بشريته لـم يستطع أحد تلقي الأحكام من واسطة الملك فأحرى من عظيم خطابك.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن مشاهدُ روحه واقف في مقام هيبة الجلال.

---

(1) «الإلمـام والإعـلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص446 ـ 451).

• اللّهُمّ صَلّ على من استوطن مشاهد روحه عالم الأمر تبعًا لمشهوده ولم يبق له في عالم الأعراض مجال.

• اللّهُمّ صَلّ على من ليس لمشاهد روحه عما سواك أخبار.

• اللّهُمّ صَلّ على من تخلق مشاهد روحه بأخلاقه جبّلة، وله على مشاهد ذاته في التخلّق زيادة.

• اللّهُمّ صَلّ على من يخرج مشاهدُ روحه في تلقياته عن العوائد؛ إذ لا حكم على الروح للعادة.

• اللّهُمّ صَلّ على من لا اطلاع على مقام مشاهد سره، ولا علم لنا بحقيقة حاله الشريف.

• اللّهُمّ صَلّ على من لا مناسبة بين الأنبياء والأولياء في الحظ منه إلا في مطلق معنى الدلالة والتعريف.

• اللّهُمّ صَلّ على من قال أبو يزيد[1] في الفرق بين حظ الطائفتين منه: (حظ النبي زق من عسل وحظ الولي ما منه رشح)[2].

• اللّهُمّ صَلّ على من أسرار الأنبياء والأولياء كلها مطوية في حشو بعض ما من مواهب سره لمحَ.

• اللّهُمّ صَلّ على من استبان من هذا أنه لا غنى لأحد عن وساطته.

• اللّهُمّ صَلّ على من قد لا يستحضر الفاني في التوحيد توسطه وإن كان حاصلًا لغاية حالته.

---

(1) أبو زيد البسطامي (ت261هـ)، سبقت ترجمته في (ص956).

(2) «الرسالة القشيرية» لأبي القاسم بن هوزان (ص356). وفي «لطائف المنن» لابن عطاء الله (ص177).

• اللّهمّ صَلّ على من إذا تجلت شمس الأحدّية في سر واحد استغرق نور قمر محمديته.

• اللّهمّ صَلّ على من يغيب قمر محمديته في شمس الأحدية الأعلى.

• اللّهمّ صَلّ على من وجه غيبة قمر محمديته في شمس الأحدية القرب المشار إليه بآية: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[1].

• اللّهمّ صَلّ على من يقرب للفهم غيبة نوره في شمس الأحدية غيبة نور القمر الحسي عند تقارب المنازل في الشمس الحسية.

• اللّهمّ صَلّ على من منزلة القرب المشار لها في الآية ثابتة له ليلة الإسراء ذاتية وفيما بعدها روحية سرية.

• اللّهمّ صَلّ على من التقاربُ بينه وبينك على معنى ما يليق ببساط التوحيد ومقتضى اليقين.

• اللّهمّ صَلّ على من أشار لبقاء تلك المنزلة في الروح والسر بقوله: (أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)[2] هـ[3].

* فتبيّن بهــذا كله عجز جميع الخلق عن إدراك حقيقة النبي ﷺ، وأنه إذا كانت حقيقته ﷺ لا تدرك، ولا تعرف حق المعرفة، فكيف بحقيقة الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو المطلوبُ.

ثــم اعلم أن النبي ﷺ هو الذي حجب جميع العقول حتى عقله ﷺ أن تجول في حقيقة الذات العلية كما قال الشيخ مولانا عبد السلام: (اللّهم إنه سرك

---

(1) سورة النجم، الآية: 8.

(2) سبق تخريجه في (ص619).

(3) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص446 ـ 451).

الجامع، الدال عليك، وحجابك الأعظم، القائم لك، بين يديك، اللَّهُم ألحقني بنسبه، وحققني بحسبه، وعرفني إياه...) لخ.

وقد تقدم[1]: (أنه ﷺ حجاب رحمة بين العبد وربه هيبة، ولولا واسطته، لم يستطع تلقي أمر الله ونهيه من واسطة الملك، فأحرى من خطاب الملِك.

وسبق أيضًا: أنه لولا واسطته، لم يستطع العبد وصف المشاهدة؛ لقوله ﷺ: **«حجابه النور، ولو بدت سبحاتُ وجهه لاحترق ما أدركه بصره من خلقه»**[2]، فمعنى كونه حجابا، أنه حجب الخلق عن الإضمحلال، والتلاشي، والهلاك الذي يوحيه التلقي والشهود، أي: هو الذي حجبت به خلقك عما ذُكر، فالخلق هم المحجوبون به عما ذُكر، لا عن التلقي والشهود، إذ به يتوصلون إلى ذلك.

وما أحسن إتيان الشيخ به بعد قوله: (الدال عليك)! فافهم.

وقال الشيخ جمال الدين[3] القاشاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لما مضى حكم سلطنة

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص248 ـ 249).

(2) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (برقم 493 ج1 ص396)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 19632 ج32 ص404)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان: باب في قوله ﷺ: إن الله لا ينام، برقم 179 ج2 ص294)؛ وابن ماجه في «سننه» (رقم 195 ج1 ص135)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (رقم 627 ج1 ص420)؛ وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (برقم 7262 ج13 ص245).

(3) عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد كمال الدين ابن أبي الغنائم محمد الكاشاني أو القاشاني (توفي نحو 730هـ/ نحو 1330م) متصوف شيعي. له تآليف منها: «كشف وجوه الغر لمعاني الدر»، وهو شرح لـ» تائية ابن الفارض» و«اصطلاحات الصوفية» و«شرح منازل السائرين للهروي» و«شرح فصوص الحكم لابن عربي». «كشف الظنون» لحاجي خليفة (ج1 ص107 وص266) و(ج2 ص1496 وص1263)؛ وفي «معجم المطبوعات» لسركيس (ج2 ص1540)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج3 ص350)؛ و«هدية العارفين» لإسماعيل =

الذات الأزلية، والصفات العلية، ببسط مملكة الألوهية، ونشر ألوية الربوبية، بإظهار الخلائق وتسخيرها، وإمضاء الأمور وتدبيرها، وحفظ مراتب الوجود، ورفع مناصب الشهود، وكانت مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة بغير واسطة بعيدًا جدًا لبعد لمناسبة بين عزة القدم وذلة الحدوث حكم الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتخليف نائب ينوبُ عنه في التصرف والولاية، والحفظ والرعاية، وله وجه في القدم يستمد به من الحق تعالى، ووجه في الحدوث يمد به الخلق، فجعل على صورته خليفة يخلفه في التصرف، وخلع عليه خلع جميع أسمائه وصفاته، ومكّنه في مسند الخلافة بإلقاء مقاليد الأمور إليه، وإحالة حُكم الجمهور عليه، وتنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه وملكوته، وتسخير الخلائق بحكمه وجبروته، وسماه إنسانًا لإمكان وقوع الأنس بينه وبين الخلق برابطة الجنسية، وواسطة الإنسية، وجعل له بحكمي اسمه الظاهر والباطن حقيقة باطنة وصورة ظاهرة، ليتمكن بهما من التصرف في الملك والملكوت، وحقيقته الباطنة هي الروح الأعظم وهو الأمر الذي يستحق به الإنسان الخلافة)، هـ[1]. المراد منه.

• ويحتمل أن يكون معنى كونه حجابًا، أنه: منع العقول من العطب والوبال الذي يوجبه التفكر في أسرار الذات، حيث زجرها عن ذلك بقوله : «**تفكروا في مخلوقاته، ولا تتفكروا في ذاته**»[2].

= البغدادي (ج1 ص567)؛ و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (برقم 7167 ج2 ص137).

(1) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ص248). وقد أورده الحكيم الترمذي في "ختم الأولياء» (رقم 39 ص484).

(2) رواه هناد بن السري (ت243) في «الزهد» (برقم 946 ج2 ص469)؛ وابن حبان في «المجروحين» (عند الرقم 1144 ج2 ص430)؛ والطبراني في «المعجم الأوسط» (برقم 6319 ج6 ص250)؛ وابن عدي في «الكامل» (عند الرقم 2017 ج8 ص385)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (برقم 22 ج1 ص240)؛ واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» =

• ويحتمل أن يكون المعنى أنه: حجب أهل الإيمان والطاعة من العذاب بإرشادهم ودعائهم.

• ويحتمل أن يكون المعنى أنه: حجب الخلق بتأليفه بين قلوبهم من آفات التدابر والتقاطع.

• ويحتمل أن يكون المعنى أنه: حجب المؤمنين من نار الفرق والقطيعة، حيث وصل كلا منهم إلى حظه من المشاهدة على اختلاف مراتبهم.

• ويحتمل أن يكون المعنى أنه: حجب المؤمنين عن أخلاق أهل الجاهلية، وما كانوا عليه من الضلال، كقتل الجماعة بالواحد، وقتل الأولاد خشية الإملاق.

* وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(الأعظم)**: لا شك أن النبيين والمرسلين كلهم حجب الخلق بالمعاني المتقدمة، فمعنى الحجاب مشترك بينهم وبين نبينا ﷺ، ولكنه أعظمهم في ذلك المعنى وأبلغهم فيه إذ عنه أخذوه ومنه اكتسبوه"[1].

= (برقم 929 ج2 ص527)؛ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج6 ص67)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (برقم 618 ج2 ص46)؛ و(برقم 887 ج2 ص323)؛ والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (برقم 672 ج1 ص390)؛ وقال الذهبي في «العرش» (برقم 111 ج2 ص134): (إسناده حسن)؛ وأورده ابن القيم الجوزية في «الصواعق المرسلة» (ج4 ص1249)؛ وابن كثير في «تفسيره» (للآية 42من سورة النجم ج7 ص466)؛ والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (ج5 ص4)؛ والهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج1 ص81)؛ وابن حجر في «لسان الميزان» (برقم 8323 ج8 ص368)؛ وقال في «فتح الباري» (ج13 ص482): (سنده جيد)؛ وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (برقم 342 ص159): (أسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب القوة)؛ والسيوطي في «الدرر المنتثرة» (برقم 166 ص96)؛ والمناوي في «فيض القدير» (برقم 3349 ج3 ص263)؛ والعجلوني في «كشف الخفاء» (برقم 1005 ج2 ص311)؛ وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم 1788 ج4 ص395): (إسناده حسن في الشواهد).

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص250).

* وقـولـه: (القائم لك): أي: لأجلك تعظيمًا وإجلالا[1].

* وقـولـه: (بين يديك): كناية عن شدة القرب التي اختص بها عن غيره ﷺ[2].

* وقـولـه: (وعرفني إياه...) لخ[3]:

• هـذا من أجَلّ ما يطلب، وأسنى ما يُسأل، ويُرغب، فإن النبي ﷺ هو المرآة الكبرى للتجلي، والواسطة العظمى في التعريف للعالـم العلوي، والسفلي، فمعرفته ﷺ موصلة إلى معرفة الله تعالى، وعلى حسب معرفته تكون معرفة الله تعالى، وهو بابُ الله الأعظـم:

وأنـت بـاب الله أيّ امـرئ أتـاه من غيـرك لا يـدخُـل[4]

ولهذا قدّم سـؤال معرفته ﷺ على قوله: (وزجّ بي في بحار الأحديّة...) لخ، المتضمن طلب معرفته تعالى.

• وأيضًا فإن معرفته تمر مقام المحبوبية عند الله تعالى، وذلك أن محبة الله

---

(1) «الإلمـام والإعـلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص250).

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) المرجع نفسه (ص265 ـ 266).

(4) من قصيـدة مطلعهـا:

«مـا أرسـل الرحـمـن أو يـرسـل مـن رحـمـة تـصـعـد أو تـنـزل»

للولي محمد بن محمد بن أبي الحسن البكري، سبق الإشارة لها، في (ص550 ـ 551)، و(ص367)، كما أوردها في «جمهرة الأولياء «أبو الفيض المنوفي الحسيني (ج2 ص10)؛ وفي «شرح صلاة ابن مشيش» ابن عجيبة الحسيني (ص27)؛ وفي «فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها» لغالب بن علي العواجي (ج3 ص1012).

للعبد على حسب محبة العبد له ﷺ، ومتابعته إياه، ومحبة العبد على قدر معرفته به، وإطلاعه على جماله، وإحسانه، إذ لا سبب للمحبة إلا الجمال والإحسان، ولا شك أن لا جمال يشبه جماله كما يأتي بيانه ـ إن شاء الله ـ ولا إحسان يقارب إحسانه، إذ كل نعمة واصلة إلى منعَم عليه، أيا كان، فهي على يده، وبواسطته ﷺ كما سبق بسْطهُ، فلذلك طلب الشيخ معرفتَهُ ـ أي دوامها ـ وزيادة الترقي فيها، فمطلوبه المعرفة الخاصة الموصلة لما سبق، ولذا خصها بالصفتين المتعاطفتين، وفي ضمن سؤال هذه المعرفة المخصوصة سؤال القرب والرضى، فإن المعرفة التي لا جهل مضر معها لا تكون إلا مع القرب والتقريب، وهي في حقه ﷺ إطلاع على الأسرار المكنونة، والأنوار المصونة، فتستلزم الرضى عن العارف. وللاستلزام وجه آخر، وهو أن الإطلاع على تلك المحاسن والكمالات يضطر المطلع إلى تعظيمه وإجلاله ﷺ، لما يشهده مما يبهر قلبه، ويسبي لُبّه. ولله در القـائل:

تكامـل حُسـنُ الخلـق فيمـن أحبه فللّـه كـم عقـل لنـا حُسـنه سبـا[1]

وحينئذ يسارع إلى خدمته بكل ما يمكنه، ويقدر عليه، ويؤثر استرضاءهُ على هوى نفسه، ويشتاق إلى كل ما له رائحة من جنابه، وانتساب إليه)[2].

• وأيضًـا: (فالمعرفة به، وبأحواله، وسيره، يمكن معها مدحه، والثناء عليه، بالنثر، والنظم، وهو من أجل القرب)[3].

وعلـى الجمـلة[4]: (فالمحب متكلم بالحبيب أبدًا ما في سره أو في جهره،

(1) «الأنوار القدسية شرح القصيدة الهمزية للبوصيري» لأحمد ابن عجيبة الحسني (ص131).

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص265 ـ 266).

(3) المصـدر السابق (ص270).

(4) المصـدر السابق (ص273).

إن سكت سكت عليه، وإن تكلم تكلم به، ولجج[1] ذكره فائضة من قلبه على جوارحه. وأيضًا فالمعرفة به يتيسر معها استحلاه سماع حديثه وأخباره لفهم العارف لها فيستطيبها، ويحصل له بسماعها من التعظيم والإحترام والشوق ما لا يكيَّفُ؛ قال سيدي رضوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وما سمعت أذن كلامًا ونغمةً ... ألذّ وأحلى من حديث محمدِ[2]

وقال بعض العاشقين رَحِمَهُ اللَّهُ:

وما شرب الإيمان إلا فؤادُ من ... بأخبار خير الخلق قد ملا الأذْنا[3]

وأيضًا: فإن المعرفة به تحضر عند سماع اسمه من التلذذ والطرب بحسبها، إذ العارف يستحضر عند سماع الإسم، والمشخصات، والصفات، من عظمة المسمى ما لا يستحضره غيره، وراجع ما تقدم من بعض ما تضمنه اسمه محمد، وأحمد ﷺ.

• **وأيضًا**: فالمعرفة التامة به تستلزم القرب منه كما سبق، ومن قرب منه، والاه، كان ﷺ هو المتولي له، والكافي له، لا يكله لنفسه، ولا لغيره:

- قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (ما في الوجود من جعل الله له الحل والربط دنيا وآخرة مثل النبي ﷺ؛ فمن خدمَهُ على الصدق، والمحبة، والصفاء، دانت له رقاب الجبابرة، وأكرمه جميع المؤمنين، كما ترى ذلك فيمن كان مقربًا عند ملوك الدنيا، ومن خدمَ السيدَ خدمته العبيد. وكما أن

---

(1) لجّ في الأمر: تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه. «لسان العرب» لابن منظور (حرف الجيم: مادة لجج ج2 ص353).

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ).

(3) المصدر السابق (ص273).

غلام الوالي لا يتعرضُ له إذا أسكر مثلا، إكرامًا للوالي، فكذلك خدّامُ النبي ﷺ، لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة إكرامًا لرسول الله ﷺ، فقد فعلت الحماية مع التقصير ما لا تفعله كثرة الأعمال الصالحة مع كثرة الإستناد لرسول الله ﷺ الإستناد الخاص) هـ[1].

• **وأيضًا**: فإن المعرفة به تسهل تشخص صورته الظاهرة عند ذكره وسماع حديثه وأمره ونهيه وذلك أقوى الأسباب لرؤيته ويتصوره العارف له على هيئات عظيمة وحالات كثيرة)؛ انظرها[2] في «شرح» العلامة ابن زكري.

وقد ذكر بعدها أسئلة وأجوبة لا بد من ذكرها هنا ونصه[3]:

• **فإن قلتَ**: معرفته ﷺ تكتسب من مطالعة سيره، والبحث عن صفاته، وأخباره، وذلك مبسوط في كتب السير، فمن أرادها فليشتغل بذلك، فما معنى طلبها؟

قلتُ: معرفته ﷺ قسمان:

- معرفة صفاته الظاهرة، وأخلاقه الباطنة التي دلت عليها أحواله وأفعاله: وهذه كسبيّة موصلة لمقام الإيمان، ومراتبُها متفاوتة، فتفاوتُ الإيمان بحسبها، وهي التي تكفلت بها مطالعة كتب السير، لكن ذلك متوقف على الإلهام له والإقرار عليه، قال تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[4]، مع أن العبادة كسبية.

---

(1) المصدر السابق (ص 274)، نقلا عن «لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية» للشعراني (ص284).

(2) المصدر السابق (ص273 ـ 274).

(3) المصدر السابق (ص275 ـ 278).

(4) سورة الفاتحة، الآية: 5.

- ومعـرفة معناه وملكوتيته: فقد تقدم أنه كان بشري الظاهر، ملكوتي الباطن، وهذه وهبية لا مدخل للكسب فيها، فظهر وجه الطلب في القسمين؛ ووصف المعرفة المسؤولة بما يفيد كمالها، والواو في قوله: **(وأكرم بها من مواهب الفضل)**[1]، للترتيب، ولذلك قدم الصفة الأولى، إذ هي مفيدة للتخلية عن رذيلة الجهل، والثانية مفيدة للتحلية[2] بفضيلة العلم، والتخلية سابقة على التحلية.

• **فإن قلتَ**: السبقية غير معقولة: لا بحسب الحصول، ولا بحسب التعقل:

- **أمـا الأول**: فلأنهما متلازمان كالجوهر والعرض، إذ لا يحصل انتفاء عدم العلم بدون حصول العلم ولا يحصل العلم بدون حصول انتفاء عدم العلم.

- **وأمـا الثاني**: فلجواز أن يتعقل حصول العلم أولا ثم يتعقل انتفاء عدمه ثانيًا.

قلـتُ:

- **أمـا على أن الجهل وجودي**، وهو: تصور الشيء على خلاف ما هو، وأن التقابل بينه وبين العلم تقابل التّضاد؛ فغير متلازمين حصولًا، لجواز حصول تصور انتفاء الشيء على خلاف ما هو به بدون حصول العلم به كما في حق الغافل عنه.

- **وأمـا على أنه عدمي**، أي: عدم العلم بالشيء، وأن التقابل بينه وبين العلم تقابل العدم والملكة الذي بنيت السؤالَ عليه. فالسبقية معقولة بحسب التقصير

---

(1) «الإلمام والإعلام» العلامة ابن زكري (ص 276).

(2) **التحلية**: يرد مصطلح التحلي مقترنا بالتخلي، فالصوفية يعتبرون التربية أو الرياضة الروحية، ومجاهدة النفس تبدأ من تخلية القلب مما يشغله عن الله، أي إفراغه من كل أوصافه المذمومة. والتحلية هي ملؤه بالذكر والخشية والمناجاة. فالتخلية تسبق التحلية. «موسوعة مصطلح التراث العربي» للكتاني (ج1 ص494).

في صناعة الإلقاء والخطاب، فتصوّر التخلية أولا؛ ثم التحلية ثانيًا على مقتضى الترتيب الطبيعي، وهي التي سلك المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعلى الرأي الأول في الجهل، فالعطفُ من قبيل عطف أحد المتغايرين دون تلازم على الآخر.

وعلى الثاني: فمن قبيل عطف أحد المتلازمين على الآخر.

وعمم في الجهل ليشمل مركبه، وبسيطه، وعمم في الموارد المضافة له ليسلم من جميعها.

فإن قلت: كيف صحّ له ذلك مع قوله ﷺ: (لا يعلمني حقيقة غير ربي)[1]، فالعلم الذي لا جهل معه، لا يحصل لمخلوق بشهادة الحديث؟

قلتُ: الإستغراق في موارد الجهل **إضافي لا حقيقي**؛ أي: هُوَ بحسب ما يليق بالعبد، ودلّ على ذلك إدخال «مِن» التبعيضيّة في المعطوف، فإنه يفيد أنه لم يسأل العلمَ كله؛ أي: المحيط، إذ معنى «أكرع»: أشرب بالفم، بلا واسطة يدٍ، ولا آنية، فـ«من» بعده تبعيضية على حد: شربتُ من النهر.

• **فإن قلتَ**: لا يصح في موضعها «بعض»، إذ لا معنى لقولنا: «أكرع بعض موارد الفضل» فلم يوجد ضابطها.

قلتُ: العبارة على تقدير مضاف اقتضاه معنى الشرب، إذ المشروبُ منه المواردُ لا ذاتها. فالمعنى: «وأكرع بها من ماء موارد الفضل»، فيصح حلول «بعض» في محلها.

• **فإن قلتَ**: حينئذ ينعكس السؤال، فيقال: التبعيض في العلم المسؤول يرفع العموم الذي تفيده إضافة موارد الفضل مع أنه مراد.

---

(1) سبقت الإشارة له في (ص506 ـ 507)؛ وفي (ص856).

قلــتُ: التدافع مشروط باتحاد المحل، وهو هنا مختلف، فمحل التبعيض ما في الموارد الذي يفيده المضافُ المقدرُ ومحل التعميم نفس الموارد ولا يلزم من التعميم فيه التعميمُ في الأول و«من» الداخلة على الجهل موارد لإفادة العموم، إذ هي بعد النفي ضمنًا؛ فإن معنى «أسلم»: «لا أقع»، ومدخولها نكرة معنى إذ هو مضـاف لذي «ال» الجنسية، وفي كل من «موارد الجهل» و«مواهب الفضل» استعارة مكنية وتخييليّة. شبه الجهل بالمـاء الضار، ودل على ذلك بإثبات الموارد، وشبّه العلم بالمـاء النافع، ودلّ على ذلك بالموارد.

• فإن قلــتَ: كيف دل إثباتُ المواردِ على متنافيين في الصفة ـ أي الضرر والنفع ـ؛ فإن التابعَ لأحد المتنافيين غير تـابع للآخر.

قلــتُ: خصوص الصفة ـ أعني الضررُ والنفعُ ـ مستفاد من جوهر لفظ الجهل والفضل، والذي أفاده إثبات الموارد هو التشبيه بالماء فيهما، وإفاد الجهل المضاف إليهِ والعلم أن المشبه به الماء الضار والنافع فافهـم.

* وقــولــه: (من موارد الجهل)، أي: بــه[1].

* وقــولــه: (من مواهب الفضل)، أي: العلم به.

وعبّر عن العلم به بالفضل لتمحضه، أي: الفضل في الوهبي وأصالته في الكسبي:

• ويحتمــل أن يُراد من «موارد الجهل» بالله ومن «موارد الفضل»، أي: العلم بالله لأن معرفته ﷺ سبب في معرفة الله تعـالى.

• ويحتمــلُ أن يُرادا معًا، وهو أفيدُ.

• ويحتمــل أن يكون أشار بقــولــه ﷺ: «أسلمُ بها من موارد الجهل»، إلى أنه

(1) الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 278).

سئل المعرفة التامة المتضمنةَ للقرب، وهي التي لا جهل مضر معها وأشار بقوله و«أكرع بها من موارد الفضل» أي الكرمُ والعطاءُ والنوال والعطاءُ إلى الرضى والمحبوبية) هـ[1].



(1) «الإلمام والإعلام» لابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 278).

المقصد الخامس

في بيان كونه ﷺ ارتقت فيه الحقائق وأعجز بعلومه التي تنزلت فيه جميع الخلائق

اعلم أن هذا المقصد من أعظم المقاصد التي انبنى عليها الكتابُ، وكل ما ذكر فيه مطابق للمسألة التي سيق الكلام لأجلها، مطابقة لا شك فيها، ولا ارتياب. وقد أشار إلى ذلك الشيخُ القطبُ الكامل أبو محمد مولانا عبد السلام بن مشيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مطلع صلاته النبوية بقوله: (**اللَّهُم صل على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق**) هـ.

والغرض هنا: بيان قوله نفعنا الله به: (وفيه ارتقت...) لخ؛ وذلك أن فيه ـ باعتبار جملته ـ احتمالات ووجوها[1]:

* **أحدها: أن يكون أراد بـ«الحقائق»: علوم المعرفة؛ كما يتبادر من تعبيره** بـ«الحقائق»، ولا شك أنه ﷺ إمام أئمة العارفين، والمبين لجميع مقامات اليقين كما صرح به قوله: «**إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية**»[2]؛ وقوله: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**»[3].

---

(1) نقله المصنف عن كتاب «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 132 ـ 137).

(2) سبق تخريجه في (ص918).

(3) سبق تخريجه في (ص918).

فشبهت العلوم المذكورة بالشموس، والأقمار، وطويت الأركان سوى المشبّه، استعارة مكنية، ودل على ذلك بذكر الرديف الذي هو الارتقاء تخييلًا.

وشبه ﷺ بالسماء في المخلية لشروق الأنوار، كناية أيضًا؛ ودلّ عليه بالحرف المناسب للمشبه به، وهو «في» كما في: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[1]، فـ (ـال) في «الحقائق» على هذا للاستغراق النوعي، أي: نوع علم المعرفة، وفي الوصف بالوهبية في الشرح إشارة لذلك.

وفيه تنبيه على أن علمه ﷺ كان فطريًّا جبليًا، لا مكتسبًا. قال في «الشفا»: (وكان فيما ذكره المحققون مجبولًا على حُسن الأخلاق في أصل خلقته، وأول فطرته؛ لم تحصل له باكتساب، ولا رياضة، إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية، وهكذا سائر الأنبياء، ومن طالع سيَرهم منذُ صباهم إلى مبعثهم، حقق ذلك؛ كما عُرف من حال عيسى، وموسى، ويحيى، وسليمان، وغيرهم؛ بل غرزتْ فيهم هذه الأخلاق في الجبلّة، وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة) هـ[2].

والإضافة في: «سماء باطنه»، من إضافة المشبه به للمشبّه. وفيه إشارة إلى الاستعارة في الضمير.

وفي: «شموس»، إشارة لما في «الحقائق». وضمير روحه من إضافة المشبه به أيضًا، والتشبيه في التجلّي لكنه في المشبه متوال متتابع.

وفيه إشارة على أن علومه الوهبية، عن مشاهدة ومعاينةٍ، لا بمجرد الإلهام؛ ولما توالت التجلياتُ أشرقت في أفق سره الأسرار، التي هي دقائق ذلك العلم، وإن كان كله دقيقًا نفيسًا.

---

(1) من سورة طه، الآية: 71.

(2) «الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى ﷺ» للقاضي عياض (ط2006 دار الرشاد، ج1 ص70).

وحديث: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**»[1]، أخرجه البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ وذلك لأن الله جمع له بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين[2]، مع الخشية، واستحضار العظمة، والجلال على نهج لم يبلغه غيره.

وأئمة العارفين:

- يحتمل أن يكونوا: من كَثُرَ كلامه في الحقائق، والمعارف؛ كالعشرة، ومن ضاهاهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإن كلامهم في ذلك كثير، مسطور في التآليف.

- ويحتمل أن يكونوا من بعدهم ممن لخص ذلك وحرره وهذّبه وأكمل بيانه وتفصيله: كالجنيد[3]؛...

---

(1) سبق تخريجه في (ص918).

(2) علم اليقين: ما كان ناشئًا عن البرهان، وهو لأرباب العقول من أهل الإيمان. وعين اليقين: ما نشأ عن الكشف والبيان؛ وهو لأرباب الوجدان من أهل الاستشراف على العيان. وحق اليقين: ما نشأ عن الشهود والعيان، وهو لأهل الرسوخ والتمكين في مقام الإحسان. «التعريفات» للجرجاني (برقم 2045 ص255)؛ و«كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (ج2 ص1812)؛ و«معراج التشوف إلى حقائق التصوف» لابن عجيبة الحسيني (رقم 38، 39 و40 ص43)؛ وفي «موسوعة المصطلح» الكتاني (ج3 ص3098).

(3) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي (ت297هـ): أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري. قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: (هو من أئمة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة). صحب جماعة من المشايخ، واشتهر بصحبة خاله سري السقطي، والحارث المحاسبي، ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته وهو ابن عشرين سنة، وتوفي يوم السبت (سنة 297هـ). وقد صدر كتاب «رسائل الجنيد (أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة)» عن دار اقرأ، بتحقيق الدكتور جمال رجب سيدبي، الطبعة الأولى 2005م. «طبقات الصوفية» للسلمي (رقم 21 ص129)؛ و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (برقم 571 ج1 0 ص255)؛ و«تاريخ بغداد» للخطيب (برقم 3692 ج8 ص168)؛ وفي «الرسالة القشيرية» (رقم =

وسري[1] وأبي سليمان الداراني[2]؛ والحسن البصري[3].

وإيضاح المقامات: بيان حدودها وأسبابها، وعلاماتها وعلاجات أضدادها، وغير ذلك مما يتعلق بها؛ فإن كتابه الذي أُنزل عليه، وأحاديثه الثابتة، كفيلة بذلك،

= 65 ص430)؛ و«طبقات الحنابلة» للقاضي بن أبي يعلى (برقم 157 ج1 ص343)؛ و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (رقم 296 ص465)؛ و«تذكرة الأولياء» للعطار (رقم 43 ص370 ـ 391).

(1) هو أبو الحسن، سري بن المغلس السقطي، إمام البغداديين وشيخهم في وقته، (ت 251هـ)، وهو خال الجنيد وأستاذه، وهو تلميذ معروف الكرخي من كبار المتصوفة. بغدادي المولد والوفاة. وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية. «طبقات الصوفية» للسلمي (رقم 5 ص51 ـ 58)؛ و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (برقم 469 ج10 ص116)؛ و«تاريخ بغداد» للخطيب (رقم 4722 ج10 ص260)؛ وفي «الرسالة القشيرية» (رقم 47 ص417)؛ و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (رقم 272 ص445)؛ و«تذكرة الأولياء» للعطار (رقم 30 ص305 ـ 314)؛ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (رقم 256 ج2 ص357)؛ و«العبر» للذهبي (ج1 ص363)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 65 ج12 ص185)؛ و«لسان الميزان» لابن حجر (برقم 3368 ج4 ص24).

(2) سبقت ترجمته في (ص922).

(3) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري (ت 110هـ)، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه وحنكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي ﷺ. كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الشجعان النساك، كان غاية في الفصاحة، وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. له «كلمات سائرة» و«كتاب في فضائل مكة». «الطبقات الكبرى» لابن سعد (رقم 3883 ج9 ص157)؛ و«التاريخ الكبير» للبخاري (رقم 2503 ج2 ص289)؛ و«الثقات» لابن حبان (ج4 ص122)؛ و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (برقم 169 ج2 ص131)؛ و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (رقم 500 ص624)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (رقم 156 ج2 ص69)؛ و«تهذيب الكمال» للمزي (رقم 1216 ج6 ص95)؛ و«العبر في خبر من غبر» للذهبي (ج1 ص103)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 223 ج4 ص563)؛ و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (ج1 ص388)

ومتضمنة له ـ مقام المحبوبية مثلًا ـ؛ بيّن أن سببه اجتذاب الله، واصطفاؤه.

قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[1]؛ **وعن عمر:** أنه ﷺ نظر إلى مصعب بن عمير[2] مُقبلًا، وعليه إهابُ كبش قد تنطق به، فقال النبي ﷺ: «**انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله تعالى قلبَه، لقد رأيته بين أبوين يغذُوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله، ورسوله إلى ما ترون**»[3].

تضمنت الآية والحديث أن المحبة أخذة من الله لقلب من أحب، حتى لا تبقى فيه بقية لغيره، وبيده في الوصول له، والقرب منه جميع المحبوبات، والملذوذات.

– **وقوله:** «**المرء مع من أحب**»[4]، بيّن به نتيجتها وثمرتَها وأنها الوصال، والشهود.

---

(1) من سورة المائدة، الآية: 54.

(2) مصعب بن عمير العبدري القرشي (ت3هـ)، يكنى أبا محمد. كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إلى الإسلام، أسلم في دار الأرقم، وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه. قاتل دون رسول الله ﷺ في غزوة أحد ومعه لواؤه حتى قتل. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (رقم 57 ج3 ص107)؛ و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (برقم 12 ج1 ص106)؛ و«الاستيعاب» لابن عبد البر (رقم 1559 ص703)؛ و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (برقم 17 ص142)؛ و«أسد الغابة» لابن الأثير (رقم 4938 ص1133)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 7 ج1 ص145)؛ و«الإصابة» لابن حجر (رقم 8276 ص1418)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج7 ص248).

(3) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج1 ص108)؛ وفي «الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية» (رقم 45 ص89)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (برقم 5779 ج8 ص255). وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج36 ص333).

(4) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأدب، باب علامة حب الله عَزَّوَجَلَّ، برقم 6168 ج4 ص105)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، برقم 2640 ج8 ص236).

– وأشـار لعلاماتها بقوله: «وعلامة ذلك مِنهُ أنه يودُّ رؤيتي بجميع ما يملك لهـا»[1].

– وإلى الجالب لها، والمعين عليها بقوله: «أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله تعالى»[2].

– وإليهما معاً بقوله: «اللَّهُـم ارزقني حبك، وحب من أحبك، وحب ما يقربني إلى حبك، واجعلْ حبك إليّ من الماء البـارد»[3].

– وإلى أن قوتها تتضمن الشغل عن غير المحبوب، بقوله لمن قال: (إني

(1) من حديثه ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني، ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم». رواه: البخاري في «صحيحه» (كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، برقم 3589 ج2 ص378)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفضائل، باب فضل النظر إليه ﷺ وتمنيه، رقم 2364 ج7 ص453).

(2) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (برقم 562 ج1 ص183)؛ وقال الترمذي في «سننه الجامع» (برقم 3789 ج6 ص126): (هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه)، قال محققه: (إسناده ضعيف)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (برقم 2639 ج3 ص38)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (برقم 4716 ج3 ص162): (هذا حديث صحيح الإسناد ولـم يخرجاه)؛ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج3 ص211)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (برقم 404 ج2 ص11)؛ وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (برقم 430 ج1 ص267)؛ والمزي في «تهذيب الكمال» (برقم 3320 ج15 ص64)؛ والذهبي في «ميزان الاعتدال» (برقم 4367 ج2 ص432).

(3) رواه الترمذي في «الجامع الكبير» (برقم 3490 ج5 ص472) وقال: (هذا حديث حسن غريب)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (رقم 3621 ج2 ص470): (صحيح الإسناد ولـم يخرجاه)؛ ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج1 ص226)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 410 ج2 ص16)؛ وضعفه الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (رقم 1125 ج3 ص256).

أحبك): «استعد للفقر»[1].

- وتتضمن اختباره بقوله لمن قال: (إني أحبّ الله: استعد للبلاء)[2].

- وثوريته ﷺ مقامات اليقين، يكفيك في فهمها أن الله بعثه، وما على وجه الأرض مؤمن فدعاهم وأنذرهم، فظهر في أمته من كمال الزهد، والصبر، والشكر، والرضى، وغيرها من مقامات اليقين، ما لم يُعهد في أمةٍ، وتصفح حال أهل الصفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم يريك العجب العجاب[3].

* **الثاني: أن يكون أراد بـ «الحقائق» جميع العلوم؛** فتكون (ال): للاستغراق الحقيقي، وتقرير الاستعارة على ما تقدم.

ولما أراد الله تعالى إظهار سيادته بجميع الخلق، وتقدمه عليهم، وكونه موضع نظره منهم الذي به يدر عليهم متنوعات رزقه. ركّب فيه أكمل العقول، وأوسعها؛ فوسع من العلوم والمعارف ما لم يتأهّل له عقل مخلوق، وبلغ في

---

(1) رواه أحمد في «مسنده» (رقم 11379 ج17 ص471): قال محققه: (إسناده ضعيف)؛ وقال الترمذي في «سننه» (رقم 2350 ج4 ص170): (هذا حديث حسن غريب)، قال محققه: (ضعيف)؛ والبزار في «مسنده» (رقم 6222 ج12 ص341)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 155 ج18 ص83)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (رقم 7944 ج4 ص367): (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)؛ والبغوي في «شرح السنة» (برقم 4067 ج14 ص268)؛ والمزي في «تهذيب الكمال» (ج12 ص398)؛ وأورده الهيثمي «كشف الأستار» (برقم 3595 ج4 ص229)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 1397 وبرقم 1398 وبرقم 1399 ج3 ص62).

(2) رواه ابن حبان في «صحيحه» (برقم 2922 ج7 ص185) قال محققه: (إسناده ضعيف)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 155 ج18 ص83)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 1400 ج3 ص64) قال محققه: (إسناده ضعيف).

(3) نقله المصنف عن «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 132 ـ 137).

مكانه العلم بأحكام الله وأيامه، وسياسة خلقه وتأديبهم، وما يصلح معاشهم ومعادهم، مبلغا لم يصل إليه أحد من الخلق، وتعويل أهل المنقول عليه واضح، وكذا أئمة المعقول لحقيقة كلامه، وإصابة نظره:

• ففي الأصول: (أن ترك الاستفصال يتنزل منزلة العموم في المقال)(1)، لقوله ﷺ لغيلان الثقفي(2)، وقد أسلم على عشر نسوة: «**أمسك أربعًا وفارق سائرهن**»، لم يستفصل هل تزوجهن معًا أو مرتبًا، فلولا أن الحكم يعم الحالين لما أطلق؛ لامتناع الإطلاق في محل التفصيل المحتاج إليه.

• ولا شك أنه ﷺ أعلم بكل فن من أهل ذلك الفن، وكيف لا؟ ومنه اقتبسوا واغترفوا، وقد قال ﷺ: «**أنا مدينة العلم؛ وعليٌّ بابُها**»(3)، وما من عالم ضربت له

---

(1) هذه قاعدة أصولية مهمة للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واستعملها جمهور أهل العلم من بعده. ينظر «المحصول في أصول الفقه» لابن العربي المعافري (المسألة السابعة ترك الاستفصال ص78)؛ و«البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي (مباحث العام: فصل في العموم المعنوي: ج3 ص148)؛ و«المحصول» لفخر الدين الرازي (ت606هـ) (الكلام في العموم والخصوص: القسم الأول: الشطر الثاني: المسألة التاسعة، ج1 ص392)؛ و«الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام» للسهيلي (ج7 ص339)؛ وفي «المهذب في علم أصول الفقه المقارن» لعبد الكريم النملة (ج4 ص1589).

(2) هو غيلان بن سلمة الثقفي (ت23هـ)، حكيم وشاعر، أسلم يوم الطائف وعنده عشرة نسوة، فأمره النبي ﷺ أن يمسك أربعة ويفارق الباقي. رواه عبد الرزاق الضيعاني في «المصنف» (برقم 12621 ج7 ص162)؛ وأحمد في «مسنده» (برقم 4609 وبرقم 4631 ج8 ص220 وص251) قال محققه: (حديث صحيح بطرقه وشواهده)؛ وابن ماجه في «سننه» (برقم 1953 ج3 ص131)؛ والترمذي في «الجامع الكبير» (برقم 1128 ج2 ص421)؛ وابن حبان في «صحيحه» (برقم 4156 ج9 ص453)؛ وصححه الحاكم في «المستدرك» (رقم 2781 ج2 ص210)؛ ورواه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (برقم 1083 ص598).

(3) رواه الترمذي في «الجامع الكبير» (برقم 3723 ج6 ص85) بلفظ: (أنا دار الحكمة وعلي بابها)، وقال عنه: (هذا حديث غريب منكر)؛ ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (رقم =

أكباد الإبل في أشتات العلوم العقلية والنقلية ممن تقدم أو تأخر، إلا وكلامه قدوة له، وإشارته حجة له.

• ومــن «تأمل حسن تدبيره ﷺ للعرب، الذين كانوا كالوحش الشارد، ومتصفين بالطبع المتنافر، المتباعد، كيف ساسهم، واحتمل جفاهم، وصبر على أذاهم، إلى أن انقادوا إليه، واجتمعوا عليه، وقاتلوا دونه أهليهم، وآباءهم، وأبناءهم، واختاروه في أنفسهم، وهجروا في رضاه أوطانهم، وأحباءهم، من غير ممارسة سبقت له، ولا مطالعة كتب، يتعلم بها سيَر الماضين؛ تحقق أنه أعقل العالمين»[(1)].

• ومن طالع سيَره، وكلماته الجامعة للحكــم، التي تتحير فيها عقول البلغاء، والحكماء، والكتب الجامعة لحديثه، وبديع سيرته، وعلمه بما في الكتب، وأخبار القرون الكثيرة الماضية، وقصص الأنبياء، والوقائع في الحروب، والمجادلات، وأمثاله النبوية، وتدبير الأحوال، وما يتعلق بها من أحكام الشرع في المعاملات، وغيرها، وبيان أصول الآداب التي تتأدب بها الناس في مجالسهم، ومحاوراتهم، كقوله ﷺ: «**أكرموا عزيز كل قوم**»[(2)]، ونهيه عن الملاحات، والمجادلة، وقوله:

= 11061 ج11 ص65)؛ وابن عدي في «الكامل» (رقم 27 ج1 ص311)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (برقم 4637 ج3 ص137): (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)؛ وابن عبد البر في «الاستيعاب» (ص532)؛ والسخاوي في المقاصد الحسنة (رقم 189 ص97)؛ والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (رقم 52 ص348).

(1) نقله المصنف عن «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ص137)؛ وهو ـ عن بعضهم ـ في «عوارف المعارف» للإمام شهاب الدين عمر السهروردي (ت 632هـ)؛ وقد ذكره القسطلاني (ت923هـ) في «المواهب اللدنية» (ج2 ص331)؛ والصالحي الشامي (ت942هـ) في «سبل الهدى والرشاد» (ج7 ص12).

(2) من كلام الفضيل بن عياض. أورده البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (رقم 699 =

«**تهادوا تحابوا**»[1]، إلى غير ذلك مما ورد عنه في تعبير الرؤيا، والطب النبوي، وأنساب الناس، وفرائضهم، والمغيبات، وعجائب القدرة، والملكوت، تحقق بلوغ عقله النهاية، وعلمه إلى كل غاية، والارتقاء على هذين الوجهين، بمعنى الطلوع، والتجلي، أي الظهور.

• وفــي «الخصائص»: (أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ جمع بين الحكم بالظاهر والباطن معًا، وجُمعت له الشريعة والحقيقة، ولـم يكن للأنبياء إلا أحدهما، بدليل قضية موسى مع الخضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقوله: (إني على علـم لا ينبغي لك أن تعلمه أنت، وأنت على علم لا ينبغي أن أعلمه)[2])[3].

قال بعض العلماء: (وهذا دليل قوي موجب لخصوصية النبي ﷺ دون الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولكن إياك أن تعتقد خلو الأنبياء من العلم بالباطن، فإن ذلك يحكم به للولي فضلا عن النبي، ولكن بواطن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مستمدة الأنوار

= ص394)؛ وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (ج1 ص237): (هذا حديث موضوع عن رسول الله ﷺ)؛ والزركشي في «التذكرة» (الحديث الرابع عشر ص86)؛ والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (رقم 89 ص49)؛ والسيوطي في «الدرر المنتثرة» (برقم 14 ص47)؛ وفي «اللآلئ المصنوعة» (ج1 ص211)؛ وابن عراق في «تنزية الشريعة» (برقم 39 ج1 ص263)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (برقم 43299 ج15 ص830).

(1) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (باب قبول الهدية رقم 594 ص155)؛ وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (برقم 6148 ج11 ص9)؛ والطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم 7240 ج7 ص190)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 8568 ج11 ص301) قال محققه: (إسناده حسن)؛ والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (رقم 352 ص165)؛ والسيوطي في «الدرر المنتثرة» (برقم 170 ص98)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (برقم 15056 ج6 ص110).

(2) سبـق تخريجـه في (ص461)؛ وسيأتي برواية أخرى في بداية التتمة، (ص1435 ـ 1436).

(3) «الخصـائص الكبرى» (باب جمعه ﷺ بين القبلتين والهجرتين، ج2 ص327).

الباطنة من باطن النبي ﷺ، لأنهم كانوا نواباً عنه كما ورد؛ لا بالاستقلال دون إمداد نبينا ﷺ، ووجه اختصاص نبينا بما ذكر تكفيه ذلك من بحر غيب الله تعالى من غير واسطة، بل هو الواسطة لكل الخلق في مأخذ العلوم الظاهرة والباطنة، فرتبة نبينا في هذه العلوم، واطلاعه عليها قبل وجوده وبعده، وإمداده غيرهُ في الزمانيْن أيضًا، وجمعه بجميع جزئياتها وكليّاتها، خفيها وجليها، علوها وسفليها، دنيويها وأخرويها، إلى غير ذلك من التفاريع التي لا تحصى، لم ينلها نبي مرسل، ولا ملك مقرب. ومن هنا جاز لأمته الجمع بين الظاهر والباطن، وبين الحقيقة والشريعة، ووقع العدل والحفظ فيمن والاهم كالمشايخ يحفظون التلاميذ، والمريدين ظاهرًا وباطنًا؛ رُوي أن القطب الكامل سيدي أحمد الرفاعي الكبير الحسني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، دخل المدينة المطهرة في بعض السنين لزيارة النبي ﷺ بعد الحج، وكان له مريدون كثيرون، رجال ونساء، فاجتمع الفريقان عنده لأجل زيارته، فأنكر عليهم أهل المدينة وقالوا: حاشا لله أن يكون هذا من آل النبي ﷺ، قال الراوي: فأتى السيد أحمد المذكور إلى المقام، ووقف تجاه القبر الشريف وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي

---

(1) الرفاعي: الإمام، القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين، أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي (ت578هـ). قدم أبوه من المغرب، وسكن البطائح، بقرية أم عبيدة. وتزوج بأخت منصور الزاهد، ورزق منها الشيخ أحمد وإخوته. «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ج10 ص118)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (رقم 70 ج1 ص171)؛ و«العبر في خبر من غبر» للذهبي (ج3 ص75)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (رقم 28 ج21 ص77)؛ و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (برقم 578 ج6 ص23)؛ و«البداية والنهاية» لابن كثير (ج16 ص559)؛ و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (رقم 303 ج2 ص1)؛ و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (ج6 ص92).

وهــذه حضـرة الأشـبـاح قـد حضـرت فـامـد يمينـك كي تحضى بهـا شفتي[1]

قـال: فأخرج النبي ﷺ يده من الشباك الموازي للقبر الكريـم، فقبلها الشيخ المذكور، وندم الناس على ما قالوا، واعتذروا إليه، فقـال لهم الشيخ: (من جمع بين الرجال والنساء، ولـم يحفظ أحدهما من الآخر، فليس بشيـخ)، فدل على أن الشيخ الرفاعي حاكم في الباطن والظاهر، وهو من أكـابر الأمة رضي الله عنه، ولكن ذلك بحسب استمداده من النـور المحمدي لا مطلقًا، فافهم القواعد والأصولَ، والاندراج تحت أنوار الرسول) هـ[2].

ويـأتي لنـا - إن شـاء الله - ذكر قضايا من هذا القبيل في «التتمة الثالثة»، وبهذا تنبغي المعارضة عما قاله صاحب «العروة الوثقى» ونصه[3]: (كل من كان تصرفه في ظواهر الخلق فهو سلطان، ومن كان تصرفه في ظواهر الخلق وبواطن المؤمنين فهو مؤيد من عند الله تعالى. فإن كان مستغنيًا بنفسه في التلقي عن بشر مثله؛ فهو نبي. فالنبي سلطان في الظاهر، وليّ في الباطن، مستغن في إرشاد الخلق عن بشر مثله. فإذا اجتمعت السلطنة والولايةُ في شخص واحد؛ انتشر العدل في

---

(1) ذكرها أبو الفضل عبد القادر ابن مغيزيل الشاذلي في «الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة» (ص50)؛ وعبد الرؤوف المناوى في «الكـواكب الدرية في تراجم السـادة الصوفية» (برقم 410 ج2 ص220).

(2) المرجعيـن السـابقين؛ وقـال أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي (ت1085هـ) في «الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية» (باب كرامات الأولياء، ص189) مُعلقًا عليها: (لا ينكر مثل هـذا فيمن ثبت صـلاحه).

(3) صاحب «العـروة الوثقى» لعلـه [كما في «كشف الظنون» لحاجي خليفة (ج2 ص1133)، وفي «إيضاح المكنون» لإسماعيل البابانى (ج2 ص99)] أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري الأندلسي (ت668هـ)، سبقت ترجمتـه في (ص925).

الظاهر والباطن، وتمّ أمر معاش الناس ومعادهم على نحو أكمل وأفضل) هـ[1].

ووجه التوفيق، أن هذا إنما يحصل، ويوجد باستمداد من النور المحمدي، لا مطلقا.

• **الوجهُ الثاني في الارتقاء**[2]: (أن يراد به ارتفاع حقائق العلم بكمال التحقيق؛ إذ لا تحقيق يقاربُ تحقيقه، فضلًا عن أن يُساويهُ، لأنه أطلعه الله تعالى على حقائق الأشياء، على ما هي عليه؛ وعلوم العلماء لا تخلوا من احتمالات وظنون؛ ولهذا يخطِّئ بعضهم بعضًا، ويرد بعضهم على بعض، وتتبدّل آراؤهم في المسألة الواحدة، ويرحم الله مالكًا في قوله: (كل كلام يحتمل الرد والقبول، إلا كلام صاحب هذا القبر): يشير إليه ﷺ)[3].

وإلى هذا الوجه، والذي قبله، يشير العلامة ابن زكري بقوله:

محمد مطلع أنوار العلوم   من شمس عرفان وبدر ونجوم[4]

... إلخ الأبيات المتقدمة[5].

---

(1) «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» حسين بن محمد الدِّيار بَكْري (ت 966هـ) (ج1 ص7).

(2) هذا الوجه وما بعده، نقله المصنف عن العلامة ابن زكري الفاسي صاحب «الإلمام والإعلام» (ص137 ـ 148).

(3) ذكره الطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 11941 ج11 ص339)؛ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج3 ص300)؛ والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (رقم 30 ص107)؛ وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (رقم 897 ص312)؛ والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (برقم 464 ج1 ص441)؛ والهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج1 ص179)؛ والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (برقم 815 ص321).

(4) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص137).

(5) سبق ذكرها في (ص747).

فالارتقاء على الوجه السابق، بمعنى الظهور، وعبّر عنه الارتقاء، وبالطلوع في طلعت الشمس، لعلو المحل. وعلى هذا الوجه، وما بعده، بمعنى الارتفاع[1].

* **الثالث: أن يراد ارتفاعها بكمال البث والانتشار**؛ لكثرة الأخذين عنه، والناقلين إلى غيرهم، فإنه أكثر النبيئين اتباعًا يوم القيامة، وقد ورد أن: (أهل الجنة مائة وعشرون صفًا، أمته منها ثمانون، وسائر الأمم أربعون)[2].

وقد عمت دعوته الأقطار، وبلغت إلى جميع القرى والأمصار، وتعلم منه الإنس والجن والملائكة، ويحققُ لك هذا عموم بعثته. قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[3]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[4]، وقال: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[5]، والعالم: (هو ما سوى الله تعالى)[6].

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص137 ـ 148).

(2) رواه أحمد في «مسنده» (رقم 4328 ج7 ص349) وقال محققه: (حديث صحيح لغيره)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (رقم 31712 ج6 ص315)؛ والدارمي في «سننه» (برقم 2877 ج3 ص1873)؛ وابن ماجه في «سننه» (رقم 4289 ج5 ص350)؛ وقال الترمذي في «الجامع الكبير» (رقم 2546 ج4 ص306): (هذا حديث حسن)؛ ورواه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (برقم 5358 ج9 ص241)؛ والطحاوي في «شرح مشكل الآثار (برقم 366 ج1 ص337)؛ وابن حبان في «صحيحه» (رقم 7460 ج16 ص499)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 10350 ج10 ص208)؛ وفي «المعجم الأوسط» (رقم 1301 ج2 ص77)؛ وفي «المعجم الصغير» (رقم 82 ج1 ص67)؛ وقال الحاكم في «المستدرك» (رقم 273 ج1 ص155): (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)؛ والهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج10 ص403).

(3) من سورة الأحقاف، الآية: 29.

(4) من سورة الأنبياء، الآية: 107.

(5) من سورة الفرقان، الآية: 1.

(6) «التعريفات» للجرجاني (رقم 1164 ص148)؛ وفي «موسوعة المصطلح في التراث» =

وبعثه إلى الملائكة رجحها تقي الدين السبكي[1]، وقال ابن حجر الهيثمي: (هو الأصح عند جمع من المحققين)[2]؛ قال صاحب «المواهب»: (نقل بعضهم الإجماع على ذلك)[3]؛ وأشار القشيري إلى أن: (حكمة عُروجه إلى السماء تأدّبُ الملائكة بآدابه عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث لم يقف مع مقام ولا حال ولـمْ يلتفت إلى شيء من السّوى، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[4]، فللملائكة دخل في الاقتباس منه والاهتداء بهديه)[5].

* **الرابع[6]: أن يراد ارتفاعها فيه بكثرة الانتفاع المرتب على النشر المقصود بالذات منه**، وذلك بالعمل بمقتضى ما بثه ونشره، ولا شك أنه ترتب على تبليغه ودعائه ﷺ من أجناس العبادات، وأنواعها، وأصنافها، وأفرادها، ما لا يحيط به إلا علم العليم الخبير، حتى استأذنوه في الوصال فنهاهم عنه، واحتاج إلى أن يوصي

= للكتاني (ج2 ص1583).

(1) «فتاوى السبكي» (ج2 ص595)؛ ونقله محمد المهدي الفاسي (ت1109هـ) في «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات» (ص152)؛ وابن قاسم جسوس (ت1182هـ) في «شرح توحيد الرسالة» (ج2 ص510).

(2) «مطالع المسرات» (ص152)؛ وفي «شرح توحيد الرسالة» (ج2 ص510).

(3) «المواهب اللدنية» للقسطلاني القتيبي (المقصد السابع في وجوب محبته ﷺ: الفصل الثالث محبة آله وصحبه، ج3 ص380).

(4) سورة النجم، الآية: 17.

(5) نقله المصنف عن محمد ابن قاسم جسوس صاحب «شرح توحيد الرسالة» (ج2 ص510)؛ هذا الأخير نقله بتصرف عن «تفسير القشيري المسمى لطائف الاشارات» لعبد الكريم بن هوزان (ت465هـ) (سورة الإسراء الآية 1 ج2 ص180).

(6) هذا الوجه الرابع وما بعده نقله المصنف عن العلامة ابن زكري الفاسي صاحب «الإلمام والإعلام» (ص137 ـ 148).

بقوله: «**عليكم من الأعمال ما تُطيقون**»[1].

وكثرة الانتفاع ثابتة كمية وكيفية. فكم وقع على يديه من زهد، وصبر، ورضى، وشكر، ومحبة، وغيرها، ووقعت عظيمة بالغة الغاية.

ثم إذا اعتبرت ما ظهر لك بواسطة خلفائه، ونوابه اتسعَ نظرك، واستحضرتَ ما يبهرك؛ حتى يقول أبو العباس المرسي[2]: (ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه فأوصله إلى الله من حينه). ولقد نقل عن الشيخ مطر الباذرائي[3] أنه (ما وقع بصره على شيء عاص إلا صار طائعًا)، وأمثال هذا في أمته الشريفة أكثر من أن يحصى.

وفي «الصحيحين»: عن أبي موسى: أن رسول الله ﷺ قال: (**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكانت طائفة منها طيبة، قبلت الماء، وأنبتت الكلأ، والعشب الكثير؛ وكانت منها طائفة أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا، وسقوا، ورعوا؛ وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعهُ بما بعثني الله به، فعلم، وعلم؛ ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم**

---

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب التهجد: باب ما يكره من التشديد في العبادة، برقم 1151 ج1 ص54)؛ و (كتاب الصوم: باب صوم شعبان، برقم 1970 ج1 ص432)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب فضيلة العمل الدائم، برقم 782 ج4 ص101)؛ وفي (باب أمر من نعس في صلاته أن يرقد، برقم 785 ج4 ص103).

(2) سبقت ترجمته في (ص946).

(3) هو الشيخ مطر الباذرائي: من شيوخ العراق، أجمع العلماء على جلالة قدره وزهده. أخذ عن ابن الوفا، وله حكم ومواعظ. «الكواكب الدرية» لعبد الرؤف المناوي (رقم 447 ج2 ص308)؛ وفي «الطبقات الكبرى» للشعراني (رقم 267 ج1 ص262)؛ و«جامع كرامات الأولياء» ليوسف النبهاني (ج2 ص489).

يقبل هدى الله الذي أرسلت به) الحديث[1] .

* الخامس: أن يُراد ارتفاعُها فيه باجتماعها له على التمام، فإنه علم علْم الأولين والآخرين، وأوتيَ علمَ كل شيء، ويكفي في هذا استمداد اللوح والقلم من علومه، إذ هما مخلوقان، وعلمهما محصورٌ، وهو ﷺ ممد المخلوقات، وله علوم أخرى من ربه متزايدة أبدًا. ويرحم الله البُوصيري حيث يقول:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن عُلومك علم اللوح والقلم[2]

ويأتي تقريره بأوسع من هذا[3].

* السادس: أن يراد ارتفاعها بملازمة الوعظ والتذكير الذي هو روح العلم؛ فقد كانت مجالسه ﷺ مع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عامتها مجالس تذكير بالله، وترغيب، وترهيب: إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع من الدين كما أمر الله تعالى، فكانت تلك المجالس توجبُ لأصحابه رقة القلوب، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والإقبال على الله تعالى، والإدبار عن ما سواه[4].

* السابع: أن يراد ارتفاعها بتوفيتها حقها من بذلها للمستحق، وصونها عن غيره، وخطاب الناس على قدر عقولهم، وقد نهى ﷺ -الذي قال له: (علمني

---

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب العلم: باب فضل من علِم وعلّم، رقم 79 ج1 ص33)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفضائل: باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، برقم 2282 ج7 ص 388).

(2) «ديوان الإمام البوصيري» (قافية الميم البيت 154 ص439).

(3) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص137).

(4) المرجع السابق.

من غرائب العلم)[1]، عن طلب ذلك لعدم تأهله له، وأمره بأحكام ظاهر العلم، وقال: (خاطبوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذَّبَ الله ورسُوله)[2].

* **الثامن: أن يراد ارتفاعها فيه بجمعه ما افترق في النبيئين والمرسلين؛ مما يفترق به العلم ويعلوا؛** وهو وجوه كثيرة لا حصر لها، والمذكور هنا بعضُها، ولهذا تأخر بعثه عنهم، وختموا به، وفي ذلك من الفضل أنه اطلع على شمائلهم، وخصائصهم، وشرائعهم، وسائر أحوالهم[3].

* **التاسع: أن يراد ارتفاعها فيه بكمال ثمرتها؛** فكان إذا نظر إليه الناظر، ذكر الله، وكانت صفاتهُ وأفعاله، وأحواله، تذكر بالله. وقد تقدم أنه مرآة ومجلي لأسرار الذات، وأنوار الصفات[4].

* **العاشرُ: أن يراد ارتفاعها فيه بعدم التعلم والاكتساب:**

كفاك بالعلم في الأمي معجزةً ....[5]

---

(1) من حديث عبد الله بن المسور، أخرجه وكيع في «الزهد» (برقم 14 ص237 ـ 238)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (ج1 ص24)؛ وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (ج2 ص7)؛ وأورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (ج1 ص277 ـ 278). قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (ج1 ص91): (حديث: «إن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني من غرائب العلم» الحديث؛ رواه ابن السني وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما، وابن عبد البر، من حديث عبد الله بن المسور مرسلًا؛ وهو ضعيف جدًا).

(2) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب العلم: باب من خص بالعلم قومًا دون قوم، برقم 127 ج1 ص44)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (رقم 29318 ج10 ص247)؛ وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (رقم 2701 ص399) فعقب عليه محققه بقوله: (قلت: والموقوف هو الصحيح).

(3) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص140).

(4) المرجع السابق (ص141).

(5) من «ديوان الامام البوصيري» (البيت 139 ص437)، وقد جاء على النحو التالي:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة   في الجاهلية والتأديب في اليتم

فإنه لم يسبق له تعلم شيء من العلوم. فيشتبه العلم الموهوب بالمكتَسب ومع كونه لا يكتب، ولا يقرأ مكتوبًا أطلعه الله على علوم الأولين والآخرين، وجعله القدوة العظمى لجميع الخلق في كل علم، وحكم، وحكمة، وخلق حسَن، وكل كمال على الإطلاق:

• فللأطباء من الحديث أصول ألَّفَ فيها غير واحد، وجمع منها «الأربعون»[6]، وهيَ أكثر من ذلك.

• ولأئمة أصول الدين منه أصول، وقد جمع البكي أحاديث في أصول علم الكلام، في «شرحه على الحاجبية»[7].

• ولأئمة الطريقة منه أصول جمعها في «رسالة الشأنين»[8].

• وجمع الفقهاء أصول المذاهب في كثير من الكتب كَـ: «شروح الموطأ[9]»

---

(6) جملة من هذه المؤلفات المتنوعة والمختلفة والموسومة جميعها بـ«الأربعين» في «كشف الظنون» لحاجي خليفة (ج1 ص52 ـ 66)؛ وفي «إيضاح المكنون» لإسماعيل البغدادي الباباني (ج1 ص43 ـ 55).

(7) من شروح عقيدة ابن الحاجب (ت646هـ): «تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب» لأبي عبد الله محمد بن قاسم البكي الكومي (ت916هـ).

(8) لعلها «رسالة الشأنين: شأن الرب البدئي وشأن المعبود العودي» لأبي عبد الله محمد ابن قاسم البكي الكومي (ت916هـ)، تكلم فيها على أقسام الولاية ومراتبها على طريقة أهل التصوف. توجد منها نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس (برقم 15343). ينظر: مقدمة تحقيق «تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب» (ص21). أو لعلها «رسالة الشأنين: شأن الرب وشأن العبد» للإمام محيي الدين بن عربي (ت638هـ). «كشف الظنون» لحاجي خليفة (ج1 ص874).

(9) من أهم شروح كتاب «الموطأ» للإمام مالك: «المنتقى» للباجي؛ و«الاستذكار» و«التمهيد» لابن عبد البر؛ و«القبس» لابن العربي المعافري؛ و«شرح الزرقاني على موطأ مالك»؛ و«كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ» لمحمد =

و«المدونة».

• والأحاديث في علم التفسير كثيرة.

• وقوله ﷺ: «**إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض**»[1]، قال المنجمون: (هو أصل في رجوع الكواكب والسيّارة إلى مواضعها التي خلقت فيها).

* **الحادي عشر: أن يُراد ارتفاعها فيه بسريانها في القلوب، وأخذها بمجامعها، وحُلولها في سُويْدائها، وصبْغها لها**؛ فيتأثر بها، وتنفعل لها حتى تمتزج أوصافُها، وتخلفُها أضدادها، ويصير رضاه هو محبوبها. وبذلك ألف بين الفريقين المتباعدين، والنوعين المتنافرين، وهما العرب والعجم، حتى صاروا إخوانًا، فانظر هذه الرابطة التي ربط بها قلوبَهم، ما أمْتنها وأقواها! وتأمل هذه الحلاوة التي قادتهم بعد الشرود، وجمعَتهم بعد التفرق، ما أذوقها وأعلاها! ومن صفته في التوراة كما في حديث عبد الله بن سلام وكعب الأحبار: (أجمعُ به بعد الفرقة، وأولفُ به بين قلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وأمم متفرقة، وأجعَل أمته خير أمة أخرجت للناس)[2].

= الطاهر ابن عاشور؛ و«المسالك في شرح موطأ مالك» لابن العربي المعافري؛ إلى غير ذلك...

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في سبع أرضين، برقم 3197 ج2 ص289)؛ و(كتاب المغازي: باب حجة الوداع، برقم 4406 ج3 ص107)؛ و(كتاب تفسير القرآن سورة التوبة: باب قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ..﴾ برقم 4662 ج3 ص177)؛ و(كتاب التوحيد: باب قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ برقم 7447 ج4 ص378)؛ و(كتاب الأضاحي: باب من قال: الأضحى يوم النحر، برقم 5550 ج3 ص427)؛ ومسلم في «صحيحه» (كتاب القسامة والمحاربين: باب تغليظ تحريم الدماء، برقم 1679 ج6 ص230).

(2) «الشفا» للقاضي عياض (ط2006 دار الرشاد ص27 ـ 28).

* **الثاني عشر**: أن يُراد ارتفاعها فيه بتقدمه إلى الجواب المصيب في المواطن التي يحتاج فيها إلى ذلك؛ كيومَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟، فإنه كان فيه أول مجيب.

* **الثالث عشر: أن يراد ارتفاعها فيه بدوام حضورها، وملازمة حصولها من مبدأ الفطرة، وأول النشأة من غير تخلل انقطاع، ولا عروض زوال**، حتى في الأوقات التي لا يعهد فيها الحصول للغير. فقد ذكر أهل السير أنه لما وضعته أمه، وقع إلى الأرض ساجدًا رافعًا سبّابتهُ، كالمتضرع المبتهل. وقد قالوا: إن الحق أنه ﷺ متذكر بعد ولادته للميثاق، متحقق العلم الضروري بالتوحيد، ويجوز أن يجد من نفسه ما يتعبد به في أوقات مخصوصة، لصفاء النفس عن ظلام الجهالات بدوام طهْرها، ونورانيتها.

فما نفته آية: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[1]، قد يعتبر في وقتٍ على المعنى الآتي:

- وقال السمرقندي: (ما كنت تدري قبل الوحي تقرأ القرآن ولا كيف تدعوا الخلق إلى الإيمان)[2].

- وقال الحاتمي: (كان القرآن في صدره، وكان جبريل مفتاحُ ما في صدره).

- وأحسن من هذا وأوضح: (إن الإيمان بمعنى الفرائض والأحكام) كما قال القاضي أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3].

---

(1) سورة الشورى، الآية: 52.

(2) تفسير السمرقندي «بحر العلوم» لأبي الليث نصر بن محمد (ت 375هـ) (سورة الشورى الآية 52 ج3 ص201).

(3) ذكره القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (عند الآية 52من سورة الشورى، ج18 ص514).

- وفي البخاري: باب دعاؤكم إيمانكم؛ وفيه: الحياء من الإيمان، والجهاد من الايمان، والصلاة من الإيمان، وشاهده من القرآن: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[1])[2].

- قال المفسرون: (صلاتكم إلى بيت المقدس؛ فالمعنى: ما كنت تدري ما الكتاب، ولا الفرائض، والأحكام قبل نزول الوحي عليك، ومجيء جبريل إليك)[3].

- والمقصود من الآية أمران: أحدهما: تعداد نعمته تعالى عليه ﷺ. وثانيهما: الاحتجاج على نبوته بأميته، أي أنك جئت بما لم تعلمه.

وبالجملة: فأمزجة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لما كانت أعدل الأمزجة، عصمهم الله من نسيان التوحيد الميثاقي، ولم تتخلله فترة؛ إذ لو كان توحيدهم عن نظر، وتفكر، كان الشك طارئًا عليهم قبل النظر، وفي مدة النظر؛ لأن النظر[4]: اكتساب المجهول، وذلك غير لائق بمناصبهم، فما بالك بمن له أعدل المزاج المنبإ قبل كل أحد، وقبل خلق كل أحد) هـ[5].

*** الرابع عشر: أن يُراد ارتفاعها فيه بقوتها؛ حيث جمعَ بين تذكير الخلق وسياستهم في الحروب وغيرها، فكان جامعًا بين النبوءة والسلطان،** ومن أسمائه: «صاحب السلطان»، وقال القاضي أبو بكر ابن العربي في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ

---

(1) سورة البقرة، الآية: 143.

(2) رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الإيمان، ج1 ص16 وما بعدها).

(3) قاله محمد بن إسحاق ابن خزيمة كما عند القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (عند الآية 52من سورة الشورى، ج18 ص514)؛ وفي «تفسير البغوي معالم التنزيل» (عند الآية 52من سورة الشورى، ج7 ص201).

(4) سبق التعريف بمصطلح «النظر» في (ص818).

(5) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص 143).

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾[1]: (هذا كان أولا؛ ثم مكنه من السيطرة، وآتاه السلطنة، وسكّن به دينه في الأرض)[2].

* **الخامس عشر**: أن يُراد ارتفاعُها فيه بقوتها؛ حيث قويَ على ما يقوَ عليه غيره من آداب الرؤية؛ حتى أثنى الله عليه في أدبه، وكمالِ عبوديته بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[3]. قال في «المواهب اللدنية» نقلًا عن «مدارج السالكين»: (أي لم يتجاوز البصر حدّه فيطغى، ولم يمل عن المرئي فيزيغ، بل اعتدل البصر على المرأى؛ ما جاوزه، ولا مال عنه؛ كما اعتدل القلب في الإقبال على الله تعالى والإعراض عما سواه، وأنه أقبل على الله بكليته وأعرض عما سواه بكليته. وللقلب زيغ وطغيان، كما أن للبصر زيغًا وطغيانًا، وكلاهما منتفٍ عن قلبه وبصره، فلم يزغ قلبُه التفاتًا عن الله إلى غيره، ولم يطغَ بمجاوزة مقامه الذي أقيم فيه، وهذا غاية الكمال والأدب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه)[4].

* **السادس عشر: أن يُراد ارتفاعُها فيه بقدرته على الثناء الذي لا يقدر عليه أحد يوم القيامة**، فإنه ينبع من قلبه على لسانه من الثناء ما لم يسمع به أحد من خلق الله تعالى في شفاعته، لفصلِ القضاء بعدَ تقدمه على جميع الأنبياء، والمرسلين، فيعترفون له بفضله عليهم، وذلك من آثار قوة علمه، وهوَ معنى اسمه «خطيب الأمم».

---

(1) سورة الغاشية، الآية: 21 ـ 22.

(2) «أحكام القرآن» لابن العربي المعافري (ط العلمية، ج3 ص583).

(3) من سورة النجم، الآية: 17.

(4) «مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾» لابن قيم الجوزية (منزلة الأدب: فصل في أدبه ﷺ، ج2 ص362)؛ ونقله القسطلاني في «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (المقصد الخامس: تفسير ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ ج3 ص91)؛ وكذا العلامة ابن زكري الفاسي في «الإلمام والإعلام» (ص144).

* **السابع عشر: أن يُراد ارتفاعها فيه بملازمة النمو والزيادة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**(1)، ولم يزل، ولا يزال ﷺ يترقى في المعارف، وكلما انتقل عن مقام إلى ما فوقه، عد الكون في السابق قصورًا فاستغفر، فمن ثَم كثر استغفاره ﷺ مع عصمته، وقال: «**إنهُ ليغانُ على قلبي فأستغفر الله كذا وكذا مرة**»(2)، أي: غين أنوار.

* **الثامن عشر: أن يُراد ارتفاعها فيه بسلوك الطريق الأقوم والسبيل الأنفذ الذي لا يعثر عليه إلا أعلم الخلق بالله تعالى**؛ فكان ﷺ يظهر الافتقار إلى الله تارة، والاستغناء به أخرى جمعًا بين الصبر والشكر، فسدّ على بطنه الحجر من الجوع وأشبعَ ألفاً من صَاعٍ، وقضاياه في هذا كثيرة مبسوطة في كتب السِّيَر.

وقد اختلف الصوفية ما الأفضل؟ هل إظهار الافتقار إلى الله؟ أو إظهار الاستغناء بالله تعالى؟:

• قال الشيخ زروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والصواب أن الأفضل إظهار هذا تارة، والأخذ أخرى، لأنه حاله ﷺ، وقد خيّره الله بين أن يكون نبيا ملكا، ونبيا عبدا، فاختار أن يكون نبيًّا عبدًا، وقال: «**أجوعُ فأسأل وأتضرّع، وأشبعُ يومًا، فأحمد وأشكر**»(3)، أو كما قال ﷺ.

---

(1) من سورة طه، الآية: 114.

(2) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء: باب استحباب الاستغفار، برقم 2702 ج8 ص292)؛ وينظر بقية تخريج هذا الحديث في (ص1066)، حيث سيأتي هناك.

(3) رواه أحمد في «مسنده» (رقم 22190 ج36 ص528) وقال محققه: (إسناده ضعيف جدًّا)؛ وقال الترمذي في «الجامع» (رقم 2347 ج4 ص168): (هذا حديث حسن)، قال محققه: (إسناده ضعيف كما سيأتي من كلام المؤلف، ولعله حسنه لما له عنده من طرق وشواهد)؛ ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (رقم 7835 ج8 ص244)؛ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج8 ص133)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 1394 ج3 ص60)؛ والبغوي في «شرح السنة» (رقم 4044 ج14 ص246).

• وفي «الشمائل» من حديث أنس عن أبي طلحة قال: (شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوعَ، ورفعنا له عن بطوننا، عن حجرٍ حجرٍ، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه عن حجرين)، قالوا: ليعلم صحبه أنه ليس عنده ما يستأثر به عنهم، لا أنه فعل ذلك لما به من شدة الجوع، فإنه كان يبيتُ عند ربه يطعمه ويسقيه؛ ويدل لذلك أنه جاء عن جمع أنه كان مع ذلك لا يتبين عليه أثر الجوع أصلًا، بل كان حسن الجسم متين القوة جدًّا[1].

• قال المناوي: (وبهذا التقرير، يعلم أنه لا ضرورة، بل لا ملجأ إلى ما سلكه أبو حاتم ابن حيان من إنكار حديث وضع الحجر رأسًا لخبر الوصال المذكور، وأن الرواية إنما هي الحجزُ بالزاي، وهو طرف الإزار فتصحّف:

- قال الحافظ ابن حجر: (وقد أكثر الناس الرد عليه)[2].

- وقال التاج السبكيّ -بعد أن ذكر ما قاله ابن حبان: (في هذا نظر)[3]-: (وقد أخرج ابن حبان قبله بأوراق يسيرة، حديث ابن عباس: (خرج أبو بكر بالهاجرة[4]...) الحديث، وفيه قول النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده ما أخرجني**

---

(1) رواه الترمذي في «الجامع» (برقم 2371 ج4 ص182) وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)؛ وفي «الشمائل المحمدية» (رقم 372 ص309)؛ والمزي في «تهذيب الكمال» (برقم 2603 ج12 ص171)؛ وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (برقم 2371 ص227 باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ).

(2) «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني (كتاب الصوم: باب التنكيل لمن أكثر الوصال، برقم 1966 ج4 ص282).

(3) «طبقات الشافعية الكبرى» لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771هـ) (ج3 ص133).

(4) **الهاجرة**: الظهيرة. «لسان العرب» لابن منظور (حرف الراء: فصل الظاد: مادة ظهر، ج4 ص527).

إلا الجوع»[1]، وفي الجوع أحاديث كثيرة، وهو لا يقتضي نقصا، بل فيه رفعة لدرجته العليا ﷺ. والجمع بين ذلك وقضية الوصال، أنه ﷺ كان له أحوال بحسب ما يختاره الله عَزَّوَجَلَّ ويرتضيه، فتارة الجوع، وتارة التقوية على الصوم، وكل حال بالنسبة إليه لوقته أكمل وأولى. هكذا خطر لي، والذي أنا عليه الآن أني لا أدري من حاله ﷺ في الجوع شيئًا) هـ[2].

• ومما ينبغي أن يتنبه له هنا ما ذكره التاج السبكي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (الذي أعتقده: أن جوعه كان جوعًا اختياريًا لا ضروريًا، وأنه ﷺ كان يقدر على طرده عن نفسه:

- إما بأن تنصرف عنه شهوة الطعام والشراب مع بقاء القوة بإذن الله.
- وإما بتغذية الله المغنية له عن الطعام والشراب.
- وإما بتناول الغذاء، فقد كان ﷺ قادرا على ذلك.

وسماعي مرات كثيرة من الشيخ الإمام الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو معتقدي: أن النبي ﷺ لم يكن فقيرًا قط، ولا كانت حالته حالة الفقراء، بل كان أغنى الناس بالله، وكان الله تعالى قد كفاه أمر دنياه في نفسه، وعياله، ومعاشه. وأحفظ أن الشيخ الإمام: أقام من مجلسه من قال: (كان النبي ﷺ فقيرًا)، قيامًا صعبًا، وكاد يسطو به.

(1) رواه ابن حبان في «صحيحه» (رقم 5216 ج12 ص16)؛ والطبراني في «المعجم الأوسط» (برقم 2247 ج2 ص365)؛ وفي «المعجم الصغير» (رقم 185 ج1 ص124)؛ وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج10 ص317).

(2) «جمع الوسائل في شرح الشمائل المحمدية للترمذي» لعلي بن سلطان محمد القاري وبهامشه «شرح» عبد الرؤوف المناوي (ج2 ص187 باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ)؛ والنص نقله العلامة ابن زكري في «الإلمام والإعلام» (ص146).

وكان: يقول في قوله ﷺ: (اللَّهُم أحييني مسكينًا)[1]: (المراد به استكانة القلب، لا المسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعًا من كفايته)، والحق معه في هذا؛ فإن من جاءت إليه مفاتيح خزائن الأرض، وكان قادرًا على تناول ما فيها كل لحظة، كيف يُوصَفُ بالعدم؟)[2].

• ومما ينبغي أن يتنبه له أيضًا: ما ذكره الألبيري[3] من أن: (الشبعَ في حقه إنما هو ما يحمل جسمه ويحفظ حياته وصحته، لا الامتلاء من الطعام والشبع المتعارف)[4].

* **التاسع عشر: أن يكون ارتفاعها في مقابلة التنزل؛ وذلك أن النبي ﷺ خصّ بعلم المسميات، وكان لآدم الأسماءُ كما قال البوصيري رَحِمَهُ اللَّهُ:**

لك ذاتُ العلوم من عالم الغـ ـيب ومنها لآدم الأسماءُ[5]

---

(1) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (عند الرقم 718 ج9 ص75)؛ وابن ماجه في «سننه» (برقم 4126 ج5 ص241) قال محققه: (إسناده ضعيف)؛ وقال الترمذي في «الجامع» (رقم 2352 ج4 ص172): (هذا حديث غريب)؛ ورواه الطبراني في «الدعاء» (رقم 1425 ج1 ص422)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم 1380 ج3 ص50)؛ ووضعه ابن الجوزي في «الموضوعات» (ج3 ص141)؛ والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (رقم 166 ص84).

(2) «طبقات الشافعية الكبرى» لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771هـ) (ج3 ص133 ـ 134).

(3) سبقت ترجمته في (ص886).

(4) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص148).

(5) «ديوان الإمام البوصيري» (قافية الهمزة، البيت 5 ص26)؛ وفي «المنح المكية شرح همزية البوصيري» لابن حجر الهيثمي (البيت 5 ص41)؛ وفي «الأنوار القدسية شرح القصيدة الهمزية للبوصيري» لأحمد بن عجيبة الحسني (ص19).

ولا شك أن الحقائقَ أشرفُ وأعلا، فوصفت بالارتقاء، ووُصفت الأسماءُ بالتنزل النسبي المقابل لارتفاع الحقائق، وإن كان علم الأسماء شريفًا، رفيعًا أيضًا) هـ[1].

هذا، وفي «الإبريز» أن المُراد بالحقائق: (أسرار الحق تعالى التي فرقها في خلقه وهي ثلاثمائة وستة وستون سرا، ظهرت في الحيوانات على ما أراد الحق سبحانهُ وظهرت في الجمادات كذلك، وهكذا سائر المخلوقات. قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ففي النبات سر منها وهو النفع، فهذا النفع حقيقة من حقائق الحق سبحانه أي المتعلقة به، لأن كل واحد فهو متعلق به سبحانه، ثم هذا النفع ارتقى في النبي ﷺ وبلغ مقامًا لم يكن لغيره؛ ألا ترى النفع السابق في استمداد المكونات كلها من نوره ﷺ ولم يثبت هذا لمخلوقٍ؟

قال: وفي الأرض مثلا سر الحمل لما فيها، وهو حقيقة من حقائق الحق سبحانه؛ وقد ارتقى في النبي ﷺ إلى حد لا يطاق؛ حتى أنه لو جعل ما فيه من الأسرار والمعارف على المخلوقات لتهافتوا ولم يطيقوا ذلك. وفي أهل المشاهدة مثلا سر من الأسرار، وهم أنهم لا يغفلون عنه تعالى طرفة عين. وهذا المعنى بلغ فيه ﷺ إلى حد لا يطاق كما سبق في مشاهدته الشريفة. وفي الصديقين سر من أسرار الحق سبحانه، وهو الصدقُ وقد ارتقى في النبي ﷺ إلى حدّ لا يكيّف.

وبالجملة: فارتقاء الحقائق على قدر السقي من أنوار الحق سبحانه، ولما كان النبي ﷺ هو الأصل في الأنوار ومنه تفرقت لزم أن الحقائق ارتقت فيه على قدر نوره، ونوره لا يطيقه أحد. فارتقاء الحقائق التي فيه لا يطيقه أحد) هـ[2].

وعلى قياسه نقول: وفي العلماء سر من أسرار الحق سبحانه: وهو العلم،

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص148).

(2) «الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ» لابن المبارك السجلماسي (ص392).

وقد ارتقى في النبي ﷺ إلى حدّ لا يطاق، فتأمله ـ والله أعلم ـ.

* وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وتنزلت علومُ آدم)[1]: (اعلم أن الموجودات لها حقائق ومفهومات، ولها حدود حقيقيّة بالاعتبار الأول؛ وحدود سمية بالاعتبار الثاني. **والمفهوم**[2]: هو ما يفهم من الاسم في الجملة، وهو للموجود والمعدوم، **والحقيقة**[3]: ماهية الشيء على سبيل التفصيل، ولا تكون إلا للموجود. فكان لسيدنا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنسبة للأشياء التي عُرضتْ عليه علم المفاهيم، ولسيدنا محمد ﷺ علم الحقائق، وفي ضمنه قطعًا علم المفاهيم، فعرفها من الوجه الأعم والأخص، وبالثاني اختص عن آدم؛ والله أعلم.

وهذا هو الذي يلوح له كلام «الكشاف»[4]، إلا أنه لم يتنازل لإيضاحه؛ وقول «الهمزية»: (ومنها لآدم الأسماء)[5]: أي: من حيث دلالتُها على المسميّات، فلا ينافي ما قلناه.

وقول ابن حجر: (في المسألة ثلاثة أقوال:

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة بن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص148 ـ 149).

(2) سبق التعريف بمصطلح «المفهوم» في (ص602 ـ 603).

(3) **الحقيقة**: هي الماهية أو الذات، أي: ما يكون به الشيء هو هو، باعتبار تشخصه في هوية محددة. قال ابن سينا (ت428هـ): (إن لكل شيء ماهية هو بها ما هو. وهي حقيقته، بل هي ذاته). وقال الفارابي (ت339هـ): (الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر، ونحن لا نعرف من الأشياء إلا الخواص واللوازم والأعراض). ولذلك قيل: (إن الحقيقة هي ما يستفاد من الحدود والرسوم للأشياء بمقتضى قواعد المنطق. «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج1 ص865).

(4) «تفسير الزمخشري (ت538هـ) «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» (عند الآية 31من سورة البقرة ص71).

(5) «المنح المكية بشرح الهمزية» لابن حجر الهيتمي (البيت 5 ص41).

- أحدهـا: أنه علـم الأسمـاء فقط، وهو الذي سلكه في «الهمزية».

- وثانيهـا: أنه علـم المسميات فقط.

- وثالثهـا: أنه علمهـا وهو رأيُ «الكشـاف»)[1][2].

قال العلامة ابن زكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: (لا أفهمه! وكيف يتصور القول بأنه علم أحدهُما فقط مع تطبيقه الأسماء على المسميات؟ فالخلاف عند التحقيق لفظي، والله أعلـم!

فمن قـال: «علـم الأسمـاء»، معناه: من حيث دِلالتُها. ومن قـال: «المسميات»، معناه: من حيث الدِّلالةُ عليها. والذي يبين لك ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾[4]، أي: مسميات الأسماء، مع قوله: ﴿أَنۢبِئْهُم﴾[5]، فدلّ على أن الذي عرفه آدم ليس مجرد الأسماء؛ إذ عرض المسميات وسؤاله عن أسمائها وجوابه بتطبيق الأسماء عليها يعينه، وعلم المفاهيم هو الذي يقتضيه إطلاق الألفاظ، ويتوقف عليه تطبيق الأسماء ولا يتوقف ذلك على علم الحقائق.

فإن قيـل: إذا عُرضت المسميات عليه، فهي موجودة، والذي للموجود: الحقـائق.

قلـتُ: إطلاق الأسماء إنما يقتضي الفهم الإجمالي كما سبق، وأيضًا الثابتُ في ذلك الوقت، إنما هو تمثيل الأشياء المعروضة، كما وقع في إخراج الرؤية

---

(1) «فتـح الباري شـرح صحيح البخاري» (برقم 4476 ج8 ص10).

(2) «الإلمـام والإعـلام» للعلامة بن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص148 ـ 149).

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) سـورة البقرة: الآية: 31.

(5) سـورة البقرة: الآية: 33.

يوم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]. وفي «ابن جزي»: (عرضت عليه أشخاصُ أولاده)[2]؛ بل أخرج ابن جرير عن أبي زيد في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[3]، قال: أسماء ذريته أجمعين؛ ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾[3]، قال: (أخذهم من ظهره)[4]، ذكره في «الدر المنثور»[5]؛ وفيه عن ابن عباس أنه عرض عليه أولاده إنسانًا إنسانًا. واختصاص النبي ﷺ عنه: بعلم المسميات ثابت، فلم يبق إلا ما سبق.

ثم هذا هو الذي أعجز الملائكة، وامتاز به عنهم، وهو كاف في ذلك.

ولا ينافي أن الله تعالى أطلعه بعد ذلك على حقائق ما أراد أن يطلعه عليه؛ فالإضافة لآدم إشارة لهذا، أي: العلوم التي أعجز بها الملائكة، ولا ينافيه أن تكون له علوم أخرى، فاختص عن آدم في ذلك الوقت بما ذكرناه، وبعد حصول الحقائق لآدم اختص عنه كغيره من الأنبياء بالعموم فيها، وفي الكلام حينئذ إشارة إلى أن الخصوصية التي امتاز بها آدم عن الملائكة ـ وكانت سببًا لأمرهم بالسجود له ـ حصلت لنبينا ﷺ، وزاد بعلم الحقائق. أخرج الديلمي عن أبي رافع[6] قال:

---

(1) سورة الأعراف: الآية: 172.

(2) تفسير ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت741هـ) «التسهيل لعلوم التنزيل» (عند الآية 34من سورة البقرة، ج1 ص63).

(3) سورة البقرة: الآية: 31.

(4) تفسير ابن جرير الطبري «جامع البيان في تأويل آي القرآن» (عند الآية 31من سورة البقرة، ج1 ص518)؛ وكذا في تاريخ ابن جرير الطبري «تاريخ الرسل والملوك» (ج1 ص99).

(5) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي (عند الآية 31من سورة البقرة، ج1 ص265).

(6) أبو رافع: هو مولى رسول الله ﷺ (ت40هـ)، كان للعباس ـ عم الرسول ﷺ ـ فوهبه له وأعتقه لما أسلم، كان ذا علم وفضل، حضر الخندق وأُحُد وتوفي في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ترجمته في «الاستيعاب» لابن عبد البر (كتاب الكنى، برقم 120 ص797)؛ و«أسد الغابة» =

(قال لي رسول الله ﷺ: **«مثلت لي أمتي في الماء والطين وعلمتُ الأسماء كلها كما علمت الأسماء آدم كلها»**)[1].

فحاصل المعنى حينئذ: أن النبي ﷺ اجتمع فيه علم الحقائق، وعلم المفاهيم. والأول أعلى وأشرف. فلهذا وُصف بالارتقاء، ووُصف علم المفاهيم بالتنزل، وهو نسبي؛ وإلا فعلم المفاهيم عالٍ شريف، وناهيك بعلم اقتضى سجود الملائكة للمتّصف به، وفيه مطلوب لـ «ارتقت»، و«تنزلت» على حدّ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

وعطف جملة «تنزلت» على جملة «ارتقت» من عطف المغاير، إذ مضمون الثانية غير مندرج في مضمون الأولى، لما عرفتَ من أن الحقائق غير المفاهيم التي عبّر عنها بعلوم آدم. غاية الأمر أن مضمون الثانية، لازم لمضمون الأولى لما مرّ من أن علم المفاهيم في ضمن علم الحقائق، فهو من عطف اللازم. ويحتمل أن يكون من عطف الأخص على الأعم؛ فيراد بالحقائق ما يتناول المفهومات، لأنها معلومات أيضًا، والمراد حقائق كل علم، ويُراد بالارتقاء مطلقه. ولا شك أن الجميع مرتقٍ كما مرّ.

هـذا باعتبار النظر الإجمالي.

وإذا نظرت بالتفصيل، وجدت المرتبتين مفترقتين، فأشير للأولى بالجملة

= لابن الأثير (برقم 10 ص11)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 3 ج2 ص16)؛ و«تهذيب التهذيب» للعسقلاني (ج4 ص520)؛ و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (برقم 31 ص24).

(1) رواه أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (ت509هـ) في «الفردوس بمأثور الخطاب» (رقم 6519 ج4 ص166)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (برقم 34588 ج12 ص185).

(2) سورة التوبة، الآية: 128.

الأولى، وإلى الثاني بالثانية؛ فافهم) هـ[1].

وها هنا وجه آخر في معنى التنزل: وهو أن علوم آدم التي ألقاها إلى بنيه من النبيئين والمرسلين، رفعت بقبضهم وموتهم، ولم تبق على حقيقتها، فلما بعث الله رسوله ﷺ، نزلها إليه، فليس التنزل حينئذ في مقابلة الارتقاء.

فإن قلت: جميعُ علوم النبيئين، والمرسلين تنزلت فيه ﷺ كما يدل عليه قوله: «**أورثني ربي علم الأولين والآخرين**»[2]؛ وفي «شرح البردة» للزركشي عن ابن عباس: أنه لما ولد، قال في أذنه رضوان خازن الجنان: (أبشر فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيتَهُ، فأنت أكثرهم علمًا، وأشجعهم قلبًا)[3]، فَلِمَ أضيفت العلوم لخصوص آدم؟ وهلا أطلقت، أو أضيفت للجميع؟

قلتُ: لبيان أنه ﷺ تنزل فيه العلم المعجز لكافة الخلق، فإن علوم آدم

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة بن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 152 ـ 154).

(2) من حديث رسول الله ﷺ الذي ذكره أبو الحسن بن غالب فيما تكلم فيه على أحاديث الحجب السبعين والسبعمائة والسبعين ألف حجاب وعزاها لأبي الربيع بن سبع في «شفاء الصدور» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ينظر «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» للقسطلاني القتيبي (المقصد الخامس: حديثان موضوعان، ج3 ص84 ـ 86)؛ وفي «روح البيان» لإسماعيل حقي الحنفي الخلوتي (ت1127هـ) (عند الآية 3من سورة يوسف، ج4 ص208). وكتاب «شفاء الصدور في إيضاح البيان عن كشف حقائق البرهان وإعلام نبوة الرسول عليه الصلاه والسلام» للإمام الخطيب أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي. مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (3671 دال) و(كاف 1383)، وفي خزانة القصر الملكي بالرباط (رقم 5733) «كشاف الكتب المخطوطة» بخزانة القصر الملكي لأحمد شوقي بنبين (ص286).

(3) «إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع» للمقريزي (ت845هـ) (ج4 ص50)؛ وفي «الخصائص الكبرى» للسيوطي (ت911هـ) (ج1 ص84).

أعجز بها الملائكةَ حتى قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾[1]، فأضفيت له ﷺ إشارة لهذه النكتة، ويعلم حينئذ من اللفظ تنزل علوم غيره فيه من كونه هو الأب الأكبر ومن تقادم عصره، ومع ذلك تنزلت فيه علومه فأحرى غيره من بنيه. وعبّر بجمع الكثرة لمناسبته للمقام ومطابقته للواقع والتنزل على هذا الوجه الثاني في حقيقته؛ لأن المراد بعلوم آدم: أسماء المسميات، وهي توصف بالإنزال والتنزل. وعلى الأول شبه التفاوت النسبي بالتنزل وجاءت الاستعارة تبعية[2].

وها هنا **وجهٌ ثالث**: وهو أن يُراد بتنزلها: انقيادها لهُ وإذعانها إليه وعدم استعصائها عليه.

ورابع: وهو أن تكون الإشارة بالجملتين المتعاطفتين إلى أنه ﷺ الموروثُ في حضرة الجمع والوجود الروحاني والوارث في حضرة الفرق والوجود الجسماني؛ فهو الذي ورّث العلوم لآدم وبنيه ثم ورثها منهم؛ إذ هو أول الأنبياء نبوءة وخاتم النبيئين. ويُرادُ بالحقائق حينئذ علوم آدم، عبّر عنها بذلك إشارة إلى أن علمه بذلك لم يكن بمجرد الأسماء كما مرّ.

و«في» الداخلةُ على ضميره ﷺ على هذا الوجه «من» و«إلى» جميعًا من قبيل استعمال المشترك في معنييه؛ أي: «وإليه ارتقت الحقائق ومنه تنزلت»؛ لما أخذها: وصفت بالارتقاء؛ ولما أعطاها: وُصفت بالتنزل، لأنه لا رتبة فوق رُتبته، وهذا بديعُ المعنى، وإن كان لا يخلو عن تكلف في اللفظ، ووصف العلوم على ما قبلهُ بالارتقاء والتنزل باعتبار المعلوم، وعليه باعتبار العالم ولا نقصَ أصلا يلحق المفضل عليه، بل مشاركتهم له في أصل المعنى غايةٌ في الشرف والجلالة.

---

(1) سورة البقرة: الآية: 32.

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة بن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 152 ـ 154).

ولنذكر لك ما يؤنسـك، ويثبت فؤادك، ويعرفك ببعض جلالة منصبه ﷺ، وعلـو قدره على الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام:

• قال الإمام العارف بالله تعالى أبو محمد سيدي عبد القادر الجيلاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد كلام لهُ في قصة الإسراء: (ثم عاد إلى معالمه وأهل عالمه ورؤساء الملائكة تضع أجنحتها في مواطئ قدميه، والروح الأمين يحمل بين يديه غاشية فخره[1]، ويطوف به بين الملائكة تعظيمًا لقدره، وآدم يرفع ألوية جلالته، وإبراهيم ينشر أعلام مهابته، وموسى يناجي حبيبه من جانب غربي صفحات وجهِ نظرت عيناه محبوبه يسأل عودة بعد عودة، عسى نظرة بعد نظرة، فنادى القدرُ من جانب الطور: قضينا الأمر؛ وعيسى يتألى بالمولى لينزلّن وليخبرنّ أهل الأرض بما شاع في أرجاء السماء من أخبار قاب قوسين) هـ[2].

• ويرحم الله ابن رُشيد البغدادي حيث يقول في قافية الميم:

مشى وحده والحجب ترفع دونه وأملاكها تسعى له وتقُومُ[3]

وفي قافية الحاء:

حبيبٌ سرى للعرش بألك رفعةً تقاصر إدريسٌ لها ومسيحُ[4]

وخامسٌ: وهو أن يراد أنها تنزلت فيه وقت سجود الملائكة لآدم، أي: فيه

---

(1) الغاشية: الغطاء؛ وغلاف القلب؛ والقيامة؛ وفي سورة الغاشية الآية 1: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾؛ والغاشية: النازلة من خير أو شر أو مكروه؛ والغاشية: ما ألبس قائمة السيف دون مقدمته. «موسوعة المصطلح في التراث العربي» للكتاني (ج2 ص1790).

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة بن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 152 ـ 154).

(3) «القصيدة الوترية في مدح خير البرية» لابن رشيد البغدادي الشافعي (ت622هـ). (قافية الميم)؛ وفي «تخميس القصيدة الوترية» لمحمد الوراق الأندلسي (ت757هـ) (ص98).

(4) «الإلمام والإعلام» للعلامة بن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 152 ـ 154).

في الحقيقة كان تنزلها إذ ذاك، لأن نوره كان في جبينه. قال ابن حجر: (ومن ثمّ قال بعض المحققين: إنما سجد الملائكة لأجل نور محمد ﷺ في جبينه) هـ[1].

ويرحم الله ابن وفا حيث يقول:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره   في وجه آدم كان أول من سجد[2]

وسادس: وهو أن يُراد: أنها تنزلت فيه ﷺ قبل وجود آدم وهو الذي أمده بها، ومن ثمّ قيل فيه ﷺ: أنه آدم الأكبر، إذ هو أبو الأرواح[3].

* وسابع: وهو أن يراد بتنزلها فيه: تلقيه إياها بلا واسطة، بخلاف غيره فإنه لا غنى له عن واسطته ﷺ والإرث منه على الوجه السابق وسيأتي ولا شيء إلا وهو به منوط. وبهذا يتبين انحصار تنزلها فيه ﷺ، لأن هذا المعنى ثابت له ومختص به، ولهذا قدم الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المعمولَ[4].

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفعنا به: **(فأعجز الخلائق)**، فيه احتمالان[5]:

• **أحدهما**: أن يكون فاعل «أعجز» ضمير آدم، والفاء للسببية، والاستنتاجُ عن خامس الوجوه في النص قبله، أي: فيه في الحقيقة تنزلت علوم آدم وقت سجود الملائكة له، فأعجز آدم بسبب ذلك، وهو تنزل تلك العلوم لحلول نوره ﷺ في الخلائق، و«ال» للاستغراق؛ لأن الإعجاز وإن كان للملائكة فهو لغيرهم من باب أحرى.

---

(1) «المنح المكية شرح الهمزية» للهيتمي (البيت 5 ص97).

(2) من القصيدة الدالية لعلي بن وفا، مطلعها «سكن الفؤاد فعش هنيئًا يا جسد»: نقلها العلامة الزرقاني في «شرحه على المواهب اللدنية للعلامة القتيبي القسطلاني» (ج1 ص122)؛ والعلامة ابن زكري الفاسي في «الإلمام والإعلام» (ص154).

(3) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص153).

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق (ص 155).

• وثانيهما: أن يكون فاعل «أعجز» ضمير النبي ﷺ وفيه وجوه:

- أولها: حيث ارتقت فيه الحقائق وتنزلت فيه علوم آدم؛ فجمع بين علم الأولين والآخرين، وأتى بما لم يأت أحد بمثله وأخبر بوقائع القرون السالفة وقصص الأمم الماضية وبالمغيبات الآتية مع أميته وعدم قراءته وكتابته أعجز جميع الخلائق.

ويرحم الله القائل:

قلبي ينجد نازل بقباب فيها مليح سيد الأعراب
عُرضت عليه كنوز الأرض فلم يُرد علمًا بأن مصيرها لذهاب
وإذا سألت عن العلوم فإنه لمدينةٌ مفتوحةُ الأبواب[1]

وقال آخر:

فإن تك فاتح الخيرات طرًّا فإنك قد ختمتَ المرسلينا
علوم الآخرين عليك قصّت وقد أُوتيتَ علم الأولينا[2]

- ثانيهما: أنه هو الذي أعجز الملائكة وقت قول الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾[3]، إذ فيه على الحقيقة تنزلت العلوم، ويوخذ إعجاز غيرهم بالأحروية.

• ثالثها: أنه هو الذي أعجز جميع أمم المرسلين في كل عصر من أعصارهم؛ إذ فيه تنزلت علومهم كلها، وإنما أضيفت لخصوص آدم لما مرّ) هـ[4].

وفي «الإبريز»: (أن المراد بعلوم آدم ما حصل له من الأسماء التي علمها

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 156).

(2) المصدر السابق (ص 155 ـ 156).

(3) سورة البقرة، الآية: 32.

(4) «الإلمام والإعلام» (ص164).

المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1]، والمراد بالأسماء: الأسماء العالية لا الأسماء النازلة، فإن كل مخلوق له اسم عال، واسم نازل؛ فالاسم النازل: هو الذي يشعر بالمسمى في الجملة، والاسم العالي: هو الذي يشعر بأصل المسمى، ومن أي شيء هو، وبفائدة المسمى، ولأي شيء يصلح الفأسُ من سائر ما يستعمل فيه، وكيفية صنعة الحداد له، فيعلم من مجرد سماع لفظته هذه العلوم والمعارف المتعلقة بالفأس، وهكذا كل مخلوق.

والمراد بقوله تعالى: ﴿ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾، التي يطيقها آدم ويحتاجها سائر البشر أولهم بها تعلق وهو كل مخلوق من تحت العرش إلى تحت الأرض، فيدخل في ذلك الجنة والنار، والسموات السبع وما فيهن، وما بين السماء والأرض، وما في الأرض من البراري، والقفار، والأودية، والبحار، فكل مخلوق في ذلك ناطق أو جامد إلا وآدم يعرف من اسمه تلك الأمور الثلاثة: أصله، وفائدته، وكيفية ترتيبه، ووضع شكله، فيعلم من اسم الجنة من أين خلقت، ولأي شيء خلقت، وترتيب مراتبها، وجميع ما فيها من الحور، وعدد من يسكنها بعد البعث، ويعلم من لفظ النار مثل ذلك، ولأي شيء كانت الأولى في محلها، والثانية، وهكذا في كل اسم، ويعلم من لفظ الملائكة من أي شيء خُلقوا، ولأي شيء خُلقوا، وكيفية خلقهم، وترتيب مراتبهم، وبأي شيء استحق هذا الملك هذا المقام، واستحق عنده مقاما آخر، وهكذا في كل ملك في العرش إلى ما تحت الأرض، فهذه علوم آدم وأولاده من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والأولياء الكمّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وإنما خصّ آدم بالذكر، لأنه أول من علم هذه العُلوم، ومن علمها من أولاده، فإنما علمها بعده، وليس المراد أنه لا يعلمها إلا آدم، وإنما خصصناها بما يحتاج إليه، وذريته، وبما يطيقونه لئلا يلزم من عدم التخصيص الإحاطةُ بمعلومات الله

(1) سورة البقرة، الآية: 31.

تعالى، وإنما عبّر بقوله تنزلت إشارة إلى الفرق بين علم النبي ﷺ بهذه العلوم، وبين علم آدم، وغيره من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فإنهم إذا توجهوا إليها يحصل لهم شبه منام عن مشاهدة الحق ـ سبحانه ـ فتحصل لهم هذه العلوم، ونبينا ﷺ لا يشغله هذا عن هذا، فهو إذا توجه نحو الحق ـ سبحانه ـ حصلت له المشاهدة التامة، وحصل له مع ذلك مشاهدة هذه العلوم وغيرها مما لا يطاق، وإذا توجه نحو هذه العلوم حصلت له مع حصول المشاهدة في الحق - سبحانه ـ فلا تحجبه مشاهدة الحق عن مشاهدة الخلق، ولا مشاهدة الخلق عن مشاهدة الحق - سبحانه ـ، فتلك العلوم إنما تنزلت ورسخت فيه دون غيره ﷺ، فإن غيره تزول عنه إذا توجه نحو الحق - سبحانه ـ، ولذلك أعجز ﷺ الخلائق، وتضاءلت الفهوم فيه: أي اضمحلت، فلم يفهموه، ولم يعرفوه) هـ[1].

قلتُ: وفيه شاهدٌ جلي للمسألة من أصلها، وردّ على التجموعتي المُخالف فيها، لأن كون هذه العلوم مقصورة على ما يطيقه البشر، وما يحتاجونه إليه، أولهم بها تعلق، وتعليله بقوله: لئلا يلزم من عدم التخصيص الإحاطة بمعلومات الله صريحٌ في ذلك ـ والله أعلم ـ.

• اللّهُمّ[2] صَلّ على من فيه ارتقت الحقائق الوهبية.

• اللّهُمّ صَلّ على من في سماء باطنه طلعت شموس العلوم اللدنية[3].

• اللّهُمّ صَلّ على من في طور روحه توالت التجليات العينية.

• اللّهُمّ صَلّ على من في أفق سره أشرقت الأسرار العرفانية.

---

(1) «الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ» لأحمد بن المبارك السجلماسي (ص393).

(2) هذه الصلوات، نقلها المصنف عن «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 411 ـ 430).

(3) سبق التعريف بمصطلح «العلم اللدني» في (ص663).

• اللّهُـمّ صَـلّ على من هو إمام أئمة العارفين.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من عنه أخذت ومنه اكتسبت مقامات اليقين[1].

• اللّهُـمّ صَـلّ على من أوضحها فتلقاها عنه العلماء تحققًا.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من وهبها فاكتسبها منه العارفون تخلقًا.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من ورثها علمًا وحالًا.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من توصّل بواسطة كل ذي حظ منها إلى حظه نساءً ورجالًا.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من هو قاسم الفتوحات الغيبية.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من هو الواسطة في نيل أسرار الحضرة القدسية.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من قال: **«إني لأعلمكم بالله وأشدكم لهُ خشية»**[2].

• اللّهُـمّ صَـلّ على من اغترف أئمة هذا الشأن فنالوا المنى.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من قال: **«إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»**[3].

• اللّهُـمّ صَـلّ على من شبه السماء في كونه مجلي الأنوار.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من شبهت العلوم المنجلية فيه بالشموس والنجوم والأقمار.

---

(1) أصول مقامات اليقين التي ترد إليها فروع أحوال المتقين تسعة: أولها التوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة، وهذه محبة الخصوص وهي محبة المحبوب. «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (ت386هـ) (الفصل 32 ج2 ص499)

(2) سبق تخريجه في (ص405) و (ص918).

(3) سبق تخريجه في (ص405)، و (ص918).

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن شبه انجلاء العلوم فيه بارتقاء الأنوار الحسية في السماء واستُعير الثاني للأول ثم اشتق الفعل من المستعَار.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن دلت التبعيّة التحقيقية مع الحرف في مدحه على المكنيتين بدون تخييل كما هو الصحيح المختار.

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن هو أعلم الخلائق على العموم.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن فيه ارتقت جميعُ حقائق العلوم.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن أتى من العلوم بما تقصر عنه العقول.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن عليه عوّل كل محقق في المعقول والمنقول.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كلامه برهان وحجة لأهل الاجتهاد.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن هو قدوة الراسخين في العلم من كل حاضر وباد.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن علمه أصل علوم العلماء.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن معرفته معدن معارف العارفين وحكمته منبع حكم الحكماء.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن عِلمُ كل عَالِم بالنسبة إلى علمه كقطرة من بحر.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن حكمة كل حكيم بالنسبة إلى حكمته كأدنى السر من أعلى الجهر.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كان يكتسب الأعرابي الجلف بمجرد طلعته ما لا يحصله الذكر النقادُ في الدهر.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن الأمة في عصره تفوق في العلم فحول علماء العصور.

• اللّهُمّ صَلّ على من حكم لأجل ذلك بجميع أصحابه بصحة الاقتداء بهم فيما أشكل من الأمور.

• اللّهُمّ صَلّ على من شبه أصحابه بالنجوم فاعلم أنهم في الظلمات لمريد الاهتداء نور.

• اللّهُمّ صَلّ على من كل حكمة جلت أو قلت فإليه انتسابها.

• اللّهُمّ صَلّ على من قال: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**»[1].

• اللّهُمّ صَلّ على من تضمنت أحاديثه من غرائب العلم العجب العجاب.

• اللّهُمّ صَلّ على من جوامع كلمه لتدفق لطائف المعاني البحر الصباب.

• اللّهُمّ صَلّ على من قال فيه وهب: (إن محمدًا ﷺ أرجح الناس عقلًا وأفضلهم رأيًا)[2].

• اللّهُمّ صَلّ على من قال فيه أيضًا: (ما العقول في جنب عقل محمد إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيـــا)[2].

• اللّهُمّ صَلّ على من لمّا جزّأتَ العقل إلى مائة جزء أعطيته تسعة وتسعين منها.

• اللّهُمّ صَلّ على من بلغ من سياسة الخلق وتأديبهم مرتبة عجزت عقول العقلاء عنها.

• اللّهُمّ صَلّ على من بعث في بلاد قوم كانوا كالأنعام الشاردة.

• اللّهُمّ صَلّ على من دعاهم وهم ذو طباع متنافرة وأراء متباعدة.

---

(1) سبق تخريجه في (ص996).

(2) «الشفا» للقاضي عياض (ط2006 دار الرشاد ص52 – 53).

• اللّهُمّ صَلّ على من ساسهم مع ذلك واحتمل جفاهم.

• اللّهُمّ صَلّ على من اشتدت إذايتهم له فصبر على أذاهم.

• اللّهُمّ صَلّ على من لم يزل كذلك حتى أذعنوا له وانقادوا إليه.

• اللّهُمّ صَلّ على من اتبعوه بعد الإذاية ونصروه واجتمعوا عليه.

• اللّهُمّ صَلّ على من قاتلوا دونه أهاليهم وآباءهم وأبناءهم.

• اللّهُمّ صَلّ على من اختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم.

• اللّهُمّ صَلّ على من استقام له هذا من غير ممارسة ولا مطالعة.

• اللّهُمّ صَلّ على من لم يتعلم سيَر الماضين وأتى بأبدع منها حتى سلم ذوو المنازعة.

وجه آخر[1]:

• اللّهُمّ صَلّ على من ارتقت فيه حقائق العلم بكمال التحقيق.

• اللّهُمّ صَلّ على من تحلّت عنده بما لم تتحل عند غيره من حلل التحرير والتدقيق.

وجه آخر:

• اللّهُمّ صَلّ على من ارتفعت فيه حقائق العلم بكمال البث والانتشار.

• اللّهُمّ صَلّ على من بلغت به ما لم تبلغه بغيره من الظهور والاشتهار.

وجه آخر:

• اللّهُمّ صَلّ على من ارتفعت فيه حقائق العلم بكثرة الانتفاع.

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 411 ـ 430).

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق ملازمة للإتباع.

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن ارتفعت فيه حقائق العلم باجتماعها له على التمام.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن جمع علم الأولين والآخرين وكان فيه الأوحد الإمام.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن ارتفعت فيه حقائق العلم بملازمة الوعظ والتذكير.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كـانت مجالسه توجب للقلوب الصفاء والتنوير.

[وجـه آخر][1]:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن ارتفعت فيه حقائق العلم ببذله للمستحق ومنعه من غيره.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كان يخاطب الناس بقدر عقولهم ويعطي كل مؤمن ما يستحقه من أنواع بره وخيره.

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن ارتفعت فيه حقائق العلم بجمعه ما افترق في غيره من النبيئين والمرسلين.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن خُتموا به لذلك وكانوا في البعث أولين.

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن ارتفعت فيه حقائق العلم فكانت رؤية ذاته توجب ذكرك.

---

(1) كتبت هذه الجملة في هامش المخطوط.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن كانت صفاته وأفعاله وأخلاقه تذكر توحيدك وشكرك.

وجـه آخـر:

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن ارتفعت فيه حقائق العلم بالأميّة فكان العلم له معجزة قاطعة.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من أتى مع أميته بالعلوم الباهرة المؤيدة بالحجج الساطعة.

وجـه آخـر:

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن ارتفعت فيه حقائق العلم بالسياسة التي ألف بها بين العرب والعجم.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من قوي على حمل أعباء البعثة لسائر الأمم.

وجـه آخـر:

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من ارتفعت فيه حقائق العلم فسبق يوم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، إلى الجواب بـ ﴿بَلَىٰ﴾[1].

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من تقدم في النبوءة والرسالة والسعادة وجميع المقامات العلى.

وجـه آخـر:

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن ارتفعت فيه حقائق العلم فوقعَ عند ولادته ساجدًا لجلالك[2].

(1) سورة الأعراف، الآية: 172.

(2) أورده أبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (رقم 555 ج1 ص 610)؛ والسيوطي في «الخصائص الكبرى» (ج1 ص82).

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من وقع عنـد ولادته رافعـا سبّابته مبتهـلًا لعز كمـالك[1].

وجـه آخر[2]:

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من ارتفعت فيه حقائق العلم فجمع بين النبوءة والسلطان.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من جاهد أعداءك حتى ظهر دينه على جميع الأديان.

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من ارتفعت فيه حقائق العلم فقويَ على آداب الرؤية.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من كان قاب قوسين أو أدنى فنال المراد والبُغيَة.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من أثنيت عليه بكمال علمه بالأدب حال الرؤية بقولك: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[3].

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من لـم يلتفت بصره إلى السّوَى[4] مع كثرة أنواع الحضرة بل اعتدل وما بغى.

---

(1) أورده أبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (رقم 555 ج1 ص 610)؛ والسيوطي في «الخصائص الكبرى» (ج1 ص82).

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ص 411 ـ 430).

(3) سورة النجم، الآية: 17.

(4) السّوي: هو الغير، وهو الأعيان من حيث تعيناتها. «التعريفات» للجرجاني (ص123)؛ وفي «لسان العرب» لابن منظور (حرف الواو والياء من المعتل: فصل السين، ج14 ص413): (وسوى وسوى بمعنى غير، كقولك سواء. قال الأخفش: سوى وسوى إذا كان بمعنى غير، أو بمعنى العدل، يكون فيه ثلاث لغات: إن ضممت السين أو كسرت قصرت فيهما جميعًا، وإن فتحت مددت، تقول مكان سوى وسوى وسواء، أي: عدل ووسط فيما بين الفريقين).

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كما اعتدل قلبه في كمال الانقطاع إليك اعتدل بصره.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من كما كمُل شُهُود بصيرته لذاتك المقدّسة كمل بعيني رأسه نظره.

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن ارتفعت فيه حقائق العلم فاختص بكونه يوم القيامة خطيب الأمم.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن يفيض عند ذلك من قلبه على لسانه من الثناء ما لم يسمع به أحد ممن له في المعرفة قدمٌ.

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن ارتفعت فيه حقائق العلم فكان يغان على قلبه غين أنوارٍ.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كان يُعدّ له في المجلس الواحد المائة من الاستغفار.

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على من ارتفعت فيه حقائق العلم فكان يظهر الافتقار إليك تارة والاستغناء بك أخرى.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن اشتدّ به العطش وصيّر عين تبوك تزخر زخرًا[1].

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن شدّ بالخندق على بطنه الحجر من الجوع وأطعم فيه ألفًا من صاع.

---

(1) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الفضائل، باب في معجزاته ﷺ، برقم 706 ج7 ص384).

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن بات الليالي المتتابعة طاويًا وأشبع جيشًا من إحدى وعشرين تمرة ودفع الباقي لأبي هريرة فأكل منه إلى قتل عثمان وضاع.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن عُرف في وجهه الجوعُ بالخندق وأطعم فيه ثلاثة آلاف من قليل تمر وزوّد من آخر أربعين وأربعمائة فحمل كل ما استطاع.

وجـه آخـر[1]:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كان كل جوعه وعطشه في هذه المواطن اختياريا.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن دل كلامه في حديث الوصال على أن ذلك لـم يكن منه اضطراريًا.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن قال: «**إني أبيتُ عند ربي يطعمني ويسقين**»[2].

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن قيل في معناه: إنك تعطي قوة روحانية، وتغذوه بأنوار اليقين.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن قيل في معناه أيضًا: (إنك تغذوه حقيقة من طعام الجنة وذلك لا ينافي الوصال).

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن لـم يقدح أكله على سبيل خرق العـادة في وصاله لأنه ليس من منافذ الإيصال.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كان أغنى الخلق بك ولـم يكن فقيرًا قط ولا كانت حالته حالةَ الفقراء.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كان يعطي عطاء تعجز عنه أكـابر الملوك وعظمـاء الأمراء[3].

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 411 ـ 430).

(2) سبق تخريجه في (ص619).

(3) «الشفا» للقاضي عياض (ط2006 ج1 ص78 – 79).

• اللّهُـمّ صَـلّ على من قيل في معنى قوله: «**اللّهُم أحيني مسكينًا**»، أن المراد به استكانة القلب لا الفقر والفاقة

• اللّهُـمّ صَـلّ على من جاءت إليه مفاتيحُ خزائن الأرض وكانت لهُ على تناول ما فيها القدرة والطاقة.

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على من ارتفعت فيه حقائق العلم فاختار العبودية على الملك وهي في الحقيقة الملك الأبدي.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من علم أن العبودية هي كمال الإنس وفي ضمنها النعيم السّرمدي.

وجـه آخر يتضمن شرح النص الذي بعد هذا:

• اللّهُـمّ صَـلّ على من فيه ارتقت الحقائق التي هي المسميات وتنزلت بالنسبة إليها الأسماء.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من خصّ عن أبيه جسدًا لكونه هو أباه روحًا بما هو أشرف وأسما.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من عرف أبوه الأشياء من حيث دلالة الأسماء عليها.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من عرفها أبوه بهذا الاعتبار دون حقائقها المركبة من الذاتيات المنسوبة إليها.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من دلّ على علم أبيه نفس الأشياء على الوجه المذكور عرضها عليه وتطبيقه كل اسم على مسماه.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من لم يكن علم أبيه بمجرد الألفاظ فإن الله عن ذلك أسماه.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن عَلم الأشياء بالاعتبار الأول والثاني.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من عرفها بالحدود الاسمية والحقيقية فكمل له علم المعاني.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن عرفها من الوجه الأعم وهو طريق المفهوم.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من عرفها من الوجه الأخص الصادق بها من الذاتيات لا غيرها وبالموجود دون المعدوم.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن اختص عن آدم بعلم المسميات تفصيلًا وشاركه في علم الأسماء التي لها.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن قال: **«مُثلت لي أمتي في الماء والطين فعلمتُ الأسماء كلها كما علم آدم الأسماء كلها»**[1].

• اللّهُـمّ صَـلِّ على من اختص عن كافة الخلق بعلوم عظيمة وخصّ أقواما بأخرى بعد التبليغ التام.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن قال: **«أورثني ربي علوما شتى فعِلم أخذ عليَّ كتمانه، وعلـم خيّرني فيه، وعلـم أمرني بتبليغه إلى الخاص والعام»**[2].

وجـه آخـر في شرح التنزل:

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن فيه تنزلت العلوم بعد رفعها بقبض أهلها.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن تولت بوجوده جنود الأنوار مملكة القلوب بعد عزلها.

• اللّهُـمّ صَـلِّ على مـن تنزلت فيه علوم آدم وأعظم بعلوم عجزت الملائكة عنها.

---

(1) سبق تخريجه في (ص1020).

(2) سبق تخريجه في (ص666)؛ (ص1021).

• اللّهُمّ صَلِّ على من لهذه النكتة أضيف ما تنزل فيه آدم حتى يستنتج بالأحدوية إعجاز غيرهم منها.

• اللّهُمّ صَلِّ على من فيه تنزلت علوم آدم وأحرى علوم غيره من النبيئين والمرسلين.

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال: **(وضع ربي يده بين ثديّ من غير تكييف ولا تحديد، فوجدت بردَها فأورثني علم الأولين والآخرين)**[1].

• اللّهُمّ صَلِّ على من تنزلت فيه علوم آدم الذي هو الأب الأكبر.

• اللّهُمّ صَلِّ على من يناسب ذلك حيازته لعلوم من عنه تأخر.

• اللّهُمّ صَلِّ على من تنزلت فيه علوم آدم مع تباعد عصره.

• اللّهُمّ صَلِّ على من اقتضى ذلك أولوية حيازته لعلوم غيره.

• اللّهُمّ صَلِّ على من اقتضت الإشارة للإعجاز مع الإيجاز الاقتصار على ذكر أبيه.

• اللّهُمّ صَلِّ على من استبان مما سبق نكتة الإتيان بالجمع المفيد لكثرة ما تنزل فيه[2].

وجه آخر:

• اللّهُمّ صَلِّ على من له أدعنت علوم آدم ولم يستعص شيء منها.

• اللّهُمّ صَلِّ على من لهذه النكتة جيء بما يفيد انحصارها فيه تمييزًا للخصوصية وإبانة عنها.

---

(1) سبق تخريجه في (ص666)؛ وفي (ص1021).

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ص 422 ـ 423).

وجـه آخـر باعتبـار العطف:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن لمـا كان تنزل العلم فيه نسبيًا صحّ كون التنزل مندرجًا في مُرتقى الحقائق أخص منها.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن ذكر الأخص من علومه بوصف التنزل والنسبة لآدم في تشريفه أنمى.

وجـه آخـر في أصـل المعنـى:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن منه تنزلت العلوم لآدم ثـم ترقت له فلما كان أصلها منه صار مآلها إليه.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن اجتمعت في علومه طريقة: التـدلـي والترقـي، ومدار الطريقتين عليه.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن لمـا أعطى العلوم تنزلت ولـمـا أخذها ترقت إذ لا يد فوق يديه.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كلمة (في) الداخلة على ضميره في هذا الوجه بمعنى: (من وإلى)، من قبيل استعمال المشترك في معنييه.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن وصف علومه بالتنزل على أول الوجوه، باعتبار المعلوم وعلى هذا باعتبار العالـم.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن لا تنقيص في تفضيله لمن فضل عليه بل كمـال الثناء للتشريك معه في الفضل لازمٌ.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن أشيرَ بالتعبير عن المتنزل فيه بالحقائق إلى أن علم آدم ليس مقصورًا على الأسماء.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن يفهم من نسبة علـوم آدم له أن علمه أشمل من جميع علـوم المرسلين وأسمى.

وجـه آخر:

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن لولا نوره المودَع في آدم لـم تتجل له تلك العلوم، بل لـم يكن له وجودٌ.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن فيه تنزلت علوم آدم في الحقيقة عند إبانة فضله وأمدّ الملائكة له بالسجود.

وجـه آخر:

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن فيه تنزلت علوم آدم قبل أن يوجد ويظهر.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن أمدّه بتلك العلوم ومن ثـمّ قيل فيه آدم الأكبر.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن فيه تنزلت علوم آدم حيث تلقّاها منك بلا واسطة.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن تبينت صحة انحصار تنزلها فيه بهذا الاعتبار إذ لا غنى لغيره عن الواسطة.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن أعجز الخلائق بعلومه من غير قراءة لعلـم ولا مخالطة لأهلـه(1).

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن أخرس الفصحاء وأفحم البلغاء حتى أتى بما لم يأت أحدٌ بمثله.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن أخبر ـ مع أميّته ـ بوقائع القرون السالفة وقصص الأمم الماضية.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن وقعت وتقع طبق إخباره ما بينه من المغيبات الآتية.

• اللّهـمّ صَـلّ على مـن أعجز الخلائق كمال علمه عن أن يُدانوه في مرتبته العالية.

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 423 ـ 424).

• اللّهُمّ صَلِّ على من خصصتَه بالمعراج وخصصته فيه بعلوم هي في العجز عن لحاقه كافية.

• اللّهُمّ صَلِّ على من رُفعت له سدرة المنتهى ودخل البيت المعمور.

• اللّهُمّ صَلِّ على من دخل الجنة ورأى ما فيها من القباب والقصور.

• اللّهُمّ صَلِّ على من سمع صريف الأقلام في تصاريف الأقدار بما كان أو هو كائن من الأمور.

• اللّهُمّ صَلِّ على من رقي به إلى العرش والرفرف ووقف جبريل دون ذلك وقال: (إن جاوزت مقامي احترقتُ بالنور).

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال له عند ذلك: (هل لك من حاجةٍ إلى ربك فأشفع لك إليه).

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال له جبريل: (سَلْهُ أن يبسط جناحي على الصراط لأمتك حتى يجوزوا عليه).

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال: «**ثم زجّ في النور فخرقت سبعين ألف حجاب**».

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال: «**انقطع عني حس كل ملك وإنسي فلحقني عند ذلك استحياش فسمعتُ الخطاب**».

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال: «**ناداني مناد بلغة أبي بكر: قف إن ربك يصلي**»[1]، فبينما أنا أتفكر في معناه القريب.

---

(1) عرض له ابن فورك في معرض تأويله لحديث العرش، وقد أخبر جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ النبي ﷺ بذلك حين أسرى به، فسأله عما يقول، فقال: يقول: سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي. ينظر كتاب مشكل الحديث» تأويل الأخبار المتشابهة» لابن فورك (برقم 95 ص198 – 199)؛ وأورده عبد الرزاق الصنعاني في «مصنفه» (برقم 2898 ج2 =

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن قال: «فإذا النداءُ من قِبَل العلي الأعلى: ادنُ يا أحمد، أدن يا محمد، ليدن الحبيب من الحبيب»[1].

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن قال: «قلت لربي: عجبت من هاتين: هل سبقني أبو بكر إلى هذا المقام، وأن ربي لغني عن أن يصلي».

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن قلتَ له: «أنا الغني عن أن أصلي إلى أحد، وإنما أقول: (سبحاني سبحاني رحمتي سبقت غضبي)[2]، فاقرأ ما أنزلت عليك من قولي».

• اللّهُـمّ صَـلّ على من قلتَ له إقرأ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾[3]، ثـم قلت: (فصلاتي رحمة لك ولأمتك).

• اللّهُـمّ صَـلّ على من قلتَ له: «وأما مسألة صاحبك فناداك ملك بلغته إزالة لوحشتك».

• اللّهُـمّ صَـلّ على من قلتَ له ـ لما أنس موسى بالعصى قلتَ له ـ: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴾[4] فشغل بذكرها بعظيم الهيبة.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من قلتَ له: «لما جعلنا أبا بكر أنيسك في الدنيا والآخرة

= ص162)؛ والخطيب في «تاريخ بغداد» (برقم 1830 ج4 ص673)؛ كما شرحه القرطبي في «تفسيره» (عند الآية 43 سورة الأحزاب، ج14 ص198)؛ والذهبي في «ميزان الاعتدال» (ج4 ص64)؛ وقال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (ج1 ص21): (رجاله ثقات وهو موقوف على عطاء فلعله سمعه ممن لا يثق به)؛ والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (رقم 7 ص444).

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري (ص 425 ـ 426).

(2) سبق في (ص666) و (ص1021).

(3) سورة الأحزاب، الآية: 43.

(4) سورة طه، الآية: 17.

خلقنا ملكًا على صورته ليناديك بلغته لتأنس بسابق الصحبة».

• اللّهُمّ صَلِّ على من قلتَ له: «أين حاجة جبريل؟ فقال: اللَّهُم إنك أعلم وأنتظر غيبك».

• اللّهُمّ صَلِّ على من قلتَ له: «قد أحببته فيما سأل، ولكن فيمن أحبَّك وصحبك».

• اللّهُمّ صَلِّ على من لمَّا كان في هذه المنزلة قال: «**اللَّهُم إنك عذبت الأمم فما أنت فاعل بأمتي؟**».

• اللّهُمّ صَلِّ على من أجبتَه بقولك: «أبدل سيئاتهم حسنات، واستر على عُصاتهمْ وأشفعك فيهم، وأنزل عليهم رحمتي».

• اللّهُمّ صَلِّ على من قال عند الانصراف: «**يا رب لكل قادم من سفر تحفة، فما تحفة أمتي؟**».

• اللّهُمّ صَلِّ على من قلتَ له: «أنا لهم ما عاشوا، وأنا لهم إذا ماتوا وأنا لهم في القبور وأنا لهم في النشور برحمتي».

• اللّهُمّ صَلِّ على من تذكَّر نبيُّك موسى ما أوحيتَ إليه في شأنه، فجعل يردده ليفوز بالنظر إليه.

• اللّهُمّ صَلِّ على من رأى موسى هلالا: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[1] بين عينيه[2].

• اللّهُمّ صَلِّ على من رأى موسى عند ذلك رؤية من رأوا النظر لحبيب

(1) من سورة النجم، الآية: 10.

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 426 ـ 427).

الحبيب حتى يجلي الجمال عليه.

• اللّهُمّ[1] [صَلِّ على من أكرمته بالرؤية البصرية[2] وعلم أسرار الذات العلية، فنال نهاية التقريب.

• اللّهُمّ صَلِّ على من جمعتَ له بين المحبة والخلة[3] وبين الرؤية والكلام، فنال ما لم ينله منك قريب.

• اللّهُمّ صَلِّ على من تضمنت هذه القضيةُ أن علومه أكثر من علوم اللوح والقلم وأعلا وأعمّ.

• اللّهُمّ صَلِّ على من أخبر عنك أنك خلقت ألف ألف أمة لم يطلع عليها اللوح المحفوظ، ولا صريف القلم[4].

• اللّهُمّ صَلِّ على من أخبر أن كل أمة من هذه الأمم لم تعلم أنك خلقت سواها.

• اللّهُمّ صَلِّ على من تضمن أخباره أنه اطلع على ما لم يطلع عليه اللوح والقلم إذ لم يشملاها.

• اللّهُمّ صَلِّ على من علمه بأحوال هذه الأمم الزائد على اطلاعه عليها من الجائز الذي لم يمنع منه مانع.

---

(1) سبقت العناية بهذا الجزء - ما بين معقوفتين ـ من الصلوات في مقدمة «الروض المعطار» (ص666ـ669)، وهي للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) في «الإلمام والإعلام» (ص428 – 429).

(2) إشارة إلى حديث: «إن الله اصطفى محمدًا بالرؤية». سبق تخريجه في (ص666 ـ 667).

(3) سبق التعريف بـ«مقام الخلة»؛ و«مقام المحبة» في (ص667).

(4) سبق الإشارة له وتخريجه في (ص667).

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن اتفقت كلمة أهل الإسـلام على أنه أعلم الخلق وأفضلهم من غير منازع ولا مدافع.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن قال فيه السيوطي: (أنه أوتي علـم كل شيء إلا الخمس التي في آخر لقمان)[1].

• اللّهُـمّ صَـلّ على من قيل أنه أوتي علمها أيضًا لكنه أمر فيه بالكتمان[2].

• اللّهُـمّ صَـلّ على من قال مع هـذا: «**أحمدُ ربي بمحامد يوم القيـامة لا أعلمها الآن**»[3].

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن أمرته مع هذا بطلب زيادة العلـم فبان أنه لا يزال مترقيا في العرفـان.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن قـال فيه الجيـلاني[4]: (فتح فـاه ليلة الإسراء، فقطرت فيه قطرة من بحر العلم الأزلي فعلـم بهـا مـا هو كـائن أو كـان)[5].

• اللّهُـمّ صَـلّ على من أفهمَ قول الجيلاني: (فقطرت فيه قطرة)، أن عظمتك فوق ما تدركه العقول والأذهان].

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن فيه على الحقيقة تنزل ما أعطيته آدمَ من العلوم والحقائق.

---

(1) كتاب «الخصـائص الكبرى» لجلال الدين السيوطي (ت911هـ) (ج2 ص335).

(2) «الإلمام والإعلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 426 ـ 427).

(3) من حديث الشفـاعة الطويـل. سبق تخريجـه في (ص543 ـ 544).

(4) سبقت ترجمته في (ص668).

(5) كتاب «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الجيلاني» لعلي بن يوسف الشطنوفي، (ص210)، الطبعة الصادرة عن المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم – فاس2013).

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن بنوره الذي سرى في آدم أعجز الخلائق.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من لمّـا كان إعجاز علومه للملائكة في قضية آدم متضمنا فالأحروية لإعجاز غيرهم صح الاستغراق.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن كل معجزة أتى بهـا المرسلون فهي من نوره الذي لهم فيه سريان وإشراق.

وجـه آخـر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على من فيه على الحقيقة تنزلت علوم آدم وقتَ إبانة فضله للملإ الأكبر.

• اللّهُـمّ صَـلّ على المعجز في ذلك الوقت على الحقيقة وآدم خليقة ومظهر.

وجـه آخر:

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن فيه تنزلت علوم آدم وغيره من المرسلين وهو الذي أمدهم بالأنوار.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من استبان من ذلك أنه المعجز للملائكة ولأمم المرسلين في كل الأعصار.

• اللّهُـمّ صَـلّ على من عموم الخلق الذين أعجزهم على هذا أكثر منه على الوجوه المتقدمة.

• اللّهُـمّ صَـلّ على مـن هذا الشرح الأخير أمدحُ لهُ فجعلتهُ لبنة تمام المعاني وما سبق له مقدمة. انتهـى[1].

---

(1) «الإلمـام والإعـلام» للعلامة بن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 429 ـ 430).

* **تنبيــه**[1]:

• قـال القلشـاني: (اختُلف في الرؤية، فقيل: رآه بعيني رأسه، وقيل: بعيني قلبه، قال الأشعري: (ولا يريد به العلم؛ لأنـه ﷺ عالـم بالله في جميع الأزمان، فلا بد من حمله على قدر زائد على ذلك يسمى: رؤيـةً)[2].

• قـال النــووي: (والراجح عند الأكثر أنه رآه، لأن ابن عباس أثبته؛ وليس مما يدرك بالاجتهاد، فإنما قاله لأنه سمعه، وعائشة لـم تستند في النفي إلى حديث، بل استنبطته؛ واستنباطها مجاب عنه؛ احتجّت بأنه بآية: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[3])[4].

• وأجاب الجمهور بأن: (الإدراك هو الإحـاطة، والله تعـالى لا يحاط به وإنما يراه المؤمنون في الآخرة بغير إحاطة، وكذا رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء) هـ[5].

• وقال البكـي: (اختلف فيه على ثلاثة أقوال:

- **الأول**: أنه رأى ربه. وهو قول أكثر السلف وجماعة الصوفية، قال النــووي: (وهو الصحيحُ).

- **والثاني**: أنه لـم يره. وهو قول أكثر الأشاعرة، وبعض السلف.

- **والثالث**: الوقف. وهو اختيار القـاضـي عيـاض.

- **والحــق أنه رآه**، وأن ذلك مخصـوص به دون سائر الأنبيـاء) هـ[6].

---

(1) هذا التنبيه نقله المصنف عن «الإلمام والإعـلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 156 ـ 158).

(2) «تحرير المقالة في شرح الرسالة» لأبي العباس أحمد القلشاني (ت863هـ) (ص162).

(3) سـورة الأنعـام، الآية: 103.

(4) «صحيح مسلم بشرح النووي المسمى بالمنهاج» (طبعة دار الإحياء2009م، ج2 ص287).

(5) «الإلمـام والإعـلام» للعلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 156).

(6) «تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب» لمحمد بن قاسم البكي الكومي =

• وقال الطيبي، بعد ذكر الخلاف الحاصل: (إن الراجح عند أكثر العلماء، أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء، وإثباتُ هذا ليس إلا بالسماع منه ﷺ. هـذا مما لا ينبغي أن يشك فيه)[1].

• وقال المحلّي: (اختلف الصحابة في وقوعها له ﷺ ليلة المعراج، والصحيح: نعـم)[2].

• وعن المروزي[3]: (قلت لأحمد: إنهم يقولون أن عائشة قالت: (من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية)[4]، فبأي معنى يدفع قولها؟ قال: يقول النبي ﷺ: (رأيت ربي)، وقول النبي أكبر من قولها) هـ[5].

وكـذا اختلفوا: هـل سمع الكـلام؟

= التونسي (ت916هـ) (ص168).

(1) ذكره في «شرح الطيبي» شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت743هـ)، على مشكاة المصابيح المسمى بـ«الكاشف عن حقائق السنن»، (ج11 ص 3581). ونسبه لمحيي الدين النووي.

(2) «البدر الطالع في حل جمع الجوامع للإمام تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي» للإمام الجلال شمس الدين المحلّي (ج2 ص426).

(3) هو أبو عبد الرحمن المروزي محمد بن جابر (ت279هـ)، إمام حافظ ومحدث كبير. سمع من أحمد والمديني وغيرهما. ترجمته في «الأنساب» للسمعاني (ج11 ص255)؛ وفي «سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 134 ج13 ص281)؛ و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (برقم 667 ج2 ص644)؛ و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (برقم 641 ص286)؛ وفي «شذرات الذهب» لابن العماد (ج3 ص313).

(4) سبق تخريجه في (ص393).

(5) رواه الخلال في كتابه «السنة» عن المروزي. «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني (كتاب التفسير سورة النجم، برقم 4855 ج8 ص607).

• فأثبت ذلك: ابن عباس، وجماعة من السلف، والأشعري في جماعة من المتكلمين، محتجين بقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[1]، قالوا: معناه دون واسطة[2].

• ونفاه جماعة، قالوا: (والمراد بالعبد: جبريل أو محمد عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، ولكن الموحى جبريل)[3].

• قال الأبي[4]: (سماع الكلام حينئذ جائز، والجزم يفتقر إلى قاطع وإذا كان وجه اختصاص موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بذلك شرفه، فالنبي ﷺ أولى. وذكر النقاش[5] في قوله: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾[6]، قال: فارقني جبريل وانقطعت عني الأصواتُ فسمعتُ

---

(1) سورة النجم، الآية: 10.

(2) ذكره في «الشفا» القاضي عياض (ت544هـ) (ط2006، دار الرشاد، ج1 ص129 - 130)؛ وفي «المنهاج شرح صحيح مسلم» النووي (ت676هـ) (ج2 ص288)؛ وفي «فتح الباري» ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) (ج7 ص272).

(3) «الإلمام والإعلام» للعلامة بن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 158 ـ 160).

(4) سبقت ترجمته في (ص880).

(5) هو العلامة، المفسر، شيخ القراء، أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي، ثم البغدادي، النقاش (ت351هـ) من آثاره: «شفاء الصدور» و «الموضح في معاني القرآن» وغيرها. «تاريخ بغداد» للخطيب (برقم 584 ج2 ص602)؛ و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (برقم 6233 ج52 ص320)؛ و«المنتظم في تاريخ» لابن الجوزي (برقم 2623 ج14 ص148)؛ و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (برقم 1032 ج6 ص2500)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (برقم 627 ج4 ص298)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 348 ج15 ص573)؛ و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (برقم 872 ج3 ص908)؛ و«الوافي بالوفيات» للصفدي (برقم 800 ج2 ص255)؛ و«طبقات الشافعية» للسبكي (برقم 129 ج3 ص145)؛ و«البداية والنهاية» لابن كثير (ج15 ص259)؛ و«طبقات المفسرين» للسيوطي (برقم 92 ص94)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (ج4 ص271).

(6) سورة النجم، الآية: 8.

كلامَ ربي: (ليهدأ روعك يا محمد أدنُ، أدنُ)[1]. وذكر البزار ما هو أبين فقال: (فخرج ملك فقال: الله أكبر، الله أكبر، فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي: أنا أكبر، أنا أكبر، وقال في بقية كلمات الأذان مثل ذلك)[2] هـ كلام الأُبي[3].

• وقال القرطبي: (الحكمة في أمر موسى بمراجعة النبي ﷺ في أمر الصلاة يحتمل أن يكون لكون أمة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كلفت من الصلوات ما لم يكلف به غيرها، فثقلت عليهم، فأشفق موسى على أمة محمد ﷺ مثل ذلك، ويشير إليه قوله: (إني قد خبرت الناس قبلك) هـ[4].

• والذي أوحى لموسى هو ما تقدم من قول الله له: (أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك)... لخ، كما في «الحلية»[5]، وتقدم قول القطب أبي محمد عبد القادر وهو يناجي حبيبه... لخ. فراجعه.

• وقال بعض أهل الإشارة[6]: (لما سأل موسى ـ عليه الصلاة والسلام

---

(1) «الشفا» للقاضي عياض (ط2006 ج1 ص129).

(2) رواه البزار في «مسنده» (برقم 508 ج2 ص146)؛ وفي «الشفا» القاضي عياض (ج1 ص129)؛ وفي «كشف الأستار» الحافظ الهيثمي (برقم 352 ج1 ص178)؛ وقال في «مجمع الزوائد» (ج1 ص328): (رواه البزار، وفيه زياد بن المنذر، وهو مجمع على ضعفه).

(3) «الإلمام والإعلام» العلامة بن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 158 ـ 159).

(4) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (كتاب مناقب الأنصار: باب المعراج، ج7 ص264)؛ والقسطلاني في «المواهب اللدنية» (ج3 ص110)؛ والصالحي الشامي في «سبل الهدى والرشاد» (ج3 ص206)؛ وابن زكري الفاسي في «الإلمام والإعلام» (ص159).

(5) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني (ج6 ص32).

(6) «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي (التنبيه الرابع ومائة، ج3 ص216)؛ وفي «المواهب اللدنية» للعلامة القسطلاني (ج3 ص110 ـ 111)؛ ونقله العلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) في «الإلمام والاعلام» (ص159 ـ 160).

ـ الرؤية، ولـم تحصل له البغية، بقي الشوق يقلقه، والأمر يعلله، فلما تحقق أن سيدنا محمدًا الحبيب منح الرؤية، وفتح له باب المزية، أكثر السؤال، واستعدّ لرؤية من قد رأى كما قيل:

واستنشقُ الأرياح من نحو أرضكم ... لعلي أراكم أو أرى من يراكمُ
وأنشد من لاقيتُ منكم عساكمُ ... تجودون باللطف منكم عساكمُ
فأنتم حياتي إن حييتُ وإن أمتْ ... فيا حبّذا إن متُّ عبْد هواكم[1]

ويرحم الله القائل:

وإنما السر في موسى يردده ... ليحتلي حسن ليلى حين يشهدهُ
يبدوا سناها على وجه الرسول فيا ... للّه در رسول حين أشهدَهُ[2]

وقال آخر[1]: لما جلس الحبيب في مقام القرب، ودارت عليه كؤوس الحب، ثم عاد وهلال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[3] بين عينيه، وسر ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[4] ملء قلبه وأذنيه. فلما اجتاز بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال لسان حـاله:

يا واردًا من أهَيْل الحي يخبرني ... عن جبرتي شنّق الأسماع بالخبر
ناشدتك اللّه يا راوي حديثهم ... حدّث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري[5]

---

(1) «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي (التنبيه الرابع ومائة، ج3 ص216)؛ وفي «المواهب اللدنية» للعلامة القسطلاني (ج3 ص110 ـ 111)؛ ونقله العلامة ابن زكري الفاسي (ت1144هـ) في «الإلمام والاعلام» (ص159 ـ 160).

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) سورة النجم، الآية: 11.

(4) سورة النجم، الآية: 10.

(5) «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي (التنبيه الرابع ومائة، ج3 ص216)؛ وفي «المواهب اللدنية» للعلامة القسطلاني (ج3 ص110 ـ 111)؛ ونقله العلامة ابن زكري =

فأجاب لسان حال نبينا محمد ﷺ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا   سر أرق من النسيم إذا سرى
وأباح طرفي نظرة أمّلتها   فرجعتُ من فيض الجمال كما ترى[1]

وقال سيدي أحمد الحلبي[2]: في هذا المعنى:

في رجوع الحبيب سر خفي   للكليم في طيّه أنصباء
أودع الطور فيه أنوار نيرا   نِ التجلي والسر حاءٌ وباءُ
لن تراني أبغي به نار شوقٍ   لم يزل فيه ذلك الإبقاءُ
فأضاءت ما حوله وهو بالوا   دِ المقدّس في الدّجا الأضواءُ
وتجلت ورا البداقع ليلى   ومُراد الكليم ذاك الوراءُ
فاشتهى نظرة إليها فقالت   ما بهذا المغنى يصحّ اللقاءُ
لو كشفتُ النقاب لازددت طيـ   ـشا وتوالت أنفاسك الصعداءُ
دع عشيقا لرؤيتي وجمالي   ودموعُك ديمة وطفاء
فتمنى الوسيط بين محب   وحبيب يُغدا به ويُجاءُ
ويرحم من رأى الحبيب ولو من   خلف خلفٍ وما لذاك انقضاءُ
ما أجلّك يا حبيب الإله   المصطفى حين تعجز الكبراءُ[3]

وارتقاؤه إلى العرش ورؤيته إياه:

= الفاسي (ت1144هـ) في «الإلمام والاعلام» (ص159 ـ 160).

(1) المصدر السابق.

(2) سبقت ترجمته في (ص16).

(3) هذه الأبيات غير واردة في «عرائس الأفكار في مدائح المختار» لأحمد بن عبد الحي الحلبي (ت1120هـ).

• ذكره ابن المنير [1] لما ذكر المعارج العشرة [2].

• واعترض عليه نجم الدين الغيطي [3] بأنه لم يجيء في الحديث الصحيح إلا ما رواه ابن أبي الدنيا عن أبي المخارق، وهو مما لا تقوم به الحجةُ. ونحوه قول القزويني [4]: (إنما صحّ انتماؤه إلى سدرة المنتهى). وأما إلى ما وراءها، فقد

---

(1) لعله أحمد بن محمد المنير (ت683هـ) من علماء الإسكندرية وقضاتها، من آثاره: «تفسير القرآن» و«شرح حديث الإسراء» على طريقة المتكلمين، و«الانتصاف من الكشاف». ترجمته في «فوات الوفيات» لمحمد بن شاكر الكتبي (برقم 55 ج1 ص149)؛ و«الديباج المذهب» لابن فرحون (برقم 128 ج1 ص222)؛ و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (برقم 659 ج1 ص269)؛ و«درة الحجال» لابن القاضي (رقم 5 ج1 ص9)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج1 ص220).

(2) المعارج العشرة: هي: سبعة معاريج السموات السبع، والثامن إلى سدرة المنتهى، والتاسع إلى المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار، والعاشر إلى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب وهو حقيقة اللقاء. قاله ابن المنير في «المقتفى في شرف المصطفى»، ونقله أبو البركات أحمد الدردير في «حاشيته على قصة المعراج للعلامة نجم الدين الغيطي (ت982هـ) (ص23).

(3) هو الإمام حافظ الديار المصرية ومسندها نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي بفتح الغين المعجمة المصري الشافعي المتوفى سنة 982هـ، من آثاره: «قصة المعراج الصغرى»؛ و«القول القويم في إقطاع تميم» و«مشيخة»؛ و«الفرائد المنظمة» فيما يقال في ابتداء تدريس الحديث، و«بهجة السامعين»؛ و«رسالة في الإسلام والإيمان»؛ و«الأجوبة المفيدة على الأسئلة العديدة»؛ وغير ذلك. «الكواكب السائرة» لنجم الدين الغزي (برقم 1247 ج3 ص46)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (وفيات 984هـ، ج10 ص595)؛ و«فهرس الفهارس» لعبد الحي الكتاني (برقم 505 ج2 ص888)؛ وفي «الأعلام» للزركلي (ج6 ص6).

(4) القزويني: أبو زكرياء يحيى بن عبد العظيم (ت271هـ): الإمام الحافظ الثقة المحدث يحيى بن عبدك، عالم مصنف كبير القدر، من نُظراء ابن ماجة، لكنه أسند وأسن. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 189 ج12 ص509)؛ «شذرات الذهب» لابن العماد (ج3 ص304).

ذكر في أخبار ضعيفة أو منكرة، قال بعضهم: (قد صحّ أنه دخل الجنة وقد ورد أن العرش سقفها) هـ[1].

• وأيضًا المراد من هذا بيان زيادة المزية والفضيلة، لا إثبات حكم من الأحكام، فلا بأس من ذكر الضعيف فيه:

- وأيضًا فقد أخرج ابن قانع، والطبراني، وابن مردويه عن أبي الحمراء عنه ﷺ: **«لما أسري بي إلى السماء السابعة فإذا على ساق العرش الأيمن لا إله إلا الله محمد رسول الله»**[2].

- وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما عرج بي رأيتُ على ساق العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي»**[2].

- وأخرج ابن عساكر عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليلة أسري بي رأيتُ على العرش مكتوبا لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين»** هـ[2].

* هذا، ويؤخذ من هذا الكلام أن الخلاف بين العلماء وقع في مسألتي الكلام والرؤية معًا:

• وأن الصحيح من الخلاف في مسألة الرؤية هو: ثبوتها له واختصاصه بها:

قال في «المراصد»:

ثم الذي قد صححوا في الرؤية إن ربنا اختص بها نبيه[3]

---

(1) «الإلمام والإعلام» للعلامة بن زكري الفاسي (ت1144هـ) (ص 162).

(2) المصدر السابق؛ ورواه القاضي عياض في «الشفا» (طبعة دار الرشاد، ج1 ص114)؛ والسيوطي في «الدر المنثور» (ج9 ص213)؛ والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (برقم 27 ص339)، و(برقم 100 ص383).

(3) ينظر المرصد الأول فيما يرجع إلى ذاته تعالى (الوجه6) من «مراصد المعتمد =

كما أن الصحيح في المسألة سماع الكلام القديم: أنه غير خاص بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن اختصّ باسم الكليم لأن وجه التسمية لا يجب اطراده، فقد شاركه المصطفى ليلة الإسراء كما اقتصر عليه العراقي في «ألفيته»، إذ قال:

ثم دنا حتى رأى الإله بعينيه مُخاطَبًا شِفَاهَا[1]

بفتح الطاء.

• وأما ما رُوي أن: (السبعين الذين اختارهم موسى سمعوا كلام الله وشهدوا بذلك، فلا يلزم منه أن الله كلمهم وإن سَمعوا كلامه، لأن الإنسان قد يسمع كلام من لا يكلمه)[2]؛ قاله الفاكهاني[3].

= في مقاصد المعتقد» أرجوزة في علم التوحيد لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري المالكي (ت1052هـ)، مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 614-6057-9033وغيرها). كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية (ص409). وبالمكتبة الوطنية بالرباط (برقم 2950د) و(برقم 2173 د/ 9)؛ و(برقم 1645 د)؛ و(برقم د- 952).

(1) «ألفية السيرة النبوية: نظم الدرر السنية الزكية» لأبي الفضل زين الدين العراقي (ت806هـ) (البيت 226 ص65)؛ وذكره محمد ابن قاسم جسوس (ت1182هـ) في «شرح توحيد الرسالة» (ج2 ص449).

(2) «شرح توحيد الرسالة» لابن قاسم جسوس (ت1182هـ) (ج2 ص450)؛ ونحوه في «تفسير البغوي: معالم التنزيل» (عند الآية 75من سورة البقرة، ج1 ص113).

(3) **الفاكهاني**: أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدين (ت734هـ): عالم بالنحو، من أهل الإسكندرية. من آثاره: «المنهج المبين في شرح الأربعين النووية»، و«التحرير والتحبير شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني». مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط (برقم 7800) و(برقم 13800)؛ وغير ذلك. الديباج المذهب» لابن فرحون (ج2 ص63)؛ «الدرر الكامنة» لابن حجر (برقم 418 =

فــرعٌ: من ادعى من الأوليـاء أو غيرهـم من مطلق الناس الرؤية في الدنيا يقظة فهو: (ضـال بإطباق المشايخ، وذهب بعضهم إلى تكفيره) هـ. كذا في «الفيض العرشي على الفتح القدسي» للشيخ الشرقاوي المصري[1] رَحِمَهُ اللَّهُ. ثـم حكى عن القاضي عياض: (أنهم اختلفوا في جوازها للأولياء في الدنيا على سبيل الكرامة)[2]؛ فحكى الأستاذ القشيري[3] في «رسالته» عن ابن فورك أنه حكى فيها قولين الأشعري أصحهما: لا تقع لحصول الإجماع عليه الآن[4]، وخلاف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إنما كان في رؤية النبي ﷺ؛ وليس الكلام فيها. وبه قطع الغزالي في «الأحيـاء»، والشيخ شهاب الدين السهروردي[5] وغيرهما من

= ج3 ص178)؛ «بغية الوعاة» للسيوطي (برقم 1844 ج2 ص221)؛ «حسن المحاضرة» للسيوطي (ج1 ص458)؛ شـذرات الذهب» لابن العماد (ج8 ص169)؛ «الأعـلام» للزركلي (ج5 ص56).

(1) سبقت ترجمته (ص768 ـ 769).

(2) حكى ولي الدين العراقي عن عياض أنه قال: (مذهب أهل السنة أنها غير مستحيلة في الدنيا بل ممكنة، ثـم اختلفوا في وقوعها. وسبب المنع أن قوى الآدميين في الدنيا لا تحتملها كما لـم يحتملها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ). قاله العلامة اليوسي في «حواشيه على شرح كبرى السنوسي» (ج3 ص235).

(3) هـو الإمام أبو نصر عبد الرحيم ابن الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابوري (ت465هـ)، الزاهد الصوفي شيخ خراسان وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة، الفقيه الشافعي، جمع بين الشريعة والحقيقة، من آثاره: «الرسالة القشيرية»؛ و«لطائف الإشارات». «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (برقم 471ج5ص153)؛ سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 109 ج18 ص227)؛ «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (ج5 ص91)؛ وفيات الأعيان» (برقم 394 ج3 ص205)؛ «شـذرات الذهب» لابن العماد (ج5 ص275).

(4) ذكره النووي في «المنهاج شرح صحيح مسلم» (كتاب الإيمان: باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى، ج3 ص15).

(5) الذين عُرفوا في تاريخ الإسلام بالسهروردي أكثر من مفكر واحد، وجميعهم اشتهر =

الصوفية من الخلف والسلف.

وفي مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أنه رفع إليه شخص ادعى أنه يرى الله تعالى بعيني رأسه فقال: (أحق ما يقولون عنك؟)، فقال: (نعم)، فانتهره ونهاه عن هذا القول، وأخذ عليه أن لا يعود إليه. فقيل للشيخ: (أمحق هذا أم مبطل؟)، فقال: (هو محق ملبس عليه، وذلك أنه شهد ببصيرته

= بالفضل والعلم والأدب، منهم:

ـ شهاب الدين السهروردي أبو حفص عمر البغدادي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن السابع الهجري، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية، وصاحب «عوارف المعارف» توفي سنة 632هـ. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 239 ج22 ص373)؛ و«طبقات الشافعية» للسبكي (برقم 1232 ج8 ص338)؛ و«الكواكب الدرية» للمناوي (برقم 543 ج2 ص492).

ـ شهاب الدين السهروردي الحكيم الإشراقي: أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، ويلقب بشهاب الدين، واشتُهر باسم السهروردي المقتول (ت587هـ)، الذي قتل في حلب لاتهامه بالتعطيل والزندقة. وهو من كبار المتصوفة في زمانه ومن أفقه علماء عصره بأمور الدين والفلسفة والمنطق والحكمة، ويسمّى مذهبه الذي عرف به «حكمة الإشراق». «وفيات الأعيان» لابن خلكان (برقم 813 ج6 ص268)؛ و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 102 ج21 ص207)؛ و «العبر في خبر من غبر» للذهبي (ج3 ص95)؛ «شذرات الذهب» لابن العماد (ج6 ص376)؛ مقدمة «ديوان السهروردي المقتول» لكامل مصطفى الشيبي (ص4 وما بعدها)؛ وفي مجلة «دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف (العدد 114= السنة 12 العددالثاني رمضان - شوال1388هـ دجنبر - يناير1969م)، (ص86 ـ 91).

ـ السهروردي أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله البكري (ت563هـ)، فقيه شافعي ومتصوف، من آثاره: «آداب المريدين»؛ و«شرح الأسماء الحسنى» و«غريب المصابيح». «وفيات الأعيان» لابن خلكان (برقم 393 ج3 ص204)؛ «سير أعلام النبلاء» للذهبي (برقم 302 ج20 ص475)؛ «العبر في خبر من غبر» للذهبي (ج3 ص40)؛ «شذرات الذهب» لابن العماد (ج6 ص346)؛ «الأعلام» للزركلي (ج4 ص49).

نور الجمال، ثم خرق من بصيرته إلى بصره لمعة فرأى بصره ببصيرته، وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده، فظن أن بصره رأى ما شهدت به بصيرته، وإنما رأى بصره ببصيرته فقط وهو لا يدري))[1].

* فائدة:

• روى الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن الله عَزَّوَجَلَّ كلم موسى بمائة ألف كلمة؛ وعشرين ألف كلمة؛ وثلاث مائة كلمة؛ وثلاث عشرة كلمة. وكان الكلام من الله عَزَّوَجَلَّ والاستماعُ من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال موسى: (أي رب؛ أنت الذي تكلمني أم غيرك؟)، قال الله: (يا موسى، أنا أكلمك لا رسول بيني وبينك))[2].

• وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال[3]: (لما كلم الله موسى كان يبصر دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ)[4]. رواه الطبراني وأبو الشيخ في «تفسيره» عن أبي هريرة.

• وعنه ﷺ أنه قال[5]: (كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف وجبّة

---

(1) ذكره الإمام عبد الوهاب الشعراني في «الطبقات الكبرى» (برقم 248 ج1 ص228).

(2) رواه الإمام أحمد في مناظرة له لعبد الرحمن المعتزلي. «شرح أصول السنة لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل» لابن جبرين (ص22)؛ وفي «حلية الأولياء» لأبي نُعيم (ج9 ص205).

(3) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (رقم 77 ج1 ص65)؛ والقاضي عياض في «الشفا» (ج1 ص53 – 54)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج61 ص54)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (برقم 32381 ج11 ص510).

(4) نقله المصنّف عن «الفيض العرشي على الفتح القدسي شرح ورد السحر العارف مصطفى البكري (ت1162هـ)» لعبد الله ابن حجازي الشرقاوي (ت1227هـ) (اللوحة 274).

(5) رواه الترمذي في «الجامع الكبير» (رقم 1734 ج3 ص348) وقال: (هذا حديث غريب =

صوف وكُمَّةٌ صوف وسراويل صوف، وكانت نعلاه من جلد حمار ميت)[1]. رواه الترمذي عن ابن مسعود.

• ورُوي أن[2]: (الله تعالى قال له: (أتدري لما اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي؟)، قال: (يارب، أنت أعلمُ)، قال: (إني نظرت إلى القلوب فما رأيت قلبًا أكثر تواضعًا منك))[3].

• ورُوِيَ أن: (موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كلمه؛ أشرق وجهه بالنور حتى كأن من نظر إلى وجهه عميَ؛ فتبرقع لئلا تذهب أبصار الناس من رؤيته، وبقي البرقع على وجهه إلى أن مات)[4].

= لا نعرفه إلا من حديث حُميد الأعرج)، قال محققه: (نقل المزي في «تهذيب الكمال» أن البخاري والترمذي قالا فيه: منكر الحديث)؛ ورواه البزار في «مسنده» (رقم 2031 ج5 ص400)؛ وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (برقم 4983 ج8 ص399)؛ والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (برقم 331 ج1 ص268)؛ وابن حبان في «المجروحين» (برقم 266 ج1 ص320)؛ وابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (ج3 ص74)؛ وقال الحاكم في المستدرك» (رقم 3431 ج2 ص411): (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم 418 ج1 ص489)؛ والمزي في «تهذيب الكمال» (ج7 ص412)؛ والمتقي الهندي في «كنز العمال» (برقم 32380 ج11 ص509)؛ والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (رقم 70 ص495).

(1) نقله المصنف عن «الفيض العرشي» لعبد الله الشرقاوي (اللوحة 275).

(2) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (ج6 ص130)؛ وأورده المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (رقم 8605 ج6 ص109).

(3) نقله المصنف عن «الفيض العرشي على الفتح القدسي شرح ورد السحر» لعبد الله الشرقاوي (اللوحة 275).

(4) أورده في تفسير البغوي (ت516هـ) «معالم التنزيل» (عند الآية 144 من سورة الأعراف، ج2 ص231)؛ وفي «تفسير الخازن (ت741هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل» (ج 2 ص248).

• وقيـل: (مكث أربعين ليلة لا يراه أحد إلا مات؛ لما غشيَ وجهه من نور رب العالمين حتى اتخذ لنفسه برنُساً وعليه برقع لئلا يبدو وجهه لأحد فيموت)[1].

• وقيل:إن: (الله تعالى أوحى إلى الملائكة: أني أتجلى للجبل ولموسى بن عمران، قال: فارتعدت السماوات والأرضُ والجبال والبحار والنجوم والشمس والقمر وخرّوا كلهم سُجّدًا لله رب العالمين. ولمَّا تجلَّى الله للجبل طارت لعظمته ستت أجبلٍ وساخ جبل التجلّي في الأرض فهو يذهب حتى الآن، قالوا وإنما ظهر للجبل من عظمة الله تعالى قدر خرم الإبرة. ولمَّا أراد أن يخاطب موسى أنزل إلى الأرض ظلمة قدر سبعة فراسخ وطردت الملائكة الهوام على مسيرة سبعة فراسخ ونزلت الملائكة المقربون فأحدقوا بالجبل على مراتبهم ثمّ وقف موسى وقد أحدقت به الملائكة صفوفًا ثم نحى عنه شيطانه وملكاه وخاطبه الله تعالى وجبريل إلى جانبه لا يسمع الخطاب)[2].

• وذكر أن: (الرب تبارك وتعالى لما تجلَّى للجبل لـم يبق على وجه الأرض من ماء إلا عذب، ولا أعمى إلا أبصر، ولا مجنون إلا أفاق، ولا ذو عاهة إلا برئ؛ من بركة التجلي). ذكر ذلك الشيخ الغزالي في بعض كتبه[3].



(1) أورده في «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي (ت671هـ) (ج7 ص280)؛ وفي «تاريخ دمشق» ابن عساكر (ت571هـ) (ج61 ص54).

(2) نقله المصنف عن «الفيض العرشي عن الفتح القدسي» للشرقاوي (اللوحة 275).

(3) المرجع السابق (اللوحة 275 ـ 276).

هذا الكتاب

بعد «مسألة العلم النبوي ﷺ» من بين المسائل العقدية التي استأثرت باهتمام بالغ لدى بعض العلماء خلال القرن الثاني عشر، أمثال :

* الإمام عبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت1036هـ) .
* وقاضي سجلماسة أبو مروان عبد المالك التجموعتي (ت1118هـ).
* والعلامة الحسن ابن مسعود اليوسي (ت1102هـ) .

وكذا صاحب « الروض المعطار في علم النبي المختار، أبو العباس أحمد بن عبد السلام البناني (ت1234هـ).

حيث لم يختلف القاضي التجموعتي والإمام اليوسي ولا الفقيه الأديب البناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في أن النبيّ ﷺ أوتي علم كل شيء اشتمل عليه هذا العالَم، وإنما وقع النزاع في عموم علمه ﷺ، هـل هو - كما ذهب إليه القاضي التجموعتي - على سبيل العموم والإطلاق أي أنه اشتمل حتى حقيقة الذات العلية وصفاتها السنية، أم ما سلكه العلامة اليوسي وتبعه في ذلك الفقيه الأديب البناني الذي انتصر له ووافقهما العلامة الحجوي الثعالبي (ت1376هـ) في تخصيص علمه ﷺ بما اشتمل عليه هذا العالَم الذي هو ما سوى الله تعالى وصفاته، لشبهة توهم التسوية بين علم الخالق القديم، وعلم المخلوق الحادث؟

الدكتورة محجوب العوينة

نائب رئيس اتحاد الأكاديميين والعلماء العرب

رئيسة مكتب المملكة المغربية لاتحاد الأكاديميين والعلماء

التابع لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية - جامعة الدول العربية

دكتوراه في العقيدة والفكر

أستاذة أكاديمية طنجة - تطوان الحسيمة - المغرب

